الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 02 معهد الآثار

أبو القاسم سعد الله



التأثيرات الأندلسية على العمارة والفنون التطبيقية في الجزائر خلال الفترة العثمانية

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية

إعداد الطالبة

مليكة بن مصباح

إشراف الأستاذة

أ.دة. شريفة طيان

السنة الجامعية: 2017 - 2018

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 02 معهد الآثار

أبو القاسم سعد الله



التأثيرات الأندلسية على العمارة والفنون التطبيقية في الجزائر خلال الفترة العثمانية

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية

إعداد الطالبة

مليكة بن مصباح

إشراف الأستاذة

أ.دة. شريفة طيان

لجنة المناقشة:

أ. دة/ لطيفة بورابة	رئيسا
أ. دة/ شريفة طيان	مشرفا ومقررا
دة/ رفيقة تومي	عضوا
دة/ ليلى مرابط	عضوا
د/ بوعبد الله بلجوزي (جامعة تلمسان)	عضوا

السنة الجامعية: 2017 - 2018


بسم الله الرحمن الرحيم

إهــداء

أضع هذا العمل بين يدي الله قاصدة به وجهه الكريم.

أهدي هذا العمل إلى أحن وأعز وأغلى ما أملك في هذا الوجود إلى أمي وأبي أطال الله في عمرهما ورَّحِمهما كما رَّبياني صغيرا.

إلى روح عمي الطاهرة: عبد لْعالي.

إلى من هو سندي وعمدي: زوجي.

إلى أبنائي الَّذين قاسموني هموم هذه الأطروحة بالصبر والدعاء: مهدي وخديجة وسارة.

إلى من يعز عليَّ إخوتي وأخواتي: سعدي وبشير وفوزي وفريد ويزيد وسعاد وحميدة وياسمينة وصبرينة.

إلى كل عائلة بن مصباح كبيرًا وصغيرًا.

إلى عائلة غباش.

إلى البــراءة والأمــل: رزان.

شكر وعرفان

أشكر الله وأحمده الذي ألهمني القوة والصحة ، مما ساعدني على مواصلة هذا البحث حتى النهاية.

أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة شريفة طيان التي تابعت هذا العمل بالتصحيحات المستمرة والتوجيهات القيمة. فلم تبخل عليَّ بأية معلومة أو نصيحة، كما أشكرها على صبرها معي طيلة فترة البحث وإصرارها على تقديمه على أكمل وجه.

أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد لإنجاز هذا البحث وعلى رأسهم الأستاذة الدكتورة بن بريدي آنيسة التي قامت بالمراجعة اللغوية،أكلي كلثوم، درياس صفاء، داهية صفية، آيت سعيد كريمة، تنسي صبرينة، وعبد الباقي بدرية. كما لا يفوتني أن أشكر كل شخص رفع من معنوياتي وشجعني على المثابرة والمواصلة.

قائمة المختصرات:

CNEH: Centre national d’études historiques.

E. B: Encyclopédie Berbère.

E.I : Encyclopédie de l’Islam.

Hesp: Hesperis.

O. P.U **:** Office des publications universitaires.

P.U.F : presses universitaires Françaises.

P.U.P. S : presses de l’université Paris - Sorbone.

Rev. Afr : Revue Africaine.

R. H. C. M. : Revue d’histoire et de civilisation du Maghreb.

R. H. M : Revue d’histoire maghrébine.

R. O. M. M : Revue de l’occident musulman et de la méditerranée

R. N. M. S. A. C: Recueils des notices et mémoires de la société archéologique de Constantine.

SNED: Société nationale des éditions et de la distribution.

مقدمة

مرت مأساة مسلمي الأندلس بعدة مراحل بدأت بسقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م على يد الملك فرديناند الخامس، الّذي لم يتردد في نقض بنود معاهدة تسليم غرناطة الَّتي أبرمها مع الأمير عبد الله. والَّتي اشتملت على ضمانات ارتبطت بصون الدين الإسلامي، وقيام المسلمين بشعائرهم الدينية بكل حرية وآمان وحماية أموالهم وممتلكاتهم وأعراضهم. وقبل وفاته ترك وصيته يحث فيها على حماية الكنيسة؛ وأوصى محققي محاكم التفتيش أن يعملوا بجد وحزم لسحق طائفة محمد.

أعلن الملوك الإسبان الحرب ضد المسلمين، فابتزوا أموالهم وصادروا أمتعنهم واستولوا على أراضيهم ومنازلهم. وفي سنة 1017هـ/1609م أصدر الملك فليب الثالث قرار النفي النهائي، الَّذي نتج عنه اجتثاث المسلمين من مواطنهم الأصلية والإلقاء بهم إلى الضفة الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط.

قدّر الباحثون الغربيون أن مجموع المسلمين الَّذين طردوا من الأندلس بلغ حوالي ثلاثة ملايين نسمة، ووصف أحد المؤرخين الفرنسيين هذا الطرد "بالعملية الجراحية". وقد لعب العامل الجغرافي لبلدان المغرب الإسلامي دورا كبيرا ومهما في استقبال أكبر عدد منهم. وتوجه عدد قليل عبر السواحل المغاربية نحو المشرق الإسلامي واستقروا في كل من مصر وسوريا بصفة خاصة، وقد سعت الدولة العثمانية لتحويل عدد منهم إلى أراضيها فاستقروا في اسطنبول. واختار بعضهم خوض غمار المحيط الأطلسي والتوجه إلى القارة الجديدة الَّتي اكتشفها كريستوف كولمب سنة 897هـ/1492م وساهموا في تعميرها واستقروا في المكسيك وبوليفار وكلومبيا والبيرو.

استقطبت معظم المدن الساحلية الجزائرية عددا كبيرا من المهاجرين الأندلسيين تاركين أملاكهم وديارهم، فبعد أن فُرض عليهم التنصير الإجباري والقهري، ألصقت بهم تسمية الموريسكيون Moriscos الَّتي تحمل الكثير من الإهانة والتحقير والتمييز. لكنهم رفضوا هذه التسمية وسمُّوا أنفسهم "بالغرباء" لأنهم أصبحوا غرباءً في وطن عاشوا فيه ثمانية قرون.

أسباب اختيار الموضوع

تطرق معظم الباحثين العرب إلى قضية طرد المسلمين من الأندلس بإثارة عاطفية واعتبروها مأساة لحقت بالتاريخ الإسلامي، لكن هذه المأساة كان لها وجه مشرق في أماكن استقرار الأندلسيين، حيث امتازوا بمهارات عالية في الزراعة ومختلف الصنائع واستثمروها في مواطنهم الجديدة، وقد وصفهم أحد الباحثين العرب بأنهم قطعة من الأندلس يمثلونها حيثما حلوا.

تزخر المتاحف الجزائرية بمقتنيات وتحف ارتبطت بالوجود الأندلسي سواء في طريقة صنعها أو في زخرفتها؛ فقد تميّز الأندلسيون بمهارات متعددة تجلت في فنون مختلفة، وقد كان قدومهم إلى الجزائر في شكل جماعات كبيرة ضمت الحرفي والصانع والطباخ والموسيقي والعالم والفقيه وغيرهم من الفئات. وهذا ما أثارني وبعث في نفسي الرغبة الشديدة في البحث وأساهم بكل تواضع في دراسة الأبعاد الاجتماعية والحضارية والاقتصادية الأندلسية. وأحاول إبراز بقدر الإمكان مساهمتهم الفعالة في فنون العمارة والفنون التطبيقية.

وخلال مسيرتي في دروب البحث تم الإطلاع على الكثير من الأبحاث الَّتي عالجت الهجرة الأندلسية، وتم ملاحظة أنها تكاد تقتصر على المغرب الأدنى والمغرب الأقصى، في حين بقيت الدراسات في المغرب الأوسط حول الوجود الأندلسي من الجانب المادي الحضاري قليلة. هذا ما زاد الرغبة لدراسة الموضوع من أبعاده الحضارية ومحاولة الوقوف على مدى تفاعل الأندلسيين في المجتمع الجزائري.

إشكالية البحث

إن الخوض في موضوع الأندلسيين وهجرتهم إلى بلاد المغرب بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، طرح إشكالية المساهمة الأندلسية في مختلف الميادين الاجتماعية والاقتصادية وتأثيراتهم على الحرف والصناعات الجزائرية في العهد العثماني وهناك أسئلة أخرى يتم طرحها وهي:

ـ هل اندمجت الجالية الأندلسية بسهولة في مناطق استقرارها الجديدة، وهل اختلطت وارتبطت بالسكان بروابط اجتماعيّة وصلات مصاهرة ؟

ـ ما هو الدور الَّذي قدمه العلماء والقضاة في نشر معارفهم في المجتمع الجزائري، وهل أسندت لهم وظائف تليق بهم؟

ـ ما هو أثر الهجرة الأندلسية على الجزائر في النواحي الحضارية من عمارة وفنون وصنائع وحرف وتجارة وزراعة؟

ـ هل أدت المرأة الأندلسية دورا بارزا في نشر صنائع وتقاليد جديدة في المجتمع الجزائري؟

ـ هل امتزجت الأساليب الفنية العثمانية مع الأساليب الأندلسية في تحفة جزائرية سواء كانت نسيجية أم جلدية أم معدنية أم خشبية؟

نقد أهم المصادر والمراجع

تم الاعتماد في البحث على مجموعة من الوثائق الأرشيفية والمصادر التاريخية والمراجع والمقالات العربية والأجنبية والاستدلال بالمجموعات المتحفية، ويمكن ذكرها فيما يلي:

الوثائق الأرشيفية

تم الاعتماد في هذه الدراسة على الوثائق الَّتي تعود إلى الفترة العثمانية، وهي تشمل سجلات المحاكم الشرعية الَّتي تتمثل في أوراق ولفافات تحتوي على تسجيل عقود البيع والشراء، وعقود الوقف أو التحبيس، وعقود القروض والتركات. وكان القاضي هو المكلف بتدوين هذه العقود لتضفي عليها صفة الشرعية. وتشكل هذه السجلات رصيدا هاما للباحثين، حيث تضم 145 علبة وتحتوي كل علبة أكثر من مائة وثيقة، وهي تخص مدينة الجزائر بصفة كبيرة وبعض المناطق المجاورة لها كالبليدة والمدية ومليانة. وقد كان

اهتمامي منصبا على مدينة الجزائر، لأنها ضمت عددا كبيرا من المهاجرين الأندلسيين الَّذين كانوا يدونون أسمائهم مع ألقابهم وحرفهم.

لقد مهدت لي الباحثة طيبي مهدية الطريق إلى هذه الوثائق، فقد قامت بدراسة معنونة ب: "مقاربة للوضع الإجتماعي والاقتصادي لأهل الأندلس بمدينة الجزائر القرن (17م/18م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية" لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث. درست من خلالها مجموعة من وثائق سلسلة المحاكم الشرعية كمادّة أولية في بحثها، تعود إلى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، السابع عشر والثامن عشر الميلاديين؛ وتطرقت في دراستها إلى الوضع الاجتماعي والاقتصادي لأهل الأندلس بمدينة الجزائر إذ أشارت إلى أوقاف الأندلسيين وأهم الفئات التي وقفت عليها وأهم الوظائف والمهام التي شغلوها. كما عرضت النشاطات الحرفية الَّتي مارسها الأندلسيون مع ذكر أسمائهم وألقابهم.

المخطوطات العربية

ـ إبراهيم بن أحمد غانم الأندلسي، "العز والمنافع في سبيل الله بالمدافع"

ألف إبراهيم بن أحمد كتابه في المدفعية عام 1044هـ/1635م، ولقد عاش فترة من حياته في الأندلس تحت حكم النصارى ثم انتقل إلى تونس.

المصادر العربية المطبوعة

من المصادر المطبوعة الَّتي تم الاعتماد عليها:

ـ مؤلف مجهول، "نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب".

أشار هذا المؤلف إلى نقطة مهمة استفدت منها في البحث وهي ذكر أسماء الأماكن الَّتي انتقل إليها الأندلسيون مباشرة بعد سقوط غرناطة. فمثلا انتقل أهل ألمرية إلى تلمسان، وخرج أهل رندة إلى تطوان، ونزح أهل غرناطة إلى بجاية ووهران قابس وصفاقس.

ـ الحسن الوزان، "وصف إفريقيا" ألف سنة 933هـ/1526م

يعد مصدرا مهما لما فيه من معلومات عن مدن المغرب الإسلامي، كمواقعها وأهم الأحداث التي وقعت فيها. كما تحدث المؤلف عن سكان هذه المدن وأشار إلى الأندلسيين ونشاطهم الزراعي والصناعي، وقد استفدت من هذا الكتاب خاصة في جزئه الثاني.

ـ أحمد المقري، "نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب" ألف سنة 1036هـ/1629م

خصص المؤلف بابا مستقلا لنهاية الأندلس تغطي الفترة الزمنية من القرن8هـ/14م إلى القرن 11هـ/17م، وقد عاصر المقري صدور قانون الطرد الجماعي الذي أصدره فليب الثالث، فتعرض إلى الهجرة الأندلسية وظروفها والاعتداءات التي تعرض لها الأندلسيون خلال نزوحهم إلى بلاد المغرب، كما أشاد بدورهم في تطوير الزراعة ونشر مختلف الصنائع والحرف. وقد استفدت من هذا الكتاب خاصة في جزئه الثالث والرابع.

ـ مؤلف مجهول، "غزوات عروج وخير الدين"، القرن 10هـ/16م

يعتبر هذا الكتاب مصدرا مهما في تاريخ الجزائر خلال القرن 10هـ/16م، يتناول سيرة المجاهدين عروج وخير الدين وجهادهما ضد الإسبان وطردهم من السواحل الجزائرية وإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية. والموقف الإيجابي لهذه الأخيرة في إنقاذ مسلمي الأندلس بحملهم عبر أسطولها إلى الشواطئ المغاربية.

المصادر التركية

ـ بيري ريس "كتاب البحرية"

يحتوي هذا الكتاب على معلومات غزيرة في الجغرافيا البحرية وعلوم البحار وعلوم الخرائط البحرية والطبوغرافيا البحرية. وقد استفدت من القسم الّذي تطرق إلى المدن الساحلية الجزائرية، إذ أعطى معلومات دقيقة عنها خاصة مدينة شرشال وبرشك وتنس وأشار إلى دور الأندلسيين في تعمير هذه المدن، كما زود المؤلف كتابه بخرائط دعمت بها بحثي.

المصادر الإسبانية

تم الاعتماد على:

ـ **مارمول كربخال**، "**إفريقيا**" ألف سنة 979هـ/1571م

اتبع مارمول في تأليفه منهجية حسن الوزان، إذ يذكر البلدان ثم يصف مدنها وجغرافيتها وصنائعها وسكانها وعمرانها. وأشار في عدة مرّات إلى الأندلسيين ودورهم الزراعي والصناعي، غير أن الشيء المميز في كتاب مارمول هو احتوائه لوصف مدن ومواقع لم يتطرق إليها حسن الوزان كمدينة القليعة مثلا.

− **Haedo F. D., Topographie et histoire générale d'Alger,**

تم تأليف هذا الكتاب خلال القرن 10هـ/ أواخر القرن 16م، وقد استقيت منه معلومات مهمة عن إسهام الأندلسيين في الحرف والصنائع في مدينة الجزائر، كصناعة السفن والأسلحة والبارود. كما تطرق المؤلف إلى مشاركة الأندلسيين في الجهاد البحري ضد الإسبان.

المراجع

ـ **ناصر الدين سعيدوني، "دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر"**

يعتبر هذا الكتاب أهم مرجع في موضوع الوجود الأندلسي بالجزائر، ومادَّة مهمة ومصدرا هاما للباحثين، وقد استفدت منه استفادة كبيرة. وهو يضم مجموعة من المقالات والأبحاث الَّتي تتعلق بالأندلس وبالهجرة الأندلسية إلى الجزائر، كتبت في مناسبات عديدة وفي أوقات متفرقة. ويشمل على ثلاثة عشر بحثا قيمًا أطلق عليها المؤلف "الأندلسيات الجزائرية".

تناول هذا الكتاب الوضع الاجتماعي للأندلسيين ونشاطهم الزراعي والتجاري والحرفي في البلاد الجزائرية، ومساهمتهم الفعالة في ترقية مقاطعة دار السلطان. كما

تطرق الباحث إلى أوقاف الأندلسيين بمدينة الجزائر من خلال إطلاعه على الوثائق الأرشيفية. وذكر أسماء الواقفين المرفقة بألقابهم وحرفهم.

ومن بين أبحاث هذا الكتاب الّتي لها علاقة بالموضوع هي:

° "**الجالية الأندلسية بالجزائر مساهمتها العمرانية ونشاطها الاقتصادي ووضعها الاجتماعي**". **الأندلسيون.**

° **(الموريسكيون) بمقاطعة الجزائر "دار السلطان" أثناء القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة/السادس عشر والسابع عشر للميلاد.**

° **أوقاف الأندلسيين بالجزائر من خلال وثائق الأرشيف الوطني.**

° **مدرسة بجاية الأندلسية.**

° **مدرسة مدينة الجزائر الأندلسية.**

ـ عائشة غطاس، "الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر 1700 ـ 1830 مقاربة اجتماعية اقتصادية".

سعت هذه الدراسة إلى إلقاء الأضواء على النشاط الحرفي، والحياة المادية للحرفيين بمدينة الجزائر، وهناك إشارات خفيفة لأسماء حرفيين أندلسيين استعنت بهم لضمهم في دراستي. كما تناولت المؤلفة في كتابها بنية التنظيمات الحرفية والّتي اعتمدت عليها كثيرا لما تطرقت إلى بنية التنظيمات الحرفية الأندلسية.

ـ شريفة طيان، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني.

تناولت هذه الدراسة اللباس النسوي بمدينة الجزائر، وقد ذكرت فيه المؤلفة أنواع الملابس التي كانت ترتديها المرأة، وأنواع الطرز الّذي كان يزين هذه الملابس. والملفت للانتباه في هذا المرجع هو تناوله للتأثيرات الخارجية الّتي طرقت على لباس المرأة، من بينها التأثيرات الأندلسية. وقد استفدت من هذه الدراسة استفادة كبيرة بحيث كانت لي مرجعا مهما في القسم الثاني من البحث.

ـ شريفة طيان، "الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني"

يعد هذا الكتاب المؤلف الوحيد الَّذي تطرق إلى موضوع الفنون التطبيقية الجزائرية والَّذي شمل الفنون المعدنية والخشبية والنسيجية في دراسة واحدة، وتعود إلى الفترة العثمانية وهي الفترة التي تزامن فيها قدوم الأندلسيين إلى الجزائر.

أشارت المؤلفة في الكثير من المرّات إلى مساهمة الأندلسيين في هذه الفنون؛ وزودت بحثها بدليل دراسة شمل مجموعة كبيرة من التحف. وقد استفدت من هذه الدراسة خاصة في القسم الثاني من البحث لما تم التطرق إلى التأثيرات الأندلسية على الفنون التطبيقية.

المقالات

أخص بالذكر مقالين لمهندستين معماريتين تطرقتا إلى الجالية الأندلسية بمدينة الجزائر:

− Missoum S., « Localisation de maisons de la communauté andalouse de la médina d'Alger » in environmen al design, XI th year, n° 13 – 14, 1993.

تناولت الباحثة سكينة ميسوم في هذا المقال مواقع استقرار الجالية الأندلسية داخل مدينة الجزائر، وأرفقت مقالها بوضع بخريطة بينت فيها مواقع تمركزهم.

- Chergui S., « Les morisques et l'effort de construction d'Alger aux XVII^e et XVIII^e siècle », in cahier de la méditerranée, 2009.

تطرقت الباحثة شرقي سامية في هذا المقال إلى مساهمة الأندلسيين في مجال البناء بمدينة الجزائر، وخصت بالذكر المعلّم موسى وابنيه علي وإبراهيم. كما أعطت مجموعة أسماء لبنائين أندلسيين ساهموا في البناء وترميم البنايات الهشة.

منهجية البحث:

انتهجت في دراسة الموضوع على منهجين:

المنهج النظري: تم الاعتماد على جمع المادة العلمية التي لها علاقة بالموضوع من قريب أو بعيد تتمثل في مصادر ومراجع، والبحث عن خرائط وصور قديمة للمدن التي استقر فيها الأندلسيون. بالإضافة إلى العمل الأرشيفي الذي قمت من خلاله بالبحث والمراجعة لأسماء حرفيين أندلسيين.

بالنسبة **للمنهج التطبيقي:** تمثل في العمل الميداني من خلال مقتنيات أثرية محفوظة في ثلاثة متاحف جزائرية، وهي المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة، والمتحف العمومي الوطني الباردو، والمتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية. قمت من خلالها أخذ التحف التي عليها تأثيرات أندلسية وأدمجتها في النص لكي تكون ركيزة في البحث.

واعتمادا على هذه المنهجية تم تقسيم البحث إلى مقدمة وقسمين وخاتمة وملاحق وفهارس.

تم التطرق في **القسم الأول** إلى الهجرة الأندلسية إلى الجزائر ومظاهرها الاجتماعية والحضارية والاقتصادية، ويضم خمسة فصول.

تطرقت في **الفصل الأول** إلى الهجرة الأندلسية ودوافعها خلال العهد العثماني فتناولت نتائج سقوط غرناطة والمحن الَّتي تعرض لها مسلمو الأندلس جراء نقض بنود معاهدة تسليم غرناطة الَّتي أبرمت بين فرديناد والأمير عبد الله. فأنشئت محاكم التفتيش لتتبع المسلمين، والتحقيق من صحة اعتناقهم الدين المسيحي، وتغيير اسمهم إلى موريسكوس ومصادرة أموالهم وأمتعتهم.

تناولت في **الفصل الثاني** استقرار الأندلسيين في مقاطعة دار السلطان الَّتي كانت تضم مدن الجزائر والبليدة وشرشال وبرشك والقليعة ومليانة وتنس ودلس، ومشاركتهم الفعالة في تطوير هذه المدن. كما تطرقت إلى أسماء أهم العائلات الأندلسية الَّتي سكنت فيها، وحاولت ربط أسماء هذه العائلات بمثيلاتها الَّتي استقرت في مدن المغرب الأقصى.

خصصت **الفصل الثالث** إلى استقرار الأندلسيين في بايلك التيطري خاصة في مدينة المدية، وفي بايلك الغرب وذكرت أهم المدن التي حلّ بها الأندلسيون في هذا البايلك كوهران وتلمسان ومستغانم ومازونة. وأنهيت هذا الفصل باستقرار الأندلسيين في بايلك الشرق كمدن قسنطينة وبجاية وعنابة وجيجل والقل. مع ذكر أسماء أهم العائلات الَّتي استقرت في هذه البيالك.

أما **الفصل الرابع** فتم تخصيصه لدراسة المظاهر الاجتماعية والحضارية الأندلسية فذكرت أوقافهم في مدينة الجزائر وعقاراتهم الموقفة، وانكماش دورهم في القرن 12هـ/18م. بعد ذلك تطرقت إلى دور الأندلسيين في التعليم وإنشاء الزوايا وتأثيرهم اللغوي على اللغة الدارجة الجزائرية، كما تناولت إسهاماتهم في الموسيقى وبروزها في العديد من المدن الجزائرية مع ذكر الآلات الموسيقية التي أرفقوها بموسيقاهم. وفي الأخير تطرقت إلى فن الطبخ وأشهر الأطباق الَّتي جلبوها معهم.

أُنهي **الفصل الخامس** من هذا القسم المخصص للمظاهر الاقتصادية الأندلسية من صناعة وزراعة وتجارة. ففي الصناعة ذكرت أهم الصنائع الممارسة في مختلف المدن وإشادة الباحثين بدور الأندلسين في تطويرها. أما في الزراعة فبينت المساهمة الفعالة للأندلسيين في هذا المجال؛ إذ بفضلهم تم استصلاح الأراضي وغرس أنواع جديدة من الخضر والفواكه، وأدخلوا تقنيات جديدة في الزراعة والري. أما بالنسبة للنشاط التجاري فتم إبراز المبادلات التجارية الَّتي كانوا يقومون بها واستثمار أموالهم في الجهاد البحري.

تم التطرق في **القسم الثاني** إلى التأثيرات الأندلسية على العمارة والفنون التطبيقية الجزائرية ويضم سبعة فصول.

تناولت في **الفصل الأول** فنون العمارة والبناء، واستهلته بإعطاء قائمة لأسماء البنائين الأندلسيين، ثم ذكرت المنشآت المدنية والعسكرية الَّتي أنجزها الأندلسيون، وأبرزت الدور الكبير للبنّاء الأندلسي المعلم موسى وأبنائه إبراهيم وعلي في تشييد الكثير من

المباني في مدينة الجزائر. بعد ذلك تطرقت إلى المنشآت المائية التي أنشأها الأندلسيون كالقنوات والعيون والناعورات.

تطرقت في **الفصل الثاني** إلى الفنون النسيجية والجلدية وبينت الدور الكبير للأندلسيين في تطوير صناعة الحرير ومشتقاته، بعد ذلك تناولت مجالات الصناعة النسيجية الَّتي ارتبطت بالوجود الأندلسي ورافقت كل مجال بمجموعة من أسماء الحرفيين الأندلسيين. ثم انتقلت إلى التقنيات الصناعية كالغزل والنسج. وفي الأخير تطرقت إلى مجالات الصناعات الجلدية الَّتي ساهم فيها الأندلسيون وأعطيت أسماء الحرفيين الأندلسيين في هذه الصناعة، ثم تناولت تقنية الصناعة من دباغة الجلود وصبغها.

خصصت **الفصل الثالث** للتأثيرات الأندلسية على اللباس الجزائري، ونظرا لغياب الأدلة المادية للباس الرجل، انصب اهتمامي على ملابس المرأة وقسمتها إلى لباس الرأس ولباس البدن. بعد ذلك تطرقت إلى ملابس المرأة الحضرية الأندلسية ومظهرها الخارجي.

تطرقت في **الفصل الرابع** إلى فن الطرز ومساهمة الأندلسيين في إدخال تقنيات جديدة، ومساهمتهم في صناعة القياطين. وأخيرا بينت أنواع القطع المطروزة الَّتي تحمل تأثيرات أندلسية. مع إبراز القطع الَّتي مزجت فيها الأساليب الأندلسية مع الأساليب العثمانية.

درست في **الفصل الخامس** الفنون والصناعات الخشبية، تطرقت أولا إلى الصناعة الخشبية وأنوع الأشجار المتوفرة في الجزائر، ثم تناولت التحف الخشبية التي ساهم الأندلسيون في صنعها أو الَّتي أدخلوها إلى الجزائر. كما تطرقت إلى الأصباغ الَّتي تفنن الأندلسيون في صناعة ألوانها، ووضعت قائمة لأسماء الصباغين الأندلسيين وذكرت أنواع مواد الصباغة كالنباتية والحيوانية والمعدنية. بعد ذلك تناولت صناعة السفن والقنداق، فذكرت أسماء السفن الَّتي صنعها الأندلسيون، ورافقت هذه الصناعة بأسماء حرفيين أندلسيين.

خصصت **الفصل السادس** للفنون المعدنية والحلي، حيث بدأت بالحديث عن أنواع المعادن المتوفرة بالجزائر، ثم تناولت مجالات المساهمة الأندلسية في هذه الصناعة والَّتي تتمثل في الأواني والأسلحة الثقيلة والخفيفة وصناعة الذخيرة. أما صناعة الحلي فقد ساهم الأندلسيون في زخرفتها بالمينا.

ينتهي القسم الثاني **بالفصل السابع** الخاص بالتنظيمات الحرفية للأندلسيين وبنيتها، بعد ذلك شرحت الألقاب التي صحبت أسماء الحرفيين الأندلسيين، علاوة على شرح المفردات والمصطلحات الَّتي وردت في أوقافهم.

أنهيت دراستي للموضوع، بخاتمة جمعت فيها أهم النتائج الَّتي توصلت إليها، كما دعمت عملي بصور ولوحات وأشكال وخرائط.

القســـم الأول

الأندلسيون في الجزائر وإسهاماتـهم الحضاريـة والاقتصاديـة

الفصـل الأول

الهجرات الأندلسية من 897هـ/1492م إلى 1017هـ/ 1609م

أولا: نتائج سقوط غرناطة

ثانيا: مساهمة الأسطول الجزائري العثماني في إنقاذ مسلمي الأندلس

ثالثا: النفي النهائي ونتائجه

أولا: نتائج سقوط غرناطة

عرفت الأندلس فترة عصيبة في الفترة الممتدة ما بين سنة 422ه و470ه/ 1030م ـ 1087م، إذ انقسمت البلاد إلى عدة ممالك ودويلات صغيرة عرف ملوكها باسم ملوك الطوائف؛ مما مكن الإسبان من استرداد[1] الكثير من المناطق وإخضاعها الواحدة تلو الأخرى لحكم النصارى، فتمكنوا من الاستيلاء على المراكز الإسلامية بشمال الأندلس كطليطلة سنة 478ه/1085م، وسرقسطة سنة 512ه/1118م[2]. بعد ذلك تم سقوط الحواضر الإسلامية الكبرى تساقطا تدريجيا كقرطبة سنة 636ه/1238م وبلنسية سنة 636ه/1238م وجزيرة شقر الواقعة جنوب بلنسية سنة 639ه/1241م، ثم سقطت مرسية سنة 641ه/1243م، وتلتها مدينة جيان في سنة 646ه/1248م، فشاطبة التي سقطت بعدها في سنة 645ه/1247م، ثم تبعتها إشبيلية سنة 646ه/1248م، وتلا سقوطها سقوط الحصون التابعة لها؛ فكان ذلك مقدمة لنهاية الحكم الإسلامي بالأندلس[3]. (الخريطة 01)

ارتبطت نهاية الحكم الإسلامي بالأندلس بسقوط آخر معاقله غرناطة بني الأحمر عام 897 هـ/1492م، ويعتبر هذا السقوط حدا فاصلا بين حضارتين في إسبانيا؛ حضارة عربية إسلامية ظلت ثمانية قرون وحضارة غربية مسيحية أرادت أن تمحو كل أثر للوجود الإسلامي ليس في إسبانيا فحسب بل في كل أوروبا[4].

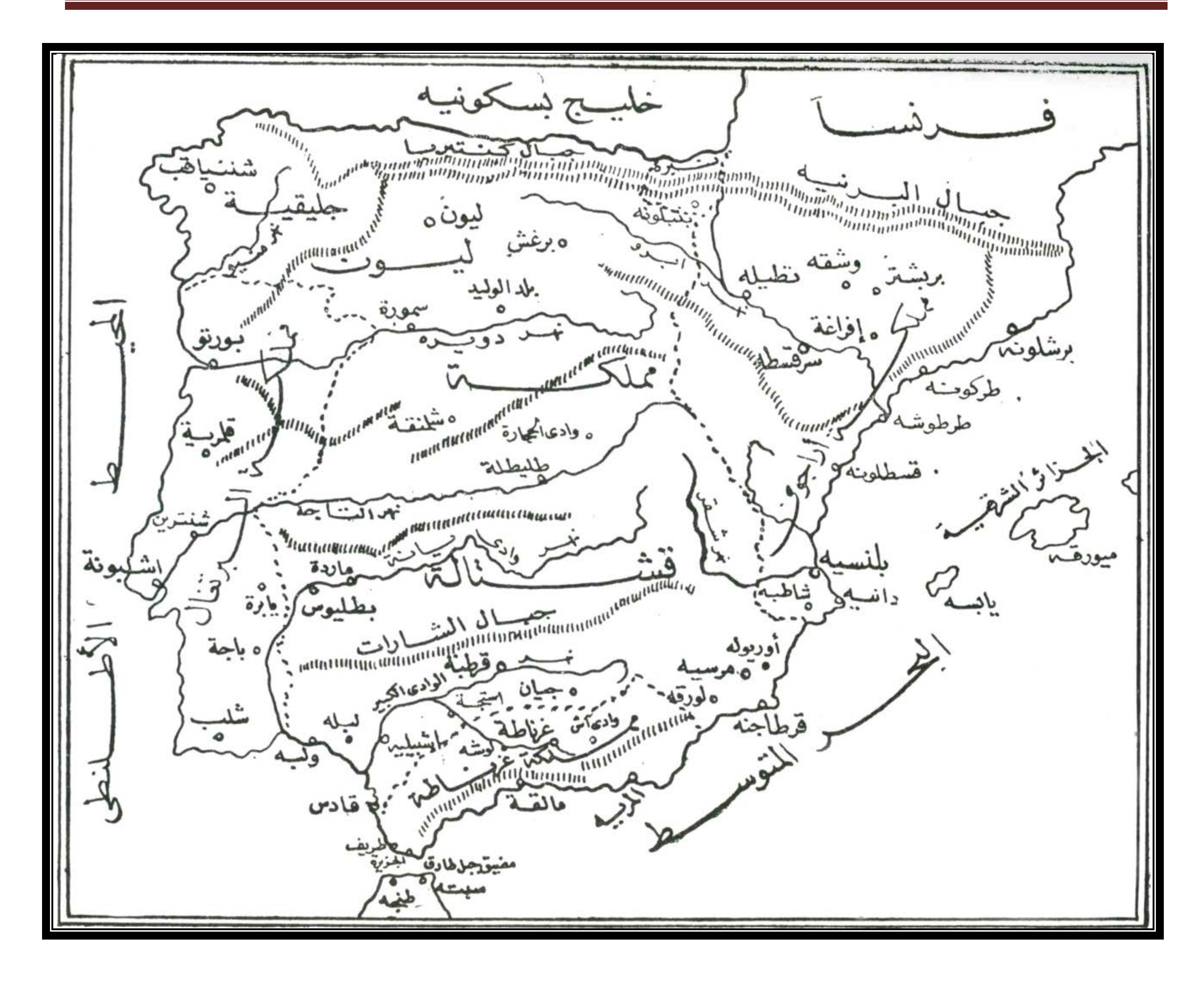
---

[1] الاسترداد: كلمة إسبانية Reconquista ومعناها إسترجاع أو إستعادة الإسبان المناطق التي كانت تحت الحكم الإسلامي، فمنذ سقوط الخلافة الأموية في الأندلس في أواخر القرن 4ه/10م، وقيام دول الطوائف الصغيرة المفككة بدأت إسبانيا النصرانية من انتزاع القواعد الأندلسية. للمزيد أنظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس العصر الرابع نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مطبعة المدني، مصر، 1997م، ص. 18 ـ 19.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحّدين عصر الطوائف الثاني 510 هـ ـ 546 هـ /1116م ـ 1151م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص. 51.

[3] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية، ج. 1، الجزائر، 2007، ص. 174.

[4] محمد رزوق، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 ـ 17م، ط.2، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1998م، ص. 52.



الخريطة 01: الأندلس والممالك النصرانية الإسبانية في القرن 8هـ/13م

عن: محمد عبد الله عنان.

بعد أن أُعلنت الوحدة بين مملكة قشتالة ومملكة أراغون، بزواج ولي عهد أراغون الملك فرديناند الخامس[1] المعروف بفرديناند الكاثوليكي من ابنة عمه وولية عهد قشتالة الملكة إيزابيلا[2] المعروفة أيضا بإيزابيلا الكاثوليكية. تعاهد هذان الملكان الكاثوليكيان بأن يشهرا الحرب على مملكة غرناطة ويطردا المسلمين من كل شبر من إسبانيا. وكانت هذه الأغراض القومية العنصرية المشتركة بينهما جعلتهما يوطدان شؤون مملكتهما ويوسعانها

[1] الملك فرديناند الخامس: هو من أعظم ملوك إسبانيا النصرانية وأوفرهم عزما وهمة، لكنه عرّف بالغدر والكذب والخيانة حكم من 879هـ/1474م إلى 922هـ/1474م ـ 1516م. أنظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 184.

[2] الملكة إيزابيلا: هي ابنة الملك خوان الثاني القشتالي، خلفت أخاها هنري الرابع سنة 876هـ /1471م وتوفيت سنة 911 هـ/1505م، وكانت تجيش بنزعة دينية عميقة تذهب إلى حد التعصب، وغالبا ما كانت تقع تحت تأثير الأحبار وتنزل عند تحريضهم. وتحتل هذه الملكة مكانة مقدسة عند الإسبانيين. أنظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 184.

فتفوقت وازدادت قوتها العسكرية. وفي هذه الفترة غرقت غرناطة في سلسلة من الحروب الأهلية وكان يحكمها أمراء بالاسم فقط، فلا يهتم أحد منهم باسترجاع مدينة أو قرية، بل ولا يفكر حتى أن يمدّ يد العون للمسلمين. وفي هذه الظروف سقطت غرناطة في أيدي النصارى الّذين قويت شوكتهم ونالوا النصر الذي كانوا يخططون له منذ قرون خلت. فبدأ الأمير أبو عبد الله[1] والملك فرديناند في إجراء مفاوضات التسليم الّتي تمت في سرية تامة، واستمرت بضعة أسابيع انتهت بوضع معاهدة التسليم، ووقّعت في 21 محرم من سنة 897هـ الموافق لـ 25 نوفمبر 1491م. وبعد تسعة وثلاثين يوما من توقيع عهد التسليم سلم الأمير أبو عبد الله مفاتيح قصره إلى الملك فرديناند وفتح له أبواب مدينته في 2 ربيع الأول 897هـ الموافق لـ 2 جانفي 1492م[2].

تضمنت هذه الوثيقة الشهيرة التي قررت مصير الأمة الأندلسية، شروطا عديدة بلغت ستة وخمسين بندا، تتعلق أكثرها بالإسلام والمسلمين. واشتملت على سائر الضمانات المرتبطة بتأمين النفس والمال، وصون الدين والشعائر والسماح بالهجرة لمن أراد ذلك.[3]ومن أهم هذه الشروط:

ـ أن يتعهد ملك غرناطة والقادة والفقهاء والوزراء والعلماء وكافة الناس، سواء في غرناطة والبيّازين[4] وأرباضهما، بأن يسلموا طواعية واختيارا، وذلك في ظرف ستين يوما تبدأ من

---

[1] الأمير أبو عبد الله: يقال له عبد الله الصغير وقد عُرف بالزغيبي، تقلد الحكم وعمره 25 سنة، بعد أن ثار على أبيه واعتقله في السجن وفي عهده تمادي النصارى في الاستيلاء على الممتلكات الإسلامية حكم من (887هـ ـ 891هـ/1482م ـ 1491م). أنظر: حورية شريد، "مصير أبي عبد الله المشهور ببو عبديل"، حوليات المتحف الوطني للآثار، ع. 5، 1996، ص. 13.

[2] أحمد المقري، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، تحقيق: إحسان عباس، مج. 4، دار صادر، بيروت، 1988، ص. 525.

[3] الصادق دهاش، "تضامن الجزائر مع مسلمي الأندلس أيام المحنة الكبرى 1492 م ـ 1640م"، حوليات جامعة الجزائر، ع. 14، 2001، ص.23.

[4] البيّازين: هو حي بغرناطة تم فيه عزل العناصر الإسلامية عن المجتمع الإسباني. أنظر: محمد رزوق، المرجع السابق، ص. 59 ـ 60.

تاريخ هذه المعاهدة، قلاع الحمراء وأبوابها وأبراجها، وأبواب غرناطة والبيآزين إلى الملكين الكاثوليكيين.

ـ أن يكون المسلمون صغيرهم وكبيرهم أميرهم أو مأمورهم، آمينين في النفس والأهل والولد ويبقى كلهم في دورهم وبيوتهم وعقاراتهم.

ـ إقامة شريعة الإسلام بينهم، ولا تقام أي شريعة سواها للحكم بين المسلمين.

ـ تبقى المساجد كما هي وتحفظ الأوقاف الإسلامية.

ـ لا يدخل النصارى بيوت المسلمين، ولا تغصب أراضيهم.

ـ لا يولى على المسلمين إلا منهم.

ـ يفك أسرى المسلمين من غرناطة حيث كانوا. وأي مسلم التجأ إلى غرناطة فلا سبيل عليه ويدفع سلطان غرناطة ثمنه لمالكه.

ـ من أراد العبور إلى بلاد المغرب أو إلى أية ناحية أخرى له ذلك؛ ويحق لكل شخص أن يحمل أمتعته وحليه من الذهب والفضة، وأن يبيع أمواله المنقولة لمن شاء. ويلتزم الملكان بأن يجهزا في البحر عشر سفن لمن يريد الذهاب إلى بلاد المغرب ولا يمنع وذلك خلال مدة معينة ولا يدفع سوى أجرة المركب. وإذا انتهت المدة فإنه يدفع أجر المركب وعشر أمواله.

ـ لا يؤخذ أحد بجريرة غيره.

ـ لا يقهر أحد ليعتنق النصرانية، ومن تنصر يوقف أياما ثم يأتيه حاكم مسلم وآخر نصراني يسألانه، فإن أصرّ على النصرانية بقي عليها.

ـ من قتل نصرانيا أيام الحرب لا يقتل به، ومن أخذ أموالا أثناءها لا تسترد منه.

ـ لا يكلف مسلم بضيافة جنود النصارى، وترفع جميع المظالم.

ـ يعفى بعض المسلمين من الضرائب ثلاث سنوات، وبعدها يدفعون ما كانوا يدفعونه للملك المسلم.

ـ لا يطلع نصراني على دور المسلمين ولا يجاوز أسوارهم.

ـ يتجول المسلم في بلاد النصارى آمنا على نفسه وماله، ولا يشترط أن يحمل علامة تميزه عمن سواه.

ـ سكان غرناطة رعايا لملوك الأندلس، يبقي معهم سلاحهم وخيولهم، ولا يسلمون شيئا إلا المدافع الإسبانية[1].

وقد ذيلت المعاهدة بأن ملكي قشتالة يؤكدان ويتعهدان بشرفهما الملكي القيام بكل العهود والوفاء بها، وقد وقعا ذلك وختما بختميهما الملكيين. وبهذا فقد ظن الأمير أبو عبد الله أنه بتلك الاتفاقية قد حفظ للمسلمين حقوقهم، وأنه وصل إلى أحسن الشروط وأجودها للتسليم وقد قام الملك المخلوع بعد سنة بتجديد العهد، والتوكيد على ملكي قشتالة بالمحافظة عليه، فلا يعملان ضده شيء أو ينقضان منه بندا إلى الآن وإلى الأبد وأقسما بدينهما وشرفهما الملكي على ذلك[2].

حافظ الملك فرديناند على العهود التي قطعها على نفسه فترة من الزمن، عاش فيها المسلمون في نوع من السكينة والاطمئنان. وكان من أثر ذلك في البداية أن هناك من رغب في البقاء، واشترى الأراضي من الراحلين بأبخس الأثمان[3]. لكن الكثير اختار الهجرة إلى بلاد المغرب، والَّذي شجعهم على ذلك صدور فتاوي من طرف فقهاء توجب على ضرورة الهجرة، وفي مقدمتهم الشيخ " أحمد بن يحيي الونشريسي"[4] الَّذي ألف سنة

---

[1] أحمد المقري، المصدر السابق، مج. 4، ص. 526 ـ 527. ومحمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 245 ـ 250.

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 250.

[3] أحمد المقري، كتاب أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ج. 1، القاهرة، 1939م، ص. 67.

[4] أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن على الونشريسي: ينسب إلى جبال الونشريس بالغرب الجزائري حيث ولد حوالي 834 هـ / 1430م، وانتقل في صغره إلى تلمسان وتلقى دراسته بها. وتميز خاصة بإطلاعه الواسع على مسائل على الفقه والقضايا التي تتصل بالأقضية والنوازل والفتاوي والأحكام. التي ألزم نفسه بتدريسها والتأليف فيها. واظب على التدريس والتأليف حتى وافته المنية وهو عن عمر يناهز الثمانين سنة قضى منها أربعين سنة بتلمسان وأربعين سنة بفاس. أنظر: ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص. 303 ـ 304.

897هـ/1492م رسالة بعنوان:" أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر"، يحث فيها المسلمين على الهجرة، إذ أنها توجب على المسلم الذي يعيش في حالة لا يستطيع فيها القيام بدينه وأوامره[1]:" إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة، وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنة. ولا تسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية لعنه الله على معاقلهم وبلادهم إلا تصور العجز عنها بكل وجه حال، فإن ذلك كله ملغي في نظر الشرع".

وفعلا بدأت موجه هجرة كبيرة من الأراضي الإسبانية إلى بلاد المغرب الإسلامي خاصة إذ يُفصل صاحب نُبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر بعض حركات الهجرة التي وقعت على إثر سقوط غرناطة، فيقول[2]:" ... ثم بادر المسلمون بالجواز إلى العُدوة من المراسي فخرج من بقي من أهل مالقة في ثلاثة أيام إلى باديس[3]، وخرج أهل ألمريّة في نصف اليوم إلى تلمسان، وخرج أهل الجزيرة الخضراء إلى طنجة، وعبر أهل رُنْدَة وبسطة وحصن موجر وقرية قردوش وحصن مرتيل إلى تطوان وأحوازها، وأهل ترفة خرجوا إلى المهدية وخرج أهل منسين إلى بلاد الريف، وخرج أهل لوشة وقرية الفخار وبعض أهل غرناطة ومرشانة وأهل البشرّة إلى أراضي غمارة وعبر أهل بيرة وبرجة وأندرش إلى ما بين طنجة وتطوان، وعبر أهل بلّش إلى سلا، وخرج ما بقي من أهل غرناطة في خمسة عشر يوما إلى بجاية ووهران وزوالة[4] ومازونة ونَفطَة[5] وقابس وصفاقس، وخرج أهل مدينة طريف إلى آسفي وآزمور".

---

[1] أحمد بن يحي الونشريسي، المعّيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه: جماعة من الفقهاء، إشراف: محمد حجي، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص. 121.

[2] مؤلف مجهول، نُبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب، تحقيق: الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، (د. م)، 2002 م، ص. 48.

[3] باديس: مدينة قديمة جدا تقع في شمال المغرب الأقصى.

[4] زوالة: مدينة بالقطر التونسي غير بعيدة عن مدينة صفاقس، تسمى اليوم زويلة.

[5] نفطة: مدينة بالقطر التونسي، تقع على خليج يسمى باسمها.

يبين هذا النص تمركز الأندلسيين في الكثير من المدن المغاربية، مما يدل على أنهم غير واثقين في حكامهم الجدد. وفعلا فقد نقض الملك فرديناند بنود المعاهدة[1]، ولم يسلم اليهود من الطرد، إذ أصدر مرسوما يقضي بطردهم من مملكتي قشتالة وأراغون ومن كل أنحاء إسبانيا، بسبب سبهم للديانة المسيحية وتعاملهم بالربا[2].

وقد خضعت السياسة الإسبانية لضغوط الكنيسة الكاثوليكية فأعلنت حربا دينية على المسلمين وبعد سبع سنوات فقط من سقوط غرناطة، أصدر الملك فرديناند سنة 905 هـ/1499م بيانا آمرا فيه بإغلاق المساجد، وحضر إقامة شعائر المسلمين وشريعتهم وتنصيرهم. وفي هذه السنة أطلق على مسلمي الأندلس لفظ " الموريسكيين " واستخدم هذا اللفظ رسميا في ملفات محاكم التفتيش عام 927هـ/1520م[3]. وأطلقتها السلطات الإسبانية أولا على مسلمي غرناطة ثم امتدت إلى باقي المقاطعات.

1.المفهوم الموريسكي الأندلسي

لم يكن سقوط غرناطة سنة 897 هـ/1492م في يد الإسبان مجرد نهاية حكم وقيام حكم آخر، ولا مجرد تغيير في النظام السياسي؛ بل هو سحق و محو كل آثار لدولة الإسلام في الأندلس. فبعد أن فقد المسلمون سيادتهم وأملاكهم فقدوا أيضا تسميتهم؛ فمنذ أن فتح طارق بن زياد الأندلس في أواخر القرن 1هـ/8م أطلق على سكانها مسلمي الأندلس، وبعد أن فرض عليهم التنصير أطلق عليهم اسما جديدا وهو "الموريسكيون"[4].

---

[1] أحمد المقري، كتاب أزهار...، ج.1، ص. 69.

[2] محمد رزوق، المرجع السابق، ص. 62.

[3] جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين 1492 ـ 1610م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص. 44.

[4] محمود مكي، "تاريخ الأندلس السياسي 92 هـ ـ 897هـ /711م ـ 1492م"، في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج.1، ط. 2، لبنان، 1999، ص. 136.

ألصقت تسمية "الموريسكيون" قهرا بمسلمي الأندلس ورغما عنهم إبتداء من القرن 10هـ/16م[1]، وصار لفظ موريسكي مصطلحا متداولا عند جل المؤرخين المهتمين بتاريخ المسلمين بالأندلس بعد سقوط غرناطة. والغريب في الأمر أنه دخل إلى ميادين مختلفة منها الفنون والعمارة، إذ يقال العمارة الموريسكية أو المنزل الموريسكي أو الطراز الموريسكي[2].

يكتب لفظ موريسكي في اللغة الأجنبية كاسم علم أو صفة[3]، وأصل هذه الكلمة لاتيني إغريقي، إذ أخذت من الكلمة اللاتينية موروMauro المشتقة بدورها من الإغريقية Amarus ويقصد بها الشديد السمرة أو داكن البشرة. وقد أطلق هذا اللفظ كاسم علم خاص بسكان شمال إفريقيا[4]، وأطلقه الرومان في العصور القديمة على جميع سكان الجزء الغربي من شمال إفريقيا[5].

تعمّد الإسبان على تسمية المسلم الَّذي بقي في شبه الجزيرة الإيبيرية بالموريسكي لإهانته، فكلمة موريسكو تصغير لكلمة مورو، وهي تحقير يقصد بها تصغير لهذا المسلم من مورو إلى أصغر كلمة موريسكو[6]. وضمن هذا المنظور شرح محمد عنان معنى هذه

---

[1] ليونارد باتريك هارفي، " تاريخ الموريسكيين السياسي الاجتماعي والثقافي"، في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج. 1، ط. 2، لبنان، 1999، ص. 343.

[2] سهيلة مظهر، الطراز الموريسكي الجديد في مدينة الجزائر في بداية القرن العشرين النموذج: دار جريدة لاديبيش الجزائرية دراسة وصفية تحليلية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008 ـ 2009، ص. 12.

[3] يكتب لفظ موريسكي في اللغة الفرنسية بصيغةMauresque أوMaurisque، أما في اللغة الإسبانية يكتب بصيغة مويسكو Morisco وجمعها موريسكوسMoriscos وتقابلها بالإنجليزية كلمة Moorish.

[4] عبد الله حمادي، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، 1492 ـ 1616، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 50.

[5] Julien Ch. A., Histoire de L'Afrique du Nord Tunisie- Algérie- Maroc, Paris. 1931, p. 2.

[6] محمود مكي، المرجع السابق، ص. 136.

الكلمة بالمسلمين الأصاغر المغلوبين على أمرهم، كدليل ما وصلت إليه الأمة الإسلامية من انحطاط[1].

يأخذ هذا المصطلح أبعادًا تاريخية تمس الانتماء الإسلامي لمسلمي الأندلس حيث جاء تعريفه في الموسوعة الإسلامية:" إن الموريسكين كلمة إسبانية تطلق على المسلمين الذين بقوا في البلاد بعد أن استولى عليها الملكان الكاثوليكيان"[2]، وهذا التعريف نفسه أعطاه أحد الباحثين الأجانب المهتمين بالتاريخ الموريسكي: " اسم يطلق في إسبانيا على المسلمين الذين بقوا بعد أن استولى الملكان الكاثوليكيان فرديناند وإيزابيلا على غرناطة يوم 02 جانفي 1492م وبعد زوال ملوك بنو نصر"[3]. ويكاد يكون هذا التعريف عامّا لدى جميع المؤرخين المهتمين بتاريخ الأندلس بعد السقوط، وأصبح مصطلحا إسلاميا شاع استعماله في اللغات الأوروبية بصيغ متقاربة وهو الآن مستعمل في اللغة العربية[4].

والغريب في الأمر أن تسمية موريسكي اختصت بها الأقلية المسلمة دون غيرها. فقد أعفيت باقي الأقليات والطوائف منها كاليهود مثلا. وفي هذا الصدد يقول الباحث عبد الله حمادي[5]:"... والتي تعني (أي الموريسك) غير النصراني والموجهة خصيصا لتعيين أقلية المسلمين ودليلنا على ذلك أنها لا تطلق مثلا على أقلية اليهود أو غيرها".

من خلال هذه التفسيرات يمكن القول أن تسمية موريسكي تحمل صفة العرقية لأنها اختصت بها مجموعة أو فئة معينة، أطلقها الإسبان على كل من هو عربي أو مسلم، يعيش في إسبانيا تحت حكم النصارى. ويجب التنبيه إلى أن المسلمين الأندلسيين

[1] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 322.

[2] Wiegers G. A., « Morisques » in E. I., t. VII, E. J. Brill, Leiden, G.- P. Maisonneuve et Larose, Paris, 1993, pp: 243- 244.

[3] ليونارد باتريك هارفي، المرجع السابق، ص. 318.

[4] جمال يحياوي، المرجع السابق، ص. 44.

[5] عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص. 51.

سبق وأن تعرضوا إلى تغيير اسمهم، فخلال حروب الاسترداد احتلت الحواضر الإسلامية وسقطت بيد الإسبان، وكان قسم من سكانها يغادر إلى القواعد والثغور الجنوبية ويرفض الخضوع لغير المسلمين. بينما فضل القسم الآخر البقاء بأوطانهم القديمة واستسلموا إلى العيش في ظل حكم النصارى سادتهم الجدد، فأطلق عليهم اسم "المدّجنون"[1]. وهو اسم غريب يحمل الكثير من الاحتقار والإهانة؛ له علاقة بالدواجن والتدجين[2]! وتنطق هذه الكلمة في اللفظ الإسباني مُديخر" «Mudéjares» أو أهل الدجن وتحمل هذه التسمية ما يدّل على معنى الحيوان المروَّض أو القطيع الذليل. وقد شاع استعمالها بالأندلس منذ أوائل القرن 7هـ /13م[3].

فإذا كانت كلا الفئتين أي المدّجنين والموريسكيين قد أقامتا تحت الحكم الإسباني المسيحي إذا ما هو الفرق بينهما؟

كان المدّجنون يتمتعون بنوع من الطمأنينة والرخاء والأمن؛ وكان يسمح لهم الاحتفاظ بدينهم وشريعتهم ومساجدهم ومدارسهم ولغتهم وتقاليدهم. وكانوا يخضعون لأحكام وقوانين خاصة بهم وفقا للشريعة الإسلامية[4]. فشكلوا إن صح التعبير مجتمعا مسلما إسبانيا. بينما الموريسكيون كما سبق ذكره هم المسلمون الذين بقوا في إسبانيا بعد سقوط غرناطة لكن لم يسمح لهم بالاحتفاظ بدينهم وشعائرهم الإسلامية وأجبروا كرها على

---

[1] المدّجنون: كلمة مشتقة من فعل دجن وتدجن أي أقام، ومصدره الدجن والتدجين ومنه دواجن البيوت وهي طيور وحيوانات أليفة مقيمة. أنظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 56.

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 56.

[3] Chalmeta P., « Mudéjar- Mudhakkar » in E. I., t. VII, E. J. Brill, Leiden, G.- P. Maisonneuve et Larose, Paris, 1993, p. 288.

[4] Borras Gualis G.M.,L'art Mudéjar, l'esthétique islamique dans l'art chrétien, édit. Edisud, Aix - en - Provence, France, 2000, p. 38.

التنصير. وقد بذلت الكنيسة الكاثوليكية وعلى رأسها الكاردينال خمينيس دي سيسنيروس[1] (Cisneros Ximenes) جهودا جبارة لتنصير المسلمين؛ إما بأساليب الوعظ والإرشاد أو بوسائل الإغراء المادي. إذ خُصِّصت أموالا طائلة لهذه المهمة، لكن هاته الجهود باءت بالفشل ممّا أدى بالكاردينال خمينيس إلى فرض التنصير القسري مستعملا كل وسائل التعذيب لديه. وقد شمل هذا التنصير كل مملكة غرناطة[2]، وامتد بعد ذلك إلى قشتالة وأراغون وكتالونيا وبلنسية وليون[3]. واستبدل مصطلح المدجن القديم بالمصطلح الموريسكي، وفقد المدجنون كل الحقوق التي كانوا يتمتعون بها وأصبحوا بدورهم موريسكيون.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه، هل استعمل المسلمون الأندلسيون بعد السقوط مصطلح الموريسكيين أم سمّوا أنفسهم تسمية أخرى؟

لم يستعمل المسلمون الأندلسيون مصطلح الموريسكيين، ولم يُعثر من خلال التراث الموريسكي أو من خلال مراسلاتهم مع الباب العالي على هذا المصطلح[4]. وقد سموا أنفسهم "بالغرباء" وذلك في نداء الاستغاثة[5] الذي وجهوه إلى السلطان العثماني سليمان

---

[1] فراي خمينيس دي سيسنروس: ولد بقرية قسطلة بغرب الأندلس سنة 842 هـ/1437م، تولى منصب أسقف طليطلة ثم كاردينال. عُرف بتعصبه الشديد وإرادته القوية في اضطهاد المسلمين وحرق كتبهم، وقد ذاق المسلمون في الأندلس ووهران أشد العذاب على يديه. استبد بالسلطة حتى عزله شارل الخامس يوم 28 نوفمبر 923هـ/1517م وتوفي في نفس السنة وعمره 81 سنة. أنظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 315.

[2] أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980م، ص. 197.

[3] ليلى الصباغ، " ثورة مسلمي غرناطة عام 976هـ أواخر عام 1568م والدولة العثمانية "، مجلة الأصالة، ع. 27، 1975 ، ص. 119.

[4] جمال يحياوي، المرجع السابق، ص. 46.

[5] نداء الاستغاثة: هو عبارة عن رسالة كتبها الأندلسيون المغلبون على أمرهم إلى السلطان العثماني سليمان القانوني وقد عثر عليها الأستاذ عبد الجليل التميمي بأرشيف متحف طوب كابو سراي بايستانبول تحت رقم T.K.A. 3154، وهي مكتوبة بخط مغربي سهل القراءة. أنظر: عبد الجليل التميمي، "رسالة من مسلمي غرناطة إلى سليمان القانوني سنة 1541م"، المجلة التاريخية المغربية (للعهد الحديث والمعاصر)، ع. 3، 1975. ص. 44.

القانوني[1]عام 948هـ/1541م "... فإن عبيدك الفقرا (كذا) الغربا (كذا) المساكين المنقطعين بجزيرة الأندلس"[2]. (الوثيقة 01)

فالغرباء بالعربية تعني الأباعد، وأخذت هذه الكلمة من فعل غَرَبَ أي بَعَدَ والتغرّب هو البعد والغُرْبَة هي النزوح عن الوطن[3]. وهي تعني كذلك "المنفيين الذين يشعرون بالغربة وسط محيط مغاير لهم"[4]. كل هذه المعاني تنطبق على هؤلاء المنصرين الأندلسيين؛ فقد أصبحوا غرباء دينا وحضارة في بلاد عاشوا فيها مدة طويلة، وقد سبق وأن أفصحوا عن شعورهم بالوحشة والغربة في مطلع رسالة استغاثة على شكل قصيدة شعرية أرسلوها إلى السلطان بايزيد الثاني (886 هـ ـ 918 هـ/1481م ـ 1512م) سنة 907هـ/1501م حين قالوا:

سلام عليكم من عبيد تخلفوا بأندلس بالمغرب في أرض غربة

أحاط بهم بحر من الروم زاخر وبـحـر عميق ذو ظلام ولـجــة[5].

قد تكون تسميتهم لأنفسهم بالغرباء هو تمثل منهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، عندما سئل عن الغرباء فقال:" الذين يحيون ما أمات الناس من سنتي" وفي حديث آخر :" إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء"، أي أنَّه كان في أول أمره كالغريب الذي لا أهل له عنده لقلة المسلمين يومئذ، وسيعود غريبا كما كان، أي

[1] سليمان القانوني: من أعظم سلاطين آل عثمان، بلغت في عهده الإمبراطورية العثمانية أوج قوتها وازدهارها في كل الميادين. حكم من 929 هـ/ 1522م إلى 974 هـ/ 1566م. أنظر: Georgeon F., Dictionnaire de l'empire Ottoman, librairie Fayard, Italie, 2015, p. 1095.

[2] عبد الجليل التميمي، "رسالة من مسلمي غرناطة..."، ص. 44.

[3] جمال الدين بن منظور، لسان العرب المحيط، مج.4، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت، 1988م، ص. 966.

[4] ليلي الصباغ، المرجع السابق، ص. 126.

[5] أحمد المقري، كتاب أزهار الرياض ...، ج. 1، ص.110.

يقل المسلمون في آخر الزمان فيصرون كالغرباء فطوبى للغرباء أي الجنة لأولئك المسلمين الَّذين كانوا في أول الإسلام ويكونون في آخره[1].

نتج عن تطبيق قانون الطرد النهائي الذي أصدره الملك فليب الثالث سنة 1017هـ/1609م أن غادر مئات الآلاف من المسلمين الأندلسيين إسبانيا إلى بقاع مختلفة من العالم، هذه الهجرة جعلتهم يفقدون لقب الموريسكيون الَّذي يحطّ من قيمتهم فعُرفوا عند عامة الناس بأهل الأندلس وإن اختلفت تسمياتهم المحلية باختلاف مواطنهم التي هاجروا منها، فمنهم الغرناطيون بشرشال والثغريون بمدينة الجزائر[2].

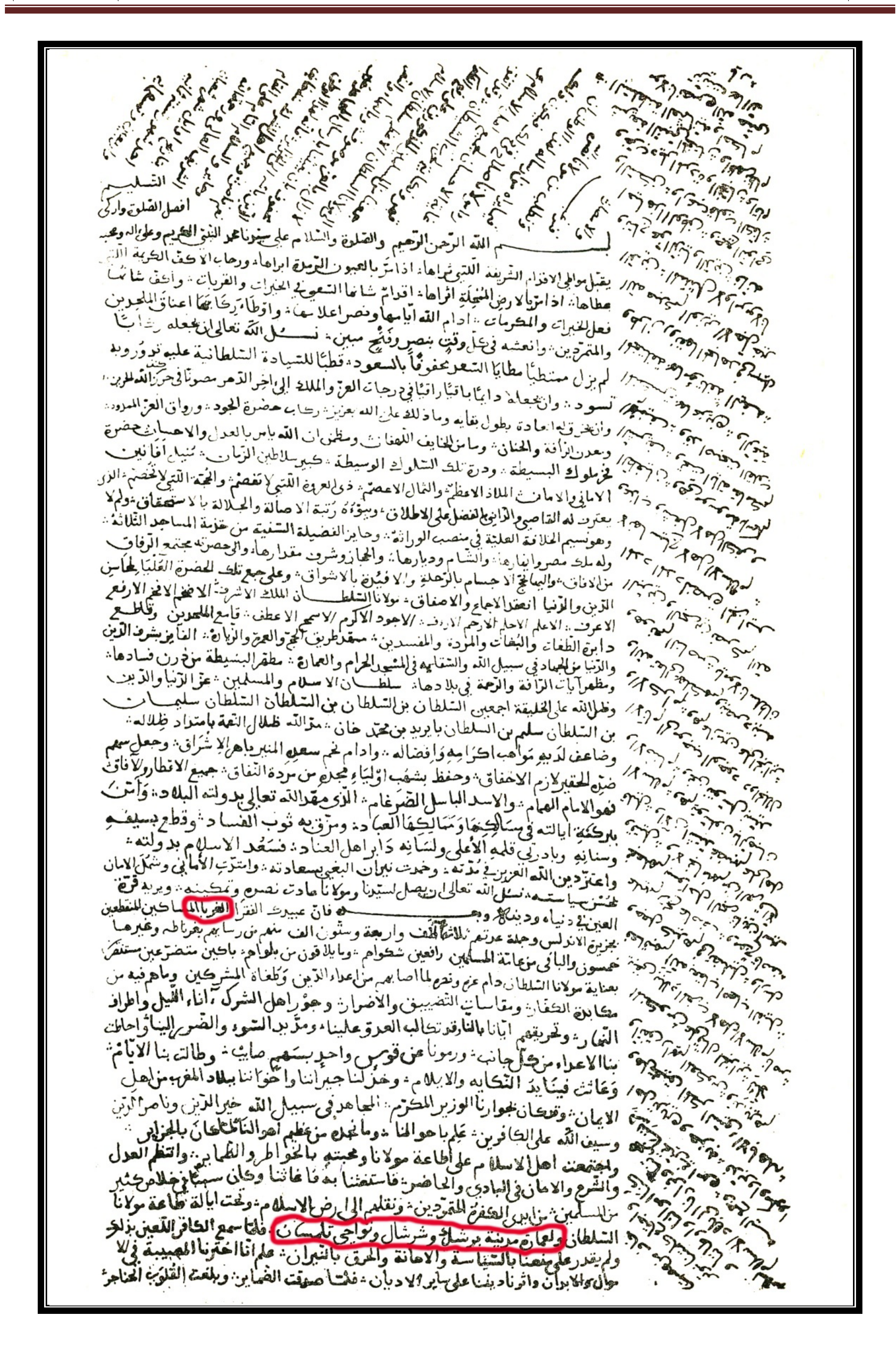
وتم ملاحظة أثناء البحث في رصيد الأرشيف الوطني الجزائري وبالأخص في سلسلة المحاكم الشرعية عن أسماء الحرفيين الأندلسيين، عدم ذكر لفظ "موريسكي"، وإنما ذًكر "الأندلسي" في كثير من الوثائق إلى جانب لقب " الثغري" في البعض منها. واشتقت كلمة ثغري من الثَغْر وهو الموضع الذي يكون حدا فاصلا بين بلاد المسلمين والكفار[3]. فأثناء عملية الاسترداد سكن الأندلسيون في الثغور المحاذية للإسبان. كما وجد في تونس اسم "أندلسي" و"ثغري" في الوثائق التي تعود إلى سنة 1045هـ/1635م[4].

[1] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 4، ص. 966.

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية مظاهر التّأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص. 46.

[3] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 1، ص. 360.

[4] Epalza De M., « Moriscos et andalous en Tunisie au XVII^e siècle », in Etudes sur les morisques andalou en Tunisie, direccion General de Relaciones Culturales, Madrid, 1973, p. 155.



افضل الصلوة وازكى التسليم

بسم الله الرحمن الرحيم والصلوة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه

يقبل موالي الاقدام الشريفة التي ثراها: اذا ترب بالعيون الرمدة ابراها، ورحاب الاكف الكريمة التي عطاها: اذا اترب الارض المحلة اثراها: اقدام شانها السعي في الخيرات والقربات: واكف شانها فعل الخيرات والمكرمات: ادام الله ايامها ونصر اعلامها: واوطا ركابها اعناق الملحدين والمتمردين: وانعشه في كل وقت بنصر وفتح مبين: نسأل الله تعالى ان يجعله رئاسة لم يزل ممتطيا مطايا السعد محفوفا بالسعود: قطبا للسيادة السلطانية عليه تدور وبه تسود: وان يجعله دايما باقيا راقيا في درجات العز والملك الى اخر الدهر مصونا في حرز الله الحريز: وان يخرق له العادة بطول بقايه وما ذلك على الله بعزيز: ركاب حضرة الجود: ورواق العز الممدود: ومعدن الرافة والحنان: ومامن الخايف اللهفان: ومظن ان الله يامر بالعدل والاحسان: حضرة فخر ملوك البسيطة: ودرة تلك السلوك الوسيطة: كبير سلاطين الزمان: منيل امانيهن الاماني والامان: الملاذ الاعظم: والثمال الاعصم: ذي العروة التي لا تفصم: والحجة التي لا تخصم: الذي يعترف له القاصي والداني بالفضل على الاطلاق: وبنوءه رتبة الاصالة والجلالة بالاستحقاق: ولم لا وهو نسيم الخلافة العلية في منصب الوراثة: وحايز الفضيلة السنية من خدمة المساجد الثلاثة: وله ملك مصر وانهارها: والشام وديارها: والحجاز وشرف مقدارها: والى حضرته مجتمع الرفاق من الافاق: والبها لج الاجسام بالرحلة والافئدة بالاشواق: وعلى جمع تلك الحضرة العليا بالمحاسن الدين والدنيا انعقد الاجماع والاصفاق: مولانا السلطان الملك الاشرف الافخم الافخم الارفع الاعرف: الاعلم الاحلم الارحم الارأف: الاجود الاكرم الاسمح الاعطف: قامع الملحدين وقاطع دابر الطغاة والبغاة والمردة والمفسدين: ممهد طريق الحج والعمرة والزيارة: الفايز بشرف الدين والدنيا من الجهاد في سبيل الله والسقاية في المسجد الحرام والعمارة: مطهر البسيطة من درن فسادها: ومظهر آيات الرافة والرحمة في بلادها: سلطان الاسلام والمسلمين: عز الدنيا والدين وظل الله على الخليقة اجمعين السلطان ابن السلطان ابن السلطان السلطان سليمان بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد بن محمد خان: مد الله ظلال النعمة بامتداد ظلاله: وضاعف لديه مواهب اكرامه وافضاله: وادام نجم سعده المنير باهر الاشراق: وجعل سهم ضده الحقير لازم الاخفاق: وحفظ بشهب اوليايه مجده من مردة النفاق: جميع الاقطار والافاق فهو الامام الهمام: والاسد الباسل الضرغام: الذي مهد الله تعالى بدولته البلاد: وامن ببركته اياالته في مسالكها وممالكها العباد: ومزق به ثوب الفساد: وقطع بسيفه وسنانه وبادرتي قلمه الاعلى ولسانه دابر اهل العناد: فسعد الاسلام بدولته: واعتز دين الله العزيز في مدته: وخمدت نيران البغي بسعادته: واستتب الاماني وشمل الامان لمن تحت سياسته: نسأل الله تعالى ان يصل لسيدنا ومولانا عادات نصره وتمكينه: ويريه قرة العين في دنياه ودينه وبعد فان عبيدك الفقراء الغرباء المساكين المنقطعين بجزيرة الاندلس وجملة عدتهم ثلاثمائة الف واربعة وستون الف منهم من رسايهم بغرناطة وغيرها خمسون والباقي من عامة المسلمين رافعين شكواهم: وما يلاقون من بلواهم: باكين متضرعين مستنصرين بعناية مولانا السلطان دام عزه ونصره لما اصابهم من اعداء الدين وطغاة المشركين وما هم فيه من مكابدة الكفار: ومقاسات التضييق والاضرار: وجور اهل الشرك اناء الليل واطراف النهار: وتحريقهم ايانا بالنار فقد تكالب العدو علينا: ومد يد السوء والضرر الينا واحاطت بنا الاعداء من كل جانب: ورمونا عن قوس واحد بسهم صايب: وطالت بنا الايام وعاثت فينا يد النكاية والايلام: وخذلنا جيراننا واخواننا ببلاد المغرب من اهل الايمان: وقد كان لجوارنا الوزير المكرم: المجاهد في سبيل الله خير الدين وناصر الدين وسيف الله على الكافرين: علم باحوالنا: وما نحن فيه من عظيم اهوالنا لما كان بالجزاير واجتمعت اهل الاسلام على طاعة مولانا ومحبته بالخواطر والضماير: وانتظم العدل والشرع والامان في البادي والحاضر: فاستغثنا به فاغاثنا وكان سببا في خلاص كثير من المسلمين من ايدي الكفرة المتمردين: ونقلهم الى ارض الاسلام: وتحت ايالة طاعة مولانا السلطان ولعمارة مدينة برشك وشرشال ونواحي تلمسان: فلما سمع الكافر اللعين بذلك ولم يقدر على منعنا بالسياسة والاهانة والحرق بالنيران: علم انا اخترنا المهيبة في الاموال والابدان واتوناد بنا على ساير الاديان: فلما ضيقت الضماير: وبلغت القلوب الحناجر

الوثيقة 01: رسالة من مسلمي غرناطة إلى سليمان القانوني سنة 948هـ/1541م

عن: عبد الجليل التميمي.

2 . محاكم التفتيش ودورها في تنصير مسلمي الأندلس

يعني مصطلح محاكم التفتيش البحث والتفحص، فإزاء إعادة تصنيف مسلمي الأندلس تحت اسم الموريسكيين. قامت السلطات الإسبانية بإخضاع الأقلية المسلمة المتبقية على شبه الجزيرة الإيبيرية لمحاكم التفتيش. وقد قامت هذه الأخيرة بأعظم دور في مطاردة المسلمين، ويرجع نشأتها إلى فكرة الرقابة القديمة على العقيدة والتحقق من سلامتها ونقائها، وقد ظهرت فكرة التحقيق في أمر العقائد في الكنيسة الرومانية في عصر مبكر جدا. وبدأ في تطبيقها في القرن 7هـ/13م على يد البابا غريغوار التاسع (Grégoire IX) عام 629هـ/1231م[1]، وطبق هذا النظام منذ البداية في إيطاليا وألمانيا وفرنسا. وبمضي الزمن توسع اختصاص محاكم التفتيش فلم تبق مهمتها قاصرة على مطاردة الكفر والزيغ في العقيدة، بل تعدته إلى مطاردة السحر والسحرة. وجاء بعد ذلك دور اليهود، فاتهموا بسب النصرانية وأخذت عليهم ممارسة الربا فتبعتهم هذه المحاكم بالمطاردة والعقاب[2].

ظهرت هذه المحاكم بإسبانيا بأمر من البابا سكتوس الرابع (Sixt IV) بموافقة الملكين الكاثوليكيين سنة 883هـ/1478م، وتعتبر قشتالة من بين المدن الأولى التي أدخل فيها نظام التحقيق ثم اتسع نشاطه إلى المدن الأخرى.[3] وكان الغرض من إنشاء هذه المحاكم الكشف عن المسلمين الَّذين يبطنون الإسلام ويظهرون خلاف ذلك. وكان يكفي لإدانة أي موريسكي إذا شهد عليه واشٍ واحد فقط، وبذلك صار هذا الأخيرُ مراقبا من طرف جيرانه المسيحيين المكلفين بإبلاغ محاكم التفتيش عن كل تصرف يقوم به كالوضوء والطهارة وصوم رمضان وختان الأطفال والاحتفال بيوم الجمعة وعدم شرب الخمر وعدم أكل لحم الخنزير[4]، وعدم وضع علامة الصليب في غرفة النوم؛ أو الجلوس

---

[1] Le Robert , Dictionnaire de la langue française, Paris, 2002, p. 1030.

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 329.

[3] نفسه. ص. 331.

[4] Cardaillac L., Morisques et chrétiens, un affrontement polémique (1492- 1640), Paris, 1977, p. 23.

على الأرض عوض الكرسي وحتى أكل طبق الكسكسي كان جريمة يعاقب عليها[1]. وقد صدر في عهد الملك شارل الخامس[2] سنة 931هـ/1524م مرسوما يحتم تنصير كل مسلم لم يترك دينه بعد وإخراج كل من أبى التنصير إلى خارج إسبانيا أو يفرض عليه الرق مدى الحياة. كما حولت جميع المساجد المتبقية إلى كنائس، وتعطى أوقافها وأملاكها إلى السادة الإقطاعيين تعويضا لهم عن حرمانهم من اليد المسلمة العاملة في أراضيهم[3] كما صدر عام 935ه/1529 م قانون يحرم على المسلمين التكلم باللغة العربية، ومن ينطق بها يقتل[4]. ولما تولى الملك فيليب الثاني[5] عرش إسبانيا سنة 964هـ/1556م وجد أن الكثير من المظاهر والتقاليد الإسلامية مازالت تسود الأوساط المسلمة، فأصدر مجموعة من القوانين والمراسيم المجحفة في حقهم فأصدر عام 974ه/1567م قانونا عجيبا مفاده: يحظر على المسلمين الاغتسال والتردد إلى الحمامات ومن وجد له أي أثر للاغتسال شهد عليه بالقتل، ثم أعقب ذلك القانون مرسوم بمنع اللباس العربي ومنع النساء من ارتداء الحجاب[6]. وتقوم الحفلات طبقا لعرف الكنيسة وعرف النصارى، كما يلزم على على كل المسلمين فتح الأبواب أثناء الاحتفالات، وأيام الجمعة والأعياد، حتى يتسنى الإطلاع ما يجري داخل البيوت، ويحرم الخصاب بالحناء وإنشاد الأغاني القومية[7].

---

1 Cardaillac L.,Op. Cit., p. 19.

2 شارل الخامس أو شارلكان: هو حفيد الملك فرديناند كانت سياسته تهدف إلى إقامة السلم والأخوة بين المسيحيين وإعلان الحرب ضد المسلمين. وقد عُرف بابتزازه الفضيع لأموالهم ومصادرة أمتعتهم النفيسة من حلي ومجوهرات وأموال حكم من 925هـ/1519م إلى 964هـ/1556م،. أنظر: عبد الله حمّادي، المرجع السابق، ص. 51.

3 أسعد حومد، المرجع السابق، ص. 165.

4 محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 354.

5 فليب الثاني: هو إبن شارل الخامس عمل على نفس الإستراتيجية التي حددها أبوه، وكان يخضع لأوامر رجال الكنيسة مما جعلت قراراته ضد المسلمين تتميز بنزعة دينية متعصبة، حكم من 964ه/1556م إلى 1007ه/1598م أنظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 360.

6 Braudel F., La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, t. 2, Paris, 1990, p. 525.

7 محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 360.

كان الحرق والقتل والسجن ومصادرة الأموال والأراضي واسترقاق الأولاد وسيلة تلك المحاكم لتخرج الموريسكيين من عقيدتهم[1]، إلى جانب التعذيب الوحشي والشتم والتنكيل بالمتهمين الَّذين كانوا يساقون في الساحات العمومية. وحتى الأموات لم يسلموا من تعنّت محاكم التفتيش التي أصدرت قانون "محاكمة الأموات"، إذ يعاقبون مثل الأحياء ويخرجون من قبورهم ليحرقوا[2]. ولم يسلم اليهود الذين تمتعوا عصورا طويلة بالحرية والأمن في ظل الحكم الإسلامي من هذه المحاكم، فبمجرد سقوط غرناطة أجبروا على التنصير أو الهجرة وهلك الكثير منهم في السجون وشردوا في مختلف الأقطار[3].

ولما بالغ الإسبان في قتل الأندلسيين وملاحقتهم، قاموا بثورات عديدة معلنين الجهاد وجرت في أماكن متفرقة من إسبانيا وفي فترات متلاحقة، ولكن للأسف انتهت أغلبها بالفشل. فكانت الشرارة الأولى لهذه الثورات من جبال البشارات جنوب غرناطة سنة 907هـ/1501م؛ وتوالت بعد ذلك ثورات أخرى سنة 976هـ/1568م. وفي سنة 988هـ/1570م نشبت "ثورة غرناطة" وهي من أعظم الثورات التي قام بها المسلمون في الأندلس دامت سنتين، تزعمها فرج بن فرج من أسرة آل سراج [4].

قاد هذه المحاكم بإسبانيا الكاردينال خمنيس دي سيسنيروس الّذي لقب بالملك الثالث بمجرد مجيئه إلى غرناطة عام 905هـ/1499م؛ إذ أنه سيطر على التاريخ الديني لإسبانيا في عهد الملكين الكاثوليكيين[5]. ولم يقف هذا الكاردينال عند تنظيم هذه الحركة الإرهابية التي انتهت بتنصير قسري على عشرات الآلاف من المسلمين، ولكنه قرنها بعمل بربري شنيع، أراد به أن يحارب المسلمين في هويتهم الثقافية وانتمائهم إلى الحضارة

---

[1] Cardaillac L., Op. Cit., p. 23.

[2] جمال يحياوي، المرجع السابق، ص. 80.

[3] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 340.

[4] فرج بن فرج: ينتسب إلى أسرة بني سراج التي كانت من أشراف غرناطة وكان أعضائها فرسانا أنجادا أيام الدولة الإسلامية. كان يمتهن حرفة الصباغة، وكان جريئا وافر العزم والحماسة. أنظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 362.

[5] Channu P., L’Espagne de Charles Quint, Paris, 1973, t .1, p. 531.

العربية الإسلامية، فأمر بجمع كل ما يملكونه من مصاحف وكتب ومخطوطات حررت باللغة العربية تضم مختلف العلوم والآداب،[1] ونظمت أكداسا في ساحة باب الرملة بغرناطة وأضرمت النار فيها.[2]

لكن مع كل ما لقيه الموريسكيون من تعذيب وسجن ظلوا محتفظين بدينهم، حيث ظل الإيمان المكتوم في صدورهم لا يبيحونه لأحد، لأن أي دلالة عليه مصيره الموت.

3 . التَقِيَّة ودوافع ممارستها

لم ينجح التنصير الإجباري ولا تعنت محاكم التفتيش عن تحويل الأندلسيين عن دينهم الأصلي وبقوا مسلمين، وكتموا إيمانهم متظاهرين بعبادة أخرى ومارسوا طقوسا مخالفين لعقيدتهم أملا في النجاة بأرواحهم.[3] وقد حاولوا الخروج من هذه الأزمة التي وقعوا فيها بالتجائهم إلى رأي الشرع، لإيجاد حل شرعي لنازلتهم[4]، فاستفتوا أحد فقهاء مدينة واهران وهو "أحمد بن جمعة المغراوي"[5] الَّذي أرسل بفتوى شهيرة باسمه سنة 910هـ/1504م وفيها أجوبة شافية لتساؤلاتهم[6]، وقد حملت هذه الفتوى تسهيلات سمحت

---

[1] لم يستثن من هذه الكتب سوى ثلاثمائة كتاب في الطب والعلوم، حُملوا إلى الجامعة التي أنشأها خمينيس في قلعة عبد السلام. وقد اختلف المؤرخون الأجانب في تقدير عدد الكتب التي أحرقت فيقدرها بعضهم ب5000 كتاب، ويقدرها آخرون ب 130000 كتاب، ويقدرها بعض المهتمين بالدراسات العربية بثمانين ألفا، أما الكونت سيركور فيقدرها بمليون كتاب معتمدا في تقديره أن الإتلاف شمل المكتبات العامة والخاصة بالأفراد. أنظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 316.

[2] عبد الجليل التميمي،" الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين"، المجلة التاريخية المغربية (للعهد الحديث والمعاصر)، ع. 23 ـ 24، 1981، ص. 189.

[3] ليلي الصباغ، المرجع السابق، ص. 121.

[4] النازلة: هي المصيبة الشديدة أو أمر طارئ يحتاج إلى حل شرعي يصدر عن فقهاء.

[5] لم تذكر المراجع سبب اختيار الأندلسيون لهذا المفتي بالذات دون غيره و يمكن أن يكون السبب أن وهران يسهل الوصول إليها بحرا، أو يكون وزن هذا المفتي الملّم بالشريعة الإسلامية هو الدافع إلى ذلك.

[6] كتبت هذه الفتوى في وثيقة تتكون من أربع صفحات، عثر عليها المؤرخ عبد الله عنان خلال بحوثه في مكتبة الفاتيكان الرسولية بروما، وكانت ضمن مجموعة من المخطوطات. وقد وصف هذا المخطوط في فهرس مكتبة الفاتيكان بأنه " المقدمة القرطبية" وعُنون ب " كتاب نزهة المستمعين". وقد وجد المؤرخ لهذه الفتوى ترجمة قشتالية مثبتة في إحدى مخطوطات الألخميادو المحفوظة بمكتبة أكاديمية التاريخ بمدريد. أنظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 342 ـ 344.

سمحت للموريسكيين بالمحافظة على دينهم باتباع أسلوب التَقِيّة. والتَقِيَّة لغة هي المدارة والكتمان والتظاهر بما ليس هو حقيقة؛ واصطلاحا هي نظام سرّي لحماية دعوة إمام من أئمة الشيعة، يقوم بالتظاهر بما لا يبطن ليقر الشيعي ما يستنكر ويسكت على ما يخالف الدين[1]. ويفيد مصطلح التقية تعليق المطالب الدينية عند الوقوع تحت الإكراه والتهديد وهي تجوز عند الضرورة القصوى للمستضعف الذي يخشى على نفسه الفتنة أن يجيب مكرهيه إلى ظاهر اللفظ مضطرا، على أن يطمئن قلبه بالإيمان لقوله تعالى:" **مَنْ كَفَرَ بالله مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إلاَّ مَنْ أكْرِهَ وَقَلبُه مُطْمَئِنٌ بالإيمَانِ وَلَكِنْ مَّنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ الله وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**"[2]. تستثني هذه الآية المسلم الذي يكفر بالله بلسانه ويوافق المشركين مكرها على عبادتهم باللفظ فقط لكن قلبه يأبى ذلك لما ناله من عذاب وأذي. وقد نزلت هذه الآيه على عمَّار بن ياسر[3].

لقد أجاز الإسلام إذن للمؤمنين بالتستر في أداء الواجبات الدينية عند الشعور بالخطر، وكما سبق ذكره فقد أفتى أبو جمعة المغراوي بصحة إسلام الموريسكيين وحثهم على استعمال أسلوب التَقِيّة، ووصفهم بالغرباء تنزيها لهم عن اسم الموريسكيين، وقد خاطبهم بأسلوب جميل:" إخواننا القابضين على دينهم كالقابض على الجمر، من أجزل الله ثوابهم ، فيما لقوا في ذاته، وصبروا النفوس والأولاد في مرضاته، الغرباء القرباء إن شاء الله من مجاورة نبيه في للفردوس الأعلى من جناته..."[4]. وقد بين لهم ما يجب أن يفعلوا عند ممارسة كل طقس من الطقوس المرغمة عليهم، كما أوصاهم بالبقاء ملازمين لدينهم، آمرين به من بلغ من أولادهم. وأن يحافظوا على معتقدهم في عبادة الله الواحد

[1] محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، مج. 1، دار الجيل والجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، (د.م)، 1995م، ص. 540.

[2] سورة النحل آية 106.

[3] أحمد محمد شاكر، " التقية "، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج.5، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998، ص. 2359.

[4] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 342.

بعيدين عن الصور والتشخيص، وأن يقوموا بشعائرهم خفية، وأن يتظاهروا بالنصرانية مع بقاء القلب مسلما إلى الله[1]. و من جملة ما أوصاهم :

ـ إذا طلبوا منهم أن يشتموا الرسول محمد ﷺ فيمكن أن يشتموا ممّد ناوين أنه الشيطان.

ـ إذا تعذر عليهم الوضوء تيمموا، وإذا تعذرت عليهم الصلاة في النهار فيؤدونها في الليل. ويمكن استخدام إشارات بدل الجهر في الصلاة.

ـ إذا أجبروا على شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فليفعلوا مع اعتبار ذلك أمرا فاحشا.

ـ إذا مارسوا الربا كرها ينفقوا الفائدة على الفقراء.

ـ إذا طلب منهم قول عيسى ابن الله فيقولها ظاهرا وينكروا في قلوبهم وينوون أنه عبد الله[2].

وبهذه الجملة من الحيل أصبح الموريسكيون يمارسون عباداتهم الإسلامية؛ وغدت فتوى المغراوي مرجعية لعدة أجيال يعملون بها إلى غاية طردهم نهائيا من الأندلس. وقد أخبرنا المقري بحالهم[3]:"...إلى أن آل الحال إلى حملهم المسلمين على التنصير، ثم بعد ذلك كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله خفية ويصلي".

---

[1] ليلي الصباغ، المرجع السابق، ص. 122.

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 342 ـ 344.

[3] أحمد المقري، نفح الطيب...، مج. 4، ص. 527 ـ 528.

ثانيا: مساهمة الأسطول الجزائري العثماني في إنقاذ مسلمي الأندلس

أدرك الحكام الإسبان عاقبة هجرة المسلمين الأندلسيين إلى مدن المغرب واعتبروها فرصة ثمينة لهم، إذ سينظمون أنفسهم من جديد ويتخذون من المدن الساحلية مواقع لغزو إسبانيا. لذلك قام الإسبان بتتبع الأندلسيين ومطاردتهم، مما أسفر على استيلائهم على العديد من المدن والمراكز الساحلية على طول الشريط الساحلي الجزائري. فبدءوا بالمدن القريبة من الساحل الإسباني، كالمرسى الكبير سنة 911هـ/1505م ووهران سنة 915هـ/1509م. وبعد ذلك نظمت إسبانيا حملات أخرى بقيادة " بيدرونافارو"[1] لاحتلال بقية المدن، ففرضوا سيطرتهم على بجاية سنة 915ه/1509م، وعلى دلس وشرشال ومستغانم سنة 917ه/1511م وعلى عنابة وتلمسان سنة 918هـ/1512م[2]. وتعرضت مدينة الجزائر لخطر السقوط الوشيك فاضطر حاكم الجزائر آنذاك وهو "سليم تومي"[3] إلى عقد اتفاق مع الإسبان ومنحهم امتيازات من أهمها بناء حصن الصخرة المعروف "بحصن البنيون" سنة 916 هـ/1510م، وظل الإسبان يهددون منه أمن أهل المدينة[4] .

في هذه الآونة، بدأت تتجلى مشروعات الدولة العثمانية في غرب البحر المتوسط رافقتها ظهور حركة عامة من رجال البحر، تستهدف العمل على حماية الموانئ والسواحل المغاربية من المضايقات الإسبانية. والتكفل بعمليات إنقاذ مسلمي الأندلس من محنتهم

---

[1] بيدرونافارو: ولد سنة 865ه/1460م ومات عام 927ه/1528م، هو من أشهر البحارة الإسبان الذي قاد الحملات البحرية ضد سواحل المغرب الإسلامي. أنظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج. 3، دار الثقافة، بيروت، 1983.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص. 142.

[3] سليم تومي: حكم مدينة الجزائر سنة 916ه/1510م، وقع معاهدة الإستسلام مع الإسبان. قتله بابا عروج عام 922ه/1516م.

[4] عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص. 163.

وتأمين وصولهم إلى مراكز استقرارهم الجديدة، وكان من بين هؤلاء البحارة الأخوين بربروسا[1] "عروج" و"خير الدين"[2].

بعد إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة 924هـ/1518م وتعيين خير الدين بربروسا بَيْلَرْبَايًا (924هـ ـ 941هـ/1518م ـ 1534م) من طرف السلطان العثماني سليم الأول[3] فتحولت البلاد الجزائرية إلى جبهة متقدمة في الصراع الإسباني العثماني وأصبحت بذلك حصنا منيعا يلتجئ إليه المهاجرون الأندلسيون،[4] وخصوصا بعد تدمير حصن البينون Penon سنة 932هـ/1525م.

كان للبحارة العثمانيين بالجزائر فضل كبير في إنقاذ أعداد كبيرة من المسلمين الأندلسيين ونقلهم إلى السواحل الجزائرية؛ إذ أشار كتاب غزوات عروج وخير الدين إلى ذلك[5]:" لقد جرت عادة أجفان[6] الجزائر أنهم في كل سَفْرة يسافرونها برسم الغنيمة يأتون إلى سواحل بلاد الأندلس ويعودون بجماعة من المسلمين منها".

تعدُّ هذه الرواية بمثابة شهادة صريحة على تدخل الأسطول العثماني في ترحيل المسلمين الفارين من إسبانيا إلى بلاد المغرب الإسلامي، كما تعتبر أول مبادرة للسلطة العثمانية على يد قائدها خير الدين باشا الذي جهّز 36 سفينة توجهت إلى شواطئ الجزيرة الخضراء وأنقذت الأندلسيين مع أطفالهم ونسائهم وكل ما أمكنهم حمله إلى

---

[1] الأخوان بربروسا خير الدين وعروج: ولدا بجزيرة مدلي اليونانية في القرن 9هـ/15م بدآ حياتهما البحرية مبكرا. واتخذا من جزيرة رودس مركزا لنشاطهما البحري، ثم استقرا في غرب البحر المتوسط بجزيرة جربة التونسية. وإلى هذه الجزيرة ذهب وفد من بجاية يطلب منهما النجدة لطرد الإسبان من السواحل الجزائرية، فاستجابا لذلك دون تردد. قتل عروج سنة 924هـ/1518م على يد الإسبان، فواصل أخوه خير الدين تحرير بقية المدن واتخذ من مدينة الجزائر مقرا لإدارة حكمه. أنظر: محمد الطيب عقاب، الأخوان عروج وخير الدين، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1985.

[2] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج. 3، ص. 14.

[3] سليم الأول: حكم في الفترة الممتدة من 918هـ/1512م إلى 927هـ / 1520م.

[4] عبد الجليل التميمي، "رسالة من مسلمي غرناطة ..."، ص. 39.

[5] مؤلف مجهول، كتاب غزوات عروج وخير الدين، تحقيق: نور الدين عبد القادر، الجزائر، 1934، ص. 82.

[6] أجفان: مفرده جفن ويعني المركب.

الجزائر. وكان خير الدين باشا يترك ألفي مقاتل لحراسة اللاجئين ريثما يعود الأسطول لحمل البقية، وقد تكررت هذه الرحلات سبع مرّات إلى أن تم نقل 70000 لاجئا[1].

واصل خير الدين عملية إنقاذ الأندلسيين ونقلهم إلى الجزائر، إذ أرسل عدة سفن بقيادة صالح رايس[2] لنجدة مسلمي بلنسية المضطهدين، وقد استطاعت هذه السفن من العودة بهم إلى الجزائر رغم اشتباكها مع السفن الإسبانية[3]. وبسبب هذه الأعمال الجليلة التي قام بها الأسطول البحري الجزائري، دفعت بالملك شالر الخامس سنة 948هـ/1541م إلى تنظيم حملة على مدينة الجزائر بعدما أصبحت عاصمة البلاد[4]. ومن أهداف هذه الحملة هو الاستيلاء على مدينة الجزائر وطرد العثمانيين من غرب البحر الأبيض المتوسط[5]. وقد تولى الدفاع عنها حسن باشا[6] الذي أشرف بنفسه على

---

[1] احتمال كبير جدا أن يكون هذا العدد مبالغ فيه، إذ لا يمكن لسفن ذلك الوقت أن تحمل سبعين ألفا شخص في سبع رحلات. أنظر: مؤلف مجهول، كتاب الغزوات...، ص.82.

[2] صالح رايس: من مواليد مدين الإسكندرية وكان أحد مساعدي خير الدين وأقربهم إلى ثقته، وبعد وفاة خير الدين صعد صالح رايس من مجرد قائد سفينة بحرية إلى أميرال باشا ثم بيلرباي حكم من 960هـ/1552م إلى 964هـ/1556م. توفي بالطاعون وعمره يناهز سبعين سنة. أنظر: Belhamissi M., Marine et marins d'Alger (1518 – 1830), t. 1,les navires et les hommes, bibliothèque nationale d'Algérie, 1996,pp:142 – 143.

[3] Haedo F. D., Histoire des Rois d'Alger, traduction H.- D. de Grammont, édit. Bouchène, Paris, 1998, p. 53.

[4] مولاي بلحميسي، "غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر"، مجلة الأصالة،ع. 8، 1972، ص. 98.

[5] Ravenet E., « Un épisode de l'Expédition de 1541 contre Alger », in Rev. Afr., t. 83, 1939, p. 320.

[6] حسن باشا: هو ابن خير الدين بربروس من أم جزائرية، اتصف بحسن السيرة مع الأهالي وحسن التصرف في إدارة الدولة داخليا وخارجيا، بعد وفاة والده خير الدين عين سنة 951هـ/1544م بيلربايا على الجزائر، وهذا تقديرا لخدمات والده العظيمة. وقد تولى الحكم ثلاث مرَّات، المرَّة الأولى (951هـ - 960هـ/1544م - 1552م)، المرَّة الثانية (965هـ - 969هـ/ 1557م - 1561م)، المرَّة الثالثة (970هـ - 975هـ/1562م - 1567م). قاوم التوسع المغربي والإسباني في غرب الجزائر، ومن أهم أعماله في الجزائر مشروع توسيع وتحصين مدينة الجزائر وإنشاء مدينة القليعة. أنظر: Haedo F. D.,Op. Cit., pp: 86- 88.

تعزيز المواقع الدفاعية وتحصينها، ولم يتمكن قائد الأسطول الإسباني أندريه دوريا[1] من اقتحام المدينة.

كان لفشل هذه الحملة نتائج محسوسة وأصداء بعيدة، فبالإضافة إلى الغنائم الكثيرة والثمينة التي حصلت عليها الجزائر، فقد برزت الجزائر كقوة دولية فعالة وأصبحت كما وصفها التلمساني[2]: " كالعروس تختال في حليها من رخاء الأسعار، وأمان الأقطار ولم يبق لهم عدو يخافون منه، وشاعت هذه القضية في مشارق الأرض ومغاربها، وبقي رعب المسلمين في قلوب الكفار مدة طويلة". وكان واقع الهزيمة شديدا على القادة ورجال الدين الإسبان، إلا أن صداها لدى الأندلسيين كان مؤثرا وبالغا حيث جعلتهم يتطلعون إلى النجدة من السلطان العثماني؛ وفي أقل من شهر فقط من هذه الهزيمة بعث مسلمو الأندلس برسالة إلى السلطان سليمان القانوني أثنوا فيها على جهود خير الدين وما قام به لإنقاذهم، وطالبوا من السلطان إعادة تعيينه بيْلرباي الجزائر لأنه الشخصية الوحيدة القادرة على إنقاذهم من الهجومات الإسبانية. وقد أشادوا بمآثره وبطولاته بهذه العبارات:"... وقد كان بجوارنا الوزير المكرم، المجاهد في سبيل الله خير الدين وناصر الدين وسيف الله على الكافرين، علم بأحوالنا، وما نجده من عظيم أهوالنا لما كان بالجزائر، فاستغثنا به فأغاثنا وكان سببا في خلاص كثير من المسلمين، من أيدي الكفرة المتمردين، ونقلهم إلى أرض الإسلام، وتحت إيالة طاعة مولانا السلطان ولعمارة مدينة برشك وشرشال ونواحي تلمسان"[3]. (الوثيقة 01)

تؤكد هذه الإشارة التاريخية إلى استقرار وتعمير بعض الأندلسيين شرشال وبرشك ونواحي تلمسان.

---

[1] أندريه دوريا: يرجع أصله إلى عائلة جنوية بإيطاليا، يعتبر من أبرز قادة الحروب الصليبية التي قادتها إسبانيا ضد المغرب الإسلامي. أنظر: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج. 3.

[2] محمد الجديري التلمساني، "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين غارت عليها جنود الكفرة"، تحقيق: سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، ع. 3، 1967، ص. 19.

[3] عبد الجليل التميمي، "رسالة من مسلمي..."، ص. 45 ـ 46.

استمر تنظيم الرحلات لإنقاذ مسلمي الأندلس حتى بعد موت خير الدين، ففي سنة 964هـ/1556م قام أمير البحر درغوث رايس،[1] بغارة كبيرة على الشواطئ الإسبانية واستطاع أن يحمل معه 2500 أندلسي[2]. وفي سنة 978هـ/1570م تمكن قليج علي[3] إنقاذَ بعض المتخلفين من المسلمين بسواحل الأندلس[4]، وفي سنة 992هـ/1584م سار أسطول من الجزائر بقيادة حسن فانزيانو[5] إلى ثغور بلنسية وحمل حوالي 2000 أندلسي كانوا ينتظرون نجدته واتجه بهم إلى مدينة الجزائر[6]. هذا وقد بلغت عدد الغارات البحرية النى وقعت على الشواطئ الإسبانية بين سنة 935هـ/1528م وسنة 992 هـ/1584م بثلاث وثلاثين غارة[7]. بالإضافة إلى الغارات المحلية التي كانت تقوم بها سفن صغيرة لحمل جماعات من الأندلسيين.

استمر تدفق تيار الهجرة نحو بلاد المغرب الإسلامي، فقد تميزت سنة 1000هـ/ 1591م بوصول أعداد كبيرة من الأندلسيين إلى الجزائر[8]. وبعدها ب 12 سنة أي

---

[1] درغوث رايس: كان ضابطا مقداما وقد لفت أنظار خير الدين وسرعان ما صعد إلى مرتبة قائد البحرية العثمانية، خلف صالح رايس في فتح وهران سنة 963هـ / 1556م. أنظر: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج. 3، ص. 89.

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 388.

[3] قليج علي أو أولوج علي: أصله من صقلية ولد حوالي سنة 914هـ/1508م وأسر من طرف خير الدين وأسلم بعد ذلك وحسن إسلامه. حاز في حياته البحرية على مراتب عسكرية خولته لتولية ولاية تلمسان فحارب الإسبان، عُين بيلربايا على الجزائر وحكم من 976هـ/1568م إلى 979هـ/1571م. أنظر: Belhamissi M., Op. Cit., pp : 145-146.

[4] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 131 ـ 132.

[5] حسن فانزيانو: أصله من مدينة البندقية الإيطالية Venise لذا سمي بفانزيانو، إحترف مهنة الكتابة أسره درغوث رايس وأسلم بعد ذلك. حكم الجزائر مرّتين المرّة الأولى من 985هـ/1577م إلى 988هـ/1580م والمرّة الثانية من 990هـ/1582م إلى 997هـ/ 1588م أنظر:.Haedo F. D., Op. Cit. pp : 178 – 191

[6] Haedo F. D., Op. Cit. p. 203.

[7] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 388.

[8] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، ص. 132.

سنة1012هـ/1602م قام مراد رايس[1] بغارة كبيرة على مدينة لوروقة الواقعة غرب قرطاجنة، تمَّ على إثرها نقل أعداد كبيرة من الأندلسيين إلى الضفة الجنوبية من المتوسط[2].

لم يقتصر موقف الدولة العثمانية الإيجابي والمساند للأندلسيين بإيصالهم ضمن سفنها إلى مناطق آمنة التي كانت تحت سيادتها، بل كانت تعطي تشريفات لكل من يقدم مساعدة للأندلسيين ومن بينها الشكر والاعتراف الَّذي منى به خير الدين[3].

---

[1] مراد رايس: من أصل ألباني كان من أمهر البحارة، توغل في المحيط الأطلسي وهو من بين البحارة المعروفين في أوروبا. أنظر : Belhamissi M., Op. Cit, pp : 144 - 145.

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 389.

[3] Gaid M., L'Algérie sous les Turcs, édit. Mimouni, Alger, 1974, pp: 52 - 53.

ثالثا: النفي النهائي ونتائجه

تولى فيليب الثالث[1] عرش إسبانيا سنة 1007هـ/1598م، فلاقت فكرة الطرد الجماعي لمسلمي الأندلس القبول في عهده[2]. وقدمت الكنيسة مشروعا يقضي بنفيهم نهائيا من إسبانيا لأنهم أصبحوا على حد تعبيرها. يهددون أمنها الداخلي ويعرضونه للخطر بتحالفهم مع الدولة العثمانية ومصر والجزائر والمغرب الأقصى من جهة، وتآمرهم مع مولاي زيدان[3] سلطان المغرب على غزو إسبانيا من جهة أخرى.[4] وفي صباح الثاني والعشرين من شهر سبتمبر سنة 1017هـ/1609م أُعلن قرار النفي النهائي، وجاء في الإعلان ما يلي: " أنه بناءً على خيانة الموريسكيين، واتصالهم بأعداء إسبانيا، وإخفاق كل الجهود التي بذلت لتنصيرهم وضمان ولائهم، وما استقر عليه رأي الملك من نفيهم جميعا إلى بلاد البربر. وبناء على ذلك فإنه يجب على جميع الموريسكيين من الجنسين، أن يرحلوا مع أولادهم في ظرف ثلاثة أيام من نشر هذا القرار، والموت عقوبة المخالفين"[5].

لم يبق أمام مسلمي الأندلس سوى مغادرة الأراضي الإسبانية. وبدأ الاستعداد للرحيل فشرعوا في بيع ممتلكاتهم ومتاعهم بأبخس الأثمان، ولم يكن في استطاعة السلطات الإسبانية تنفيذ قرار الطرد الجماعي دفعة واحدة، لعدم توفر الوسائل اللازمة آنذاك، لذا امتدت الهجرة الأندلسية الأخيرة إلى غاية سنة 1023هـ/1614م حيث تحمل فيها المسلمون كل مشاق وإرهاصات السفر من جوع وفقر ومرض؛ وخرجوا من أماكن إقامتهم ووضعوا في معسكرات خاصة ينتظرون الرحيل. كما تعرضوا إلى مساومات

---

[1] فيليب الثالث: هو ابن فليب الثاني، كان ضعيف الرأي والإرادة يتأثر برأي الأحبار ويخضع لنفوذهم. حكم من 1006ه/1598م إلى 1030ه/1621م أنظر: محمد رزوق، المرجع السابق، ص.111.

[2] أسعد حومد، المرجع السابق، ص. 258.

[3] مولي زيدان: هو زيدان الناصر بن أحمد تاسع سلاطين المغرب السعديين حكم في الفترة الممتدة من 1022ه/ 1613م إلى 1038ه/1628م.

[4] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص. 395.

[5] نفسه. ص. 396 ـ 397.

البحارة الجشعين[1]، ورغم كل هذا فقد اعتبروا هذا النفي فرجًا من الله[2]. فخرجت جموع غفيرة منهم من ثغور بلنسية ودانية وثغور إسبانيا الجنوبية وسافرت جموع كبيرة منهم على السفن الحكومية، وسافر الأغنياء منهم والميسورون على نفقتهم الخاصة[3].

يصعب تحديد عدد المسلمين الذين هاجروا إسبانيا، وذلك نظرا لكونهم طردوا في فترات متلاحقة ومتعددة، ولكن معظم الروايات العربية والإسبانية تقدر عددهم إثر تطبيق قرار النفي بنحو ستمائة ألف.[4] أما مجموع الذين هاجروا وأُخرجوا في مختلف الفترات فقد قدر بحوالي ثلاثة ملايين نسمة[5]. يمكن أن يكون هذا العدد مبالغا فيه لكن حدثت موجات موجات لهجرة كبيرة من الأراضي الإسبانية إلى مختلف بلاد العالم.

اختار عدد كبير من المهّجرين الأندلسيين التوجه إلى شمال إسبانيا وعبور فرنسا للتوجه إما للموانئ الجنوبية قاصدين سواحل بلاد المغرب بشكل رئيسي ومنه ينتقلون إلى المشرق الإسلامي بدرجة أقل كمصر وسوريا. أو إكمال الرحلة شرقا بحرا أو برا إلى إيطاليا ثم أراضي البلقان[6] التي كانت ولاية عثمانية آنذاك للوصول إلى تركيا والاستقرار فيها[7].

---

[1] عبد الجليل التميمي، "رسالة من السلطان العثماني أحمد الأول إلى دوج البندقية حول الموريسكيين"، المجلة التاريخية المغربية (للعهد الحديث والمعاصر)، ع. 7 ـ 8، 1977م، ص. 9.

[2] أحمد بن قاسم الحجري، رحلة أفوقاي الأندلسي مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب، تحقيق: محمد رزق، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2004، ص.20.

[3] عبد الجليل التميمي، "رسالة من السلطان العثماني أحمد..."، ص. 10.

[4] محمد عبد الله عنان، "موقف القسطنطينية وباقي العالم الإسلامي من سقوط الأندلس وآخر مسلميها وأمام الغزو الأوروبي للعالم الإسلامي عموما"، مجلة الأصالة، ع. 27، 1975، ص. 110.

[5] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام...، ص. 402.

[6] أراضي البلقان: تضم جنوب شرق أوروبا، تدخل فيها ألبانيا وبلاد اليونان وجنوب شرق رومانيا وبلغاريا ومعظم يوغسلافيا.

[7] فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، ج. 1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص. 146.

وقد سمحت مساعي السلطان العثماني أحمد الأول[1] لدى ملك فرنسا هنري الرابع[2] أن ينقل عددا كبيرا من مسلمي الأقاليم الشمالية والوسطى لإسبانيا عبر ثلاثة موانئ فرنسية رئيسية: ميناء القديس جون دو لوز (Saint Jean de Luz) ومنه كانوا ينقلون إلى المغرب الأقصى، ومن ميناء أغد Adge وميناء مرسيليا كانوا ينقلون إلى الجزائر وتونس[3]. وقد أشار إلى هذا قاسم الحجري[4] بقوله: " لما صح عند سلطان إسطنبول خروج أهل الأندلس الذين يسمونهم ببلاد الترك المدجنين، كتب كتابه السني إلى سلطان فرنجة بالوصية عليهم ونفع ذلك الكتاب الأندلسيين نفعا عظيما".

لعب العامل الجغرافي لبلدان المغرب الإسلامي دورا كبيرا ومهما في استقبال أكبر عدد منهم. ومن أهم الموانئ الإسبانية التي تم ترحيلهم منها إلى بلاد المغرب ميناء أليقانت وميناء قرطاجنة وميناء إشبيلية وميناء فيناروس (Vinaros) وميناء لوس ألفاكي (Los Alfaques) وميناء بلنسية[5].(الصورة 01)

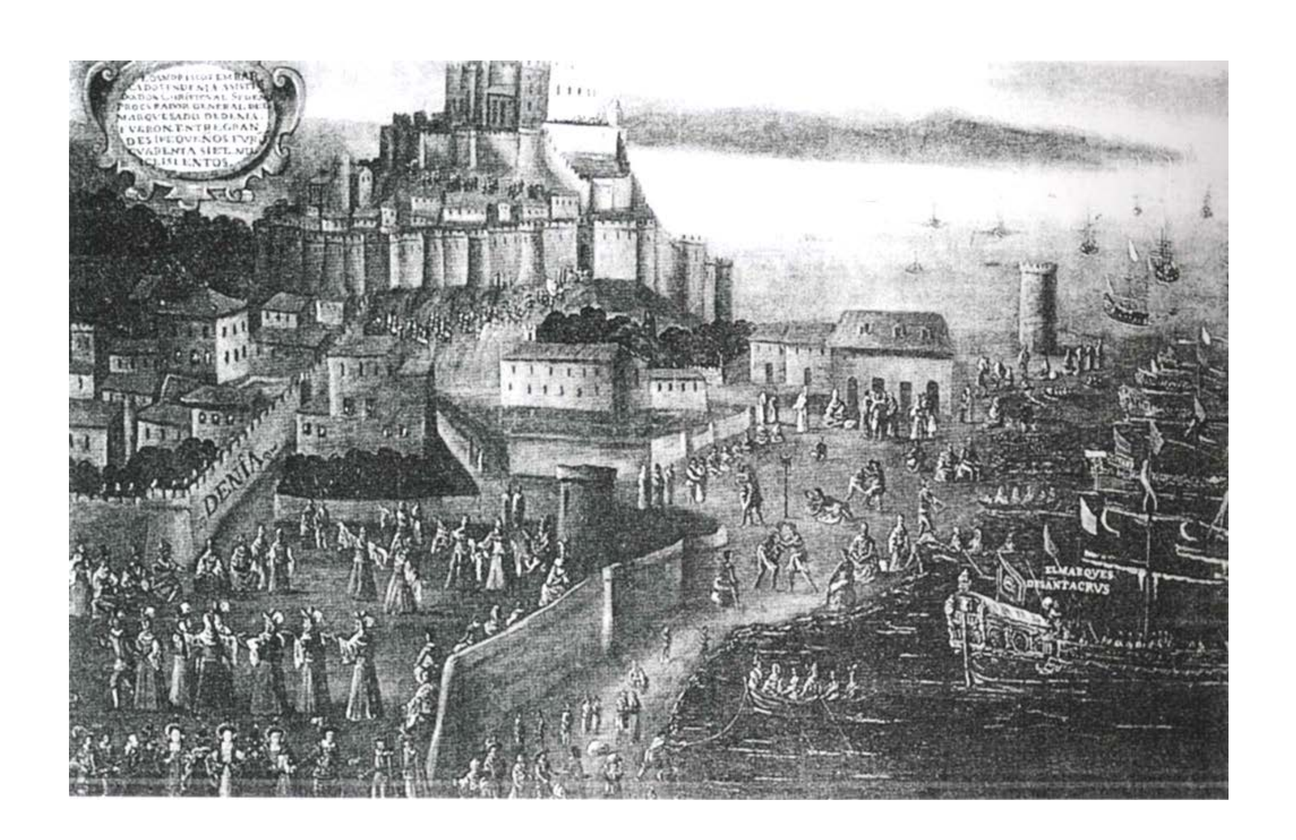
[1] أحمد الأول: حكم في الفترة الممتدة من1012هـ/1603م إلى 1026هـ / 1617م.

[2] هنري الرابع: حكم في الفترة الممتدة من 998هـ/1589م إلى 1019هـ/ 1610م.

[3] Lapeyre H. , Géographie de l’Espagne morisque, Paris, 1959. p. 208.

[4] أحمد بن قاسم الحجري، المصدر السابق، ص. 48.

[5] حنيفي هلايلي، أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي، دار الهدى، الجزائر، 2010، ص. 36.



الصورة 01: تهجير الأندلسيين من ميناء دانية

عن: ناصر الدين سعيدوني.

1 . الهجرة الأندلسية إلى الجزائر

عرفت الجزائر إثر صدور قرار النفي هجرة مكثفة من الأندلسيين لكن يجهل عددهم الإجمالي، فقد بلغ عددهم في مدينة الجزائر في مطلع القرن 11هـ/17م حوالي 2500، كما تم ترحيل 28000 أندلسي من ميناء دانية و15000 أندلسي من ميناء بلنسية وحملت السفن الإسبانية الأولين منهم على نفقتها الخاصة إلى مدينة وهران بينما اعتمد الآخرون على أنفسهم في استئجار السفن الَّتي حملتهم صوب السواحل الجزائرية[1]. وقد تبعتهم جماعات أخرى من مسلمي أراغون واسترامادورو[2] الَّتي لم تتمكن من الإبحار إلى السواحل الجزائرية مباشرة، فاضطرت إلى الانتقال إلى مرسيليا ومنها إلى ليفورن بإيطاليا ثم إلى الجزائر، بعد تعرضهم إلى مضايقات وعراقيل بسبب اغتيال الملك الفرنسي

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، ص. 132.

[2] استرامادوروEshamadure : مقاطعة إسبانية قريبة من البرتغال، كانت أيام الحكم الإسلامي عاصمة أحد ملوك الطوائف.

هنري الرابع سنة 1019هـ/1610م الَّذي سبق ذكره، بحيث أنه كان يسهل هجرة الأندلسيين من الأراضي الفرنسية[1]. وانظم إلى هؤلاء المهاجرين كثير من الأندلسيين الذين كانوا يعيشون في المناطق الجنوبية من إسبانيا، وحرصوا على اصطحاب أبنائهم الصغار معهم رغم حظر القانون الإسباني ذلك[2].

لم يقتصر استقرار الأندلسيون على مناطق معينة من الجزائر، بل شمل عدّة جهات خاصة المراكز الساحلية، ويمكن حصر هذه التجمعات في:

ـ **دار السلطان:** استقر الأندلسيون في مدن الجزائر والبليدة وشرشال وبرشك والقليعة ومليانة وتنس ودلّس.

ـ **بايلك التيطري:** استقر الأندلسيون في مدينة المدية.

ـ **بايلك الغرب:** استقر الأندلسيون في مدن وهران وتلمسان ومستغانم ومازونة وقلعة بني راشد.

ـ **بايلك الشرق:** استقر الأندلسيون في مدن قسنطينة وبجاية وعنابة وجيجل والقل[3]. (الخريطة 02)

صاحبت الهجرة الأندلسية إلى الجزائر جماعات كبيرة من يهود الأندلس، إذ أصبحت المدن الساحلية مراكز حضرية تشكل أهم نقاط تمركز الجالية اليهودية بالجزائر وقد شهدت مدينة الجزائر احتضان أكبر عدد منهم، وكان يطلق عليهم اسم الميغورشيم (Megorachim) أو السافرديم (Sepharadims) وكذلك اسم الكبوسيين أي حاملي العمائم[4]. وقد شكلت الجماعات اليهودية الأندلسية فئة متميزة عن باقي التشكيلات

---

[1] La peyre H,, Op. Cit, pp : 208 - 209.

[2] Penella J, « le transfert des Morisques Espagnols en Afrique du nord », in Etude sur les morisque andalous en Tunisie, direccion General de Relaciones Culturales, Madrid, 197 3, p. 84.

[3] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص. 33 ـ 34.

[4] زهية بن كردرة، "الشواهد العبرية بالمتحف الوطني للآثار"، حوليات المتحف الوطني للآثار، ع. 5، 1996، ص. 33.

الاجتماعية، إذ أصبحوا يمثلون عنصرا هاما بامتهانهم التجارة، كتجارة الصوف والحرير والأصبغة وريش النعام، كما كانوا يتاجرون بالمعادن الثمينة كالذهب والفضة والأحجار الكريمة.[1] واشتغلوا بمختلف المهن والحرف اليدوية الثمينة ذات الدخل المرتفع، إلى جانب سك النقود في دار السكة تحت رقابة أمين مسلم يسمى " أمين السك"[2].

اكتسب يهود مدينة الجزائر وباقي المدن الأخرى عادات وتقاليد الأهالي، واتخذوا من اللغة العربية لغة تعبيرهم في معاملاتهم اليومية قصد الاندماج في مجتمعهم الجديد ولم يعد يميزهم عن غيرهم من السكان سوى ملابسهم القاتمة وامتناعهم عن ركوب الخيل وحمل السلاح والتزامهم بدفع الجزية سنويا الذي يتولى مقدم اليهود في كل مدينة تقديمها إلى شيخ البلد[3] الذي يقدمها بدوره إلى الخزينة[4].

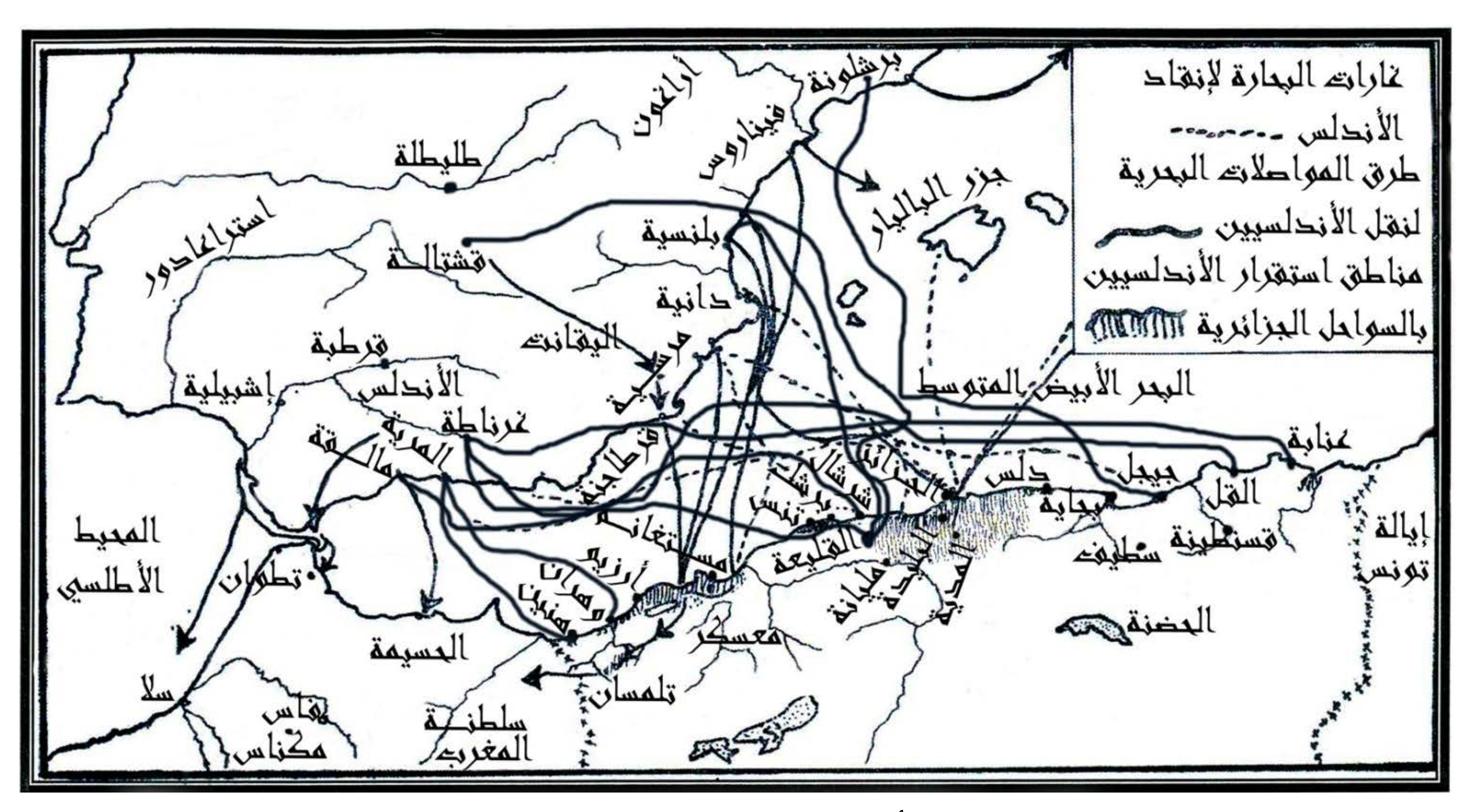
---

[1] Eisenbth M., « Situation des juifs en Algérie et en Tunisie avant l'époque Turque », in Rev. Afr, n° 430 – 431, 1952, p. 129.

[2] Cahen M., « Les juifs dans l'Afrique septentrionale »in R.N.M.S.A.C, vol. 11, 1867, pp : 190 – 191.

[3] شيخ البلد: هو صاحب المدينة المسؤول على تسييرها وإدارتها.

[4] Eisenbth M., Op. Cit., p. 129.



الخريطة 02: الهجرة الأندلسيبة إلى الجزائر، عن : ناصر الدين سعيدوني (بتصرف)

2. الهجرة الأندلسية إلى تونس

هاجر عدد كبير من مسلمي الأندلس على الأراضي التونسية، وقدر عددهم بنحو ثمانين ألفا، وأكد الشهاب الحجري هذا الكلام بقوله[1]:"...بلغ نهاية جميع الأندلس بصغارهم لثمان مائة ألف مخلوق، أكثرهم خرج إلى تونس"، كما أشار المقري[2] لذلك بقوله:" فخرجت ألوف بفاس وألوف أخرى بتلمسان من وهران وجمهورهم خرج إلى تونس".

استقبل الأندلسيون استقبالا حسنا بتونس سواء على مستوى الأفراد أو على المستوى الرسمي، فعلى المستوى الرسمي أكرمهم حاكم تونس عثمان داي(1002هـ ـ 1019هـ/1593م ـ 1610م) وأوسع لهم في البلاد، وفرق ضعفاءهم على الناس لرعايتهم وأذن لهم أن يعمروا حيث شاءوا واشتروا الهناشير[3]، وبنوا فيها واتسعوا في البلاد واستوطنوا في عدة أماكن كسليمان وبلي ونبال وقرنبالية وتركي والجديدة وزغوان وطبرية وقريش الواد ومجاز الباب والصلوقية وتستور[4]. وغرسوا فيها الكروم والزيتون ومهدوا الطرق بالكراريط[5] للمسافرين[6]، أما على مستوى الأفراد فقد بادر التونسيون إلى تقديم المساعدات لفقرائهم وضعافهم، وكان الولي الشهير سيدي أبو الغيث القشاش[7] يتصدق عليهم بألف وخمسمائة قرصة خبز كل يوم[8].(الخريطة 03)

إن السمة البارزة في الوجود الأندلسي بتونس كما في الجزائر هو انصرافهم عن السياسة انصرافا تاما وكاملا وتوجههم إلى نقل مظاهر الحياة الأندلسية في شتى الميادين

---

[1] أحمد بن قاسم الحجري، المصدر السابق، ص. 58.

[2] أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب...، مج. 4، ص. 528.

[3] الهناشير: مفرد هنشير وهو مصطلح خاص بمنطقة المغرب الإسلامي يقصد به الأراضي الكبيرة الشاسعة.

[4] محمد بن أبي دينار، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، (د. م)، 1286هـ، ص.193.

[5] الكراريط: جمع كَريطة وهي كلمة إسبانية تعني آلة تنقل ومنها جاءت الكلمة الدارجة كروسة. أنظر: نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص. 256.

[6] محمد ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص، 193.

[7] أبو الغيث القشاش: هو أبو الغيث غالب بن محمد القشاش ولد بتونس، كان صوفيا وزاهدا عاش في القرن 11هـ/17م.

[8] أحمد بن قاسم الحجري، المصدر السابق، ص. 58.

فقد استقر الأغنياء والوجهاء والمثقفون بالعاصمة وأنشأوا لهم أحياء خاصة مثل: " حومة الأندلس" و"زقاق الأندلس"، وأنشئوا بحومة الأندلس سنة 1034هـ/1624م جامعا سموه "جامع سبحان الله"، وبعد سنوات وسعوا هذا الجامع لإنشاء مدرسة أطلق عليها " المدرسة الأندلسية" تختص بتعليم العلوم الشرعية[1]. كما اهتم الأندلسيون بتشييد عدة مساجد أخرى من أهمها المسجد الشهير بمدينة تستور[2] ومسجد قرية العالية وهي من بين القرى الكثيرة الَّتي بناها الأندلسيون في بداية القرن 11هـ/17م في منطقة بنزرت[3].

استقر الفلاحون قرب الأراضي الخصبة القريبة من المياه ووسعوا في غراسة الحمضيات وأشجار الزيتون[4]، وفي منطقة الرأس الطيب[5] قام أندلسي يدعى "مصطفى قردناش" Moustaphas de Cordenas بزراعة ثلاثين ألف شجرة زيتون مع عدد كبير من أشجار اللوز؛ وجلب المياه من الجبال المجاورة عبر قنوات مائية صغيرة، وكان يملك ثلاثمائة عبدًا لخدمة الأرض. ونظرا لهذه الثروة الطائلة طرده حاكم تونس ليستحوذ عليها فلجأ إلى مدينة عنابة[6].

اختص الصناع والحرفيون الأندلسيون في صناعة الشاشية ونسيج الحرير ونقش الرخام والجبس والنحاس والزليج[7].

---

[1] Latham J. D., « Towards a study of Andalusian immigration and its place in Tunisian History » in cahiers de Tunisie, n° 19 – 20, 1957, p.228.

[2] Marçais G., « Testour et sa grande mosquée contribution à l'étude des Andalous en Tunisie », in Etude sur les morisque andalous en Tunisie, direccion General de Relaciones Culturales, Madrid, 197 3, p. 271.

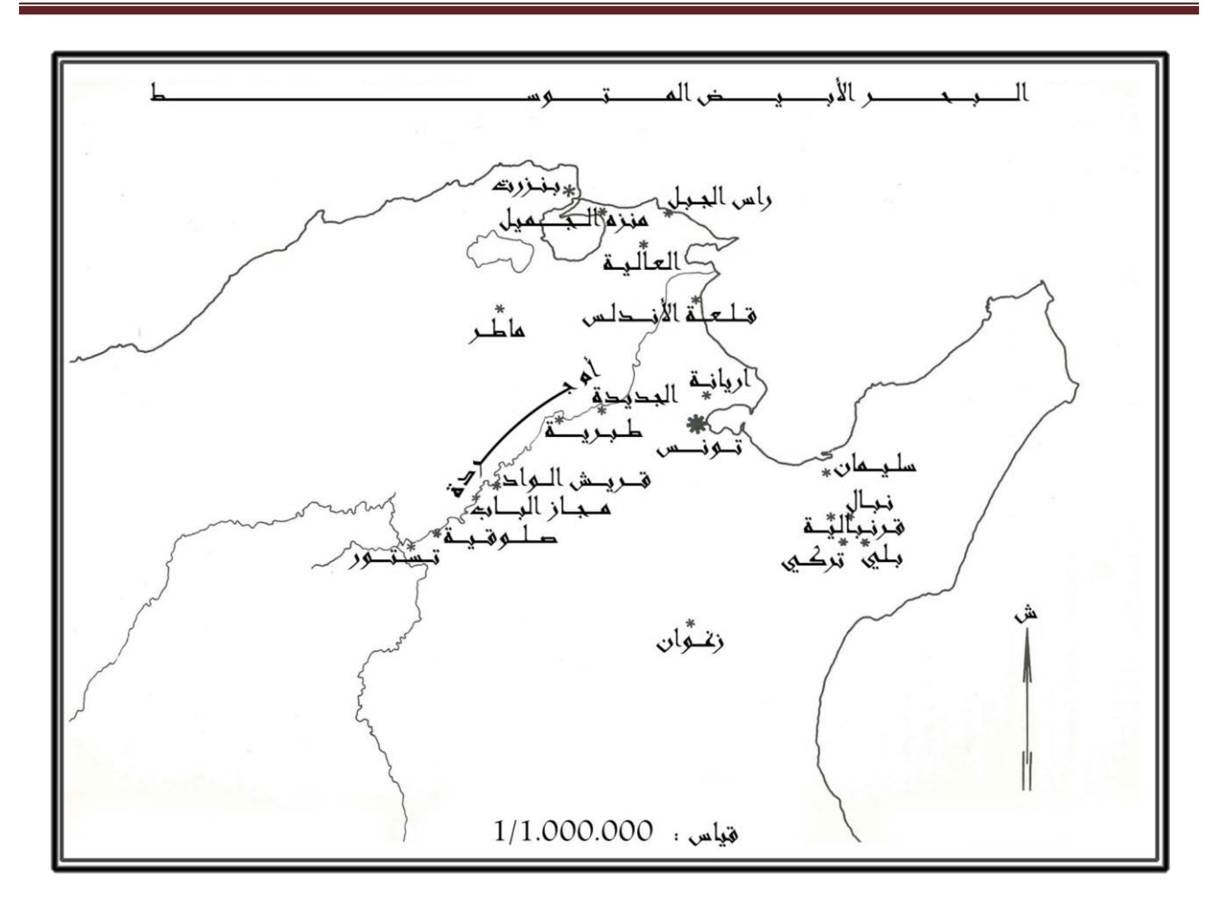
[3] Daoulatli A. , « Inscription à la mosquée Andalouse d'El- 'Aliya », in Etude sur les morisque andalous en Tunisie, direccion General de Relaciones Culturales, Madrid, 1973, p. 286.

[4] محمد رزوق، المرجع السابق، ص. 134 ـ 135.

[5] رأس الطيب: يسمى أيضا باسم رأس الدار ويقع بالزاوية الشمالية الشرقية لشبه جزيرة الوطن القبلي غير بعيد عن مدينة الهوارية.

[6] Peyssonnel J. A., Voyage dans les régences de Tunis et d'Alger, édit. la découverte, Paris, 1987, p. 125.

[7] محمد قشتيليو، حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها،(د.م)، 2001، ص. 40.



الخريطة 03: أماكن استقرار الأندلسيين في تونس

عن: ...Etudes sur les morisques (بتصرف)

3. الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأقصى

نزحت جموع غفيرة من الأندلسيين إلى المغرب الأقصى للقرابة الجغرافية عن طريق المراكز التي احتلها الإسبان، كطنجة وسبتة ومليلة ومن هناك تسربوا إلى المدن الداخلية[1]، وقد جاءوا من مختلف مناطق الأندلس كبلنسية وقشتالة وغرناطة ومرسية وأراغون وكتالونيا. كما إنتقل بعض الأندلسيين من مدينة وهران إلى المغرب الأقصى بعد أن ضاقت بهم المدينة[2].

---

[1] Penella J, Op. Cit, p. 85.

[2] محمد رزوق، المرجع السابق، ص. 130.

توالت الهجرات الأندلسية إلى المغرب الأقصى خلال مراحل متعددة أبرزها تلك التي جرت في العهد الوطاسي[1](876هـ ـ 961هـ/1471م ـ 1533م)، حيث نزحت أعداد كبيرة من الأندلسيين بالرغم من أن المغرب كان يعيش في هذه الفترة ظروفا قلقة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا. أما في العهد السعدي[2] (916هـ ـ 1070هـ/1510م ـ 1659م) فقد وجد الأندلسيون مجالات العمل مفتوحة أمامهم، لما وجدوا في هذا البلد من استقرار سياسي ونمو اقتصادي[3].

عمَّر الأندلسيون مدينة فاس وتطوان وسلا والرباط والمعمورة، واستقبلت مدينة تطوان وحدها سنة 1022هـ/1613م حوالي 10000 أندلسي[4]، وقد أسندت إليهم مهمة الدفاع عن الشواطئ فكونوا قوة خاصة واستحوذوا على مراكز مهمة في الجيش. وأصبحوا يتدخلون في الأمور الداخلية للبلاد،[5] مما جعل طموحاتهم السياسية تنمو وتكبر محاولين خلق كيان مستقل خاص بهم، لكن السلطات المغربية كانت لهم بالمرصاد. وعلى كل فإن كان الأندلسيون قد أخفقوا في وجودهم السياسي في المغرب، فإنهم نجحوا في تثبيت وجودهم الحضاري، إذ انصهروا في المجتمع المغربي وساهموا في شتى الميادين حيث صارت الأسواق مليئة بمنتوجاتهم الصناعية والفنية، وبرزوا في الميدان التجاري فانتعشت

---

[1] الدولة الوطاسية: تسب إلى محمد الشيخ الوطاسي الَّذي كان من المتمردين على الحكام المرينيين، ففر إلى مدينة أصيلة المغربية واتخذها كقاعدة لمواصلة تآمره ومنها زحف على مدينة فاس مع عدد كبير من أنصاره فاستولى عليها وأسس الدولة الوطاسية. أنظر: نجيب زبيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج. 3، دار الأمير للثقافة والعلوم بيروت، 1995، ص. 202.

[2] الدولة السعدية: تسب إلى أبو عبد الله الشيخ السعدي الملّقب بالقائم بأمر الله، أسس في جنوب المغرب مملكة صغيرة وما لبث أن استولى على كل القسم الجنوبي للمغرب ودخل في حرب مع الوطاسيين، انتهت باستقلال الحركة السعدية بمراكش. أنظر: نجيب زبيب، المرجع السابق، ج. 3، ص. 246 ـ 247.

[3] محمد رزوق، المرجع السابق، ص. 140.

[4] Lapeyre, Op. Cit, p. 207.

[5] محمد قشتيليو، المرجع السابق، ص. 29.

المبادلات التجارية مع الخارج عن طريق البحر الَّذين كانوا خبراء بشؤونه. وقد ساعدهم في هذا إتقانهم اللغة الإسبانية والبرتغالية[1].

4 . الهجرة الأندلسية إلى ليبيا

لم تحتضن ليبيا أعدادا كبيرة من الأندلسيين، ولم تبلغ هجرتهم إلى هذا البلد نفس مستوى موجات اللاجئين الَّتي تدفقت على تونس والمغرب الأقصى والجزائر. وقدر عددهم ببضعة آلاف وربما يرجع السبب إلى بعد ليبيا عن المجال الجغرافي الأندلسي.

استقر الأندلسيون في المدن الليبية الرئيسية مثل طرابلس وبنغازي ودرنة،[2] لكن تأثيرهم في هذا البلد بقي محدودا جدا مقارنة مع دول الجوار. وبرزت مجموعة منهم في الميدان الزراعي، حيث استصلحوا الأراضي وبفضل نبوغهم في الري أوصلوا الماء إلى عدة مناطق. وفي هذا الصدد يقول الرحالة أبو سالم العياشي[3] الذي زار مدينة درنة الليبية عندما كان متوجها إلى مكة المكرمة سنة 1072هـ/1661م ما يلي: " ودرنة مدينة على ساحل البحر بها مرسى، وكانت خالية منذ أزمان إلى أن عمرها الأندلسيون، حيث شقوا قناة الساقية في درنة وعرف بعضهم بحجاج الساقية".

نقل الأندلسيون فنّهم وصناعاتهم وأساليب حضارتهم إلى المدن الليبية خاصة طرابلس ودرنة، فأدخلوا صناعة المنسوجات الحريرية واحترفوا تقطير الزهور. وفي مقدمة ما نقلوه في الموسيقى فن المالوف الذي صار له شأن كبير في هذا القطر[4].

4 . الهجرة الأندلسية إلى تركيا ومصر وبلاد الشام

سعت الدولة العثمانية إلى تمتين علاقاتها مع بريطانيا وفرنسا والبندقية، لمساعدة

---

[1] محمد قشتيليو، المرجع السابق، ص. 41.

[2] حسن سليمان محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1962، ص. 216.

[3] أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية 1661م ـ 1663م، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج. 1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006، ص. 204.

[4] حسن سليمان محمود، المرجع السابق، ص. 216.

الأندلسيين وتسهيل تحويلهم إلى أراضيها، فاستقرت بها جماعات كبيرة[1]. كما منحت الدولة العثمانية للأندلسيين أراضي للإقامة وللفلاحة، فأسسوا قرى ازدهرت فيها الحركة التجارية والاقتصادية[2]. واستقر بعضهم في عاصمة الخلافة العثمانية إسطنبول في حيَّين رئيسيين هما غالاتا وطوب خانة، وخصص لهم السلطان أحمد الأول جامعا[3]. وربما فعل ذلك لأن الأتراك كانوا يتبعون المذهب الحنفي بينما يتبع الأندلسيون المذهب المالكي.

لجأ عدد قليل من الأندلسيين إلى المشرق الإسلامي خاصة مصر وسوريا، ولم تبلغ هذه الهجرة حجمها القياسي الذي بلغته في البلاد المغاربية للقرابة الجغرافية. وكانت الهجرة إلى هذه البلدان تتم بعد العبور إلى العدوة المغاربية، ففي مصر انتشروا في كبريات الحواضر كالقاهرة والإسكندرية وأقاموا في القرى وأنشئوا بلدات صغيرة. وسيطروا على عدة نشاطات تجارية خاصة تجارة السكر، وامتهنوا عدة حرف كصناعة الحرير وتقطير ماء الزهر وسموا "بالقاطوريين"[4]. ونظرا لكفائتهم العالية في المجال العسكري أدمجوا في الجيش العثماني وذلك في أوائل القرن 11ه/17م وارتقوا في الرتب العسكرية[5]. أما في سوريا فقد ارتحلت إليها جالية هامة قبل سقوط غرناطة لطلب العلم أو الحج أو التجارة، واستقطبت مدينة حلب النخبة المثقفة من العلماء والفقهاء، لكن خلال القرنين 10ه و11ه/16م ـ 17م قل عدد المهاجرين الأندلسيين بحيث أصبحت الرحلات فردية أو عائلية قدمت من تركيا[6].

---

[1] عبد الجليل التميمي، "رسالة من السلطان العثماني أحمد..."، ص. 10.

[2] محمد قشتيليو، المرجع السابق، ص. 61 ـ 62.

[3] عبد الجليل التميمي، "رسالة من السلطان العثماني أحمد..."، ص. 10.

[4] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج.1، ص. 213 - 214.

[5] نفسه، ص. 218.

[6] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج.1، ص. 223.

6. الهجرة الأندلسية إلى أمريكا

توجه الأندلسيون عبر المحيط الأطلسي إلى وجهة أخرى من العالم وهي أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية. فبعد اكتشاف القارة الأمريكية من طرف كريستوف كولمب[1] سنة 897هـ/ 1492م وهي سنة سقوط غرناطة، اضطر الأسبان إلى تعمير هذه الأرض الجديدة وجلب اليد العاملة من الخارج. فقصدها الأندلسيون تحت ستار نشر الديانة المسيحية[2]، وإن كان ظاهر هذه الهجرة ديني، لكن غرضها الأساسي هو الهروب من جحيم محاكم التفتيش. ولسوء الحظ لم يستطع الباحثون تقدير عددهم لأن هجرتهم كانت سرية وبالتالي يستحيل مراقبتها.

استقر الأندلسيون بالعالم الجديد وساهموا في تعميره وازدهاره، وقد تكثفت هذه الهجرة خلال القرنين 10هـ ـ 11هـ/16م ـ 17م، واستقروا في المكسيك وبوليفار وكولومبيا وكوبا والبيرو. وحملوا معهم فنهم وخبرتهم في الزراعة والبناء[3].

---

[1] كريستوف كولمب: رحالة إيطالي مكتشف أمريكا ولد بجنوة سنة 855هـ/1451م درس الرياضيات والعلوم الطبيعية قام بعدة رحلات إلى القارة الجديدة، رحلته الأولى كانت في سنة 898هـ/1492م، وفي رحلته الثانية سنة 899هـ/1493م اكتشف بويرتو ريكو وجزر فرجن وجاميكا، وفي رحلته الثالثة عام 904هـ/1498م اكتشف مصب نهر الأورينوكو بفنزويلا. قاد حملة رابعة سنة 908هـ/1502م فوصل إلى جزر الهوندوراس، لكن مشقة الرحلة أرغمته على العودة فمات أثناء السفر عام 912هـ/1506م. أنظر: محمد شفيق غربال، المرجع السابق، مج. 2، ص. 1511.

[2] Cardaillac L., « Problème morisque en Amérique », in R. H.M, n° 6, 1976, p p: 223- 224.

[3] محمد قشتيليو، المرجع السابق، ص. 63.

الفصـل الثـاني

الاستقرار الأندلسي في دار السلطان

أولا: التقسيم الإداري للجزائر في الفترة العثمانية

ثانيا: أماكن استقرار الأندلسيين في دار السلطان

أولا: التقسيم الإداري للجزائر في الفترة العثمانية

يعود تاريخ ظهور التنظيم الإداري الأول في الجزائر العثمانية إلى سنة 922هـ/1516م عندما قدم الأخوان عروج وخير الدين لتحرير البلاد من السيطرة الإسبانية[1]. فاتجه خير الدين نحو الجهة الشرقية من مدينة الجزائر حتى وصل إلى دلّس بينما اتجه أخوه عروج نحو الجهة الغربية من مدينة الجزائر حتى وصل إلى تنس. ولما استكمل توسعاته، قسّم البلاد مع أخيه خير الدين إلى مقاطعتين، مقاطعة غربية يشرف عليها بنفسه ومقرّها الإداري مدينة الجزائر، ومقاطعة شرقية يشرف عليها خير الدين ومقرّها الإداري مدينة دلّس[2]. وبقي هذا التقسيم حتى تولى حسن باشا بن خير الدين منصب البَيْلَرْبَاي؛ فأثناء ولايته الثالثة سنة 970هـ/1562م قسّم الجزائر إلى أربعة مقاطعات[3]، وأطلق على كل واحدة اسم"البايلك" والبايلك Beylek كلمة تركية تستعمل للدلالة على الأملاك العمومية، وعلى الدولة أو الحكومة ويسيرها الباي[4]. وهذه البايلك هي: دار السلطان وبايلك التيطري وبايلك الشرق وبايلك الغرب. (الخريطة 04)

1 . **دار السلطان:** تمّكن الأخوان عروج وخير الدين من إخضاع القبائل الواقعة من دلّس إلى تنس وأصبحت هذه المنطقة تعرف بدار السلطان باعتبارها مقرّ الحكم. واتخذت مدينة الجزائر مركزا لها[5].

يمتدّ دار السلطان من دلّس شرقا إلى تنس غربا، ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الأطلس البليدي جنوبا. ويضم مدن الجزائر والبليدة وشرشال وبرشك والقليعة ومليانة وتنس ودلّس.

---

[1] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص. 163.

[2] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 ـ 1792م، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص. 169.

[3] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج. 3، ص. 94.

[4] Ben cheneb M., Mots turks et persans conservés dans le parler algérien, Alger, 1922. p. 19.

[5] Bontems C., Manuel des institutions Algériennes de la domination Turque à l'indépendance, la domination turque et le régime militaire, 1518 -1870,t. 1, édit. Cuja, France, 1976, pp: 49 -50.

2 . بايلك التيطري: أخذ بايلك التيطري اسمه من اسم بحيرة " التيطري" التي تقع بداخله[1] وقد ظهر مباشرة بعد دار السلطان. ويعد من المقطعات الأولى التي أدخلت تحت الإدارة العثمانية بحكم قربه من مركز السلطة[2]. وهو من أصغر البايلك مساحة وأفقره ثروة[3].

يمتد بايلك التيطري من شمال الأطلس البليدي إلى جنوب الأطلس الصحراويّ ومن الشلف غربا إلى منطقة الصومام شرقا ومركزه المدية [4]. ويضم مدن المدية وبوسعادة والأغواط[5].

3 . بايلك الغرب: اعتبرت مدينة مازونة أول مركز لبايلك الغرب وكان ذلك في بدايات الحكم العثماني، ثم تحوّل في فترة لاحقة إلى مدينة معسكر بعد الفتح الأول لوهران عام 1120هـ/1708م، ولما تم تحرير مدينة وهران بصفة نهائية من يد الإسبان عام 1206هـ/1791م اتخذت عاصمة لهذا البايلك[6].

يحدّ بايلك الغرب من الشمال البحر المتوسط ومن الغرب وادي ملوية[7]، وتصل حدوده من الشرق إلى منطقة بوحلوان القريبة من مدينة مليانة[8]. ويضم هذا البايلك مدن الشلف ومستغانم ووهران وتلمسان ومعسكر ومازونة وقلعة بني راشد.

---

[1] Yver G., « AL- Madiyya » in E. I., E. J. Brill, Leiden, G.- P. Maison neuve, Paris, t. V,1986, p. 1006.

[2] Federmann H et Aucapitaine H « Notice sur l'histoire et l'administration du Beylik de Titeri », in Rev. Afr, n° 9, 1865, p. 282.

[3] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800 ـ 1830، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص. 30. 47.

[4] Kaddache M., L'Algérie durant la période Ottomane, O. P. U., Alger, 1991, p. 127.

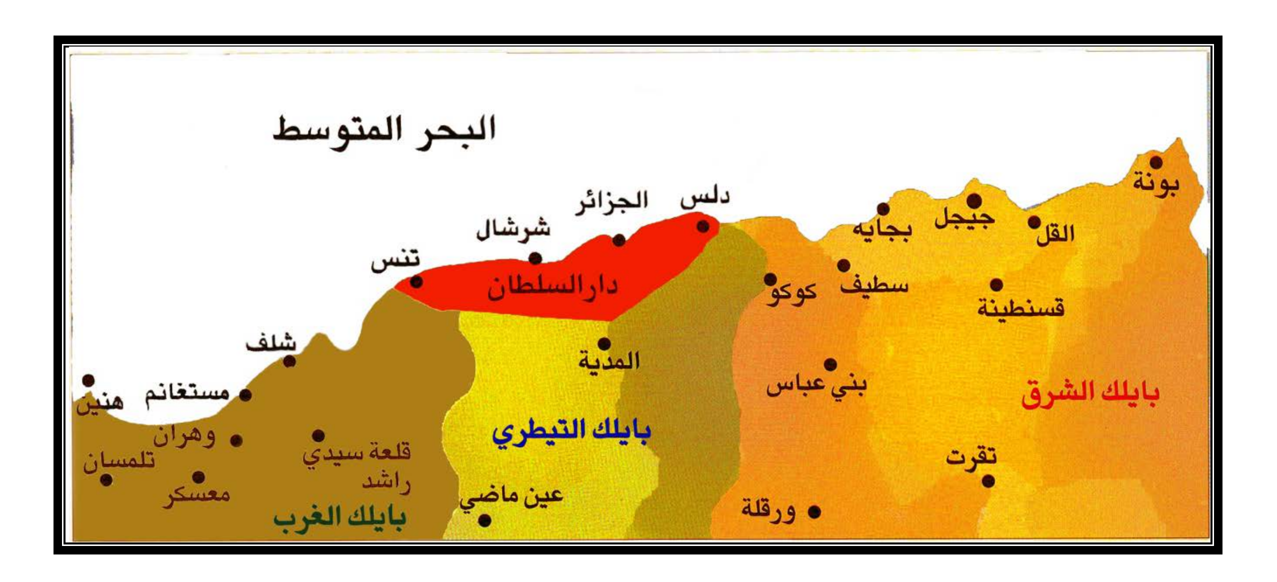
[5] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج. 3، ص. 94.

[6] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص. 94.

[7] Berbrugger A., « Des frontières de l'Algérie » in Rev. Afr., vol. 4, 1860, P. 413.

[8] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي ...، ص. 260.

4 . **بايلك الشرق:** يعتبر بايلك الشرق من أكبر البيالك مساحة وثروة[1]، يمتد من البحر المتوسط شمالا ووادي الصمار الَّذي يعرف بوادي بني منصور، وهو قريب من بجاية ويستمر إلى غاية برج حمزة (البويرة حاليا). ومن الجنوب يتوغّل في الصحراء ليصل إلى ورقلة وتقرت، ولهذا البايلك حدود مع تونس ومركزه قسنطينة[2]. ويضم مدن عنابة والقل وجيجل وبجاية وسطيف وقسنطينة وجبل كوكو وقلعة بني عباس وتقرت وورقلة.



الخريطة 04: التقسيم الإداري للجزائر في الفترة العثمانية

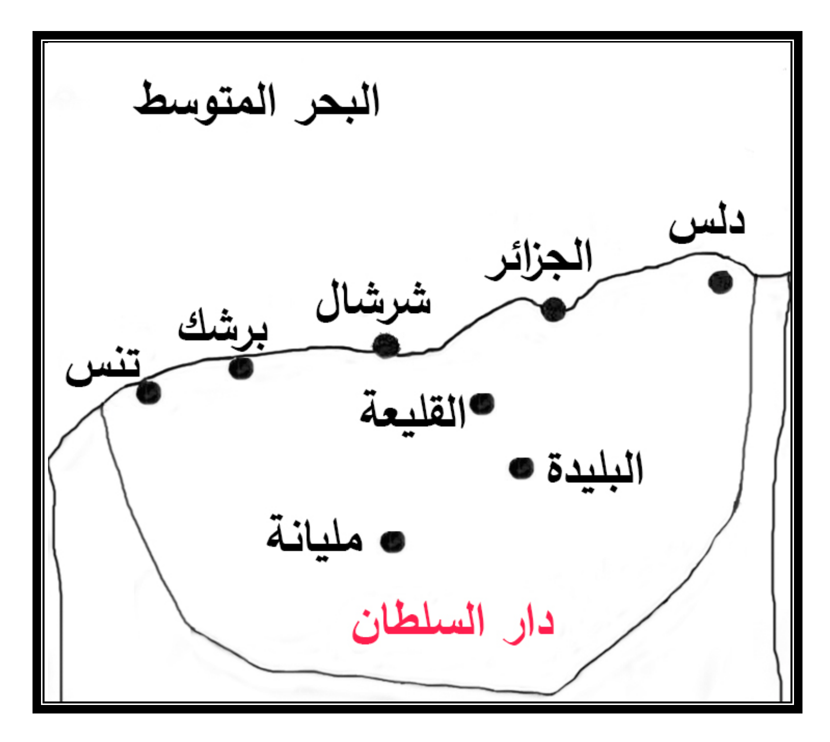
عن: عبد الرحمان الجيلالي (بتصرف).

[1] أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، 1168هـ - 1246هـ/1754م - 1830م، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص. 48.

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، ص. 324.

ثانيا: أماكن استقرار الأندلسيين في دار السلطان

كان نصيب دار السلطان وافرا من المهاجرين الأندلسيين، وذلك لتعاطف الحكام العثمانيين معهم، وقلّة سكان المنطقة مع توفرها على إمكانيات اقتصادية مساعدة على الاستقرار وخدمة الأرض[1]. وقد استقر الأندلسيون تقريبا في جميع مدنه كالجزائر والبليدة وشرشال وبرشك والقليعة ومليانة وتنس ودلّس.(الخريطة 05)



الخريطة 05: دار السلطان

عن: عبد الرحمان الجيلالي (بتصرف)

1. مدينة الجزائر: تقع مدينة الجزائر على خطّ عرض $36,46^0$ باتجاه الشمال وخطّ طول $44,0^0$ باتجاه الشرق يتميز موقعها بشكل محدب مواجه للبحر المتوسط[2]، حيث يستند على كتلة ساحلية لجبل بوزريعة وينحصر بين هذا الجبل وجبال الأطلس البليدي[3].

تعدّ مدينة الجزائر في طليعة المدن التي استقبلت عددا كبيرا من المهاجرين الأندلسيين وكانت المدينة خلال القرن 3هـ/9م عبارة عن مرسى صغير، فتحولت إلى

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 44.

[2] ألبير ديفولكس، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، ترجمة وتحقيق: مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، أبو ظبي، 2004، ص. 20.

[3] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص. 33.

مرسى كبير يستقبل مختلف السفن والبضائع ويقصده تجّار الداخل والخارج على السواء. كما كانت عبارة عن قرية بربرية متواضعة عرفت ب "جزائر بني مزغنة"، نسبة لقبيلة بني مزغنة الصنهاجية[1] التي كانت تقطنها. وقد قام بتخطيطها الأمير بلكين بن زيري[2] سنة 339هـ/950م وحوّلها إلى عاصمة للقطر كلّه، كثرة العمران وافرة السكان[3]. ويؤكد هذا الكلام ما قاله ابن حوقل[4]:" وجزائر بني مزغنان مدينة عليها سور في نحر البحر طيبة وشربهم منها ولها بادية كبيرة وجبال فيها قبائل من البربر كبيرة". وقد حافظت مدينة الجزائر على عمرانها على عهد المرابطين[5] الذين أسسوا جامعها الكبير سنة 490هـ/1097م في حي باب البحرية. وفي القرن 5هـ/11م تعرض إليها البكري حيث قال[6]:" ...ولها أسواق ومسجد وجامع ومرساها مأمون له عين عذبة يقصد إليها أهل السفن من أهل إفريقية والأندلس وغيرهما".

---

[1] قبيلة صنهاجة: تنسب إلى قار وحزمار ابني صنهاج من قبائل البرانس، تمتد من الساحل البحري من مدينة الجزائر إلى تنس يحدّه وطن الحضنة والمسيلة والمدية ومليانة، تعدّ قبيلة صنهاجة من أكبر وأوفر قبائل البربر وهي تنقسم إلى بطون عديدة، بلغ عددها سبعين بطنا أهمّها تلكاتة بطن الزيريين والحماديين ومسوفة ولمتونة. أنظر عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص. 243.

[2] بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي: من ملوك قبيلة صنهاجة، كان أبوه زيري بن مناد من مؤيدي الخلافة الفاطمية ببلاد المغرب، فوقف بجانبه في الحروب التي خاضها. نظم المغرب الأوسط واختطّ ثلاث مدن: الجزائر والمدية ومليانة عينه الخليفة الفاطمي المعز لدين الله على إمارة المغرب وأسماه أبا الفتوح. أنظر:عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج.1، ص. 246.

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج. 1، ص. 168.

[4] أبو القاسم بن حَوقَل ، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت)، ص. 77 ـ 78.

[5] الدولة المرابطية: مؤسسها الروحي عبد الله بن ياسين، ويعد يوسف بن تاشفين من أعظم أمرائها بنى مدينة مراكش واتخذها عاصمة له. امتدت حدود الدولة من المغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط إلى الأندلس. حكمت من 488هـ/1056م إلى 541هـ/1145م. أنظر: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج. 1، ص. 307 - 308.

[6] عبيد الله البكري، كتاب المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فانليوفن وأندري فيري، ج.2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992، ص. 732.

أما الموحدون[1] فقد اتخذوها قاعدة عسكرية لمواجهة أعدائهم، وبدأت تتطور وتتسع قي العمران على عهد الزيانيين[2]. إذ أصبحت مركزا مهما حكم منه الزيانيون المناطق القريبة منها[3].

احتلت مدينة الجزائر مكان الصدارة في مدن المغرب الأوسط في العهد العثماني وانتزعت الأهمية التي كانت لبجاية وتلمسان قبل القرن 10هـ/16 م، فقد وصفها حسن الوزان عندما زارها سنة 921هـ/1515م كما يأتي[4]: " مدينة الجزائر كبيرة جدا، تضم نحو نحو 4000 كانون أسوارها رائعة ومتينة جدا مبنية بالحجر الضخم، فيها دور جميلة وأسواق منسّقة كما يجب، لكل حرفة مكانها الخاص، وفيها عدد كبير من الفنادق والحمّامات...ويحيط بالجزائر عدد من البساتين والأراضي المغروسة بأشجار الفواكه ويمرّ قرب المدينة من الجهة الشرقية نهر، نصب عليه طاحونات ويزوّد السكان بالماء للشرب ولأغراض أخرى، وفي الضواحي سهول جميلة جدا".

كان موقع مدينة الجزائر الوسطي، وكونها مدينة بحرية ووقوعها عند المنافذ الجبلية الطبيعية المؤدية لمختلف الاتجاهات الأخرى في الداخل، وتحصيناتها الطبيعية بالجزر التي كانت أمامها وبجبل بوزريعة الذي يحميها من جهة الجنوب الغربي ووادي

---

[1] الدولة الموحدية: قاد محمد بن تومرت الدعوة الموحدية، وخلفه عبد المؤمن بن علي الكومي التلمساني الذي ينحدر من نسله أمراء الموحدين. امتد سلطانها على كل بلاد المغرب الإسلامي والأندلس حكمت من 525هـ/1130م إلى 668هـ/1269م. أنظر: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج. 2، ص. 3 ـ 4.

[2] الدولة الزيانية: تأسست في إقليم المغرب الأوسط وعاصمتها تلمسان. عمل حكامها بدءًا من يغمراسن بن زيان على توسيع حدودها غربا، وامتد نفوذه إلى مدينة وجدة، غير أن حدود الدولة الزيانية لم تكن ثابتة وذلك تبعا للظروف السياسية، حكمت من 633هـ/1226م إلى 962هـ/1554م. أنظر: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج. 2، ص. 141 ـ 142.

[3] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 129.

[4] حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج. 2، ط. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص.37.

الحراش الذي يحميها شرقا ثم موقعها عند سهل متيجة، كل هذا أهلها لتصبح عاصمة سياسية يصل سلطانها إلى الجهات الثلاث الشرق والغرب والجنوب[1].

عرفت مدينة الجزائر هجرة أندلسيّة مبكرة قبل سقوط غرناطة، ويبدو أن أول هجرة إليها جرت إثر سقوط سرقسطة[2] سنة 512هـ/1120م. فاستقر الأندلسيون في أعالي المدينة في المنطقة التي تسمى "حي الثغريين"[3]، ولا تزال الهضبة التي استوطنوها تحمل اسمهم إلى اليوم ويعود لهم الفضل الأكبر في القضاء على أحراش بوزريعة واستصلاح غابات المنطقة وخلال منتصف القرن 6هـ/12م سقطت ألمرية فهاجرها سكانها المسلمون وحطوا رحالهم في مدينة الجزائر واستقروا ببساتين تامنفوست[4] لقرب سهولها من المرافئ البحرية للجزر الشرقية[5].

أصبحت مدينة الجزائر في الفترة العثمانية مركزا للجهاد البحري ضد النصارى بقدوم عروج وخير الدين بربروسا، مما أعطاها الأفضلية في استقرار الأندلسيين بها على بقية المراكز الساحلية الأخرى[6]. وقد اختلفت التقديرات بالنسبة لعددهم في المدينة وتضاربت الإحصاءات. ويبدو أن أول تقييم لهم بالمدينة يعود إلى القرن 10هـ/16م إذ أحصى الأسير الإسباني هايدو عددهم بحوالي 1000[7] منزل أندلسي[8]، وفي القرن

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج. 1، ص. 169.

[2] سرقسطة: تقع في شمال شرق إسبانيا تطل على نهر إبرة.

[3] حي الثغريين: يقع حاليا بقرب فندق الأوراسي. أنظر: فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج.2، ص.63.

[4] تامنفوست: كلمة أمازيغية تعني الجهة اليمنى، يقع رأس تامنفوست على ساحل البحر المتوسط على بعد 25 كلم شرق مدينة الجزائر، بني فوقه برجا به بطاريات للمدفعية مخصصة للطلقات الشرفية للإنذار. أنظر: علي خلاصي، العمارة العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر، المتحف المركزي للجيش، الجزائر، 1985، ص. 105.

[5] محمد الأمين بلغيث، الأندلسيون وآثارهم بفحص الجزائر ومتيجة، نسخة إلكترونية، مدونتي الجامعية / المدونة البوعنانية، https://m. facebook. Com prmalik، ص. 7

[6] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 129.

[7] 1000 منزل = 4000 أندلسي، تستعمل الطريقة التخمينية التي تعتمد على الترجيح وتأخذ بعين الاعتبار أربعة أفراد للدار الواحدة. أنظر: جون وولف، الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص. 157.

[8] Haedo F. D.,Topographie et histoire générale d'Alger, trad. Monnereau et Berbrugger, édit. Bouchène, 1998, p.60.

11هـ/17م قدروا بحوالي 800 أندلسي[1]. وذكرت تقديرات أخرى أن عددهم يتراوح ما بين 12 ألف إلى 16 ألف أندلسي[2]، وهناك من يرى أنهم وفدوا إلى المدينة في عائلات كبيرة كبيرة بلغ عددهم حوالي 28000 أندلسي[3]. وقد تميزت سنوات 1019هـ و1078هـ و1081هـ/1610م و1667م و1670م بوصول عدد كبير منهم فاق 25000 أندلسي[4].

أجمع الباحثون رغم اختلافهم في عدد الأندلسيين الذين استقروا في مدينة الجزائر أن عدد سكان المدينة عرف نموا سريعا خلال القرن 10هـ/16م إلى غاية القرن 11هـ/17م بفضل قدومهم. واعتبروا أهم فئة من طبقة الحضر حيث شكلوا النسبة الكبيرة لها[5]، فقد فاق عدد الأندلسيين عدد الفئات الأخرى من الأتراك واليهود والأسرى المسيحيين[6]. وأدت هذه الزيادة الكبيرة في عدد الأندلسيين إلى تحويل قسم منهم إلى الأرياف المجاورة[7].

يحتمل أن يكونوا قد انقسموا إلى حضر المدينة وحضر الأرياف. ولقد حمّل متولي شرطة مدينة الجزائر مسؤولية المجاعة ونقص الأقوات للأندلسيين، وأمر بطردهم في ظرف ثلاثة أيام[8]، وفي سنة 1021هـ/1612م ابتعد بعض الأندلسيين عن المدينة فوجد بعضهم المأوى في المرتفعات أعلى القصبة[9].

[1] وليم سبنسير، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص. 54.

[2] Yacono X., Histoire de l’Algérie de la fin de la régence turque à l’insurrection de 1954, édit. l’atlanthrope, France, 1993, p. 22.

[3] جون وولف، المرجع السابق، ص. 157.

[4] ناصر الدين سعيدوني والمهدي الشيخ البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، ج. 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 98.

[5] عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700 ـ 1830 مقاربة اجتماعية ـ اقتصادية، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص. 22.

[6] Rozet M, Voyage dans la régence d’Alger, t 2, Paris, 1833, p. 53.

[7] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 132.

[8] نفسه، ص. 132.

[9] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص. 56.

توزّع الأندلسيون في مدينة الجزائر على عدّة أحياء أو حومات، فلا يمكن تعيين حي خاص بهم دون غيرهم داخل المدينة. خلاف ما وجد في تونس وكما ذكر سابقا فقد استقر الأندلسيون بالعاصمة التونسية وكوّنوا حيا خاصا بهم عرف ب " حومة الأندلس".

انتشر الأندلسيون في كافة أنحاء مدينة الجزائر التي كانت تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما:

ـ القسم السفلي المحاذي للبحر ويشمل القسم المسطّح من المدينة ويسمى " اللوطى". وهو بمثابة حي خاص بالأعمال التجارية، ففيه الشارع الذي يربط باب الوادي بباب عزون ووجود الميناء بالقرب منه. وقد تفرع هذا القسم إلى أحياء سكنية منها حي البحرية وحي باب الوادي وحي باب عزون.

ـ القسم العلوي وهو القصبة العليا والمسماة أيضا "بالجبل" وتتميز بمباني مكتظة، وهي المنطقة المفضّلة لإقامة الدايات وأصحاب المناصب في الدولة.[1]

يعتبر الجزء السفلي المركز أو القلب النابض لمدينة الجزائر حيث تم فيه تمركز وتجمّع المؤسسات الحيوية، إلا أن الأندلسيين توزعوا وتفرقوا في أماكن عديدة. ففضلوا الاستقرار في المراكز التجارية والأحياء ذات الفعاليات الاقتصادية وفي مقدمتها الأسواق لكونهم مارسوا عدّة حرف، كما أنهم استقروا حول المعالم الدينية كالزوايا والأضرحة والمساجد.[2] و لقد تم إحصاء 150 منزلا أندلسيا في المدينة من خلال عيّنة من الوثائق المحفوظة بالأرشيف الوطني بالجزائر والتي تعود إلى الفترة الممتدة من 1055هـ/1645م إلى 1247هـ/1831م وقد تشتت إقامات الأندلسيين داخل النسيج الحضري، إذ تمركزت النسبة الكبيرة لها المقدّرة ب 35% في محيط المباني الدينية كزاوية "أهل الأندلس" الّتي

---

[1] علي بن بلة، المشغولات الخشبية الفنّية بقصور قصبة مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، منشورات سيرتا للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص. 26 ـ 27.

[2] Missoum S., « Localisation de maisons de la communauté andalouse de la médina d’Alger » in environmen al design, XI th year, n° 13 – 14, 1993, p. 47.

أنشأوها سنة 1033هـ/1623م وكانت تضم مسجدا ومدرسة[1]، ثم تقل كثافتها حيث أن 12% انتشرت في الجنوب الغربي للمدينة، ونسبة 8% توزّعت في الأسواق كسوق الكتّان وسوق السّمن، أما بالنسبة للشمال الغربي فقد تمركزت حوالي 5% من باب الوادي إلى القصبة. واستقرت حوالي 10% في المحور المؤدي من باب عزون إلى باب الوادي وتمركزت أكثر من 13 % حول الجامعين الكبيرين الجامع الكبير السابق الذكر الَّذي كان مخصَّصا للمذهب المالكي والجامع الجديد وهو غير بعيد عنه خصص للأتراك المقيمين في الجزائر الذين يتبعون المذهب الحنفي، وقد أُنهي من بنائه سنة 1076هـ/1665م[2]. (الخريطة 06)

استقرت الكثير من العائلات الأندلسية في مدينة الجزائر، وقد حملت أغلبيتها أسماء عربية وأسماء المدن والأرياف الأندلسية التي انحدرت منها. وحملت عائلات أخرى ألقابا إسبانية صياغتها غريبة عن اللغة العربية خاصة الفئة التي هجرت بعد قرار الطرد[3]، و من بين أهم هذه العائلات يمكن ذكر:

ـ **العائلات ذات الألقاب العربية:** عائلة **بن فاضل** التي اشتغل بعض أفرادها بصياغة الحلي (المقايسية)، عائلة **بن فارس**، عائلة **بن عمار**، عائلة **بن عاشير**، عائلة **شملال** عائلة **الأمين**[4]؛ ويوجد فرع من هذه العائلة في مدينة فاس المغربية وهي مشهورة بالتجارة والعلم[5]، عائلة **الثغري**[6] التي توجد في مدينة تونس[7]، عائلة **القرطبي** نسبة إلى مدينة قرطبة، عائلة **الشاطبي** نسبة إلى مدينة شاطبة، عائلة **غَزْنَاوَط** و**بن غرنوط** نسبة إلى

---

[1] سنتحدث عن زاوية الأندلسيين بالتفصيل في الفصل الرابع.

[2] Missoum S., Op. Cit., p. 47.

[3] مهدية طيبي، مقاربة للوضع الإجتماعي والاقتصادي لأهل الأندلس بمدينة الجزائر القرن (17م/18م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008 ـ 2009، ص. 82.

[4] نفسه. ص. 78 ـ 79.

[5] محمد رزوق، المرجع السابق، ص. 311.

[6] مهدية طيبي، المرجع السابق، ص. 80

[7] Epalza M De., Op. Cit ., p. 155.

مدينة غرناطة[1]، وعائلة **رندة**[2] نسبة لمدينة رُندة[3] وقد استقر فرع من هذه العائلة في مدينة مدينة فاس المغربية[4]. وعائلة **بوضربة** الَّتي مارست التجارة فكانت تملك حوانيت داخل المدينة وجنائن بفحص تيليملي.[5] وعائلة **بوساحل** و**الآبلي** الَّتي اشتهرت بالتجارة كذلك[6].

كذلك[6].

ـ **العائلات ذات الألقاب الإسبانية:** عائلة **كُلاَطُو** التي احتكرت ثلاثة أنواع من الحرف الحدادة والعطارة والخياطة، عائلة **بوُنَاتِيرُو** الَّتي اشتهرت بصناعة الشواشي ومازالت موجودة إلى اليوم، عائلة **كَارْطَة** الَّتي كانت من العائلات الكبيرة ذات النفوذ بالمدينة وعائلة **الكميليو**[7] وعائلة **النّيقرو** التي اشتهر أفرادها بالعلم و الفقه، عائلة **بن الكبابطي**[8] الَّتي تخصّصت في صناعة الكَبُّوط، عائلة **بْلاَنْكو** التي اشتهر بعض أفرادها بالأعمال البحرية[9]. ويوجد فرع من هذه العائلة في العديد من المدن المغربية كسلا والرباط وفاس لكن تغير الاسم من بلانكو (blanco) إلى الأبيض والذي هو مجرد ترجمة لهذا اللقب الإسباني[10].

---

[1] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 70.

[2] مهدية طيبي، المرجع السابق، ص. 79.

[3] رُندَة: مدينة أندلسية تقع في جنوب إسبانيا، استولى عليها الإسبان سنة 890هـ/1485م.

[4] محمد رزوق، المرجع السابق، ص. 304.

[5] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، ص. 143.

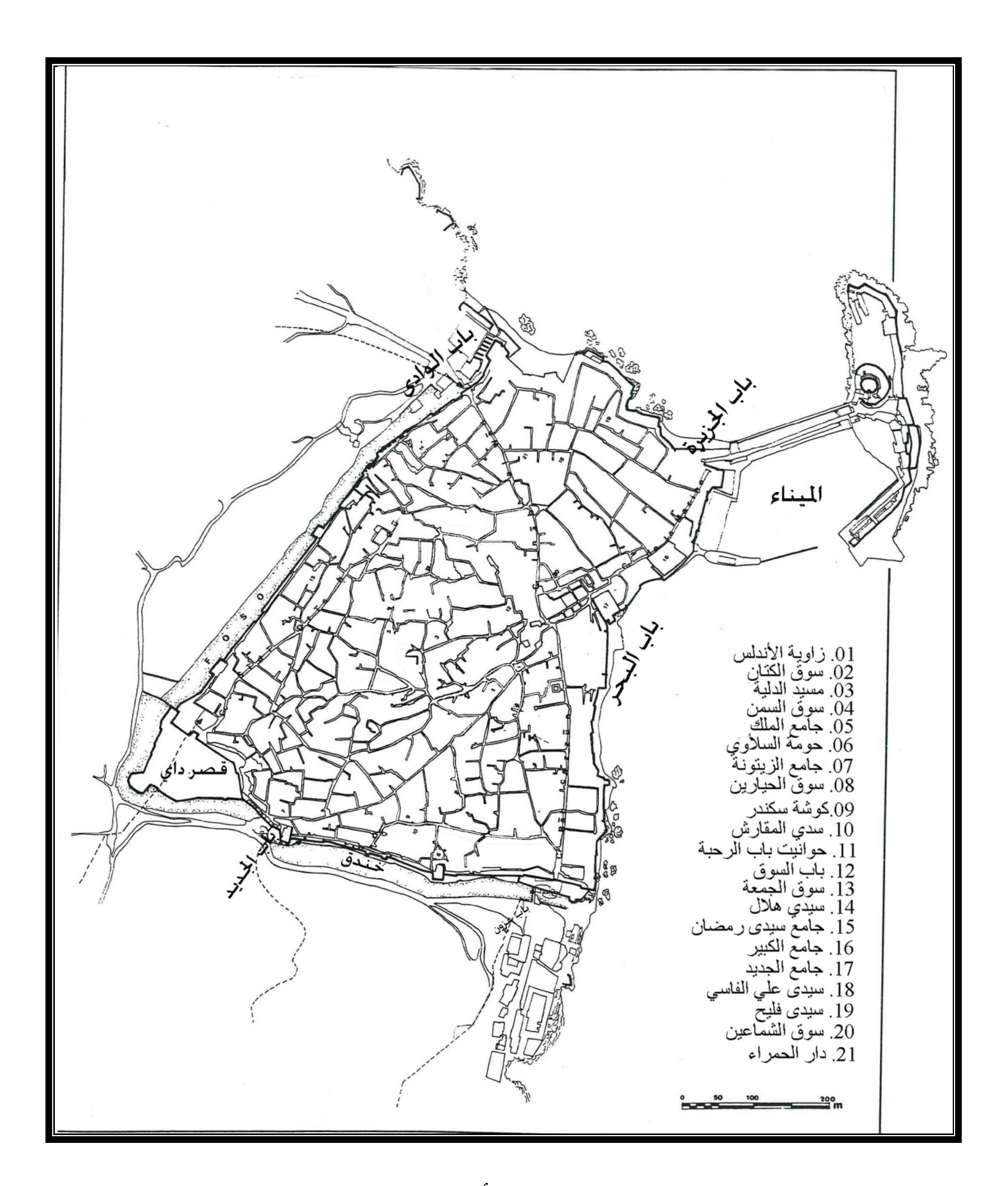
[6] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية ...، ص. 96.

[7] مهدية طيبي، المرجع السابق، ص. 84.

[8] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 68.

[9] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 138.

[10] محمد رزوق، المرجع السابق، ص. 304 .



الخريطة 06: مواقع تمركز الأندلسيين في مدينة الجزائر

عن: Missoum S (بتصرف)

2. البليـدة: تقـع مدينـة البليـدة علـى خـطّ عـرض $36,4^0$ شـمالا وخـطّ طـول $2,8^0$ إلـى الشرق من خطّ غرينتش، في الجنوب الغربي من مدينـة الجزائر وتبعد عنها بحوالي 50 كلم. تمتد من السفح الشمالي للأطلس التلي إلى الطريق الجنوبي لسهل متيجة بمحاذاة مدينة خزرونة القديمة.

تعتبر البليدة مدينة حديثة العهد لم يشر إليها الجغرافيون والمؤرخون الذين تحدثوا عن منطقة خزرونـة أو قزرونـة ومتيجـة[1]. فـالبكري قـال عنهمـا[2]:" مـن أشـير إلـى المديـة ومنها إلى قزرونة وهي مدينة على نهر كبير عليه الأرحاء والبساتين ويقال لها متيجة". وقد استقرت بسهول متيجة قبائل الثعالبة[3] وسيطروا على أراضيها خاصة النواحي القريبة من مدينة الجزائر[4].

لم تكن البليدة في سنة 871هـ/1515م سوى قرية تتكون من إحدى عشر مسكنا بسيطا في مكان يسمى حجار سيد علي، وكان يسكنها قبيلتان هما حجار سيد علي وأولاد سلطان. وفي هذه السنة نزل بها الأندلسي سيدي أحمد الكبير الذي قدم من غرناطة بعد سقوطها في أيدي الإسبان، وكانت وجهته الأولى مدينة فاس، ومنها شدّ رحيله إلى سواحل الجزائر وانتهى به المطاف في المكان الذي عرف فيما بعد بالبليدة حيث استقبلته قبيلة أولاد سلطان الَّتي كانت تملك أراضي شاسعة والَّتي ستقوم عليها المدينة فيما بعد[5]. وقد تزوج سيدي أحمد الكبير بامرأة من أولاد سلطان تدعى حنة وخلف ثلاثة ذكور هم:

---

[1] مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص. 171.

[2] عبيد الله البكري، المصدر السابق، ج. 2، ص. 732.

[3] الثعالبة: قبيلة عربية وهي فرع من المعقل والجعفري نسبة إلى جعفر بن أبي طالب، كانوا أمراء استقروا بمتيجة وضواحي مدينة الجزائر. ومن أشهر علمائهم عبد الرحمن الثعالبي. أنظر: أحمد التوفيق المدني، المرجع السابق، ص. 84.

[4] عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر، مج. 11، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1999، ص. 126.

[5] مصطفى بن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام، نموذج الجزائر في العهد العثماني، دار البشائر، دمشق، 1999م، ص. 217.

عبد العزيز وبلعباس ومبارك، وتوفي سنة 984هـ/1540م وبني له ضريح في ناحية سيدي الكبير ببلدية بوعرفة حاليا[1].

ارتبطت نشأة مدينة البليدة بقدوم عدد كبير من الأندلسيين إلى الجزائر استقدمهم خير الدين باشا، وقد تعرض البعض منهم إلى مضايقات شديدة من طرف قبائل جبل شنوة[2]. ولما سمع الشيخ سيدي أحمد الكبير الذي عُرف بورعه وتقواه وزهده، بما يحدث للأندلسيين وأبناء وطنه طلب العون من أعيان قبيلة أولاد سلطان لإقامة المهاجرين الأندلسيين، فوضعوا كل أراضيهم تحت تصرّفه لينالوا بركته باعتباره وليّا صالحا. وقد اكتفى الشيخ بقطعة قريبة من مقامه ليستقر الأندلسيون على مقربة منه بالضفة اليمنى من وادي الرمان الذي عرف كذلك باسم وادي سيدي أحمد الكبير الأندلسي. وبعد زمن قصير أصبح لكل عائلة أندلسية مسكنا بسيطا وبستانا يرد إليه الماء من هذا الوادي [3].

رغم غياب الكثير من التفاصيل عن كيفية تقسيم الأراضي وتوزيعها وأسلوب البناء فإن توسيع المدينة كان باتجاه الشمال حيث توجد ديار حجار سيدي علي، وأخذ هذا التوسّع شكل يد مفتوحة وأصابع متباعدة تمثل شوارعها المنطلقة من نقطة واحدة، وذلك راجع لأصل نشأتها الزراعية وارتباطها بنظام الري الذي طوّره الأندلسيون من خلال أعمال التحويل التي أجروها على وادي سيدي أحمد الكبير[4]. (الشكل 01)

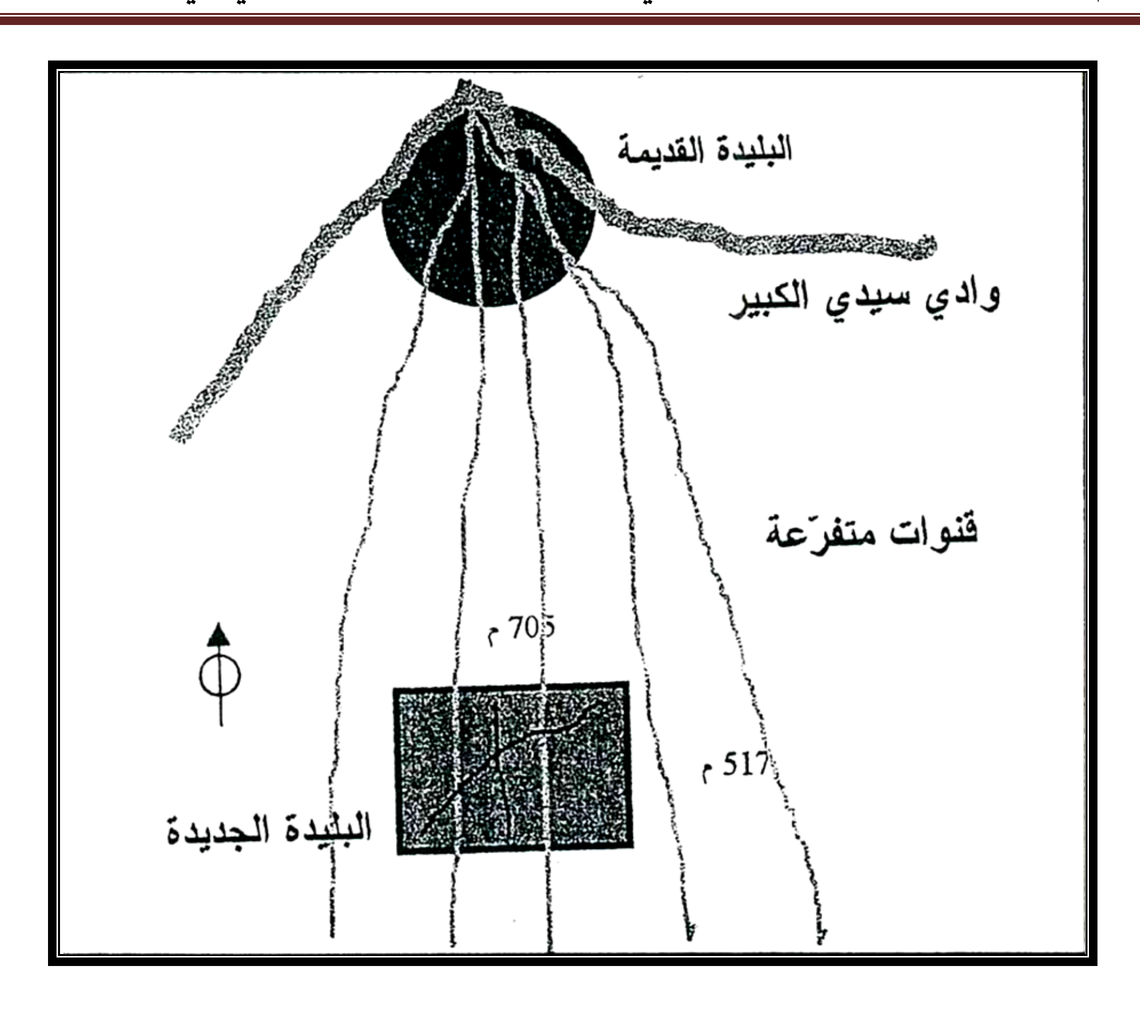
---

[1] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص. 266 ـ 267.

[2] جبل شنوة: تبلغ قمته حوالي 904 كلم شكله يمثل إمرأة حامل نائمة، وهو غير بعيد عن ولاية تيبازة . يضم عدة قرى ومداشير منها البلج وشنوة الشاطئ والناظور ومرابط. أنظر: Leveau Ph., « Chenoua » in E.B, XII, 1993, p. 1895.

[3] Trumelet C., Blida récit selon légende, la tradition, et l'histoire, t. 1, Alger, 1887, p. 573 – 574.

[4] مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص. 253.



الشكل 01: موقع مدينة البليدة القديمة والبليدة الجديدة

عن: مصطفى بن حموش.

أرست القواعد الأولى لمعالم مدينة البليدة في سنة 942هـ/1535م، إثر زيارة خير الدين باشا إليها، وكان آنذاك حاكما للجزائر، فقدّم لهم إعانة مالية للبناء والتعمير. قاصدا بذلك تثبيت الوجود العثماني بهذه المنطقة وتمثيل السلطة العثمانية أمام القبائل المحلية[1]. وعلى نفقة خير الدين الخاصة تمَ إنجازُ مسجدٍ وقد عُرف بمسجد سيدي أحمد الكبير وفرنٍ متواضعٍ وحمامٍ. وأنشأ الأندلسيون وسكان قبيلتي أولاد سيدي حجار وأولاد سلطان حول هذه المنشآت الثلاث مساكنهم، وكان هذا الإنشاء عاملا مهمّا في استقرار الأندلسيين في هذه المنطقة وتآلفهم مع السكان المحليين وتقوية العلاقات فيما بينهم

[1] مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص. 252.

وبالتالي كوّنوا النواة الأولى لملامح مدينة البليدة. ولم يستغرق هذا البناء سوى عام واحد خاصة أن الأندلسيين كانوا ماهرين في البناء[1].

استقر الأندلسيون في بادئ الأمر في المنطقة الجنوبية للضفة اليمنى لوادي سيدي الكبير وفي مطلع القرن 11هـ/17م أصبحت مقرا مفضلا للعديد من الأسر الأندلسية حتى بعد التحاق جماعات أخرى بهم كالأتراك والكراغلة وبعض قبائل متيجة والأطلس البليدي، إلا أن الأندلسيين ظلّوا يشكلون نسبة كبيرة من السكان لا يقل عن النصف مما دفعهم بالنزوح نحو غرب المدينة[2]. (الشكل 02)

حضي أحفاد سيدي أحمد الكبير باحترام كبير من قبل سكان البليدة، وما زالوا معروفين ومقدّرين في محيطهم الاجتماعي. وإن انشطرت ألقابهم العائلية خلال الحقبة الاستعمارية ومن بين هذه العائلات:

ـ عائلة **العْرُوسي** التي تتكفّل لحد الآن بعناية ضريح سيدي أحمد الكبير[3].

ـ عائلة **مَغْربي** أو **بن مَغْربي** المعروفة.

ـ عائلة **لَميتي** المنتشرة في البليدة وبني مَراد، وعائلة **نياتي** التي يوجد لها فرع في مدينة مليانة وآخر في مدينة مازونة، وعائلة **عاشور**[4] التي يوجد لها فرع في مدينة الجزائر.

أما بخصوص العائلات الأندلسية الأخرى غير المنحدرة من سيدي أحمد الكبير:

ـ عائلة **رندي** التي يعود أصلها إلى مدينة رُندة، واستقر فرع من هذه العائلة تحت اسم رندة في مدينة الجزائر وفي مدينة الرباط كما سبق ذكره، وعائلة **رَمُولْ**.

ـ عائلة **قرطبي** التي لها فرع في مدينة الجزائر، وعائلة **ابن زِكْرِي** وعائلة **ابن زَكُور**[5].

---

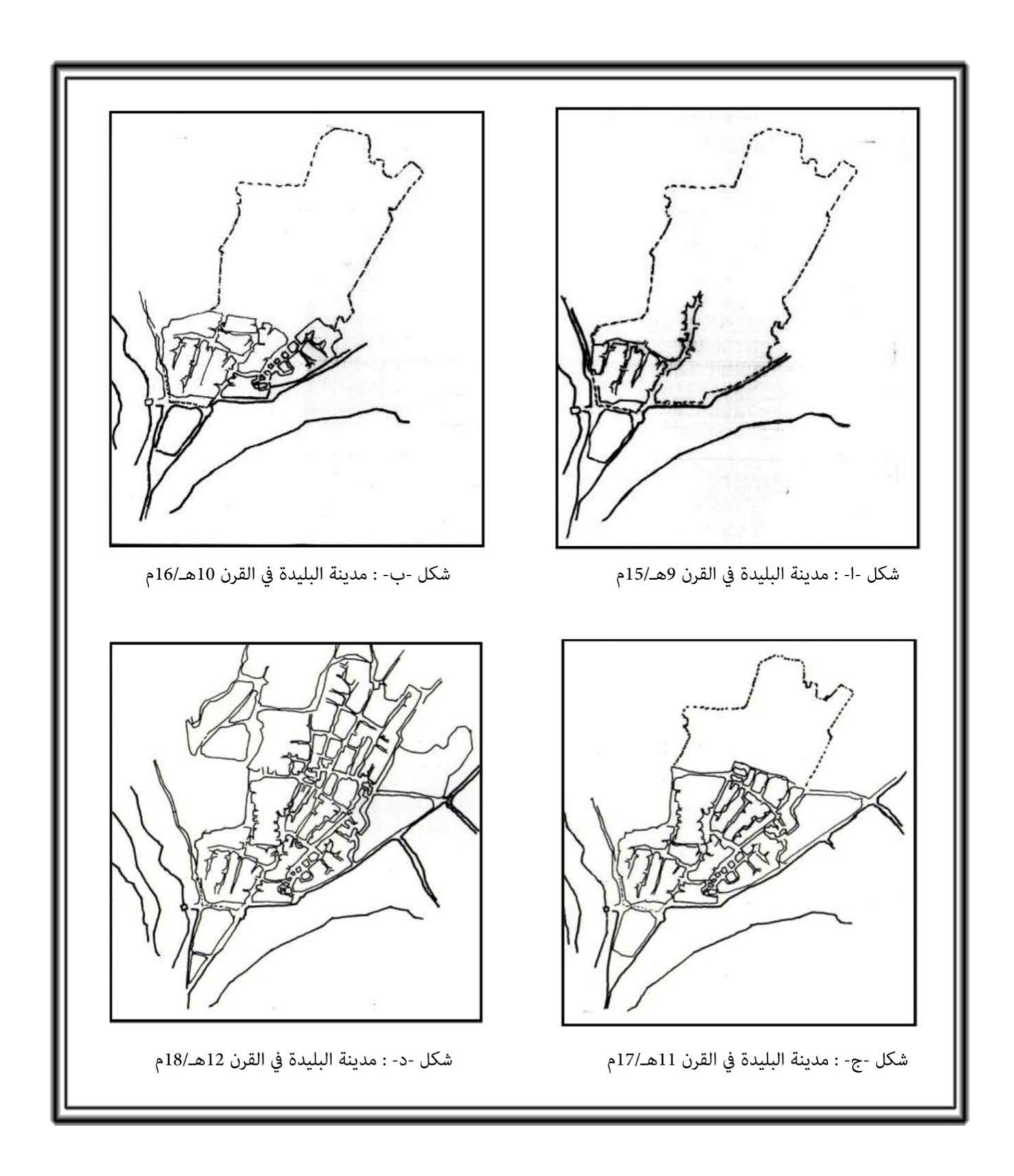
[1] Trumelet C., Op. Cit, t. 1, p. 585 – 586.

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية ...، ص. 47.

[3] سعاد بن شامة، المنشآت المعمارية الأثرية بمدينة البليدة في العهد العثماني، (المساجد ـ الأضرحة ـ المساكن ـ الحمامات) ـ دراسة معمارية أثرية ـ رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008 ـ 2009، ص. 115.

[4] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 141.

[5] نفسه، ص. 142.



الشكل 02: تطور عمران مدينة البليدة من القرن 9هـ/15م إلى القرن 12هـ/18م

عن: سعاد بوشامة.

3. شرشال وبرشك: تقع شرشال فلكيا بين 2,10 شرق خطّ غرينتش و3,35 شمال خطّ الاستواء وموقعها محصور بين 4053 و4041 شمال جنوب، و432 و423 شرق

غرب[1]. وهي على بعد 120كلم غرب مدينة الجزائر، بنيت شرشال الإسلامية على أنقاض المدينة الرومانية القيصرية، فوق هضبة مرتفعة يطوّقها البحر من الجهة الشمالية. وتحتضنها سلسلة من القمم الجبلية من الناحية الجنوبية فتميّز موقعها بحصانة طبيعية[2].

اضمحلت مدينة شرشال وانكمش عمرانها وتناقص عدد سكانها نتيجة الحروب القائمة بين أمراء تلمسان الزيانيين وأمراء تونس الحفصيين[3]، فهاجرها أهلها وبقيت خالية من السكان زهاء ثلاثة قرون. وبعد سقوط غرناطة وفدت إليها هجرة مكثفة من الأندلسيين فقصدها ما لا يقل عن إثنى عشر ألف أندلسي غرناطي ومعهم جماعات من بلنسية والأرغون[4]. وقد أشار البحار التركي بيري ريس إلى شرشال قائلا[5]:

[1] محفوظ بوطبة، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007 ـ 2008، ص. 20.

[2] Shaw Th., Voyage dans la régence d’Alger ou description géographique, physique, philologique de cet état, trad. Mac. Carthy, Paris, 1830, p. 266.

[3] الدولة الحفصية: حكمت في الفترة الممتدّة من 626هـ/1228م إلى 981هـ/1574م.

[4] ناصر الدين سعيدون، دراسات أندلسية...، ص. 48.

[5] بيري ريس، كتاب البحرية، آيا صوفيا، CD1553، 1535 N°، ورقة 217.

الترجمة: من قلعة برشك إلى شرشال هناك حوالي 20 ميلا باتجاه الشرق الشمالي. فيما مضى كانت شرشال مدينة كبيرة، لكنها تهدمت فيما بعد ولم يبق منها الآن إلا بعض البنايات. وعندما استولى الكافرون على غرناطة أعطوا الأمان، وهجر سكانها المسلمون إلى البلدان العربية، فعمّر الأندلسيون قلعة شرشال وحوّلوها من مدينة منهارة إلى قاعدة بحرية[1]. (الخريطة 07)

جدّد الأندلسيون مختلف هياكل ومرافق مدينة شرشال، حيث يصفها حسن الوزان لما زارها في النصف الأول من القرن 10 هـ/16م قائلا[2]:" ...وكان جزء منها كثير السكان أيام المسلمين، وذلك طوال مدة تقرب من خمسمائة عام، ثم هجرت أثناء الحروب القائمة بين ملوك تلمسان وتونس، وبقيت خالية من السكان زهاء ثلاثمائة سنة حتى سقوط غرناطة في أيدي المسيحيين، فقصدها الغرناطيون إذ ذاك وأعادوا بناء عدد مهم من دورها، وجددوا القلعة ووزعوا الأراضي بينهم، ثم صنعوا كثيرا من السفن للملاحة، واشتغلوا بصناعة الحرير إذ وجدوا هنالك كمية لا تحصى من أشجار التوت الأبيض والأسود. فعاشوا في رخاء دائم حتى أصبحوا يسكنون في مائتين وألف بيت". وأكد مارمول الذي زار المدينة في النصف الثاني من القرن 10ه/16م حقيقة ما قاله حسن الوزان عن شرشال ودور الأندلسيين فيها إذ يذكر[3]: " ...إلى أن جاز عدد الأندلسيين إلى إفريقيا فقام بعضهم يعيد بناء القلعة والدور التي رأوا فائدة في إصلاحها. وشيئا فشيئا قام العمران بهذا السهل على أيدي المدجنين ومسلمي الأندلس، حتى صارت لهم الأراضي المزروعة الممتدة وأشجار كثيرة من الكروم والزيتون، كما قاموا بغرس عدد من أشجار التوت تقتات منها دودة القز، وصار الحرير أهم مواردهم لأن البلد طيب لمثل هذا النشاط حتى إنك تجد اليوم بهذه المدينة أكثر من خمسة آلاف دار".

---

[1] Mantran R., « La description des côtes de l'Algérie dans le kitab –i Bahriye de Peri Reis » in R. O. M. M, n° 15 – 16, 1973, p. 162.

[2] حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص. 34.

[3] كربخال مارمول، إفريقيا، ترجمة: محمد حجّي وآخرون، ج. 2 ، مكتبة المعارف، الرباط، 1989، ص. 356.

يُستنتج من كلام الوزان ومارمول أن مدينة شرشال من بين المدن الأولى والهامة التي استوطنها الأندلسيون مباشرة بعد سقوط غرناطة، وقد أعادوا إحياءها بعدما أصابها الاضمحلال، فنهضوا بعمرانها وطوّروا زراعتها وصناعاتها وساهموا في إنتاج مادة الحرير ذات الجودة العالية. كما اتخذوا شرشال قاعدة لهم لمحاربة والانتقام من الإسبان حيث أنشئوا معملا لصناعة الأخشاب وبناء السفن التي كانت تعتمد على غابات الونشريس[1].

استقر الأندلسيون في الحي العتيق الذي يسمي "عين القصيبة" واشتقت هذه التسيمة من ينبوع ماء استعان السكان بقصبة مجوفة لاستخراج مائه لتسهيل ملء الدلاء. والقصيبة هي تصغير لكلمة قصبة، وهي عادة أندلسية في تصغير الأشياء والأسماء ولقد قام الأندلسيون ببناء حي القصيبة في نهاية القرن 9هـ/15م وتحديدا في سنة 902هـ/1496م، وقاموا ببناء سور المدينة الذي يحيطها من كل الجهات،[2] وقد استغل الأندلسيون وجود قلعة قديمة قائمة على صخرة كانت تسمى "بلاط الحكام" فأعادوا بناءها وتجديدها[3]. (الشكل 03)

بقي الأندلسيون يتدفقون على شرشال ولما ضاقت بهم، انتشروا بضواحيها في بلدات صغيرة على مرتفعات جبال الشّنوة في منطقة تيبازة حاليا، كبلدة الدَّاموس التي تعني "المنطقة المظلمة"[4] ويتشابه اسمها مع بلدة صغيرة في شرق الأندلس معروفة باسم "دايموس"[5].

تعتبر العائلات الأندلسية التي استقرت بشرشال خليط من أهل غرناطة وبلنسية وقشتالة وأراغون، ومن بين هذه العائلات التي ما زال نسلها إلى اليوم:

---

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص. 204.

[2] محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص. 120.

[3] هاينرتيس فونمالتسان، ثلاث سنوات إقامة في شمال غرب إفريقيا، ترجمة: أبو العيد دودو، ج. 1، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1973، ص. 168.

[4] Shaw Th., Op. Cit, p. 266.

[5] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 160 ـ 161.

ـ عائلة **مروان** نسبة للولي الصالح سيدي مروان البحري الأندلسي[1].

ـ عائلة **يوسفي** التي قد تكون جاءت من الأندلس في القرن 10 هـ/16م واستقرت في شرشال، وبعد ذلك انتشرت هذه العائلة في المناطق القريبة منها كتيبازة.

ـ عائلة **الطويل** التي تنسب إلى أعيان غرناطة في عهد بني الأحمر[2].



الشكل 03: تحصين عين القصيبة

عن: محفوظ بوطبة (بتصرف).

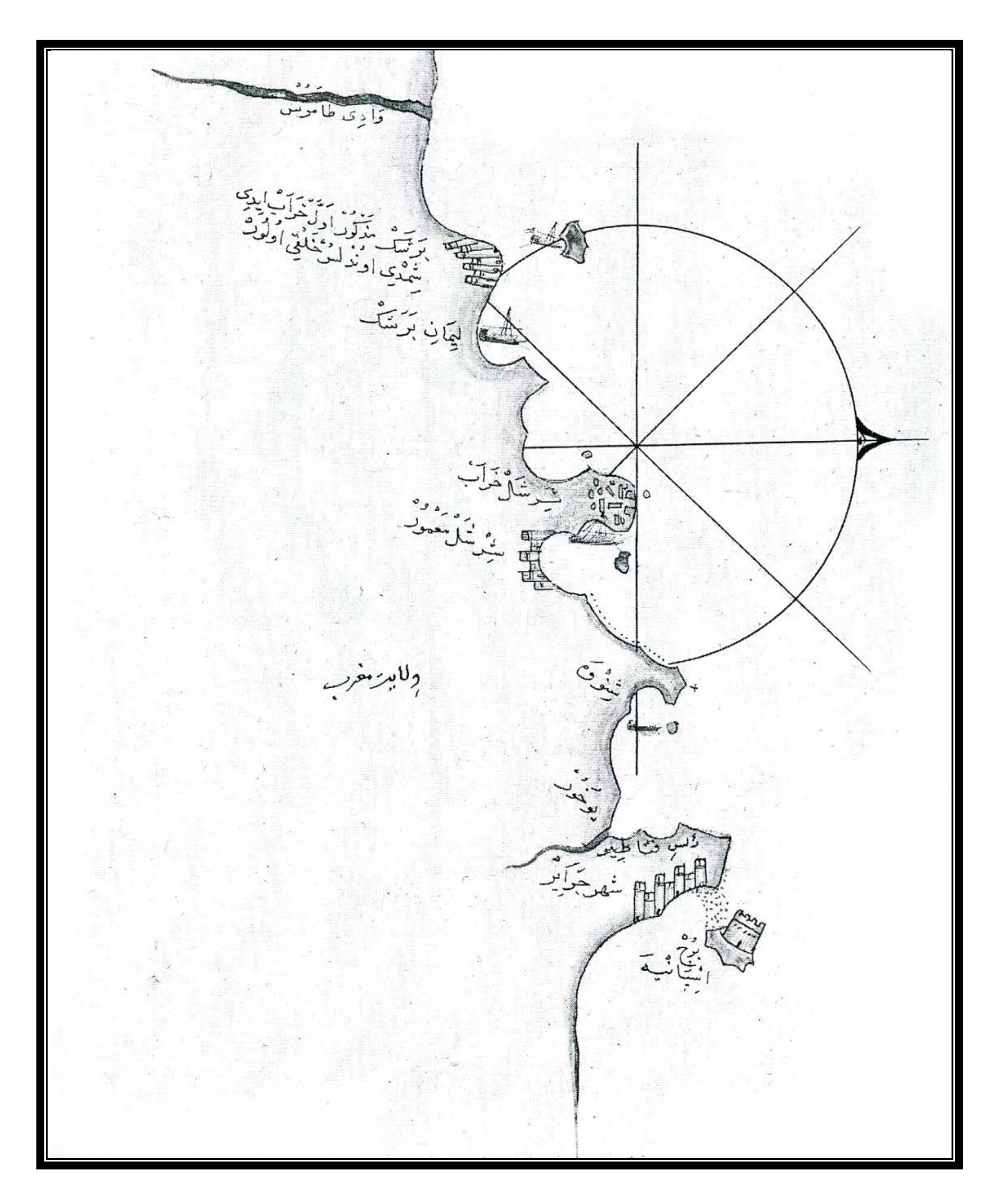
---

[1] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 159.

[2] نفسه، ص. 160.

أما برشك فهي مدينة صغيرة بناها الرومان تقع بين مدينتي تنس وشرشال في المكان المسمّى اليوم

ساهم الأندلسيون في إعادة بناء برشك وتعميرها وأصبحت في القرن 10هـ/16م تضم العديد من البيوت داخل أسوارها الّتي يبلغ طولها حوالي 3 كلم. واشتغل معظمهم بالزراعة لامتلاكهم الأراضي التي استثمروا فيها أموالهم، وكانوا ماهرين في حياكة الأقمشة وصنع الكتان[1].



الخريطة 07: موقع مدينتي شرشال وبرشك

عن: بيري ريس.

[1] أندري برنيان وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة: رابح سطمبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1984، ص. 164.

4. القليعة: تقع مدينة القليعة بين خطي عرض 36^0 و38^0 شمالا وخطي طول 2^0 و48^0 شرقا على مسافة 42 كلم جنوب غرب مدينة الجزائر على مرتفعات ساحل البحر على ربوة مرتفعة من الأرض، وتطلّ على سهول متيجة الخصبة. يجري داخل المدينة في جنوبها الشرقي وادي عميق ومتعرّج هو وادي مزفران الَّذي يعدّ موردها المائي الرئيسي وقد أطلق عليه كناية اسم"عنق الجمل"[1]. ينحدر هذا الوادي من جبال الأطلس المتيجي ويشق طريقه من خلال الحافة الساحلية التي تفصل البحر عن متيجة[2].

تعتبر مدينة القليعة من المدن الأندلسية الخالصة التي ظلت تحافظ على طابعها الأندلسي الأصيل منذ أن أنشأها حسن باشا سنة 975هـ/1550م على ضفاف وادي مزافران[3]؛ ويبدو أن سبب اختيار هذا الموقع كان لهدف سياسي وإداري يتمثل في إيواء المهاجرين الأندلسيين وتمديد نفوذ حسن باشا نحو المدن الأخرى كشرشال وتنس، وركيزة لسلطانه في هذه المنطقة لمواجهة القبائل البربرية بجبال شنوة التي كانت تتحرّش بالأندلسيين منذ استقرارهم في هاتين المدينتين[4].

أقام الأندلسيون في المدينة الجديدة وأطلقوا عليها اسم "القُلْيعَة" وفق التقليد الأندلسي في استخدام صيغة التصغير في الأسماء التي شاعت في مدن شمال الجزائر[5] سكنها حوالي 1200 أندلسيا جاءوا من قشتالة وغرناطة وبلنسية[6]، ويبدو أن المركز

[1] مريم سيد علي مبارك ، مدينة القليعة عنق الجمل، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص. 12.

[2] عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر طبيعية ـ بشرية ـ اقتصادية، المطبعة العربية، الجزائر، 1967، ص. 65.

[3] كربخال مارمول، المصدر السابق، ج. 2، ص. 362 .

[4] مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص. 251.

[5] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 143.

[6] كربخال مارمول، المصدر السابق، ج. 2، ص. 362 .

العمراني الأول للقليعة كان في الجهة الجنوبية للمدينة الحالية في المكان المسمى عنق الجمل[1].

يبدو أن نشأة مدينة القليعة عبارة عن قرية صغيرة، وانطلق عمرانها من الأنشطة الزراعية، فشوارعها المنحدرة والمتعامدة مع الخطوط الطبوغرافية توحي بكون القسائم الأرضية كانت تستعمل للزراعة قبل أن تتحول إلى مساكن. وأقيمت على حواف هذه الشوارع سواقي أملاها نظام التوزيع المائي[2]. (الشكل 04)

انصرف الأندلسيون بالدرجة الأولى إلى الزراعة لخصوبة الأراضي وتوفّر المياه العذبة الصافية، واشتغلوا بصنائع وحرف مختلفة أهمها تربية دودة القز التي كانوا يكسبون من ورائها ثروات طائلة[3]. وقد توسّع عمران القليعة بعد أن توافدت إليها جماعات أندلسية أخرى وأصبحت المدينة في مستهل القرن 11هـ/17م تضم ما لا يقل عن خمسة آلاف منزلا وزاد عدد سكانها عن الثلاثين ألف[4]. واستفادت السلطة المركزية في مدينة الجزائر من نمو وازدهار القليعة لأنها أصبحت مركزا هاما لدار السلطان يساعد على فرض الطاعة على بعض قبائل المنطقة[5].

حافظت بعض العائلات القليعة على أصولها الأندلسية، ولعل أهمّها هي:
ـ عائلة **قَسْطَالِي** المشتق على الظن من مدينة قشتالة، وعائلة **آل غَرْنَاوْطي** نسبة إلى غرناطة.[6] وقد سميت الكثير من العائلات الأندلسية بهذا الاسم حيث وجد في المدن

---

[1] بن شامة سعاد، المعالم الأثرية في مدن الوسط الجزائري شرشال . البليدة ـ القليعة ومظاهر التمدن الأندلسي، دراسة وصفية تحليلية ـ أنموذجية ـ أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، معهد علم الآثار، جامعة الجزائر 2، 2014 ـ 2015 ، ص. 53.

[2] مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص. 251.

[3] كربخال مارمول، المصدر السابق، ج.2، ص. 362.

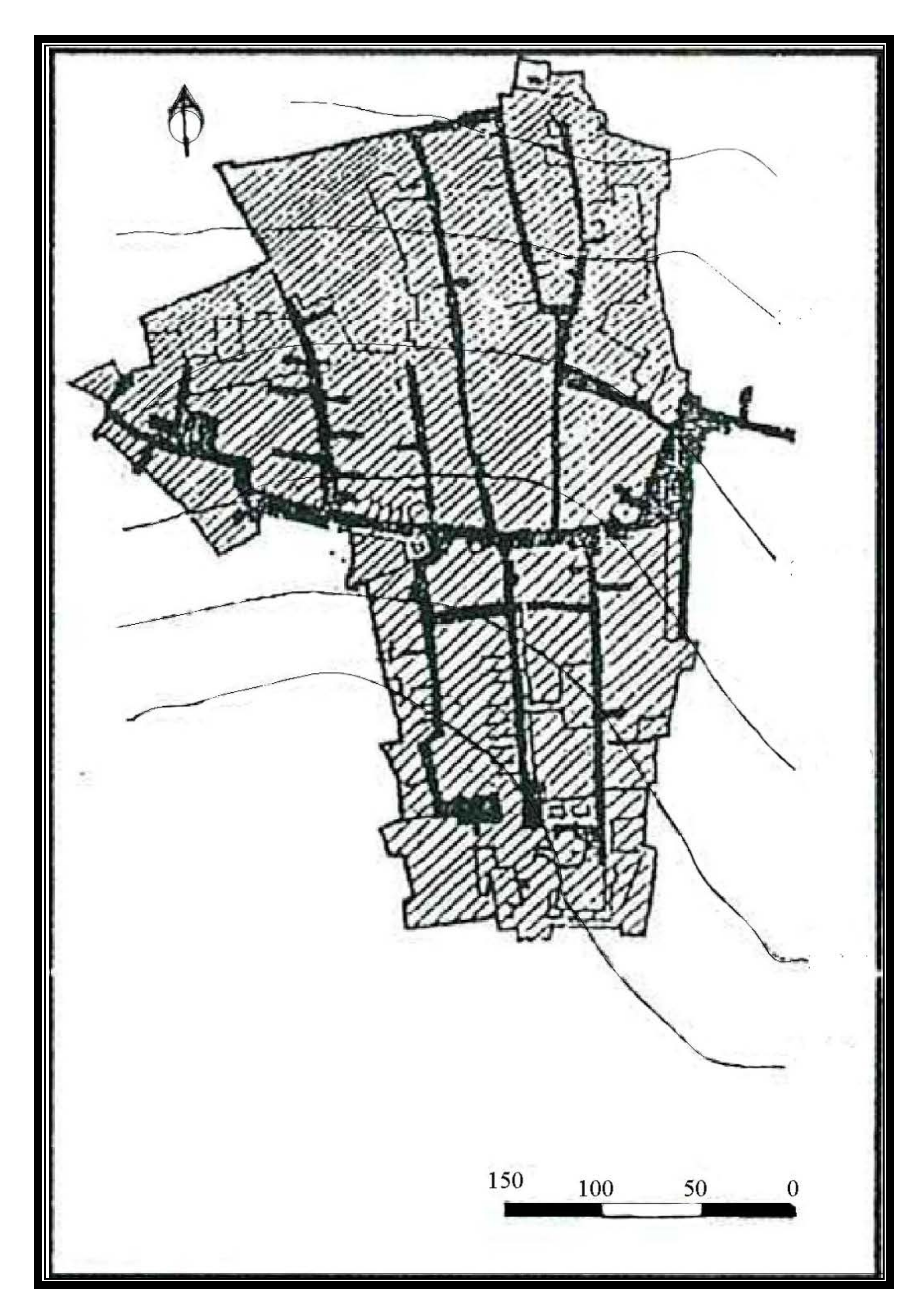
[4] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 48.

[5] مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص. 251.

[6] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 149.

المغربية كمكناس[1] وتطوان[2].

ـ عائلة **بُونَاتِيرو** التي لها فرع في مدينة الجزائر وعائلة **السُّمَاتي**[3].



الشكل 04: تخطيط عام لمدينة القليعة

عن : مصطفى بن حموش. (بتصرف).

---

[1] محمد رزوق، المرجع السابق، ص. 318.

[2] نفسه، ص. 323.

[3] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 150.

5. مليانـة وتـنس: تقع مدينـة مليانـة فلكيا بين خطـي طول 0^0 و7′ غربا وخطـي عرضـي 36^0 و19′ شمالا خط الاستواء. وتتمتع بموقع جغرافي متميّز وذلك في سلسلة الأطلس التلي على سفح جبل زكار الغربي على ارتفاع 720م عن سطح البحر، وهي على بعد 9 كلم من الطريق الوطني الذي يربط بين الشرق والغرب تبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 110 كلم[1].

تعتبر مليانة مدينة قديمة أنشأها الرومان[2] لكنها برزت في العهد الإسلامي، عندما ظهرت الدولة الفاطمية[3] أواخر القرن 3هـ/10م. فشرعت في تأسيس المدن فأنشأ ممثلها زيري بن مناد[4] مدينة أشير جنوب المدية في أوائل القرن 4 هـ/10م. ثم طلب من ابنه بلكين تأسيس مدينتي المدية ومليانة فأسسهما عام 355هـ/966م. و قد عرفت هذه الأخيرة ازدهارا مرموقا في الزراعة والتجارة والعمران[5].

دخلت مليانة ما بين سنتي 922هـ و923هـ/1516م و1517م تحت النفوذ التركي وألحقها حسن بن خير الدين عام 1565م ببايلك التيطري. ثم صارت بعد ذلك تابعة لبايلك الغرب عندما كانت عاصمته مازونة، وعندما أعيد تنظيم الإيالة إداريا أصبحت تابعة لدار السلطان وتحت حكم الباشا مباشرة[6].

شكّل الأندلسيون والأتراك والكراغلة طبقة الحضر، وكانت هذه الطبقة متميزة تسكن الإقامات الجميلة والفاخرة بحيث تبلط الأرضية بالرخام والأعمدة التي تسند شرفات الطابق الأول في غاية الجمال. وينطبق هذا الكلام مع وصف حسن الوزان لمليانة عندما زارها

---

[1] ودان بوغوفالة، أوقاف مليانة والمدية في العهد العثماني، دراسة في النشاط الاقتصادي والبنية الاجتماعية والحياة الثقافية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2006 ـ 2007، ص. 71.

[2] حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص. 34.

[3] الدولة الفاطمية: حكمت في بلاد المغرب الإسلامي في الفترة الممتدة من 297هـ/909م إلى 322هـ/933م.

[4] زيري بن مناد: يعتبر المؤسس الفعلي للدولة الزيرية حكم في الفترة الممتدة من 361هـ/972م إلى 405هـ/1014م.

[5] مولاي بلحميسي، "مدينة مليانة عبر العصور"، مجلة الأصالة، ع. 8، 1972م، ص. 143.

[6] نفسه، ص. 147.

في منتصف القرن 10 هـ/16م[1]: " ولمليانة دور متقنة الصنع، في داخلها كلها سقايات جميلة يكاد يكون سكانها كلهم صنّاعا، نساجين أو خراطين، ويصنع هؤلاء أواني من خشب في غاية الحسن". نفس الشيء قاله مارمول[2]: " دُورُها معتبرة تتوفر على عدد من الينابيع ومعظمهم من صنّاع الجوخ والسروج على طريقة المغاربة، ومن سكانها خراطون يصنعون أوعية خشبية للشراب، يقبل الناس على اقتنائها، وتحيط بالمدينة بساتين شاسعة بها أحسن ما في بلاد البربر من أشجار الليمون، تنمو بها أيضا أشجار البرتقال التي تعطي ثمارا جيدة تحمل لبيعها في تنس وغيرها من المدن".

طوّر الأندلسيون الزراعة وجلبوا معهم غرس أشجار الليمون والبرتقال والرمان أيضا، وهم كذلك من بنوا الدور الجميلة لمهارتهم في البناء. استقر الأندلسيون داخل المدينة وكانوا يعيشون بأعداد كبيرة وامتلكوا الدور والجنائن والدليل على ذلك وجود أوقاف خاصة بهم مثلما يظهر في وقف لأحد الأندلسيين لدار وجنينة بمليانة على الحرمين الشريفين، كما نزح بعض الأندلسيين خارج المدينة في فحوصها التي كانت تمتد جنوبا إلى جبل زكار وضمت سبعة فحوص، فحص العناصر وفحص حروشة وفحص برقوق وفحص الفج وفحص زقالة وفحص بويطان وفحص سوفاي[3]. واحتوت على منابع للمياه وحقول للبقوليات وأشجار اللوز والزيتون والكروم، فقد حبس الأندلسي المدعو علي طوليض بستانه بفحص حروشة قرب مليانة على الحرمين الشريفين[4].

استقرت عائلات أندلسية في مليانة ومن بينها:

ـ عائلة **طوليض**، هذا الاسم هو صيغة معربة لكلمة "طوليظانو" الإسبانية حيث ينطبق حرف "D » في اللغة الإسبانية بشكل يجعله أقرب إلى حرف "ظ". ويعود أصول هذه العائلة إلى مدينة طليطلة التي تلفظ بطوليظو (Toledo) في إسبانيا[5].

[1] حسن الوزان، المصدر السابق،ج. 2، ص. 35.

[2] كربخال مارمول، المصدر السابق، ج.2، ص. 360.

[3] ودان بوغوفالة، المرجع السابق ص. 154 ـ 155.

[4] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 91.

[5] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 144.

أما مدينة تنس فهي تقع بين خطي طول1^0 و$19'$ شرقا وعرض 36^0 و$31'$ شمالا على منحدر جبل الظهرة على مسافة قريبة من البحر، وهي محصورة من الجنوب إلى الشمال الغربي بوادي علالة[1]. وكانت من قبل مستودعا تجاريا أقام الرومان مكانه مدينة " كارطيناس" . ومنها جاء الاسم المتداول حتى اليوم تنس[2]. (الخريطة 08)

قامت جماعة من البحارين الأندلسيين بتأسيس مدينة تنس سنة 262هـ/875م فوق ربوة وكانوا يترددون إليها ويشتون بها، وسكنها فريقان من أهل تدمير وألبيرة[3]؛ ولما حلّ فصل الربيع ظهر لهم أن المكان غير صحّي وتكثر به الأوبئة والأمراض، فركب بعض الأندلسيين مراكبهم وقصدوا بجاية فنزلوا بها. أما الباقون فقد انضمّ إليهم البربر وطلبوا منهم الإقامة معهم، فرحب بهم الأندلسيون وسمحوا لهم بإقامة المنازل وامتلاك الأراضي وتعاون الجميع على البناء وتعمير المدينة وأقاموا الحصن الذي بقي إلى اليوم[4].

شهدت تنس في سنة 920هـ/1514م قدوم لاجئين أندلسيين، وكانت في هذه الفترة خاضعة للأمير أبي زيان السعيد يحي الثابتي[5] الذي استبد بها تحت حماية إسبانية، وفي وفي سنة 923هـ /1517م سار إليها عروج وأخوه خير الدين على رأس جيش مؤلف من ألف تركي وفِرَق من المجاهدين الأندلسيين فاستولوا عليها[6].

عمّر الأندلسيون مدينة تنس وكانوا سببا في ازدهار الحركة الصناعية، فساهموا في صناعة الجلود وتحضيرها على الشواطئ لبيعها لتجار أوربا[7]. كما كانوا مولوعون

[1] Ben cheneb H., « Tanas » in E.I.,t. X, E. J. Brill, Leiden, G.- P Maisonneuve et Larose,, Paris, 1993, p.193.

[2] حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص. 35.

[3] عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص. 726.

[4] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر...، ج.1، ص. 250.

[5] أبو زيان السعيد يحي الثابتي: هو ابن أخ السلطان الزياني أبو حمو الثالث.

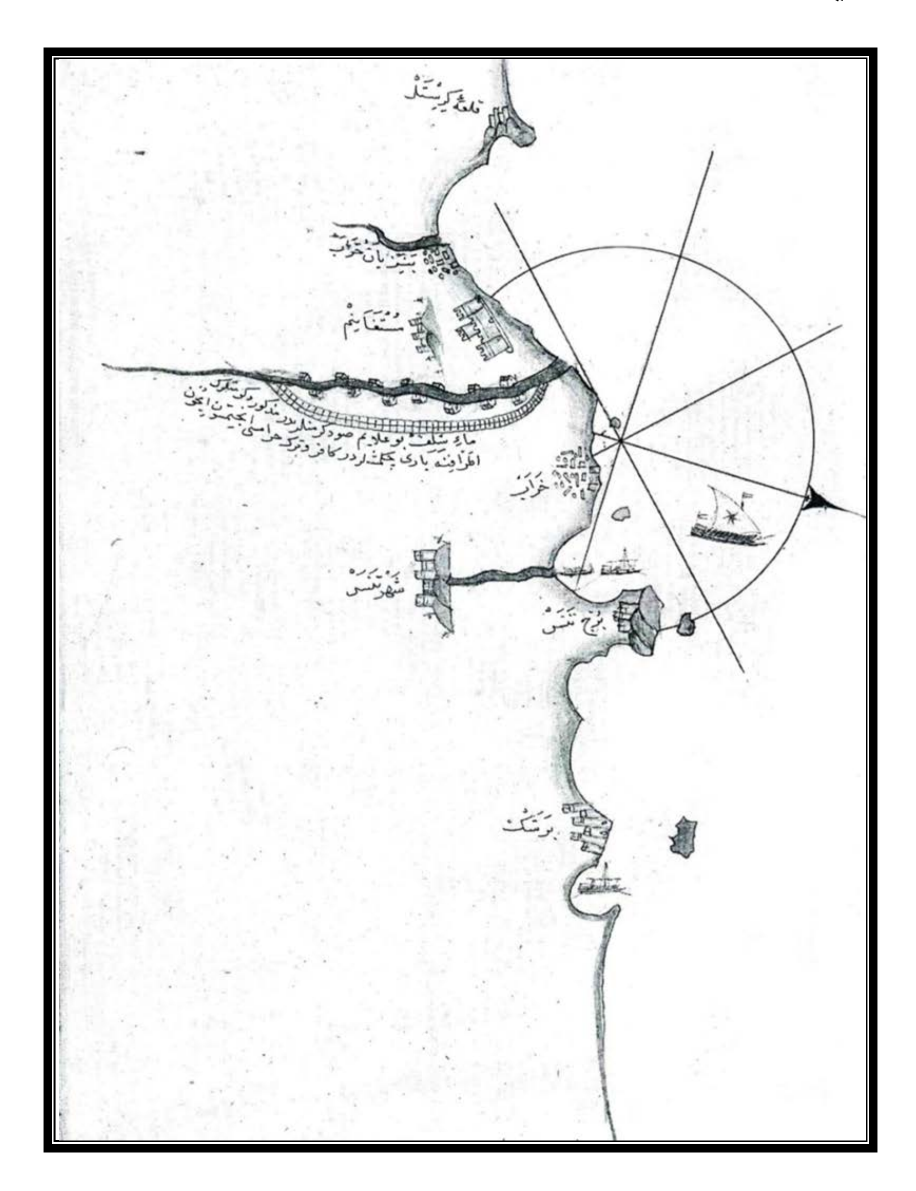
[6] محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 228.

[7] شريفة طيان، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، دار المعرفة، الجزائر، 2011، ص. 52 .

بصيد السمك بالشقوف، ومن ثم راح صيد السمك بضفاف البلاد الجزائرية[1].

تنحدر بعض العائلات التنسية من أصول أندلسية من بينها:

ـ عائلة **فيكاوني** وعائلة **مرسلي** الّتي يحتمل أنها تعود إلى مدينة مُرْسية[2]، وقد وجد من يحمل هذا اللقب في مدينة الجزائر مثل أحمد عبد الله مرسلي شاوش الذي كان يتولّى إدارة محلّ تجاري بالقصبة العليا[3].



الخريطة 08: موقع مدينة تنس

عن: بيري ريس.

[1] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص. 145.

[2] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 167.

[3] Saidouni N., Le Waqf en Algérie à l’époque ottomane XI^{e} – XIII^{e} siècles de Hégire XVII^{e} –XIX^{e} siècles, Koweit, 2009, p. 200.

6. دلّس: تقع مدينة دلّس أو تدلّس فلكيا على خطّ عرض 36^0 و'55 وخطّ طول 3^0 و55 ' شرقا، أما جغرافيا فهي تقع شمال الجزائر على مشارف جبال جرجرة، تبعد عن مدينة بومرداس ـ مقر الولاية ـ بمسافة 60 كلم شرقا، وعن مدينة الجزائر بمسافة 100 كلم شرقا. يتميّز موقعها بالارتفاع عن مستوى سطح البحر، وبوجود رأس يمتد داخل البحر في الاتجاه الشمالي الشرقي طوله 600م ويسمى رأس الطرف. يحدّها البحر الأبيض المتوسط شمالا، ووادي أوباي شرقا، ووادي سباو غربا. ويعتبر هذا الوادي من أهم وديان القبائل الكبرى، ينبع من جبال جرجرة ويخترق بلاد القبائل الكبرى قاطعا مسافة تقارب الـ 120 كلم ويصب في البحر، وهو من الأودية التي يقل فيها الماء أو ينعدم خلال فصل الصيف[1]. (الخريطة 09)

خلال الفترة الحمادية تمكّن حماد بن بلكين[2] من السيطرة على دلّس وأصبحت تحت نفوذه وارتبطت ارتباطا وثيقا بهذه الدولة لمّا انتقلت عاصمة الحماديين إلى بجاية التي فتحها الناصر بن علناس[3] سنة 460هـ/1067م واختط به مدينته وسماها "الناصرية" نسبة إليه وسميت أيضا بجاية باسم القبيلة التي سكنت ذلك الجبل[4]. ولتسهيل تسيير شؤون مملكتهم الواسعة عيّن الحماديون عاملا على دلّس، وخلال هذه الفترة شهدت المدينة أول نزوح للأندلسيين، وذلك عندما استولى المرابطون على ألمرية سنة 474هـ/1091م فارتحل عنها أميرها معزّ الدولة بن صمادح[5] ملتجأً إلى المغرب الأوسط

---

[1] إسماعيل بن نعمان، مدينة دلّس (تدلّس) دراسة تاريخية وأثرية خلال العهد الإسلامي، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، 2011، ص. 17 ـ 18.

[2] حماد بن بلكين: هو مؤسس الدولة الحمادية (398هـ ـ 547هـ / 1008 ـ 1152م)، أنشأ على مرتفعات الحضنة قلعة سميت بقلعة بني حماد أو قلعة أبي الطويل. أنظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر...، ج. 1.

[3] الناصر بن علناس: حكم الدولة الحمادية في الفترة الممتدة من 454هـ/1062م إلى 481هـ/ 1088م.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، مج. 11، ص. 357.

[5] معز الدولة بن صمادح من ملوك الطوائف بالأندلس وكان أميرا على ألمرية، خلعه يوسف بن تاشفين حوالي سنة 480هـ /1078م.

فنزل على الأمير المنصور بن الناصر[1] ببجاية فأقطعه أحواز مدينة دلّس وبقي فيها إلى آخر حياته[2].

أصبحت مدينة دلّس بفضل عمل الأندلسيين بها مركزا ثريا بها الديار والبساتين وعرفت ازدهارا اقتصاديا، وقد لعب مرساها دورا كبيرا في التبادل التجاري بينها وبين غيرها من المدن[3]. وبعد سقوط الموحدين سنة 668هـ/1269م حكم الحفصيون المغرب الأدنى والجزء الشرقي من المغرب الأوسط كقسنطينة وبجاية. وشهدت تونس وبجاية في هذه الفترة هجرة أندلسية كثيفة، أدى إلى رحيل عائلات كثيرة من تونس واستقرارها بدلّس. ولمّا اشتدت الحملات الصليبية الإسبانية على مدن شرق الجزائر كعنابة وبجاية ودلس هاجر عدد منهم إلى فحوص مدينة الجزائر التي كانت الأكثر أمنا[4].

وصف حسن الوزان مدينة دلّس عندما زارها في القرن 10هـ/16م بأن جلّ سكانها صبّاغون لوجود عدد من العيون والجداول بها. وسكانها ذَوو بشاشة ومرح يحسنون العزف على العود والقيتار. يملكون أراضي زراعية كثيرة تنتج القمح بوفرة، ويرتدون لباسا حسنا كلباس الحضريين ويمارسون صيد السمك بالشباك. وكانت تابعة لعاصمة الجزائر في كلّ شيء حكومة وإمارة[5].

لم يذكر الوزان صراحة عن استقرار الأندلسيين في هذه المدينة، لكنه ذكر صفاتِ أهلها ونشاطهم الصناعي والزراعي وولعهم بالموسيقى والغناء واعتنائهم بمظهرهم. وهذه

---

[1] المنصور بن الناصر: حكم في الفترة الممتدة من 481 هـ/1088م إلى 498 هـ/ 1105م.

[2] الهادي روجيه إدريس، الدّولة الصّنهاجيّة تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 م إلى القرن 12م، ترجمة حمادي الساحلي، ج. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص. 328.

[3] رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1977م، ص.145.

[4] محمد الأمين بلغيث، المرجع السابق، ص. 9.

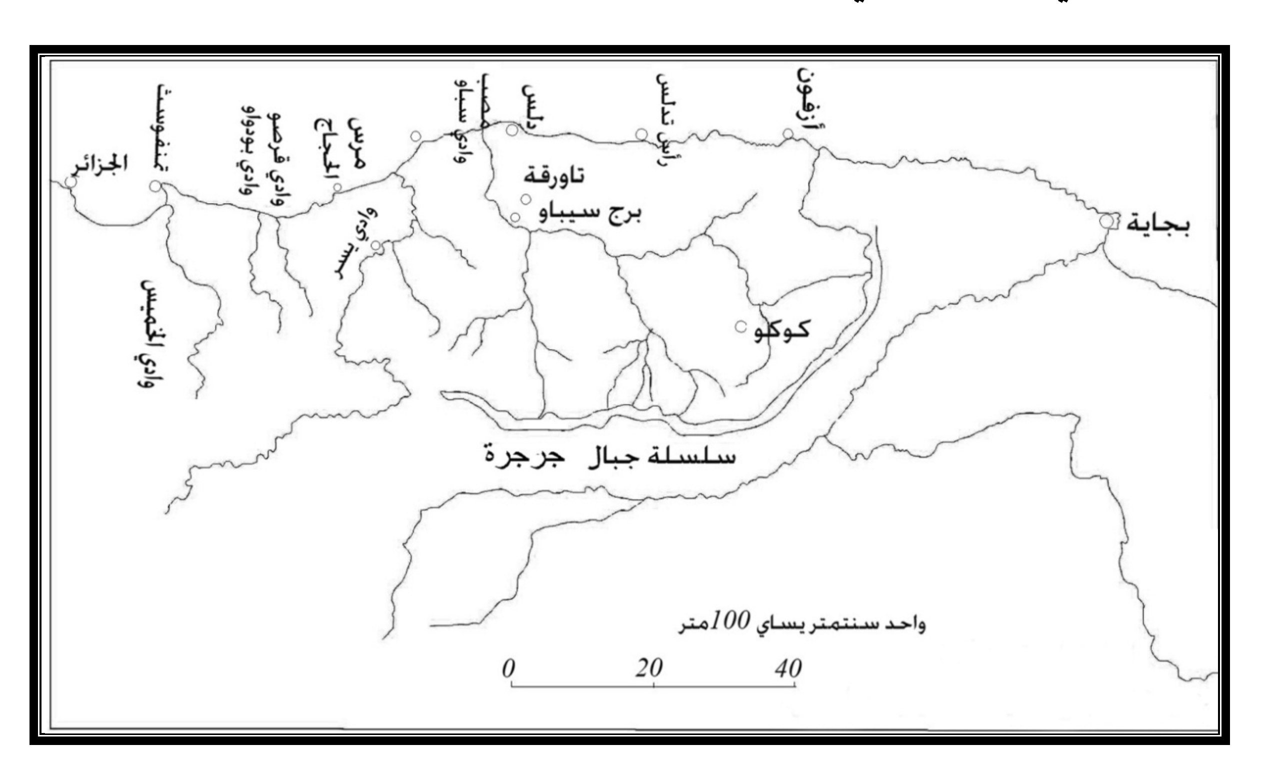
[5] حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص. 42

صفات أهل الأندلس، وقد استمرّت دلّس في استقبال المهَّجرين الأندلسيين إلى غاية قرار النفي وعرفت المدينة نهضة عمرانية، إذ ضمت ما يزيد عن ألف دار [1].

استقر الأندلسيون في المدينة العتيقة المعروفة " بالقصبة" واختاروا الأماكن التي تكثر فيها ينابيع المياه لاهتمامهم بالزراعة وعنايتهم الكبيرة للورود والأزهار، فأنشأوا بساتين يوجد في غالبيتها بئر وتسمى هذه البساتين لدى السكان إلى يومنا هذا ب "الأجنة"[2].

من بين العائلات الدلسية التي لها جذور أندلسية:

ـ عائلة **بَسَّايِح** أو **ابن السَّايِح** قبل أن يجري تحويرها، والتي يقال أنها قدمت إلى دلّس قبل فترة طويلة تقدر بنحو 5 قرون، وقد انتشرت هذه العائلة كذلك في مدينة الجزائر. وعائلة **بركاني** وعائلة **العَمَّالي**[3].



الخريطة 09: موقع مدينة دلس وضواحيها

عن: إسماعيل بن نعمان.

---

[1] كربخال مارمول، المصدر السابق، ج.2، ص. 372.

[2] إسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص. 74.

[3] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 184.

الفصـل الثالث

الاستقرار الأندلسي في بيالك التيطري والغرب والشرق

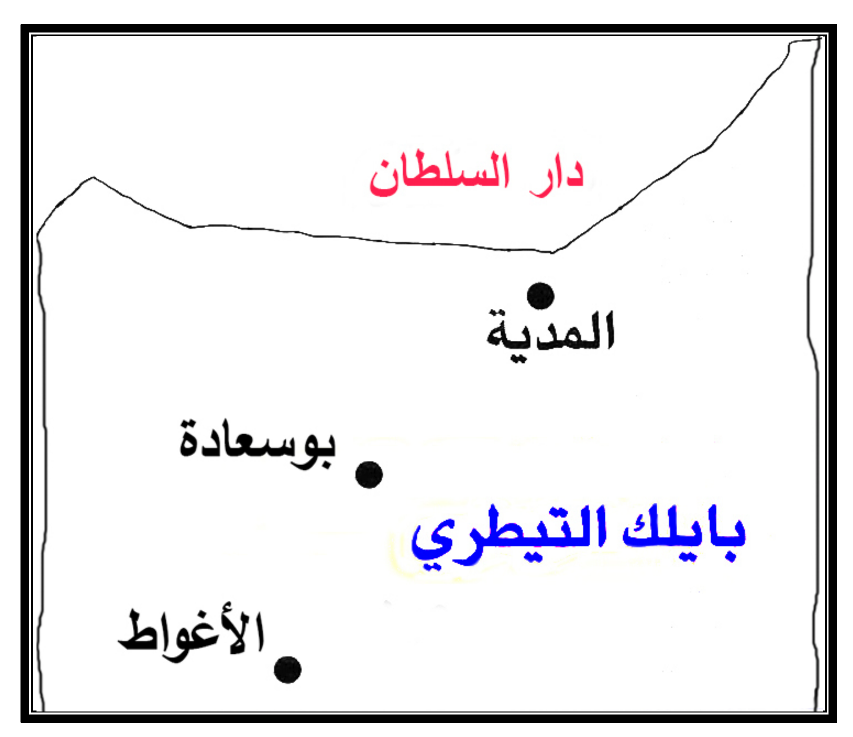
أولا: الاستقرار الأندلسي في بايلك التيطري

ثانيا: الاستقرار الأندلسي في بايلك الغرب

ثالثا: الاستقرار الأندلسي في بايلك الشرق

أولا: الاستقرار الأندلسي في بايلك التيطري

انحصر استقرار الأندلسيين في بايلك التيطري في عاصمته المدية فقط (الخريطة 10).



الخريطة 10: بايلك التيطري

عن: عبد الرحمان الجيلالي (بتصرف).

1. المدية : تقع مدينة المدية بين خطي طول 0^0 و50′ غربا وخطي عرض 36^0 و15′ شمالا على ربوة مستندة إلى جبل الناظور، تبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 90 كلم باتجاه الجنوب[1].

حرص الزيانيون على إلحاق المدية بمملكتهم رغم بعدها عنهم لموقعها الإستراتيجي، وأقاموا بها حامية عسكرية وأخضعوا ما حولها، وما إن ضعف نفوذهم حتى مال أهل المدية إلى أمراء تنس الَّذين يستطيعون مساعدتهم وقت الأزمات بسبب قربهم منهم.[2] وفي سنة 923هـ/1517م خضعت المدية للسلطة العثمانية لمّا انهزم جيش حْمِيد

[1] Yver G., Op. Cit., p. 1006.

[2] كربخال مارمول، المصدر السابق، ج.2، ص. 373.

العبد[1] أمام قوات عروج بنواحي متيجة. وقد استعان عروج بحاميات عسكرية مكونة من المشاة والفرسان الأندلسيين الذين كانوا في مدينة الجزائر وأوكل لهم أمر الحراسة[2].

كانت المدية مركزا حضريا هامّا تضم عائلات عريقة بالإضافة إلى عائلات تركية وأندلسية،[3] استقرت بالقصبة التي أنشأها الأتراك في أعلى قسم من المدينة، وكان بها بنايات ضخمة مربّعة الشكل تحتوي على محلات تجارية. وكان يحيط بالمدينة سور مبني بالحجارة به خمسة أبواب، يقع اثنان منهما في الشمال، بينما تتوزع الثلاثة الباقية في الجنوب وفي الشرق وفي الغرب[4]. وهذه الأبواب هي: باب البليدة وباب القرط وباب الأقواس وباب سيدي صحراوي وباب سيدي البركاني[5]. (الصور 02)

وصف مارمول[6] المدية قائلا:" أرضها كثيرة الحدائق والبساتين ومنابع المياه، غنية يجود بها الزرع وتكثر الماشية. أهلها متميزون بلطف المعاملة، لهم دور أنيقة ومسجد رائق البناء". حملت الأحياء العتيقة للمدية أسماء المناطق الأندلسية التي جاء منها المهاجرون على غرار "حومة القْراطبة" نسبة إلى قرطبة، و"حومة الغْرَانْطَة" نسبة إلى غرناطة، وينفذ منها إلى شارع الغرانطية الذي يعد جزءا من السوق القديمة حيث كان مزدهرا بتجارة القماش والنسيج[7]. ومن بين العائلات الأندلسية الَّتي استقرت في المدية:

---

[1] حْمِيد العبد: هو شيخ قبيلة سويد بنواحي تنس، أخباره التاريخية قليلة التحقيق والتدقيق. يكتب اسمه أحيانا أحْميدة ويقال أن تلقيبه بالعبد سببه أمّه التي كانت سوداء. كان له عشرة آلاف من الفرسان شرّدهم الجنود الأتراك على شاطئ الشلف سنة 923هـ/1517م، فهرب إلى الصحراء ثم استعاد سيادته على قبيلة سويد وعاد إلى سكناه بتنس بعد أن تفاوض مع خير الدين. أنظر: محمد صادق الحاج، مليانة ووليّها سيّدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1964، ص. 31 ـ 32.

[2] Federmann H et Aucapitaine H. , Op. Cit., p. 280.

[3] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص. 270 .

[4] Rozet ., Op. Cit., t. 3, p. 230 – 231.

[5] مجموعة من المؤلفين، المدية مهد الحضارة وشذى الأصالة، (د.م)، (د.ت)، ص. 53.

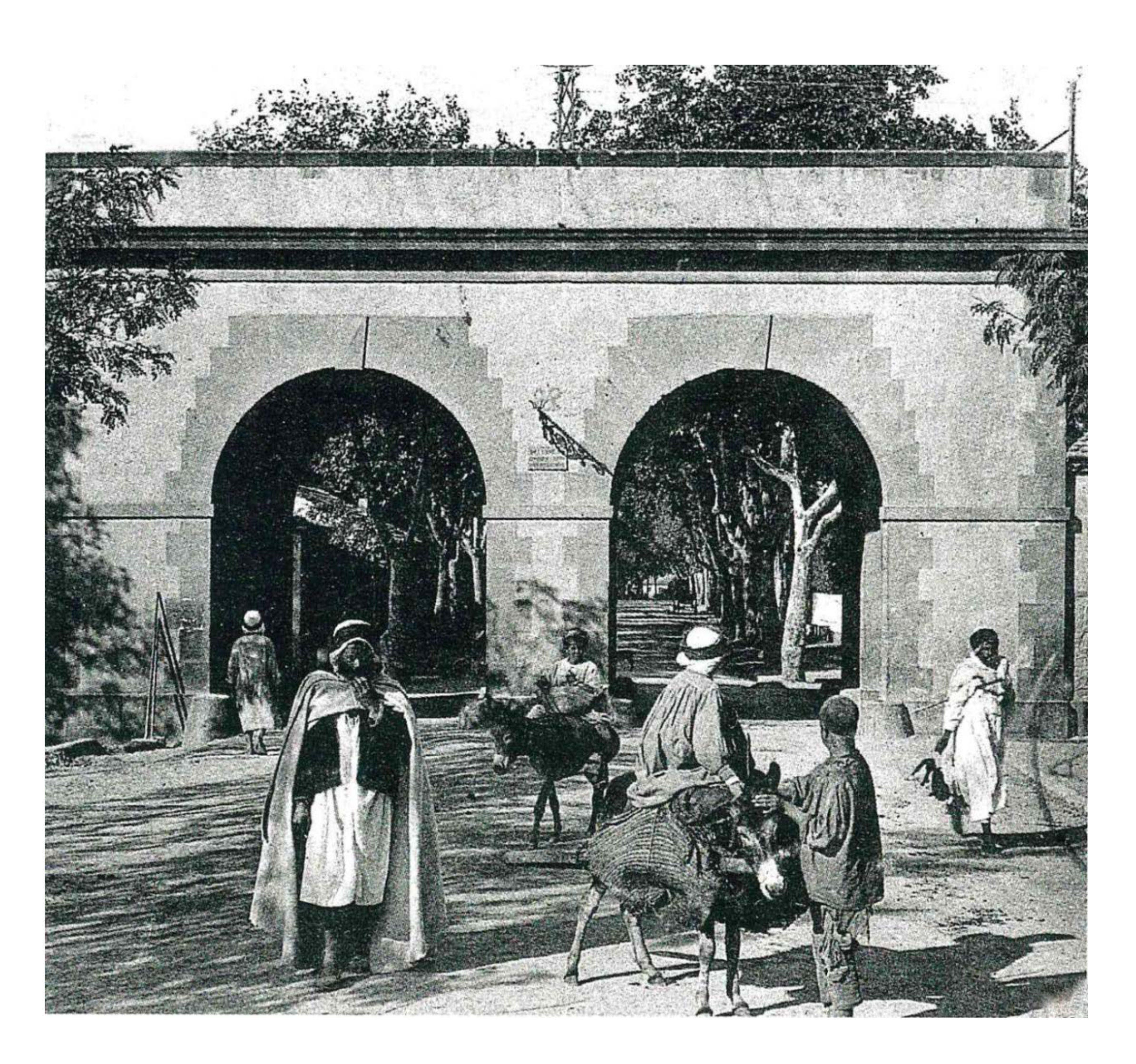
[6] كربخال مارمول، المصدر السابق، ج.2، ص. 373.

[7] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 191.

ـ عائلة **غَرْناَوَط** التي ما زالت حتى الآن تمتهن الخياطة وتجارة القماش[1]، عائلة **فَخَار**[2].

ـ عائلة **ابن الجِيكْوا**.

ـ عائلة **الأطْروش** قد يكون نسبة إلى مدينة طرطوشة[3].



الصورة 02: باب البليدة

عن: المدية...

[1] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 195.

[2] نفسه، ص. 224.

[3] ودان بوغوفالة، المرجع السابق ص. 112.

ثانيا: الاستقرار الأندلسي في بايلك الغرب

يعتبر بايلك الغرب ثاني بايلك بعد بايلك الشرق من حيث الأهمية الاقتصادية والمساحة، واستقر الأندلسيون في مدنه الساحلية مثل وهران وتلمسان ومستغانم، إلى جانب استقرارهم في المناطق الداخلية كمازونة وقلعة بني راشد. (الخريطة 11)



الخريطة 11: بايلك الغرب

عن: عبد الرحمان الجيلالي (بتصرف)

1. وهران: تقع مدينة وهران عند خط عرض $35,4^0$ شمالا و$0,38^0$ غربا، على الساحل الغربي من الجزائر، على السفح الشرقي لجبل المايدة الذي يسمى كذلك جبل مرجاجو فوق شاطئ خليجي بحري عرضه 21 كلم[1].

كانت نواة مدينة وهران قرية صغيرة تسمى "إيفري" التي تعني الكهف[2]، وقد أنشئت سنة 290هـ/903م من طرف جماعة من البحّارين الأندلسيين بزعامة محمد بن أبي عون

[1] Marçais G., « Wahran » in E. I., t. XI, E. J. Brill, Leiden, G.- P. Maisonneuve et Larose, Leiden Brill, 2005, p. 55.

[2] يحي بوعزيز، وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985، ص. 30.

ومحمد بن عبدون بعد موافقة ومساعدة قبيلتي نفرة وبني مسقن[1]. ومن العوامل التي دفعت بالأندلسيين إلى تأسيس وهران، توفّرها على مرفأ طبيعي هام جعلت السفن تتردد بين وهران وأَلْمِرية حاملة العلماء والمسافرين إلى جانب مختلف أنواع السلع. وقد قال عنها ابن حوقل[2] في القرن 4 هـ / 10م :"...أن مدينة وهران فرضة الأندلس، إليها ترد السلاع ومنها يحملون الغلال". أما مؤلف كتاب " الاستبصار في عجائب الأخبار"[3] (القرن 6 هـ / 12 م) قال عن تأسيس وهران:" بناها جماعة من الأندلسيين البحريين بسبب المَرْسَى بالاتفاق مع قبائل البربر المجاورين لها".

جعل الأندلسيون من وهران منفذا تجاريا لبضائعهم داخل المغرب الأوسط، وامتد حتى إلى بلاد السودان[4]، وبهذا أصبحت المدينة همزة وصل بين أوروبا والمغرب. وقد شهدت وهران في نهاية القرن 3هـ/10م تطورا سريعا في عمرانها ونشاطا كثيفا في تجارتها، ولعب الأندلسيون دورا كبيرا في تعميرها. وبعد خمسة قرون من إنشائها تعرضت المدينة إلى غارات برتغالية، أهمها تلك التي قاداها الملك جان الأول (817 ـ 841 هـ / 1415 ـ 1437م)؛ ولما باءت حملته بالفشل تحولت أعداد كبيرة من الأندلسيين إلى وهران واتخذوها مركزا لشن غارات انتقامية ضد الإسبان والبرتغاليين في البحر[5]. في مطلع القرن 10 هـ/16م احتل الإسبان مدينة وهران والمرسى الكبير[6]، وقد صاحب هذا

---

[1] عبيد الله البكري، المصدر السابق، ج.2، ص. 738.

[2] أبو القاسم بن الحوقل، المصدر السابق، ص. 79.

[3] مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأخبار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تعليق: سعد عبد الحميد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص. 133.

[4] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص. 10.

[5] يحي بوعزيز، "ماضي مدينة وهران وأمجادها التاريخية"، مجلة الثقافة، الجزائر، ع.52، 1979م ، ص.31.

[6] احتلت وهران من طرف الإسبان ثلاث مرّات، المرة الأولى سنة 903هـ/1497م بقيادة الدوق مدينا سيدونيا، والمرّة الثانية سنة 908هـ/1502م، أما المرة الثالثة فكانت عام 915هـ/1509م بقيادة الراهب المتعصب خمينيس دي سيسنيروس. وظل الإسبان في وهران قرابة ثلاثة قرون وحررت من طرف محمد عثمان الكبير عام 1207هـ /1792م, أنظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر...، ج. 3.

الاحتلال استمرار تدفّق الأندلسيين على وهران، وتحولت إلى ملجأ كبير لإيوائهم، وقد بلغ عددهم 22000[1].

استغلت إسبانيا فرصة احتلالها لوهران لتسريب الآلاف من الأندلسيين نحو المناطق المجاورة بعد أن ضاقت بهم المدينة، ففي سنة 1018هـ الموافق لـ 7 أكتوبر 1609 م أمر حاكم وهران آنذاك الكونت دي أَقِيلا le duc d'Aguillon بنقل 6000 أندلسيا على متن ستة سفنا إلى المرسى الكبير، وبعد خمسة عشر يوما فقط أي بتاريخ 22 أكتوبر من نفس السنة طلب هذا الكونت بنقل 3000 شخص على متن سبع سفن إلى ميناء آرزيو ومزغران. وتفاوض المسؤولون الإسبان مع قبائل المنطقة قصد مساعدتهم من أجل نقل الأندلسيين نحو تلمسان ومستغانم[2]. وأثناء الطريق تعرض لهم الأعراب ونهبوا أموالهم لعدم توفر الحراسة الكافية[3]. وقد ذكر ذلك المقري[4] بهذه العبارة المؤلمة: "فتسلط عليهم الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم ونجا القليل من هذه المعرّة". لكن علماء وشيوخ القبائل استنكروا هذا العمل الشنيع ودعوا إلى معاقبة هؤلاء الأعراب ونصرة الأندلسيين[5].

خلال القرن 10هـ/16م عمّرت مدينة وهران وزادت منازلها على ستة آلاف منزل فقد أنشأ الأندلسيون بجوارها قرى ومستوطنات التي لا زال البعض منها يحمل أسماء أندلسية مثل "قرية الأندلسيين" أو " فالكون دي لوس أندلوسيس"[6] التي تقع حاليا في غرب غرب بلدية عين الترك.

---

[1] La peyre, Op. Cit, p. 297.

[2] هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص. 37.

[3] La peyre, Op. Cit, p. 297.

[4] أحمد المقري، نفح الطيب...، مج. 4، ص. 528.

[5] هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص. 42.

[6] محمد قشتيليو ، المرجع السابق، ص. 34.

اكتضت وهران بالبنيات والمؤسسات التي تُمّيز بها كل مدينة متحضرة، من مساجد ومدارس وملاجئ وحمامات وفنادق[1]. ويوجد بها أسماء لأماكن يُرجَّح أنها دخلت على المدينة مع قدوم الأندلسيين على غرار منطقة السَّانية (Cena)، كما بقيت عائلات وهرانية منحدرة من هؤلاء المهجّرين الأندلسيين منهم:

ـ عائلة **تْسُورِيَة** التي لجأت إلى وهران من بلدة صُورِيَة القريبة من العاصمة الإسبانية مدريد، وعائلة **دِنْدَانْ**، وعائلة **بُورِي**[2].

ـ عائلة **شَنْتِيرْ** أو **بن شَنْتِير** الَّتي تنحدر من عالم أندلسي من مدينة طليطلة وهو ابن شنظير الذي عاش في القرن 4هـ/10م.

ـ عائلة **بن يَغَّشْ** الغرناطية التي كانت تنتمي لنخبة وصفوة وجهاء مملكة غرناطة النصرية وقد تحول اسمها إلى **بِينِيغَاسْ**[3].

ـ عائلة **بوُعَبْدَ الله** التي قد تنحدر من الأمير أبي عبد الله الزغل[4].

2. تلمسان: تقع تلمسان على خطّ طول 1^0 شرقا وخطّ عرض 34^0 شمالا[5]، في الشمال الغربي لمدينة الجزائر في مكان مائل نحو الغرب على ارتفاع 830 م عن سطح البحر وتشرف من الناحية الشمالية على سهول خصبة تعرف بسهول "الحْنَايَة" الممتدة نحو الغرب. تحيط بها الجبال والهضاب الصخرية من الجهة الجنوبية[6]. وتنحدر من هذه الجبال أودية عديدة منها: وادي متشكانة، ووادي الصفصيف، ووادي الوْرِيط. وكانت تأتي من الجنوب وتعرج على الجانب الشرقي للمدينة[7].

---

[1] حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص. 30.

[2] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 229.

[3] نفسه، ص. 230.

[4] نفسه، ص. 232.

[5] Bel A., « Tilimsan » in E.I., t. X, E. J. Brill, Leiden, G.- P. Maisonneuve et Larose, Leiden Brill, 2005, p. 534.

[6] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص. 87.

[7] محمد بن عمرو الطمار، المرجح السابق، ص. 7.

كان لتلمسان طرق حيوية نحو موانئ هنين ووهران وأرشقول، الأمر الَّذي زاد من أهميتها فازدهرت اقتصاديا وتطوّرت عمرانيا، وكانت هذه الموانئ تقترب من موانئ الأندلس وتقابلها ولا تبعد عنها إلا بمسافة يوم وليلة[1].

ازدهرت مدينة تلمسان ونمت نموا كبيرا أثناء حكم المرابطين والموحدين، وفي ظل الوحدة السياسية التي جمعت بين العدوة المغربية والأندلسية استقرَّ الكثير من الأندلسيين بها في الفترة الممتدة ما بين القرنين 5هـ و7هـ/11م ـ 13م[2]. عرفت تلمسان أوَّج عزها تحت إمرة بني زيان وكانت من أكبر أمصار المغرب الأوسط. استقطبت في هذه الفترة أعدادا كبيرة من الأندلسيين. فنهضوا بها نهضة واسعة ودفعوا بها دفعة قوية، إذ حملوا معهم علومهم وآدابهم وفنونهم[3]. واتبع السلاطين الزيانيون سياسة حسن الجوار إزاء حكام الأندلس ليتصدوا للأطماع الحفصية والغارات المرينية[4]. وقد شجع السلطان يغمراسن[5] الأندلسيين على الاستقرار بها فأحسن استقبالهم وأكرمهم[6]. (الخريطة 12)

في نطاق الصلات الودية بين تلمسان والأندلسيين اختار الأمير أبو عبد الله الزغل[7] وحاشيته تلمسان مقرا لدار هجرتهم عندما وشكت غرناطة على السقوط في أيدي الإسبان، وقد بقي نسل هذا الملك يعرف لدى عامة التلمسانيين ببني سلطان الأندلس[8].

---

[1] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، شرح وتعليق: نبيل خالد الطيب، ج.5، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، ص. 145.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج. 1، ص. 174.

[3] محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص. 221.

[4] عطا الله دهينة، "مساعدة الزيانيين لمسلمي الأندلس"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، ع. 13 ، 1976، ص. 8.

[5] يغمراسن: حكم في الفترة الممتدة من 633هـ/1236م إلى 681هـ/1283م.

[6] نصر الدين براهامي ومحمد نقادي، تلمسان الذاكرة، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص. 65.

[7] أبو عبد الله الزغل: هو عمّ الأمير أبي عبد الله الصغير المعروف بالزغيبي آخر ملوك غرناطة، كان على خلاف مع ابن أخيه حول الإمارة. حلَّ الزغل في بادئ الأمر بوهران ثم انتقل إلى تلمسان ومكث بها إلى أن وافته المنية سنة 899هـ / 1494م. وقد عثر الضابط الفرنسي بروسلار على شاهد قبر هذا الأمير في المقبرة الزيانية القديمة بجوار جامع سيدي إبراهيم. أنظر: Brosselard C., « Coudée royale à Tlemcen, épitaphe d'un grenadin mort à Tlemcen », in Rev .Afr, t. IV, 1859 – 1860, pp : 66 – 71.

[8] أحمد المقري، نفح الطيب...، مج 4، ص. 524.



الخريطة 12: تلمسان في العهد الزياني

عن: Marçais G (بتصرف)

كانت تلمسان مقصدا للكثير من الأدباء والعلماء والفقهاء الذين كانوا ينظّمون حلقات تعليم بالمدارس والمساجد، وبرز عدد وافر من العلماء في أصول الفقه والتفسير والعلوم اللسانية ومن بينهم:

ـ محمد بن يوسف بن سعادة الإشبيلي (ت. 600هـ/1203م) عالما كبيرا في الفقه، وكان يجود القرآن ويضبطه ويروي الأحاديث النبوية ويصححها[1].

ـ محمد بن عبد الله بن خطاب الغافقي (ت. سنة 636هـ/1238م) كان من أبرع الكتاب خطًّا وأدبا وشعرا، ومن أعرف الفقهاء بأصول الفقه، عاش في غرناطة ثم ارتحل إلى مرسية ومنها جاء إلى تلمسان وأكرمه السلطان يغمراسن[2].

---

[1] عبد الله بن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص. 227.

[2] نفسه، ص. 227.

ـ عبد الله الآبلي (ت. سنة 757هـ/1356م) نسبة إلى آبلة مدينة تقع شمال غرب مدريد برع في الفلسفة وفي العلوم العقلية أخذ العلم من علماء تلمسان كأبي الحسن التنسي وأبي موسى بن الإمام[1].

وكما استقبلت تلمسان النخبة المثقفة من العلماء، استقبلت كذلك أهل الصنائع والحرف، فاستقر الفلاحون والمزارعون في الضواحي على ضيفتي وادي الوْرِيط الواقع على بعد 7 كلم جنوب شرق المدينة، وأقدموا على تطوير الزراعة وحولوا الأراضي إلى بساتين وجنان[2]. واستقر التجار والحرفيون داخل المدينة واختصوا في صناعة الجلود وبرعوا في الطرز وفي المصنوعات النسيجية خاصة الحريرية منها، وأتقنوا حياكة القطن والكتّان وغزل الصوف[3]، وقاموا بتطوير صناعة الخزف والسلاح. وقد أدمج هؤلاء الحرفيون في الوظائف التي تليق بهم ونزلوا بدرب خاص بهم عرف "بدرب الأندلسيين"[4].(الصورة 03)

فقدت تلمسان كثيرا من سمعتها وقيمتها خلال العهد العثماني، فالاحتلال الإسباني لوهران والنزاع بين العثمانيين والزيانيين حولها، أثّر سلبا على اقتصادها وسياستها وحدث تدهور اجتماعي وثقافي. ونتج عن هذا الوضع هجرة بعض العائلات التلمسانية والأندلسية ذوي النفوذ المالي والاجتماعي والتأثير العلمي إلى المغرب الأقصى، وبذلك فقد المدينة عددا من نُخبها[5]. ولكن مع هذا التدهور عرفت تلمسان في القرن 11هـ/17م استمرار نزوح الأندلسيين إليها قادمين من وهران خاصة ـ كما أسلفنا سابقا ـ، وقد شاركوا التلمسانيين في نشاطاهم الصناعي كالنسيج والدباغة والنحاس والأسلحة كالسيوف

---

[1] يحي بن خلدون، بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج 1، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر،1980، ص. 120.

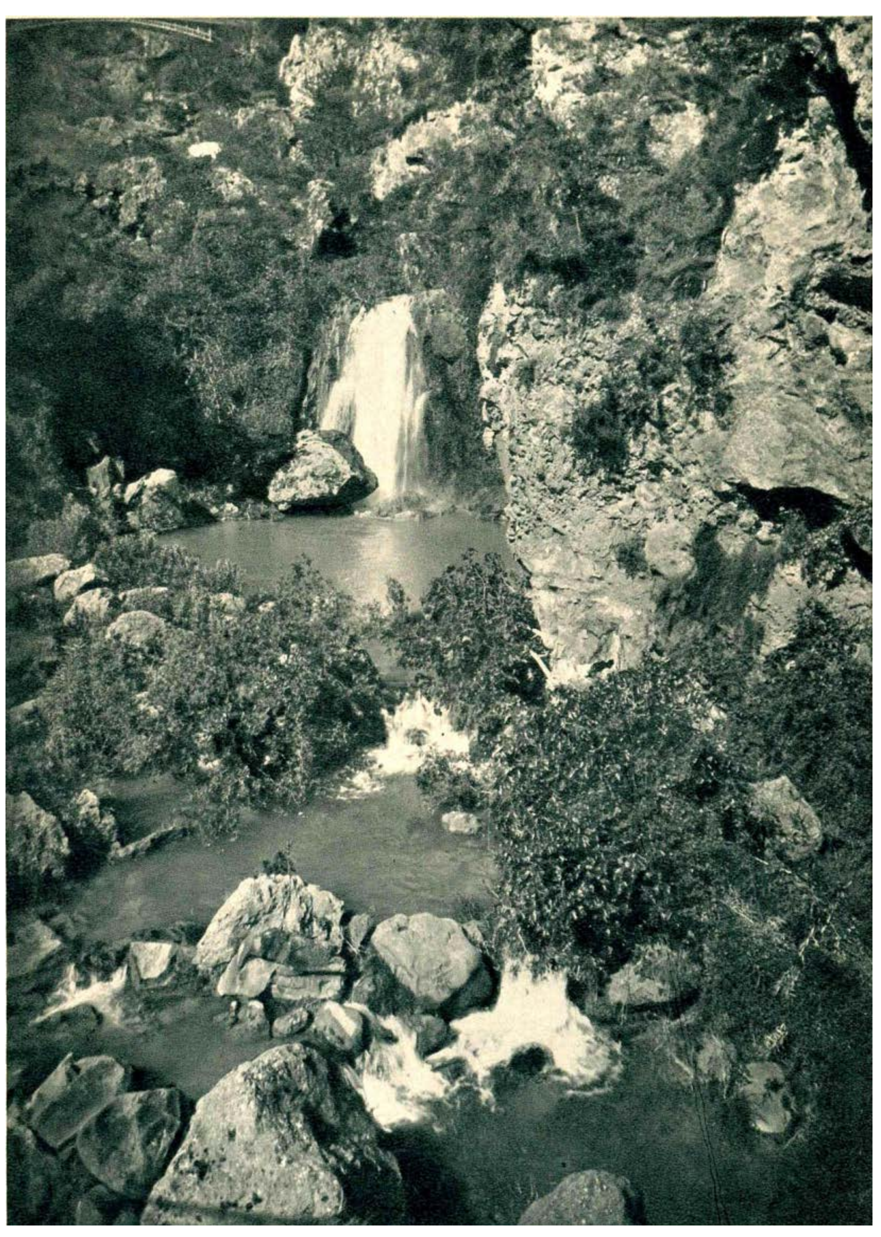
[2] مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج. 4، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص. 36.

[3] Bel A ., et Ricard P., Le travail de la laine à Tlemcen, typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1913, p. 53.

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج. 1، ص. 176.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج. 1، ص. 176 ــ177.

والبنادق واندمجوا في المجتمع التلمساني بالتزاوج فيما بينهم وشكّلوا طبقة الحضر[1]. وقد ذكر مارمول أن صنّاعها بسطاء ولطفاء، يعتزّون بأنهم يعملون بأدب ويصنعون أشياء متقنة، كالأقمصة والزرابي الفاخرة، والمعاطف الصغيرة والكبيرة وهي رفيعة جدا منها ما يزن أقل من عشرة أوراق، فضلا عن طقوم فاخرة للخيل مع ركابات جميلة ولجم ومهاميز[2].



الصورة 03: شلالات الوريط

عن: Marçais G

[1] محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص. 237.

[2] كربخال مارمول، المصدر السابق، ج. 2، ص. 300.

فضل بعض الأندلسيين التوجه إلى المناطق القريبة من تلمسان كهنين التي اشتهرت بمرساها التجاري الهام والّذي كان يربطها بالأندلس. وقد وصفها حسن الوزان قائلا[1]:" ... وكان سكان هنين في القديم نبلاء شرفاء يعملون كلهم تقريبا في القطن والمنسوجات ودورهم في غاية الجمال والزخرفة، لكل دار بئر من الماء العذب، وفناء مغروس بكرم معروش؛ أرضها مبلطة بالزليج الملوّن، وسطوح الحجرات مزينة بنفس الزليج...وتنتج الممتلكات المجاورة لهنين كميات وافرة من الثمار كالكرز والمشمش والتفاح والإجاص والخوخ وما لا يحصى من التين والزيتون". ومن الواضح أن هذه الأوصاف تنطبق على المدن والحواضر التي عمّرها الأندلسيون.

غير بعيد من هنين استقر الأندلسيون بندرومة وكانوا يصلون إليها إما عبر ميناء هنين أوعبر مدينة وهران الَّتي احتلها الإسبان. اشتهرت ندرومة بصناعة الأقمشة القطنية لأن القطن ينبت بكثرة فيها[2]، وذلك بفضل مساهمة الأندلسيين في غرسه.

لا تخلو تلمسان من أسماء عائلات تنحدر من الأندلس:

ـ عائلة **بوُعَبْدْ الله** التي تنحدر من الأمير أبي عبد الله الزغل، وهي معروفة في تلمسان ووهران خاصة، وفي الغرب الجزائري بشكل عام؛ وانتقلت بعض فروع هذه العائلة إلى مدينة الجزائر[3].

ـ عائلة **شَبْلي** نسبة إلى إشبيلية، عائلة **السَّرَاج** وعائلة **القَرْمُوني** وعائلة **العَشْعَاشي** التي قدمت إلى تلمسان من مستغانم.

ـ عائلة **الآبْلي**[4] وقد استقر فرع من هذه العائلة في مدينة الجزائر واشتهرت بالتجارة وكذلك عائلة **فَخَار** التي يوجد فرع منها في عدة مدن مغربية كفاس[5] ومكناس[6] وتطوان[7].

[1] حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص. 15 ــ 16.

[2] نفسه، ص. 14.

[3] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 221.

[4] نفسه. ص. 222.

[5] محمد رزوق، المرجع السابق، ص. 314

[6] نفسه، ص. 318.

[7] نفسه، ص. 323.

3 . مستغانم: تقع مدينة مستغانم عل خطّ طول $1,55^0$ غرب خطّ غرينتش وخطّ عرض $36,5^0$ شمال خط الاستواء[1]، وهي مدينة قديمة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط على امتداد 150كلم على بعد 15 كلم من مصبّ وادي الشلف. تقع بين أرزيو وتنس وهي غير بعيدة عن وهران وتشرف على الطريق بينها وبين الجزائر[2].

استقبلت مستغانم في بداية القرن 10هـ/16م أعدادًا كبيرة من الأندلسيين لقربها من السواحل الإسبانية، فهي تقابل مدينة دانية ولا تبعد عنها إلا بنحو يوم وليلة.[3] كما قدم الأندلسيون إلى هذه المدينة إمَّا من وهران أو من تلمسان لتوفرها على ميناء صغير يمكن من خلاله التوجه إلى هذه المناطق[4].

تعرضت مستغانم عدَّة مرّات للهجومات الإسبانية، فقد كانت ميدانا لصراع مستمّر بين الإسبان والأتراك، ففي سنة 911هـ/1505م استطاع أهلها أن يغزوا السواحل الإسبانية بالاشتراك مع مهاجري الأندلس الذين قادوا أسطولا يتكوّن من 12 سفينة وهاجموا مدينة بلنسية وأليقانت وغنموا منهما غنائم كبيرة[5].

ظلَّت مستغانم تحت وطأة الاستعمار الإسباني حتى سنة 966هـ/1558م عندما حرَّرها الأتراك، فازداد عدد المهاجرين الأندلسيين. ويبدو أن الأهمية الحقيقية لمستغانم يعود إلى استقرار عدد كبير من العائلات الأندلسية بها، وقد استقطبتهم خصوبة أراضيها فوسعوا في زراعة القطن واستثمروه في صناعة الأقمشة، واعتنوا بأشجار التوت واشتغلوا بتربية دودة القز والصناعات الحريرية. كما ساهموا في بناء المطاحن التي تدار بالطاقة المائية لخبرتهم في هذا المجال. وقد وصف حسن الوزان مستغانم قائلا[6]:" تضم قرابة ألف

---

[1] بوعبد الله بلجوزي، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، رسالة لنيل شهادة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005 ـ 2006، ص. 12.

[2] Belhamissi M., Histoire de Mostaganem, CNEH, Alger, 1976, p. 17.

[3] أحمد بن على القلقشندي، المصدر السابق، ج. 5، ص. 145.

[4] Belhamissi M., Histoire de…, p. 53.

[5] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص. 138.

[6] حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص. 32.

ألف وخمسمائة كانون وفيها مسجد في غاية الحسن وصنَّاع كثيرون ينسجون الأقمشة ودورها جميلة، وسقاياتها عديدة، يخترقها ماء جدول[1] يحرّك الطاحونات. وفي خارجها عدة بساتين جميلة".

من بين العائلات المستغانمية المنحدرة من الأندلس:

ـ عائلة **العَشْعَاشي** التي استقرت في مستغانم وذهب بعض أفرادها للإستقرار في تلمسان عائلة **بن عْليوة**، عائلة **بن ياخو**، وعائلة **بن قرطبة**.

ـ عائلة **بُوخُدْمِي** التي استقرت أولا في مستغانم، ثم انتشرت في عدّة مدن كتلمسان ومدينة الجزائر والمدية[2].

4. مازونة: تقع مازونة على خطّ عرض $36,10^{0}$ باتجاه الشمال وخطّ طول $0,55^{0}$ بالنسبة لخط غرينتش. تتميز بالحصانة الطبيعية إذ تقع وسط جبل يمتّد من الزكار (مليانة) إلى مصبِّ وادي الشلف، كانت مازونة محطة تجارية هامة لقربها من المسالك التي تربطها بمدن الغرب الجزائري وبموانئها مثل تنس ومستغانم وتلمسان[3].

اختطت مازونة في أواسط القرن 6هـ/12م، ولعب بنو منديل[4] دورا بارزا في نموِّها نموّها وتوسعها، وربطت روابط تجارية مع فاس وتلمسان، وفي القرن 7هـ/13م أصبحت تحت نفوذ الزيانيين[5]. ورغم أن مازونة مدينة صغيرة إلا أنها استقبلت اللاجئين الأندلسيين الأندلسيين القادمين إليها من وهران، إذ جاء ذكرها في كتاب " نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر[6]، وبين المؤلف بعض حركات الهجرة التي وقعت حركات الهجرة التي

---

[1] هذا الجدول هو وادي عين الصفراء.

[2] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 237.

[3] مولاي بلحميسي، مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليليين، الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية منشورات المجلس العلمي الجزائر، 2005، ص.4.

[4] بنو منديل: سكنوا غرب الشلف وكانوا يغيرون على متيجة، إلا أن بني غانية أرغموهم على التخلي عن متيجة وظلوا تحت نفوذ بني زيان. أنظر: مختار حساني، المرجع السابق، ج. 4، ص. 165 ـ 166.

[5] مولاي بلحميسي، مازونة مقصد الدارسين...، ص. 6.

[6] مؤلف مجهول، نبذة العصر...، ص. 48.

وقعت سنة 897هـ/1492م: " ...وخرج ما بقي من أهل غرناطة في خمسة عشر يوما إلى بجاية ووهران ومازونة".

زادت شهرة مازونة باستقطابها للأندلسيين الذين لعبوا دورا هامّا في نموها وازدهارها، فاختيرت كعاصمة لبايلك الغرب الجزائري في بدايات الفترة العثمانية قبل أن يتحوَّل إلى معسكر ثم إلى هران. وقد حطَّت بمازونة النخب الأندلسية المثقفة من بينهم أسرة البُولداوي التي قدمت من الأندلس بعد سقوط غرناطة، وينحدر منها العالم الجليل "محمد بن شارف بن أحمد بن علي البُولْدَاوي" الذي بنى بماله الخاص مدرسة مازونة المشهورة، وبقي يدرس فيها مدَّة أربعة وستين سنة إلى أن توفي عام 1164هـ/1750م وخلفه أبناؤه في التدريس[1].

ساهم أندلسيو مازونة في الصناعات النسيجية وفي الفلاحة، وامتلكوا الأراضي والدور، إذ تشهد إحدى الوثائق التي تعود إلى سنة 1180هـ/1766م على تحبيس أحد الأندلسيين دار بمازونة لصالح فقراء الحرمين الشريفين[2].

تفرقت بعض العائلات الأندلسية التي استقرت في مازونة في مدن وبلدات مجاورة وبقيت عائلة **العَشْعَاشي** ونسلها إلى اليوم[3]، ويوجد فرع من هذه العائلة في تلمسان ومستغانم.

5. قلعة بني راشد: تقع قلعة بني راشد بمنطقة جبلية في الشمال بين وهران ومعسكر وغيليزان على بعد 31 كلم من غليزان و42 كلم من معسكر،[4] بنيت على سفح تل بين جبلين عاليين، تحيط بها أسوار ذات أبراج على هيئة القلاع الحصينة[5].

---

[1] مولاي بلحميسي، مازونة مقصد الدارسين...، ص. 27.

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 83.

[3] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 227.

[4] مختار حساني، المرجع السابق، ج.4، ص. 112.

[5] كربخال مارمول، المصدر السابق، ج.2، ص. 324

سكنت القلعة في الفترة الإسلامية الأولى قبيلتين بنو يلومي وبنو وَامَانوا المنتميتان إلى قبيلة زناتة، وفي حوالي القرن 3ھ/9 م استقرت بها قبائل هوارة[1].

عُرف الهواريون بغزواتهم الكثيرة فآثروا البقاء فيها نظرا لموقعها الاستراتيجي الحصين ويبدو أنهم أول من بنوا القلعة بدليل أنها كانت تعرف في المصادر التاريخية "بقلعة هوارة" وفي حدود القرن 7ھ/13م جاءت قبيلة بني راشد وهي من القبائل الزناتية التي كانت تسكن جبل عمور[2] إلى القلعة، وأعاد تشييدها "إسحاق بن إبراهيم بن عمران الراشدي" ومنذ ذلك الوقت أصبحت تعرف بقلعة بني راشد[3]. وقعت القلعة تحت حكم بني زيان لمدة طويلة، وفي حوالي سنة 947 هـ/1540 م استطاع خير الدين أن يستعيدها بعد حصار كبير[4].

وفيما يخص استقرار الأندلسيين في القلعة فلا تتوفر معلومات كثيرة، إلا بعض الإشارات الخفيفة التي تشير إلى نزوحهم إليها بعدما استولى الإسبان على الأندلس. ومنذ القرن 10ھ/16م شهدت القلعة توسعا ونموا بفضل هؤلاء المهاجرين[5].

---

[1] قبائل هوارة: كانوا موجودين بطرابلس خلال الفتوحات الإسلامية، ثم انتقلوا إلى الأراضي الجزائرية. أنظر: مختار حساني، المرجع السابق، ج. 4، ص. 109.

[2] جبل عمور يبعد عن القلعة بحوالي 200 كلم.

[3] مختار حساني، المرجع السابق، ج. 4، ص. 112.

[4] نفسه. ص. 115.

[5] Golvin L, Les arts populaires en Algérie, t.II, Alger, 1953, p. 530.

ثالثا: الاستقرار الأندلسي في بايلك الشرق

انحصر استقرار الأندلسيين في بايلك الشرق بصورة كبيرة في مدن قسنطينة وبجاية وعنابة وجيجل والقل. (الخريطة 13)



الخريطة 13: بايلك الشرق

عن: عبد الرحمن الجيلالي (بتصرف).

1 . قسنطينة: تقع مدينة قسنطينة على خطي عرض 23^0 و36^0 شمالا وخطي طول 35^0 و7^0 شرقا وتحتل موضعا جغرافيا متميّزا. بنيت فوق هضبة صخرية ذات شكل شبه منحرف، محاطة بالجبال من جميع جهاتها من الغرب جبل شتابة ومن الشمال جبل سيدي إدريس، ومن الشرق جبل الوحش، ومن الجنوب هضبة عين الباي فهي بذلك محصَّنة طبيعيا[1].

[1] رشيد بورويبة، قسنطينة، سلسلة الفن والثقافة، الجزائر، 1978، ص. 7.

أدت قسنطينة دورا ثانويا منذ الفتح الإسلامي حتى العهد الفاطمي، ولكنها نمت وازدهرت خلال العهدين الزيري والحمادي. وتراجعت أهميتها قليلا في فترة الموحدين، غير أن الحفصيين الذين خلفوا الموحدين أعطوها مكانة مرموقة واعتنوا بها، وأصبحت قسنطينة أهم مدينة بعد تونس وبجاية[1]. والمعروف أن الدولة الحفصية فتحت أبوابها للأندلسيين فقدمت عائلات أندلسية في هذه الفترة من بجاية وتونس واستقرَّت في قسنطينة.

أخذت قسنطينة دورا بارزا ومهما خلال الفترة العثمانية، إذ أنها تأتي في الأهمية بعد مدينة الجزائر، لكون مدينة وهران ظلت تحت السيطرة الإسبانية لمدّة ثلاثة قرون ومدينة تلمسان فقدت الكثير من قيمتها وضعفت مكانتها. وابتداءً من سنة 975هـ/1567م صارت قسنطينة عاصمة لبايلك الشرق[2]. ورغم هذه الأهمية الَّتي نالتها، فإنها لم تكن من بين المدن المهمة التي استقبلت أعدادًا كبيرة من الأندلسيين كمدينة الجزائر وشرشال وتنس ووهران ومستغانم وتلمسان وبجاية. وربما قد يكون لموضع قسنطينة باعتبارها مدينة غير ساحلية وبعيدة عن البحر، وكان الأندلسيون يلجئون إليها عبر تونس وبجاية، كما أنهم قدموا إليها من مدن أخري كجيجل وعنابة الَّلتين عرفتا حضورا أندلسيا معتبرا[3].

شكّل الأندلسيون في قسنطينة فئة الحضر وهم الكثرة الغالبة[4]، وساهموا في العديد من الأنشطة الحرفية، وذكر حسن الوزان (القرن 10هـ/16م) أن أسواقها عديدة حسنة التنسيق بحيث أن جميع الحرف فيها مفصول بعضها عن بعض، وفيها صنّاع وتجَّار يمارسون تجارة الأقمشة الصوفية المصنوعة محلّيا[5]. أما مارمول الَّذي زارها في مرحلة

[1] مختار حساني، المرجع السابق، ج. 3، ص. 90 .

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج. 1، ص. 174.

[3] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 257.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج. 1، ص. 175.

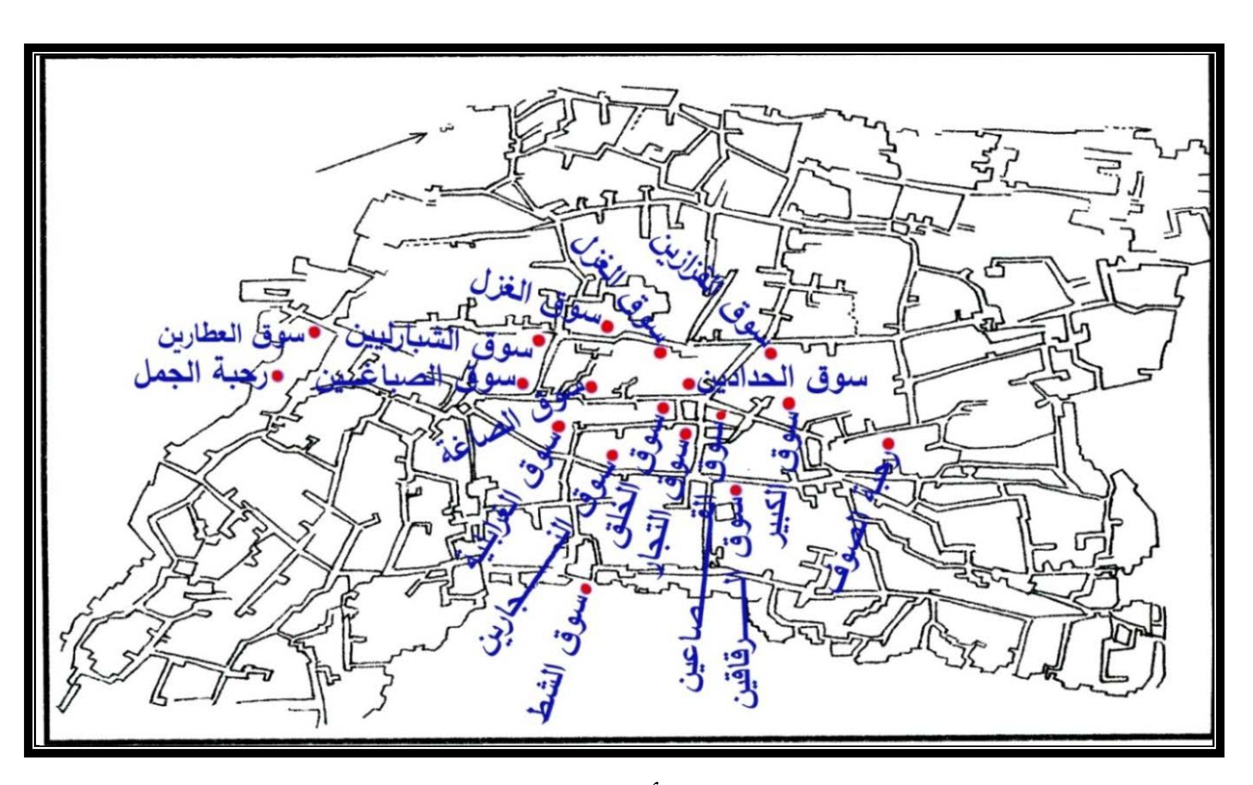
[5] حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص. 56.

لاحقة ذكر أنها مدينة غنية بها عدد من التجار والصنّاع، وتجارتها الأكثر ربحا هي المنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية[1].(الشكل 05)

من بين العائلات القسنطينية ذات الأصول الأندلسية:

ـ عائلة **بن قَانَة** التي كان بعض أفرادها من رجال الدولة المحيطين ببايات قسنطينة.

ـ عائلة **مَنْتُوري** نسبة إلى مدينة منتوري بالأندلس، وعائلة **كِيمُوش**[2].



الشكل 05: توزيع أسواق مدينة قسنطينة

عن: شريفة طيان (بتصرف).

2. بجاية: تقع مدينة بجاية على خط طول درجة 2° و45 دقيقة شرقا و36° و45 دقيقة شمالا، على مسافة 230 كلم شرق الجزائر العاصمة عند سفوح قورايا التي تحمي المدينة وميناءها من التيارات الهوائية، مما جعل جوّها معتدلا. يتميز موقعها الجغرافي بحصانته وبمرفئه الطبيعي وهو مفتوح على البحر الأبيض المتوسط بمسافة 95 كلم[3].

---

[1] كربخال مارمول، المصدر السابق، ج. 3، ص. 11.

[2] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 260.

[3] إسماعيل العربي، "بجاية العاصمة الثانية للحماديين" مجلة الثقافة، ع. 18، 1973، ص. 26.

تعدّ بجاية من المدن التي احتضنت مبكرا الأندلسيين، فقد أفادت بعض المصادر التاريخية بأن استقرارهم يعود إلى الفترة الحمادية. فالبكري (القرن 5هـ/11م) قال عنها[1]: "...أهلة عامرة بأهل الأندلس بشرقيها نهر كبير تدخله السفن محمّلة وهو مرسى مأمون" ممّا يوحي بأن عددهم كان كبيرا. ويبدو أن النواة الأندلسية الأولى تكوَّنت باستقرار تجَّار وبحَّارة أندلسيين في منتصف القرن 5هـ/11م الَّذين جعلوا من بجاية مقرا لهم عن طريق الملاحة[2]. فموقع بجاية الممتاز جعلها مقابلة للسواحل الأوروبية ونقطة اتصال مباشرة مع سواحل الأندلس، إذ ارتبطت طيلة العصور الإسلامية بمرافئ شرق الأندلس مثل طرطوشة وبلنسية ودانية وقرطاجنة[3].

استمرت بجاية في استقطاب الأندلسيّين خاصة لما اتخذها الناصر بن علناس عاصمة له سنة 460 هـ/1067م، وتكثَّفت في القرن 7هـ/13م عندما أصبحت تابعة للحفصيين بتونس. ومن أهم المدن التي جاؤوا منها بلنسية ومايورقة وألمرية وإشبيلية، وقد تميزت الهجرات الأندلسية في هذه الفترة بكونها هجرات نخبوية لأسر وجيهة وشخصيات بارزة كان لها الأثر الكبير في جميع الميادين العلمية والاقتصادية والصناعية[4]. وحضيت هذه العناصر الأندلسية بمكانة رفيعة لدى الأمراء الحفصيين ببجاية، فأصبح تولي الحجابة[5] وإسناد الوظائف الإدارية والقيام بمهام التعليم والتدريس في أغلب الأحيان من نصيبهم. كما برز في بجاية كثير من العلماء الأندلسيين الموسوعي الثقافة والمتنوّعي الاختصاصات حيث اشتهروا بالتأليف في مختلف التصانيف والمعارف كالعلوم العقلية

---

[1] عبيد الله البكري، المصدر السابق، ج. 2، ص. 757.

[2] صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية ، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006، ص. 359.

[3] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 102

[4] محمد عبد الله عنان، " مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط" مجلة الأصالة، ع. 13، 1973، ص. 194.

[5] الحجابة: تعني الوزارة.

النظرية والعلوم الأدبية واللغوية والعلوم الشرعية والمسائل الفقهية إلى جانب العلوم الرياضية والطبيعية[1]. ومن بين هؤلاء العلماء:

ـ أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي صلت الإشبيلي الأندلسي (ت. 555هـ/ 1160م)، مؤرّخ وأديب وشاعر، عارف بالفلسفة والرياضيات والموسيقى، وكان يكنّى بالأديب الحكيم. مكث مدة ببجاية واتصل بعلمائها ثم ارتحل إلى تونس، له فضل كبير في انتشار الموسيقى الأندلسية ببلاد المغرب ولحَّن الكثير من الأغاني[2].

ـ أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي (ت. 594هـ/1198م) هو إمام العبَّاد والزهَّاد نزل ببجاية واستقر بها مدة تناهز خمسة عشر سنة، استقدمه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (580هـ ـ 595هـ/1184م ـ 1197م) إلى مراكش، فتوفي في الطريق ودفن برابطة العبَّاد قرب تلمسان[3].

ـ أبو محمد عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي (ت. 636هـ/1238م) كان عارفا بالرواية مطَّلعا على علم الأدب، متفوّقا في اللغة، قدم بجاية ودرّس بها[4].

ـ أبو الحسن علي بن أحمد الأنصاري الإشبيلي المعروف بابن السراج (ت. 657هـ/ 1259م) عالم بالرواية والسند وتخريج الحديث، رحل من الأندلس واستوطن بجاية واشتغل بالتدريس حتى توفي بها عن عمر يناهز المائة سنة[5].

ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي (ت. 691هـ/1292م) كان له علم بالعربية وأصول الفقه، وتفوَّق في الطب حتى اعتبر من أشهر الأطباء في عهده. توَّلى القضاء ببجاية ثم ارتحل إلى إفريقية[6].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية ...، ص. 106.

[2] أحمد المقري، نفح الطّيب...، مج. 3، ص. 106 .

[3] أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: رابح بونار، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص. 60.

[4] نفسه، ص. 271.

[5] نفسه، ص. 181 ـ 182.

[6] نفسه، ص. 126 ـ 127.

هذا، ولم تكتف بجاية باستقبال هذه النخبة المثقفة بل احتضنت التجار وأهل الصنائع، فقد ساهم الأندلسيون مساهمة كبيرة في تطوير وتوسيع ميناء بجاية ليلبي احتياجات هذه المدينة المتزايدة النمو. كما يعود إليهم الفضل في تجديد أسطول الدولة الحفصية أيام السلطان أبي العباس أحمد[1]، فطوروا قدراته الدفاعية من أجل مواجهة الأساطيل البحرية بغرب المتوسط. وجعلوا من بجاية أكبر قاعدة لانطلاق الغارات على السواحل الأوروبية[2].

دخلت الهجرة الأندلسية إلى بجاية مرحلة أخرى في نهاية القرن 9هـ/15م بسقوط غرناطة وما تبعها من طرد وتشتيت للمسلمين، وتميزَّت بوصول غالبية الفئات غير النخبوية من صناع وحرفيين ومزارعين. وكان عددهم هاما حتى أن المدينة لم تكن قادرة على احتوائهم داخل أسورها، فخصَّص لهم السلطان الحفصي عبد العزيز[3] مكانا خارج المدينة في الجهة الشرقية، واختار المزارعون الاستقرار في البساتين المحيطة بوادي الصومام[4] من أجل ممارسة الزراعة[5]. (الخريطة 14)

احتل الإسبان بجاية سنة 915هـ/ 1509م، وبالرغم من أن الأندلسيين شاركوا في الدفاع عن مدينتهم[6]، إلا أنها تعرضت للتدمير والخراب على يد الإسبان الذين سيطروا عليها مدة 45 سنة. فهاجرها علماؤها الأندلسيون إلى ريف بلاد القبائل ونجحوا في تأسيس الزوايا والمعاهد العلمية بها[7]. وفي سنة 963هـ/1555م تمكَّن صالح رايس من تحرير بجاية وأصبحت تابعة لبايلك الشرق منذ عام 975هـ/1567م، ورغم اعتناء الحكام

---

[1] السلطان أبو العباس أحمد الفضل: توَّلى الحكم سنة 749هـ/1348م وضم ملكُه مدينة عنابة وقسنطينة وبجاية.

[2] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر...، ج. 2، ص. 63.

[3] السلطان عبد العزيز: يُكنى أبا فارس حكم في الفترة الممتدة من 796هـ/1393م إلى 837هـ/1434م.

[4] وادي الصومام: يقع في شمال الجزائر يولد من التقاء وادي بوسلام ووادي أقبو، ويمتد حتى يصب قرب بجاية.

[5] صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص. 374 ـ 375.

[6] Féraud L.CH.,«Histoire des villes de la province de Constantine », in R.N.M.S.A.C., Vol. 13, 1869, p. 99.

[7] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 128.

بها وإقرار حامية من الجند لحراستها (962هـ ـ 1248هـ / 1555م ـ 1832م) إلا أنها لم تسترجع مكانتها فعرفت انكماشا حضاريا ظلت قليلة السكان ناقصة العمران[1].

من بين العائلات البجائية الَّتي انحدرت من الأندلس:

ـ عائلة **بُوُزُوزُو** وعائلة **سْعِيدُوني**، وعائلة **أولَحْضِير**[2]، **و**عائلة **قُرَيْشِي**، وعائلة **ابن عميرة**، وعائلة **سَحْنُون** وهي عائلة علم وثقافة، وعائلة **أَغْمَاز**، وعائلة **سِيَاسِي**[3].



الخريطة 14: التوسع العمراني لبجاية خلال القرن 9هـ/15م

عن: صالح بعيزيق.

---

[1] Shaw Th., Op. Cit., p. 336.

[2] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 353.

[3] نفسه. ص. 354.

3. عنابة: تقع مدينة عنابة على خطّ طول 28° ودوائر العرض 33° و50 دقيقة، وتعرف عنابة كذلك بمدينة العنَّاب نسبة لنبات العناب الذي ينمو حولها. موقعها الجغرافي في أقصى الشمال الشرقي الجزائري ممّا جعلها من أهم مدن الشرق المطلَّة على البحر الأبيض المتوسط وهي تبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 650 كلم.

أقيمت عنابة في أول عهدها على منحدرات التلّ الَّذي بنيت عليه حديثا كنيسة القديس أغسطس، وعندما استوطنها المسلمون بعد الفتح[1] استقروا بالقرب من نهر سيبوز وعرفت آنذاك لدى الرحالة العرب "بمدينة سيبوز"[2]. وفي الفترة الزيرية اكتسبت عنابة تسمية "مدينة زاوي" نسبة للأمير الصنهاجي زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي الَّذي توَّلى شؤون إمارتها وكان من قبل أميرا على غرناطة التي اختطها أجداده بنو زيري إثر سقوط الخلافة الأموية بقرطبة وقيام دول الطوائف[3]، فجلب هذا الأمير العديد من العائلات الأندلسية لتستقر بعنابة[4]. واستقروا في عدة أحياء من المدينة وتمركزوا في "عقبة العناب" في الموضع الذي يعرف اليوم ب:"رَاسْ البْلاَد"[5]، ومارسوا مختلف الصنائع المختلفة والمهن اليدوية واحتكروا الأعمال التجارية[6].

جلبت عنابة أطماع الإسبان فاحتلوها سنة 922هـ/1516م، إذ كانت تمثل مركزا هاما في مراقبة الملاحة في البحر المتوسط، واستغلّوا تجارة المرجان الموجود في شواطئها. وفي سنة 947هـ/1540هـ حرَّرها خير الدين واستطاع أن يخرج الإسبان

---

[1] فتحت عنابة سنة 51هـ/671م من طرف عقبة بن نافع وتعاقب عليها ولاة من القيروان، خضعت للأغالبة وللفاطميين وللحماديين وللموحدين وللحفصيين ثم للأتراك. أنظر: مختار حساني، المرجع السابق، ج. 3، ص. 5 ـ 9..

[2] ناصر الدين سعيدوني، " الحياة الا

قتصادية بعنابة أثناء العهد العثماني"، مجلة الأصالة ع. 34 ـ 35، 1976م، ص. 86.

[3] مؤلف مجهول، مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة (469هـ ـ 483 هـ) المسمّاة بكتاب " التبيان، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1955، ص.22.

[4] ناصر الدين سعيدوني، "الحياة الإقتصادية..."، ص.86.

[5] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 269.

[6] عبيد الله البكري، المصدر السابق، ج. 2، ص. 717.

منها[1]. الأمر الذي شجَّع على وفود أعداد كبيرة من الأندلسيين إلى عنابة في الفترة الممتدَّة من سنة 957هـ/1550م إلى سنة 1071هـ/1610م. فنزل بعضهم في المكان الَّذي يعرف اليوم ب:"رَاسْ الحَمْرَا" ربما نسبة إلى حي الحمراء بغرناطة[2]. (الخريطة 15)

كما تحدثت المصادر الإسبانية وعلى رأسهم الكاتب Rufi الَّذي عاش في القرن 11هـ/17م عن مئات الغرناطيين الَّذين أبعدوا من إسبانيا فقال[3]:" أن حوالى ألف غرناطي رجالا ونساء وأطفالا أبحروا من إشبيلية بأمر من ملك إسبانيا الّذي طردهم من أقاليمه فاستأجروا سفينتين من سفن الفلمنك (الهولانديين) فغرقت إحدى السفينتين، وحاولا من نجا من ركابها الالتحاق بمرسيليا وأُسكنوا في عيادات قديمة، وكان يموت منهم في كل يوم جماعة والناس يخشون تفشي مرض الطاعون، فتقرَّر إبعادهم واكترت مدينة مرسيليا سفنا ونقلت من بقي من الغرناطيين إلى عنابة وطبرقة وغيرها من ثغور المغرب الشرقي".

ساهم أندلسيو عنابة في العديد من الحرف خاصة النسيجية منها، واستقرّ بها رجل أندلسي مشهور سبق ذكره يدعى "مصطفى قردناش" Moustaphas de Cardenas قادما إليها من تونس، وكان يملك أموالا كثيرة أنفقها في فدية الأسرى المسلمين المحجوزين عند النصارى. وكان لهذا الأندلسي معرفة جيدة بالأساليب الزراعية وساهم مساهمة كبيرة في هذا المجال[4]. وقد بقيت عائلات عنابية تنحدر منه:

ـ عائلة **قرمبالي** وعائلة **كَاشَا** وعائلة **بن الكَاشَخ**[5].

ـ عائلة **قْويطَة** وعائلة **بن قْوِيطَة** وعائلة **لِنْدُلْسي**، وعائلة **الكُرْد** ومن أشهر أفرادها الفنان **الشيخ الكُرْد** الذي عاش في بداية القرن 13هـ/19م.[1]

---

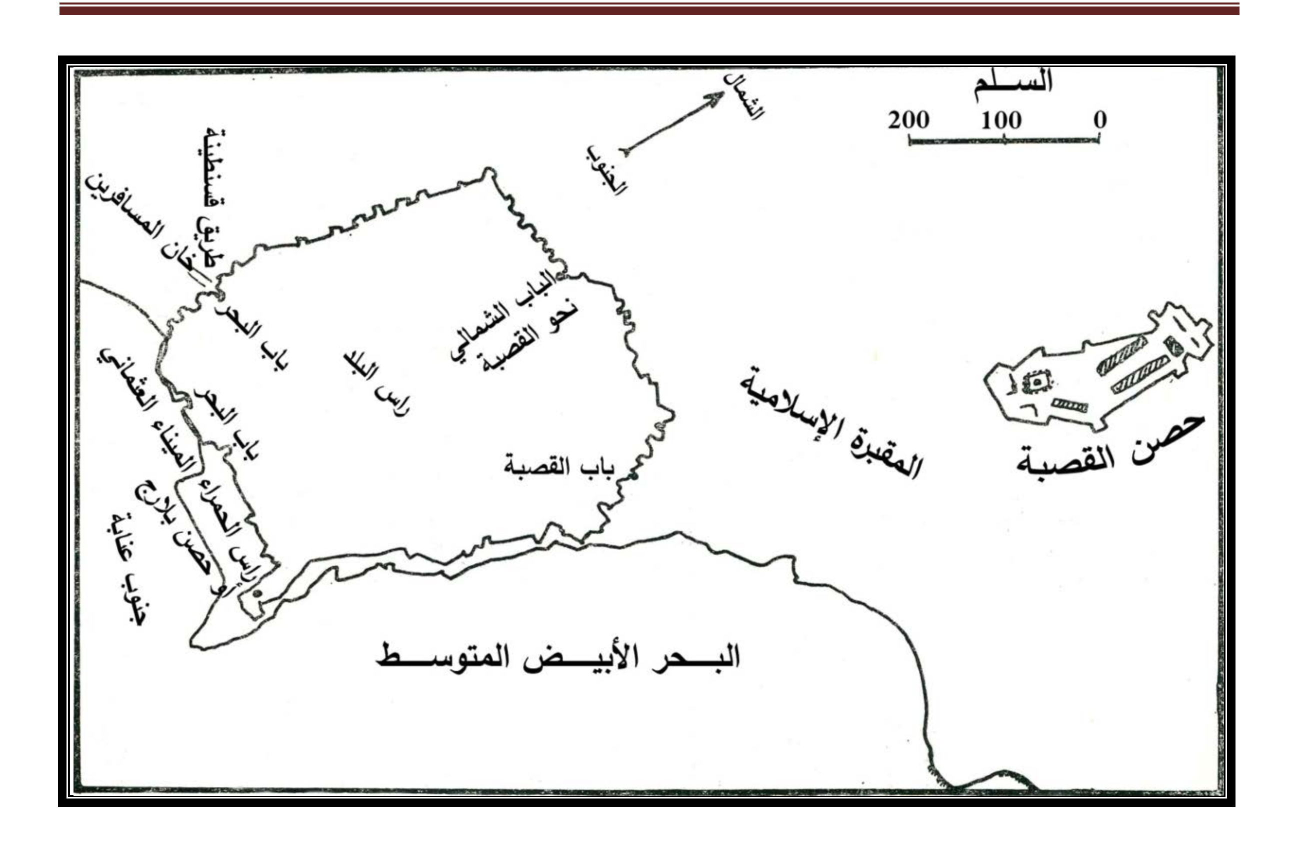
[1] ميكال دي ايبامزا، " حول ثلاثة أحداث غير معروفة من العلاقات التاريخية بين عنابة وإسبانيا"، ترجمة: عبد الحميد حاجيات، مجلة الأصالة، ع. 34 ـ 35، 1976، ص. 112 ـ 113.

[2] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 271.

[3] عثمان الكعاك، " عنابة قبل الإسلام"، مجلة الأصالة، ع. 34 ـ 35، 1976، ص. 54 .

[4] Peyssonnel J. A., Op. Cit., p. 125.

[5] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 279.



الخريطة 15: مدينة عنابة في الفترة العثمانية
عن: ناصر الدين سعيدوني (بتصرف).

4. جيجل: تقع مدينة جيجل بين خطي طول 3^0 و24′ شرقا وخطي عرض 36^0 و49′ وهي مدينة ساحلية تطل من جهة الشمال على البحر الأبيض المتوسط يبلغ شريطها الساحلي 120 كلم[2]، يتميز موقعها بحصانته إذ تحيط بالمدينة مجموعة من السلاسل الجبلية التي ترتبط بجبال البابور[3] وهي قريبة من الأودية كوادي الرمل ووادي جنجن الّذي ينحدر من مرتفعات جبال البابور[4].

خضعت جيجل في القرن 5هـ/11م للحماديين، ولما اتخذوا بجاية عاصمة لهم قَويَت علاقاتهم التجارية مع الدول الأوروبية، وأصبح ميناء جيجل من ضمن الموانئ

---

[1] نفسه، ص. 284 - 285.

[2] Yver G., « Djidjelli » in E.I., t.II, E. J. Brill, Leiden, G.- P. Maisonneuve et Larose, Leiden Brill, 2005, p. 550.

[3] جبال البابور: هي سلسلة جبلية تقع شمال الجزائر تشمل جزءًا كبيرًا من منطقة القبائل الصغرى وتمتد على خليج بجاية وجيجل تبلغ أعلى قمة بها 2004 م.

[4] مختار حساني، المرجع السابق، ج. 3، ص. 38.

الأساسية لدولتهم فعرفت جيجل ازدهارا عمرانيا، وكثرت بها وبالمناطق المجاورة لها الأسواق واستقرَّ فيها التجَّار والحرفيون. وفي القرن 7هـ/13م زادت أهمية جيجل عندما اتخذ الحفصيون ميناءها محطةً أساسية لمبادلاتهم التجارية[1].

تمَّ تحرير جيجل عام 920هـ/1514 م من الإسبان واستقرَّ خير الدين بها سنة 925هـ/1520م ومكث مدة طويلة تزيد عن خمس سنوات. واتخذها قاعدة عسكرية لتحرير بجاية، ومركزا لأعماله الجهادية في البحر المتوسط وتمكن من تخليص أعداد كبيرة من الأندلسيين[2].

لما أقدم الأندلسيون إلى موانئ الجزائر توجه عددٌ منهم إلى ميناء جيجل واستقروا في كنف خير الدين الّذي قدَّم لهم المساعدة والعون. وانظموا مع السكان للعمل في الأسطول الإسلامي تحت قيادة الأخوين خير الدين وعروج لتحرير بجاية وشرشال وتنس كما أنهم شاركوا عروج في قتاله ضد ابن القاضي[3] المعادي للأتراك[4].

ساهم الأندلسيون في صناعة السفن في ميناء جيجل لكثرة الغابات الغنية بالأشجار[5] إلا أن مساهمتهم في الزراعة كانت متواضعة لأن أراضيها لا تصلح إلا لزراعة الشعير والكتَّان[6].

من بين الأسر الجيجلية ذات الأصول الأندلسية:

---

[1] مختار حساني، المرجع السابق، ج. 3، ص. 37.

[2] مؤلف مجهول، كتاب غزوات...، ص. 82.

[3] أحمد بن القاضي: كان واليا على عنابة أيَّام الحفصيين، وبعد احتلال الإسبان لبجاية استقر بها وبدأ يسيطر على بعض القرى المجاورة. ثم بسط نفوذه على البلاد الممتدَّة من دلّس إلى جيجل. وبعدها انتقل إلى قرية "كوكو" ليستقر بها عند قبيلة آيت يحي، وهي قرية صغيرة على بعد 8 كلم شرق عين الحمام بولاية تيزي وزو. وكان على خلاف مع الأتراك. أنظر: عبد القادر نور الدين، الموجع السابق، ص. 45 - 47.

[4] Haedo F. D., Histoire des rois…, p. 31 – 32.

[5] مختار حساني، المرجع السابق، ج. 3، ص. 40.

[6] حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص. 52.

ـ عائلة **قُرَّاصْ** يوجد فرع من هذه العائلة في تونس التي استقرت في سنوات 1019هـ ـ 1030هـ/1610م ـ 1620م[1].

ـ عائلة **الأَحْمَر**، احتمال كبير أن تكون هذه العائلة منحدرة من ملوك غرناطة النصريين بني الأحمر[2]. ويوجد فرع من هذه العائلة في مدينة تطوان المغربية[3].

ـ عائلة **لوُنْغُو**، وعائلة **كُورْدُو** حافظت هذه العائلة على الاسم الإسباني، إذ أن القشتاليين كانوا يطلقون على مدينة قرطبة كوردو[4].

5 . **القل:** تقع القل بين خطي 6^0 و7^0 شرقا، وبين خطي عرض 36^0 و37^0 شمالا، في منطقة التلّ الشمالي الشرقي للجزائر. بنيت على هضبة ساحلية تطلّ على البحر الأبيض المتوسط[5].

خضعت القل في القرن 4هـ/10م للسلطة الفاطمية، وكان بها مرسى ينقلون منها مختلف السلع والبضائع إلى الأندلس، وقد بسط الموحدون سلطتهم على مدينة القل واستغلوا ميناءها للتجارة. وفي سنة 928هـ/1521م دخلت تحت الحكم العثماني[6].

أما بخصوص استقرار الأندلسيين في منطقة القل فلا تتوَّفر معلومات كثيرة، فبعد قرار النفي نُظمت سنة 1019هـ/1610م عملية طرد مئات الآلاف من الأندلسيين اللاجئين من إسبانيا إلى جنوب فرنسا. فنقلوا إلى ميناء أغد ليبحروا إلى البلدان المغاربية وأرست السفن بعدد منهم في مدينة القل، ويبدو أنهم كانوا قادمين من مدينة مالقة[7].

---

[1] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 336.

[2] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 337.

[3] محمد رزوق، المرجع السابق، ص. 322.

[4] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 336.

[5] أحمد بلقاضي، القل عروس جبال الرحمن، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص. 12.

[6] مختار حساني، المرجع السابق، ج.3، ص.42.

[7] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 299.

ساهم الأندلسيون في الزراعة لخبرتهم بها وفي صناعة الجلود، فقد وصف حسن الوزان مدينة القل قائلا[1]:" هي مدينة متحضرة مليئة بالصناع، وأهلها ظرفاء كرماء تجارتهم رابحة لأنهم يجنون من جبالهم الكثير من الشمع ويمتلكون كمية عظيمة من الجلود".

[1] حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص. 54.

الفصـل الرابـع

المظاهر الاجتماعية والحضارية الأندلسية

أولا: المظاهر الاجتماعية

ثانيا: المظاهر الحضارية

أولا: المظاهر الاجتماعية

1 . الوضع الاجتماعي الأندلسي

شكّلت الجالية الأندلسية بالجزائر عنصرا بشريا مهما، وكان أفرادها متجانسين مع السكان من حيث الدين واللغة. وتعدّ الأقلية التركية أهم المجموعات السكانية الّتي كانت تمثل الطبقة الحاكمة في البلاد وظلت ضئيلة العدد، لذا لم تؤثّر في البنية الاجتماعية لسكان مدن الجزائر. تليها طبقة الكراغلة والّتي هي نتيجة تزاوج الجيش التركي بنساء البلاد وقد ظهروا في المدن الّتي تقيم بها الحاميات التركية كالجزائر وتلمسان ومعسكر وقلعة بني راشد ومستغانم ومازونة ومليانة والمدية والبليدة والقليعة وقسنطينة وعنابة[1]. وكانوا بعيدين عن مقاليد السلطة ولم يتمتعوا بامتيازات أبائهم الأتراك[2]، يلي طبقة الكراغلة طبقة الحضر (البلدية) وتتشكّل من المجموعات السكانية القاطنة بالمدن قبل مجيء الأتراك ويصنف معهم الأندلسيون، إلى جانب المجموعات السكانية الّتي هاجرت إلى المدن الكبرى كالجزائر وقسنطينة وتلمسان وغيرها للإقامة والعمل، حيث جاءوا من بسكرة وجيجل ووادي ميزاب والأغواط ومنطقة القبائل[3]. بالإضافة إلى وجود عناصر أخرى غير مسلمة كالأسرى المسيحيين واليهود[4].

أدّت الجالية الأندلسية دورا كبيرا في الحياة الاجتماعية بالجزائر العثمانية، إذ اشتغل أفرادها بالعمل التجاري والحرف المهنية والصناعية وطلب العلم والتدريس. ممّا مكّنهم من ربط علاقات واسعة وقوية بمختلف شرائح المجتمع الجزائري في هذه الفترة[5] وقد ساهموا بشكل كبير في ازدياد عدد السكان خلال القرنين 10هـ ـ 11هـ/16م ـ17م، إذ

---

[1] ناصر الدين سعيدوني والمهدي الشيخ البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 93 ـ 94.

[2] أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج.1، ص. 155.

[3] ناصر الدين سعيدوني والمهدي الشيخ البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 98 ـ 99.

[4] أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج.1، ص. 157.

[5] هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص. 57.

بلغ عدد سكان مدينة الجزائر سنة 988 هـ/1580م 70000 نسمة[1]، ليرتفع إلى ما بين 100 ألف و120 ألف نسمة عام 1044هـ/1634م[2]. وبلغ عدد سكان تلمسان خلال القرن 9هـ/15م 100000 نسمة[3]، أما مدينة مستغانم فقد بلغ عدد سكانها سنة 978هـ/1570م 15000 نسمة[4]. وذكر حسن الوزان (القرن 10هـ/16م)[5] أن مدينة قسنطينة كانت تضم 8000 دار.

لقيت الجالية الأندلسية بالجزائر منذ بداية الحكم العثماني اهتماما كبيرا، وحضيت بتعاطف الأهالي في أغلب المرّات، مما أعطى لها فرصة للاستقرار وبناء نفسها من جديد. فتكّونت طبقة غنية من المهاجرين الأندلسيين[6]، الَّذين استطاعوا بفضل خبرتهم وعملهم الجاد ومهارتهم المتعددة في البحر، وفي الصنائع أن يحتكروا الميدان الصناعي والتجاري. كل هذا أدَّى إلى تحسين أوضاع الجالية الأندلسية بالجزائر وجعلها تحتل مكانة اجتماعية مرموقة.

تحدث Laugier DeTassy الَّذي زار الجزائر سنة 1138هـ/ 1724م عن الجالية الأندلسية، ووصف حالهم بأنهم ينتمون إلى طبقة الأغنياء، حيث يسكنون المدن ويقيمون في منازل كبيرة ويملكون الثروة ويمارسون التجارة خاصة تجارة العبيد ويحترفون الصنائع ذات المردود الوفير[7]. وبهذا استطاعت هذه الجالية من تنمية ثرواتها. ولعلّ أحسن دليل على مدى غنى هذه الطائفة يتبين من تلك الضرائب الَّتي كانوا يدفعونها للدولة الجزائرية وعلى سبيل المثال: ضريبة أندلسي غرناطة القاطنين بشرشال والَّتي بلغت أثناء القرن

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، " الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني"، المجلة التاريخية المغربية، ع. 39 ـ 40، 1985، ص. 439 .

[2] محمد الأمين بلغيث، المرجع السابق، ص. 6.

[3] مختار حساني، المرجع السابق، ج. 3، ص. 35.

[4] بوعبد الله بلجوزي، المرجع السابق، ص. 38.

[5] حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.56.

[6] أندريه برنيان وآخرون، المرجع السابق، ص. 164.

[7] Laugier De Tassy., Histoire du royaume d’Alger, édit. Loysel, Paris, 1992, p.51.

10هـ /16م 300 دوكة[1] سنويا[2] وضريبة جالية مستغانم الأندلسية الَّتي قدرت عام 978هـ/1570م ب800 زياني[3] ذهب و600 كيلة كبيرة من القمح والشعير و200 رطل زبدة و70 بغلا مهيئا للخدمة وثلاثة خيل للركوب[4].

أُطلق على هذه الطبقة الغنية من المهاجرين الأندلسيين "بورجوازية المدن الساحلية" الَّتي لم تكن موجودة قبل حلولهم بالجزائر. وكانت تمتلك الأموال والرغبة في تنمية ثرواتها واستغلال مهارتها واستثمار مزارعها[5]، وتؤكّد العديد من الوثائق الخاصة بالأندلسيين بمدينة الجزائر عن وجود مجموعة كبيرة من الأثرياء ذوي المال والنفوذ من بينهم: "ابن على الأندلسي" و"حسن بن سعيد الأندلسي" و"أحمد بن سعيد الأندلسي" و"حطاب بن محمد الأندلسي" و"محمد بن حفص عمر الأندلسي" و"محمد بن أحمد الأندلسي" و"على بن حسن الأندلسي" و"أبو عبد الله محمد الأندلسي"[6]. لكن هذه الوضعية الميسورة والمتميّزة للأندلسيين لم تكن تتمتَّع بها كل أفراد هذه الجالية، فقد ضمّت العديد من الجماعات المهنية والحرفية المتفاوتة الغنى والمختلفة الاهتمامات، فمنهم الأغنياء ومنهم الفلاحون ومنهم أصحاب المهن والصناع ومنهم البحّارة المغامرون، ومنهم أيضا الفقهاء والعلماء[7]. ولقد بعث السلطان سليم الثاني سنة 981هـ/1573م فرمانا إلى إيالة الجزائر

---

[1] دوكة هي عملة إسبانية.

[2] حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص. 34.

[3] زياني هو الدينار الذهبي العثماني، وقد سمي بالزياني بسبب تشابهه الكبير بينه وبين الدينار الذهبي الذي كانت تضربه دار الضرب بتلمسان في العهد الزياني. أنظر: حورية شريد، تاريخ الجزائر من خلال المسكوكات، المتحف الوطني للآثار القديمة، الجزائر، 2007، ص. 170.

[4] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، ص. 142.

[5] Brahimi D , « Quelques jugements sur les maures andalous dans les régences turques au XVIII^{e} siècle » in R. H. C. M., n° 9, S.N.E.D., Alger, 1970, p.43.

[6] ناصر الدين سعيدوني، "الأندلسيون (الموريسكيون) بمقاطعة الجزائر..." ص. 117.

[7] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص. 58.

يصف فيه الأندلسيين بأنهم " أهل الإسلام فقراء أهل العلم والقرآن"، ويجب تشغيلهم في الوظائف الإدارية والتعليمية دون تحيز وعدم تفضيل أهل البلاد عليهم[1].

2 . مصاهرات الجالية الأندلسية

اعتبر أفراد الجالية الأندلسية بالجزائر في بداية الأمر أنفسهم في دار هجرة مؤقتة يترقبون الفرص والظروف للعودة إلى مواطنهم الأصلية بالأندلس واسترجاع بيوتهم وأملاكهم، حتى أن أرباب العائلات الكبيرة المقيمة في مدينة الجزائر ظلت محتفظة بمفاتيح منازلها التي تركتها بالأندلس بكل صدق ووفاء، آملين في العودة إليها[2]. ويفسر هذا الإحساس اعتزازهم بأصولهم الَّتي رأوا فيها نوعا من النبل والشرف، حتى أن أحد حضر مدينة الجزائر وهو سيدي بوضربة السابق الذكر لم يتردّد في التصريح لأحد الجنود الفرنسيين إثر الاحتلال بأنه ينتمي إلى أصول أندلسية[3].

لم يكن الأندلسيون يميلون إلى الاختلاط مع غيرهم من السكان، هذا ما جعلهم يحجمون في بداية الأمر عن التزاوج خارج جماعتهم. فنادرا ما تتزوج المرأة الأندلسية من غير أندلسي إلا إذ اضطرتها الحاجة والفقر إلى ذلك. فقد أثبتت عقود المحاكم الشرعية المدروسة أن أكبر المصاهرات الأندلسية لا تخرج عن جماعتهم وهذا خلال القرن 11هـ/17م وبداية الربع الأول القرن 12هـ/18م[4]. لكن لا يمكن الفصل بأن كل الزيجات الأندلسية لا تخرج عن نطاق جماعتهم، فقد تزوّج أتراك البليدة وصاهروا سكان هذه المدينة الَّتي يغلب عليها الأصل الأندلسي[5]، وتزوّجت بعض الأندلسيات من أعيان مدينة الجزائر[6]. وقد أثبتت عقود المحاكم الشرعية صحة هذا الكلام فمثلا:

---

[1] شكيب بن حفري، موقف الدولة العثمانية من الجالية الأندلسية بالجزائر 1571م - 1573م، المؤتمر الدولي الخامس للدراسات الموريسكية الأندلسية، تونس، 1992، ص. 35.

[2] Devoulx A., « Notice sur les corporations religieuses d'Alger accompagnée de documents authentiques et inédits», extrait de la Rev. Afr. ,1882, Alger, 1912, p. 71.

[3] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث....، ص. 143.

[4] مهدية طيبي، المرجع السابق، ص. 112.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج. 1، ص. 145.

[6] Haedo F. D., Topograhie… , p. 129.

ـ " الشاب محمد الأندلوسي ابن الحاج عبد القادر بن عمر **صهر** مولانا **حسين باشا**"[1].

ـ " الحاج **مصطفى آغا زوج** الحرة عايشة بنت المرحوم الحاج إسماعيل الأندلسي" [2].

ـ " الولية فاطمة بنت محمد الثغري **زوجة** الحاج محمد **التركي** "[3].

كما أفادت الوثائق الخاصة بمدينة الجزائر والَّتي ترجع إلى القرن 11 هـ/ 17م زواج أهل الأندلس مع أشخاص في الجيش ومع رياس البحر ومع الفئة البرانية كذلك[4] ويظهر جليا في العقود التالية:

ـ " **زواج** الولية عايشة بنت "كذا" الآندلسي من محمد **يلداش**[5] بن حسين وابنها **نابي الانجشاري**" [6].

ـ " قاسم **الانجشاري زوج** زهرة بنت أحمد بن مسعود الأندلسي" 1030هـ/ 1620م[7].

ـ " عايشة بنت مصطفى الأندلسي كانت **زوجا** للمرحوم محمد **ريس**"[8].

ـ " السيد الحاج أحمد بن الحاج عمر الأندلسي **زوجة** فاطمة بنت السيد محمد **اللمداني**" [9].

.[9]

3 . أوقاف الجالية الأندلسية

الوَقْفُ لغة هو الوقوف وهو خلاف الجلوس، وقَفَ بالمكان وقفا ووقوفا، فهو واقف والجمع وقف[10]. وللوقف والتحبيس والتسبيل معنا واحدا، وهو الحبس عن التصرف. يقال:

---

[1] لقد ذكرت في المقدمة أن العلب التي تفحصتها لاستخراج أسماء الأندلسيين سبقتني إليها الباحثة في التاريخ الأستاذة طيبي مهدية، وقد قمت بمراجعة هذه الأسماء. م. ش. علبة 129 الوثيقة 28.

[2] م. ش. علبة 2/9 الوثيقة 23.

[3] م. ش. علبة 9 / 2 الوثيقة 39.

[4] مهدية طيبي، المرجع السابق، ص. 113.

[5] يلداش أو يولظاش كلمة تركية معناها الجندي. أنظر: Ben cheneb M., Op. Cit., p. 87.

[6] م. ش. علبة 58 الوثيقة 2.

[7] م. ش. علبة 99 ـ 100 الوثيقة 54.

[8] م. ش. علبة 119 ـ 120 الوثيقة 38.

[9] م. ش. علبة 124 ـ 125 الوثيقة 48.

[10] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 6، ص. 969.

وقفت كذا:أي حبسته، ولا يقال أحبسته. ويقال أحبس وليس حبس[1]. أما اصطلاحا فالوقف هو عقد لعمل خيري ذي صبغة دينية، يقوم على توفّر الواقف الَّذي يشترط فيه البلوغ وصحة الملكية وأحقيّة التصرف فيها، و بذلك يكون للواقف أهلية التبرع بما يملك من ذات أو منفعة. وعلى وجود الموقوف وهو المنفعة الَّتي تصرف، فضلا على توفر الموقوف عليه، وهو المستحق لصرف تلك المنفعة ويمكن أن يكون شخصا فقيرا أم يتيم أو أرملة كما يمكن أن يكون مصلحة عامة كالمسجد والمدرسة والزاوية وغيرها[2].

والوقف عند المالكية لا يقطع حق الملكية في العين الموقوفة، وإنما حق التصرف فيها، وجاء تعريفهم كالأتي:" إن المالك يحبس العين عن أي تصرف تمليكي، ويتبرع بريعها لجهة خيرية، تبرعا لازما، مع بقاء العين على ملك الواقف مدّة مهينة من الزمن فلا يشترط فيه التأبيد"[3].

ظلّت الأوقاف أو الأحباس كما تعرف في أقطار المغرب الإسلامي تقليدا إسلاميا عريقا تشكّل إحدى مظاهر الحضارة الإسلامية الَّتي تميّز بها العهد العثماني بالجزائر. ولما أراد الأندلسيون أن ينضموا أنفسهم تنظيما داخليا ليرتبطوا فيما بينهم. أسسوا عدة أوقاف خاصة خاصة بهم كانوا بالوحدة والتشتت والحاجة إلى التضامن والتآزر، أرادوا أن ينظموا أنفسهم تنظيما داخليا ليرتبطوا فيما بينهم. أسسوا عدة أوقاف خاصة بهم كانوا يهدفون من ورائها التضامن والتآزر وخدمة فقرائهم[4]. وبفضل الثراء الّذي أصبحوا عليه لاحتكارهم ميادين حيوية كالصناعة والزراعة والتجارة. امتلكوا الكثير من العقّارات من ديار وحوانيت ومخازن وحمامات وعلوى (البيوت الواقعة بالطابق العلوى بالمنزل) ويقدم الجدول التالي بعض ممتلكات الأندلسيين في مدينة الجزائر[5]:

---

[1] وهبة الزّحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج.8، ط.2، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، 1985، ص. 153.

[2] ناصر الدين سعيدوني، " الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالجزائر (أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي)"، مجلة الأصالة، ع. 89 ـ 90، 1981، ص. 85.

[3] وهبة الزّحيلي، المرجع السابق، ص. 155 ـ 156.

[4] مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص. 123.

[5] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 86 ـ 88.

الحوانيت	الـــدور	الحمامات و المخازن
حانوتين بفندق الزيت عزون[1].	دار سي علي الطالب	حمام القرون[2].
حانوت بسوق اللوح[3].	دار حارة الجنان	نصف مخزن مقابل لحمام القرون
حانوت بسوق القبائل[4].	دار المدافعي قرب قصر الحمراء[5].	مخزن بسوق الحمام
حانوت بباب عزون	دار بسويقة عمور[6].	
حانوت بسوق السّمن[7].	دار بمسيد الدالية.	
حانوت بسويقة عمور	دار بسوق السّمن	
حانوت بفندق العزارة[8].	دار بزنقة الصباغين	
نصف حانوت بحومة	دار أسفل سوق السّمن	
نصف حانوت بدار الكرموس		
نصف حانوت بزنقة المقايسية[9]. المقايسية[9].		

[1] فندق الزيت: يقع في زنقة الجرابة على شارع باب عزون، أنظر: زهية بن كردرة، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2000، ص. 147.

[2] حمام القرون: يسمى كذلك بحمام سوق السمن لأنه يقع بالقرب منهُ، بني سنة 1093هـ/ 1682م. أنظر:
Cherif –Seffadj N., Les bains d'Alger durant la période Ottomane (XVI^{e} – XIX^{e} siècle), PUPS, 2008, p. 161.

[3] سوق اللوح: يقع عند بداية شارع باب عزون. أنظر: ألبير ديفولكس، المرجع السابق، ص. 184.

[4] سوق القبايل: يقع على يمين مدخل باب عزون. أنظر: زهية بن كردرة، أسواق مدينة...، ص. 149.

[5] قصر الحمراء: يقع بين شارع باب الوادي وزنيقة عين الحمراء حاليا نهج أول نوفمبر، بناه الداي حسين عندما كان يشغل منصب خوجة الخيل (1232هـ - 1234هـ/1816 - 1818م)، أنظر: محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 1999، ص. 48.

[6] سويقة عمو: عبارة عن سوق صغير تقع على شارع حمام العرصة. أنظر: زهية بن كردرة، أسواق...، ص. 148.

[7] سوق السّمن: يقع في شارع الديوان بالقرب من شارع الشباغلية. أنظر: زهية بن كردرة، أسواق...، ص.142.

[8] فندق العزازة: يقع قبالة سوق الصفارين. أنظر: زهية بن كردرة، أسواق...، ص. 148.

[9] زنقة المقايسية: تطل على شارع باب عزون. أنظر: زهية بن كردرة، أسواق مدينة...، ص. 149.

3 . 1. الوقف الخيري العام: ساهم الأندلسيون بالوقف الخيري العام وهو يعود على المصلحة العامّة الَّتي حُبس من أجلها، ويتوزع على مؤسسات خيرية لها صبغة دينية وشخصية قانونية ووضع إداري خاص، فكان قسم من هذه الأوقاف يُصرف لصالح فقراء الأندلس بالجزائر، وقسم مشترك بين فقراء الأندلس والحرمين الشريفين، بحيث تكون مناصفة بينهم وبين فقراء مكّة والمدينة[1]. فتُقدم الإعانات لأهالي الحرمين الشريفين المقيمين بالجزائر أو المارين بها طيلة مكوثهم، بعد التثبت من صحة انتسابهم للأماكن المقدسّة عن طريق مكتوب يصدر من مكّة أو المدينة.

هذا، وتتكفل هذه المؤسسة بإرسال حصة من هذه المداخيل إلى فقراء الحرمين في مطلع كل سنتين عن طريق مبعوث شريف مكّة والّذي يسافر برفقة الحجاج.[2] بالإضافة إلى أن الأندلسيين أنفقوا أوقافهم على الجامع الكبير الَّذي ورد في الأوقاف باسم الجامع الأعظم، وكانت تصرف عوائد أوقافه على المدرّسين والأئمة والمؤذّنين وفي أعمال الصيانة والخدمات الضرورية كالإنارة و التنظيف والحراسة وإيواء الطلبة[3]. وقد ساهمت أوقاف الأندلسيون كذلك في أعمال خيرية مثل فداء الأسرى المسلمين الَّذين يقعون في أيدي النصارى وتقديم العون لأبناء السبيل واليتامى[4].

تفيد عدّة عقود أن الأندلسيين كان لهم دور كبير في الوقف الخيري العام، وعلى سبيل المثال:

- " تحبيس **يوسف سليمان الأندلسي** جميع الحانوتين الاثنين المواليتين لناحية القصبة الجديدة على **فقراء الأندلس...**"[5].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص. 83.

[2] Busson de janssens G., contribution à l’étude des Habous publics algériens, Alger, 1950, pp : 28 – 29.

[3] Busson de janssens G., Op. Cit., p. 32.

[4] ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكيّة والوقف والجباية الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص. 58.

[5] م.ش. علبة 16 / 2 الوثيقة 16.

ـ " تحبيس **أبو عبد الله محمد بن الكيراني** الأندلسي الثلث الواحد من جميع ما يخصه من أشياء جليلة على **فقراء الأندلس**"[1].

ـ " تحبيس **الولية خديجة بنت الحاج محمد الأندلسي** حانونتين احداهما بباب عزون والأخر بباب الوادي على **فقراء الأندلس والحرمين...**"[2]

ـ تحبيس على **طوليض الأندلسي** لدار وجنينة بمليانة، وبحيرة بفحص حروشة قرب مليانة **على الحرمين الشريفين** في شهر ذي الحجة من عام 1152هـ/1739م[3].

ـ تحبيس **حسن خوجه صهر الحاج علي بن الحاج موسى الأندلسي** فسحة لصناعة الفخار ودارين بالمدية **على الحرمين،** وكذلك تحبيس جماعة من الأندلسيين المشتغلين بالصناعة والقاطنين بالبليدة لعمل الشاشية على **الحرمين الشريفين**[4].

ـ تحبيس محمد الأندلسي دار بمدينة الجزائر لفائدة **الجامع الأعظم** 1183هـ/1769م[5].

3 . 2 . الوقف الذُّري الأهلي: حبس الأندلسيون أملاكهم على ذويهم وأهلهم ويطلق على هذا الوقف " بالوقف الذري الأهلي" وهو ينحصر ضمن الإطار العائلي ولا يخرج عن النسب الأندلسي، وقد ساعد على انتشاره في الجزائر إجماع علماء المالكية الإقتداء بالمذهب الحنفي بجواز الوقف الأهلي تشجيعا للوقف من جهة وترغيبا للآجر من جهة أخرى.[6] وقد أشار حمدان خوجة لهذا الموضوع بقوله: " إن الفقهاء بالجزائر قد أجمعوا على العمل بمقتضى المذهب الحنفي الذي يجوز جمع الهبات المشروطة ليكثروا من مردود الهدايا لصالح الفقراء"[7].

---

[1] م.ش. علبة 99 ـ 100 الوثيقة 60.

[2] م.ش. علبة 2/16 الوثيقة 16.

[3] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 91.

[4] نفسه، ص. 91.

[5] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 91.

[6] ناصر الدين سعيدوني، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية... ، ص. 86.

[7] حمدان خوجه، المرآة، تعريب د. محمد العربي الزبيري، الجزائر، 2007، ص. 237.

عملت عوائد هذا الوقف على تماسك الأسرة الأندلسية بتوفير مصدر رزق لها ولأعقابها من اليتامى والقصر والأرامل وتبقيها في منأى عن تقلبات الزمن[1]، ومن عقود الوقف الذري الأهلي في المحاكم الشرعية في مدينة الجزائر:

- " حبس الحاج **علي بن محمد الأندلسي** جميع الدار بسويقة عمور على **أولاد السيد محمد والسيد احمد وخديجة وعلى ابنة ابنته...**"[2].

- " حبس الحاج **محمد بن محمد الأندلسي** عرف بن فارس ثمان وربع الثمن من الدار الكاينة[3] أعلا سوق الجمعة[4] داخل الجزاير المحمية **على نفسه ثم على والدته ثم على أولاده ثم أعقاب أعقابه والمرجع الحرمين الشريفين...**"[5].

- "حبس الزوجين **الحاج ابراهيم بن محمد الثغري والحرة مريم بنت ابراهيم الثغري** جميع الدار القريبة من باب الوادي داخل محروسة الجزاير والحانوتين المتلاصقة المستخرجة من الدار على الأعقاب وأعقاب الأعقاب واذا انقرضوا رجع إلى **فقراء الحرمين والجامع الأعظم**"[6].

يتضح من هذه العقود أن الأندلسيين سعوا إلى تحسين وضعهم الإجتماعي بتخصيصهم أوقافا على ذويهم وفقرائهم، لكن هذا لم يمنعهم من مساعدة أشخاص خارج جماعتهم كفقراء الحرمين الشريفين والإنفاق على الجامع االكبير[7]. فكان لهم دورٌ بارزٌ في

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية...، ص. 79.

[2] م. ش. علبة 62 الوثيقة 31.

[3] الكاينة هي كلمة جزائرية عامة معناها الموجودة.

[4] سوق الجمعة كان يطلق على عدة أنصاف شوارع وساحة محصورة بين قصر الجنينة، وكانت واجهاته تطل على باب عزون ومسجد السيدة وبيت المال. أنظر: زهية بن كردرة، أسواق...، ص. 145.

[5] م. ش. علبة 146 ـ 147 الوثيقة 37.

[6] م.ش. علبة 88 الوثيقة 15.

[7] هذا النوع من الوقف هو وقف مشترك يجمع بين الوقف الخيري العام والوقف الذّري الأهلي، بحيث تخصص حصة من عوائده إلى الأهل وحصة على أعمال البر. للمزيد أنظر: اللي مرابط، الكتابات الوقفية بالمغرب الأوسط من القرن السابع إلى الثالث عشر الهجريين/القرن الثالث عشر إلى التاسع عشر الميلاديين ـ دراسة تاريخية أثرية ـ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2، 2015م ـ 2016م، ص. 25.

في الأعمال الخيرية خاصة بمدينة الجزائر، مما يدل على أنهم اندمجوا في المجتمع الجزائري.

احتلت أوقاف الأندلسيين المرتبة الرابعة من حيث عددها ومقدار دخلها، فتفوّقت عليها أوقاف الحرمين الشريفين التي كانت تستحوذ على ثلاثة أرباع الأوقاف كلّها وتضم 1558 ملكية. بعدها تأتي أوقاف الجامع الأعظم في مرتبة ثانية وتضم 548 وقفا وفي المرتبة الثالثة تدرج أوقاف سبل الخيرات[1] التي ينفق منها على المساجد الحنفية والّتي تشرف على 331 وقفا. بعد ذلك تأتي أوقاف الأندلسيين التي لم تعد تتجاوز في أواخر الحكم العثماني 101 وقفا لفائدة الأسر المنحدرة من أصل أندلسي، وقد تضاءلت هذه الأخيرة في السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي وأصبحت تتصرف في 40 ملكية و61 كراء وأصبح عدد الأفراد الّذين ينتفعون بها سوى 71 فردا. وانقطع مردودها سنة 1260هـ/1844م عندما خضعت كل الأوقاف للمعاملات التجارية وانتزعت منها صفة المناعة [2].

3. 3 . الموظفون الأندلسيون

تنوعت أوقاف الأندلسيين الّتي تتمثل كما سبق ذكره في البيوت والدور والدكاكين أو الحوانيت والمخازن والحمامات والبساتين والمشاغل، ومن حيث مقدار دخلها الّذي يوفّر مردودا سنويا محترما استوجب من خلاله إنشاء إدارة خاصة تتولى تسيير شؤونه. ومن أهم هذه المناصب:

3 . 3 .1 . الناظر: أُطلق لفظ الناظر عامة على المشرف المالي، وهو اسم وظيفة مأخوذة من كلمة النظر الَّذي هو إما رأى العين لأنه يدير نظره في أمر ما ينظر فيه، أو

---

[1] أوقاف سبل الخيرات: أُسِست سنة 999 هـ / 1584م، وهي مخصصة للإنفاق على المساجد الحنفية ويعود أمر التصرف في الأموال إلى المفتي الحنفي الَّذي يقوم بالصلاة، ويتولى الإفتاء بالجامع الجديد الَّذي يعتبر المسجد الرئيسي لاتباع هذا المذهب. أنظر: ناصر الدين سعيدوني، الوقف ومكانته...، ص. 94.

[2] ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني من القرن 17 إلى القرن 19، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص. 126 ـ 127.

بمعنى الفكر لأنه يفكر فيما فيه المصلحة. ويقصد بناظر الأوقاف هو الشخص الّذي يجب عليه مراعاة مصالح الوقف ويقوم بتعميره وتنميته ويدبر أموره ويراقب موظفيه ويحصل إيراده ويصرفه حسب شروط الواقف[1].

حرص الأندلسيون على تعيين ناظر عام على أوقافهم، وفي بعض الأحيان يلقَّب هذا المنصب " بالشيخ الناظر" أو " الوكيل الرئيسي"، إذ يخضع لنظره وكلاء الأوقاف وأعوانهم. فيقوم الوكيل أولا بجمع كل مداخيل الوقف ويدفعها للناظر الَّذي يقدمها بدوره لبيت المال[2]. فالناظر يمكن اعتباره الوصي على الوكيل والوسيط بينه وبين بيت المال[3]. فهو يتكفّل بجمع مداخيل الأوقاف من الوكيل ويسجّلها في دفاتر خاصة قبل أن يدخلها لبيت المال ويحتفظ بنسخة منها في خزانته للمراجعة، وله مقابل مهامه منحة معينة وأجرة متواضعة قد لا تتجاوز 40 ريالا[4] في السنة[5]. وقد اشتغل أفراد بعض العائلات الأندلسية وظيفة الناظر في الأوقاف الخاصة بهم وبقيت متوارثة فيها، ففي القرن 11هـ/17م ونذكر على سبيل المثال:

نظراء القرن 11هـ/ 17م:

ـ الناظر على أوقاف الحرمين الشريفين: " التاجر الحاج ابو زكريا الحاج يحي بن محمد الأندلسي " 1012هـ/ 1603م[6].

ـ الناظر على أوقاف الحرمين الشريفين: "الحاج علي كلاطو ابن موسى الثغري ومحمد بن

---

[1] مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية دراسة في تطور الألقاب منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق المخطوطات، 1517م ـ 1924م، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص. 223.

[2] بيت المال: هي مؤسسة تتولّى إعانة أبناء السبيل واليتامى والفقراء والأسرى، وتتصرّف في الغنائم الَّتي تعود للدولة وتشرف على إقامة المرافق العامة من طرق وجسور وتشييد أماكن العبادة من مساجد وزوايا. أنظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، ص. 188.

[3] ناصر الدين سعيدوني، موظفو الدولة الجزائرية في القرن التاسع عشر، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984، ص. 46 ـ 47.

[4] ريال: هو نقد فضي في الفترة العثمانية. أنظر: حورية شريد، المسكوكات...، ص. 171.

[5] ناصر الدين سعيدوني، موظفو الدولة ...، ص. 47.

[6] م. ش. علبة 99 ـ 100 الوثيقة 60.

على الثغري" 1061هـ/1650م[1].

ـ الناظر على فقراء الأندلس: " السيد التاجر عمار الأندلسي ابن الحاج محمد و أخيه أبي العباس السيد أحمد" 1108هـ/1696م[2].

نظراء القرن 12هـ/18م:

ـ الناظر على أوقاف الجامع الأعظم: " الحاج إبراهيم الصباغ ابن المرحوم الحاج حميدة الأندلسي" 1116هـ/1704م [3].

ـ النظراء على توزيع المبالغ على الفقراء: " السيد الحاج ابراهيم بن الحاج قاسم الأندلسي والمكرم السيد قاسم زروق بن الحاج قاسم الأندلسي" 1126 هـ/ 1714م[4].

ـ الناظر على أوقاف الحرمين: "السيد احمد بن الحاج مصطفى ابن علي الأندلسي" 1753م[5].

3 . 3 . 2 . الوكيل: الوكالة هي إقامة الإنسان غيره مقام نفسه في تصرّف جائز مملوك له معلوم،[6] لكن يقصد بالوكالة في الوقف هو الإشراف عليها. يشرف الوكيل[7] على الأوقاف ويتسلّم عناءها ومحصولها ليقدمها للناظر، كما أنه يقوم بصيانتها وتسيير أمورها. وتخصص له أجرة محدودة مثل الناظر لا تتجاوز 40 ريالا في السنة.[8] ومن أمثلة الوكلاء الأندلسيين في مدينة الجزائر نذكر:

---

[1] م. ش. علبة 88 ـ 89 الوثيقة 32.

[2] م. ش. علبة 1/37 الوثيقة 37.

[3] م. ش. علبة 141 الوثيقة 41.

[4] م. ش. علبة 116 الوثيقة 19.

[5] م. ش. علبة 150 الوثيقة 22.

[6] مصطفى بركات، المرجع السابق، ص. 148.

[7] وكيل الأوقاف: هو الّذي يشرف على الأوقاف، أما وكيل الحرج فهو موظف سامي يراقب النشاط البحري ويشرف على عتاد الحرب وتوزيع غنائم البحر. أنظر: ناصر الدين سعيدوني، موظفو الدولة الجزائرية...، ص. 27.

[8] ناصر الدين سعيدوني، موظفو الدولة الجزائرية...، ص. 47.

وكلاء القرن 11هـ/17م:

ـ وكيل فقراء الأندلس: " الحاج علي بن صفر الأندلسي" 1030هـ/1620م[1].

ـ وكيل فقراء الأندلس: " الحاج يحي الخياط بن محمد الأندلسي" 1074هـ/1663م[2].

ـ وكيل الحرمين: " الحاج يوسف صفرة الأندلسي" 1074هـ/1663م[3].

وكلاء القرن 12هـ/18م

ـ وكيل الأوقاف: " احمد بن المرحوم الحاج مصطفى الأندلسي" 1162هـ/1752 م[4].

ـ وكيل الحرمين: "الحاج محمد بن إبراهيم الأندلوسي و السيد الحاج محمد بن فاضل الأندلسي السيد الحاج بن فاضل الأندلسي" 1162هـ / 1753م[5].

4 ـ انكماش دور الأندلسيين

ساهم العنصر الأندلسي بالجزائر مساهمة كبيرة وبارزة ومهمّة في شتى الميادين طيلة الفترة الممتدة من القرن 9هـ إلى 10هـ/15م إلى 16م. لكنه ضعف تأثيره وانحصرت مجالات نشاطه في نهاية القرن 12هـ/18م قبل أن يختفي ويتلاشى أثره باندماجه في بقية السكان مع مطلع القرن 13هـ/19م. وأحسن دليل على هذا الكلام هو قلة ورود صفة أندلسي في وثائق الأرشيف الوطني ابتداء من النصف الثاني من القرن الثامن عشر.[6] فلم يعد ينتسب إلى الأصول الأندلسية خلال هذا القرن في مدينة الجزائر إلا أفراد قلائل لم يكن يتجاوز سبعين رجلا[7].

ارتبط انكماش العنصر الأندلسي بظروف داخلية وضغوطات خارجية، ولعل من أهم الأسباب التي حدت من نشاط الأندلسيين وحيويتهم وأضعفت تأثيرهم هي:

---

[1] م. ش. علبة 99 / 100 الوثيقة 6.

[2] م. ش. علبة 119 ـ 120 الوثيقة 37 .

[3] م. ش. علبة 48 / 1 الوثيقة 48.

[4] م. ش. علبة 13 / 2 الوثيقة 13 .

[5] م. ش. علبة 89 الوثيقة 10.

[6] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 383 .

[7] ناصر الدين سعيدوني، "الأندلسيون (الموريسكيون) في..."، ص. 122.

ـ استمرار الخطر الخارجي المتمثل في تحرشات الإسبان على السواحل الجزائرية مدة طويلة مما حال دون تبلور مطالب الجالية الأندلسية وحد من طموحاتها، بحيث فضلت الغالبية الساحقة الاندماج في بقية السكان والعمل في نطاق الحكم التركي. فقد خضعت بعض المدن للإحتلال الإسباني فترة طويلة كوهران وبجاية، ممّا دفع بالأندلسيين إلى الالتجاء إلى المناطق الداخلية كريف بلاد القبائل والعيش مع باقي السكان.[1]

ـ استبداد بعض الحكام الأتراك واستغلال قادة الجيش مناصبهم في جعل الإدارة في خدمة التنظيم العسكري، فأهملت أساليب تنمية الثروات ورعاية السكان. واعتمد الحكام في سياستهم أسلوب الضغط وهذا ما حال دون إعطاء النشاط والمبادرة التي كان يتميز بها الأندلسيون حقها في الرعاية والاعتناء. مما عمل على خمود همتهم وانكماش نشاطهم الاقتصادي وتأثيرهم الاجتماعي[2]. فرغم محاولة كثير من الأندلسيين اكتساب ود الحكام والتقرب منهم وعقد مصاهرات معهم، إلا أن الطائفة التركية ظلت منغلقة على نفسها وترفض مشاركة الأندلسيين لها في امتيازاتها. وبقيت تنظر إليهم كجماعة سكانية لا تختلف عن بقية الجماعات السكانية الأخرى[3].

ـ تناقص العنصر الأندلسي واضمحلال مكانته مع نهاية القرن 12هـ/18 م، كانت نتيجة تكاثر الأوبئة والأمراض وظهور المجاعات وحلول القحط و انعدام الأمن، وبسبب تفوق الأساطيل الأوروبية على القوة البحرية الجزائرية تضاعفت الغارات الأجنبية. مما أدى إلى انكماش عمران المدن وانحصار فحوصها وفقر الريف من سكانه، وبسبب هذه الأوضاع السيئة التي عرفتها الجزائر في أواخر الحكم العثماني تقلصت المراكز الحضرية التي كانت مأوى للأندلسيين. ففي مدينة البليدة تناقص سكانها واندمجت العديد من العائلات الأندلسية في بقية الطوائف ولم تعد تضم سوى 800 مسكنا في مطلع القرن 12هـ/18م

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، ص. 146

[2] نفسه. ص. 147.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر ...، ج. 1، ص. 145

قبل أن تتعرض للتدمير بفعل الزلزال، فقد سُجل في دفتر محكمة المدية وقائع الزلزال الّذي ضرب المدينة سنة 1240هـ/1824م على النحو التالي: "*ضربت الزلزلة في يوم 12 رجب، وانهدمت البليدة، وكان يوم المدرجة على الرابعة ساعة (كذا) من سنة 1240هـ واسترسلت على الضرب*"[1].

وفي نفس السنة ضرب زلازال عنيف مدينة القليعة وفقدت هي الأخرى أكثرية سكانها فلم يعد مجموع الأندلسيين بها مع باقي السكان من أتراك وكراغلة متقاعدين أو مبعدين عن مدينة الجزائر يتجاوز على الأرجح 3500 نسمة. أما شرشال فانكمش عمرانها أيضا وتضررت تجارتها بفعل مهاجمة القبائل الجبلية لها، ففضل سكانها استغلال الفحوص الملاصقة لأسوارها والانزواء داخل المنازل، وأصبحت تضم مع مطلع القرن 13هـ/19م سوى 3000 أو 4000 نسمة[2]. وغير بعيد عن شرشال خلت برشك الأندلسية من سكانها ولم يجد Shaw أي منزل قائم بها عندما مرّ بها[3]. ولحق الضرر بدلس وهاجرها سكانها تحت ضغط قبائل جرجرة و تهديدات الأساطيل الأوروبية فلم يعد يتجاوز عدد سكانها إلى 600 نسمة[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، دراسة اجتماعية ...، ص. 293 - 294.

[2] ناصر الدين سعيدوني، "الأندلسيون (الموريسكون) بمقاطعة الجزائر..."، ص. 124.

[3] Shaw ., Op. Cit., p. 266.

[4] ناصر الدين سعيدوني، "الأحوال الصحية والوضع..."، ص. 440.

ثانيا: المظاهر الحضارية

حرِص الأندلسيون على التمسك بتقاليدهم وعاداتهم الاجتماعية، والملاحظ أن هذه العادات تتشابه مع عادات مجتمع مدن الجزائر والبليدة والقليعة وشرشال ومليانة ودلّس والمدية. وهذا نظرا للتأثر الذي شهدته هذه المدن بتقاليد الأندلسيين الَّذين كانوا ميّالين إلى التأنّق في اللباس وفي الطبخ وفي الموسيقى، وكانوا حريصين على النظافة؛ وهذا ما أشار إليه المقري[1]:" وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناءً بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك ما يتعلق بهم وفيهم ما لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه". كما كانوا أهل احتياط وتدبير في المعاش[2].

1 . التعليم

عرفت الجزائر نشاطا علميا ساهم بقسط كبير فيه الأندلسيون، ورغم أن الهجرة الأندلسية المتأخرة في القرنين 10 هـ و11هـ/16م و17م لم تكن أغلبية أفرادها ذوي معارف ثقافية واسعة تضاهي مستوى الهجرات السابقة من حواضر الأندلس الكبرى. فجلهم كانوا من الفلاحين وأصحاب المهن والصنائع، إلا أنها ضمت بين أفرادها الفقهاء والعلماء وقد أفصح عن هذه الحقيقة المؤرخ الجزائري مصطفى بن ميمون[3] الَّذي عاش في نهاية القرن 11هـ وبداية القرن 12هـ الموافق للقرن 17م ـ 18م:" كانت الثقافة في القطر الجزائري يمثلها أشخاص معينون في أماكن محدودة، وكان هؤلاء الأشخاص أغلبهم من المهاجرين الأندلسيين الذين لجأوا إلى القطر الجزائري واتخذوه موطنا ومستقرا". ولقد تعاون هؤلاء الفقهاء مع أهل البلاد واستطاعوا أن يجندوا السكان ويدعوهم للجهاد ضد الإسبان وطردهم من السواحل الجزائرية. كما أخلص بعض العلماء والفقهاء الأندلسيين في رعاية شؤون السكان وهذا ما زاد من تقديرهم لهم وأكسبهم أتباعا من مختلف الفئات.

---

[1] أحمد المقري، نفح الطيب...، مج. 1، ص. 223.

[2] نفسه، ص. 223.

[3] محمد بن ميمون، التحفة المرضيّة في الدّولة البكداشيّة في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د. ت)، ص. 68.

1 . 1. الفقهاء والعلماء

ـ" سيدي يعقوب الشريف الزبوج القرطبي" الَّذي هاجر من قرطبة ونال حظوة كبيرة لدى العامة، عندما استقر بسفوح الأطلس البليدي بعد هجرته من الأندلس وانتقاله من مراكش إلى الحج. فتحول ضريحه إلى مكان للزيارة والتبرك بعد أن وافته المنية بمقره بحوش الشفة حوالي 927هـ/ 1521م.[1]

ـ العالم الفقيه النحوي الأصولي البياني المنطقي الحيسوبي المحدث "سيدي محمد بن ابراهيم بن أحمد بن موسى النيقرو الأندلسي"[2]، لقد حمل هذا العالم الجليل لقب إسباني وقد تكون عائلته هاجرت في وقت متأخر وأجبرت على تغيير اسمها خوفا من محاكم التفتيش وقد سبق وأن ذكرنا أن هذه العائلة استقرت بمدينة الجزائر.

ـ الفقيه أبو عبد الله السيد محمد ابن الحاج الأندلسي[3].

ـ الفقيه أحمد بن أحمد الأندلسي عام 1056هـ/1646م[4].

ـ الفقيه ابن عبد الله محمد بن المرحوم أبي العباس أحمد الأندلسي عام 1032هـ / 1622م[5].

1 . 2. إنشاء الزوايا: لم يقتصر دور العلماء الأندلسيين في إثارة الحماس الديني ودعوة الأهالي للتصدي للنصارى، بل تعداه إلى أعمال خيرية وخدمات تعليمية. وعملوا على إنشاء معاهد العلم والزوايا التي هي عبارة عن مؤسسة دينية ومركزا للعبادة وتعليم الناس مبادئ الدين وفيها يتلقون مختلف العلوم[6]. فكانت مقصد الطلاب لتلقي العلوم اللغوية والدينية وبعض المعارف العصرية كالحساب والفلك والمنطق والتاريخ، ومن أشهر هذه الزوايا الأندلسية بالجزائر:

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، "الأندلسيون (الموريسكون) بمقاطعة الجزائر..."، ص. 119.

[2] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص. 284.

[3] م. ش. علبة 29 ـ 30 الوثيقة 14.

[4] م. ش. علبة 119 ـ 120 الوثيقة 17.

[5] م. ش. علبة 63 الوثيقة 69.

[6] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900 . 1930، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص. 64.

- **زاوية أهل الأندلس بمدينة الجزائر:** شيدت بحي مسيد الدالية وقد وجدت كتابات مختلفة في تحديد مكان هذه الزاوية، فذكر هايدو أنها تقع في الجهة الغربية من جهة البحر على بعد حوالي 1 كلم نحو الشمال الغربي للمدينة[1]. أما نور الدين عبد القادر فإنه حددها في الجهة السفلى من نهج باب الجديد ورجح أنها حاليا في موقع الدار التي تحمل رقم 8[2] إلا أن الأستاذ سعد الله يشير أنها تقع في شارع " بور"[3].

تعتبر زاوية أهل الأندلس بمدينة الجزائر الزاوية الوحيدة الَّتي دونت بعقد شرعي شراءً وتحبيسا، وقد عثر Devoulx على هذا العقد ونشره بعد أن ترجمه إلى اللغة الفرنسية في المجلة الإفريقية في العدد 67 سنة 1868م[4]. (الوثيقة 2)

أنشئت الزاوية في شهر محرم عام 1033هـ/1623م من طرف جمعية أندلسية مكونة من عشرة أشخاص كلهم من المهاجرين الأندلسيين وردت أسمائهم في عقد التأسيس: " الحمد لله بعد أن استقر على ملك الجماعة الكرام الفضلاء الأخيار وهم محمد بن محمد العبلي وإبراهيم بن محمد أبو ساهل والمعلم موسى معلم العيون وأحمد المدعي خلاصة ومحمد الانجرون (الانجدون) ويوسف المدعو الدوند (الروند) ومحمد المسميح بن أحمد وعلي بن عمر ومحمد بن محمد العادل ويحيا الخياط الأندلسيين جميع الدار الكاينة بحومة مسيد الدالية داخل الجزاير المحمية بالله تعالى ... وذكروا الجماعة المذكرون أنهم دفعوا جل الثمن من مالهم الخاص بهم وباقية من مال أصحابهم من جماعة الأندلس وأنهم اشتروا الدار المذكورة ليهدموها ويبنوها مدرسة لقراءة العلم وتعليم القرآن ومسجد للصلاة فيها ثم هدموها وبنوها مدرسة كما ذكر فبعد أن كان ذلك كله كذلك أشهد الان الجماعة المذكورون أنهم حبسوا جميع الدار المذكورة التي جعلت مدرسة الان المذكورة

[1] Haedo F. D.,Topographie et histoire …, p. 120.

[2] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص. 165.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج. 5، ص. 117.

[4] هذا العقد محفوظ في الأرشيف الوطني الجزائري في سلسلة المحاكم الشرعية في العلبة 82 الوثيقة 2.
Devoulx A. , « Les édifices religieux de l’ancien Alger », in Rev. Afr., n° 67, Alger, 1868, p. 278.

فيه على جماعة الأندلس بجميع حدودها وحقوقها وحرمها ومنافعها ومرافقها الداخلة فيها والخارجة عنها وما وعد منها وعرف بها ونسب قديما وحديثا إليها تحبيسا تاما مؤبد ووقفا خالدا مسرمدا شرعيا لا يباع ولا يذهب ولا يورث"[1].

يتبين من هذه الوثيقة أن الزاوية أنشئت مكان منزل تم شرائه من طرف الجمعية التي قامت بهدمه وبناء مكانه مدرسة لتدريس مختلف العلوم وتعليم القرآن الكريم ومسجد لأداء الصلوات. وأعلن أعضاء الجماعة المذكورة إلى جعل المدرسة بكل ملحقاتها ومرافقها الداخلية والخارجية حبسا على أهل الأندلس، وهذا الحبس شرعي ومؤبد لا يباع ولا يتنازل عنه ولا يستبدل ولا يورث. وقد عَيّن المؤسسون السيد محمد الآبلي للقيام بشؤون الوقف وفوضوا له أمر العناية والتصرف بالأموال وقبض التبرعات وإنفاقها على المعوزين الأندلسيين وما يراه مناسبا.

تمت المحافظة على هذا الإنجاز الجماعي للأندلسيين لمدة قرنين دون تغيير وظلت مقصد الطلبة، وأصبح يسير ميزانيتها المعتبرة الوكيل الذي كان من أحفاد الأندلسيين. وظل هذا الوقف يقدم مساعدات باستمرار للفقراء من أهل الأندلس الذين يتم إثبات أصولهم بصفة شرعية إلى أن أهملت هذه الزاوية بسبب قدم بنيانها وزال أثرها عام 1259هـ/1843 م وصار التصرف في جميع البناءات الدينية بيد الإدارة الفرنسية[2].

ـ **زاوية محمد بن علي المجاجي بتنس:** أسست من طرف علي بن محمد المجاحي المشهور "بابهلول" من أهل القرن 10هـ/17م، و كان شريفا [3] أندلسي الأصل عرف بالتقوى والسخاء والشعر، وكان من العلماء البارزين الذين لعبوا دورا في الجهاد ضد النصارى. تعتبر زاويته مركزا للمجاهدين في سبيل الله ويذكر أن حوالي 1300 مجاهدا خرجوا ذات

[1] م. ش. ع. 82، الوثيقة 2.

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 97.

[3] يقصد بالشريف الشخص الّذي يعود نسبه إلى الرسول محمد ﷺ.

مرّة لقتال الإسبان بثغر تنس، ولمّا اشتد بهم الجوع لجأوا إلى زاويتة فأطعمهم جميعا حتى شبعوا من الرغائف والثريد والزبدة والعسل.

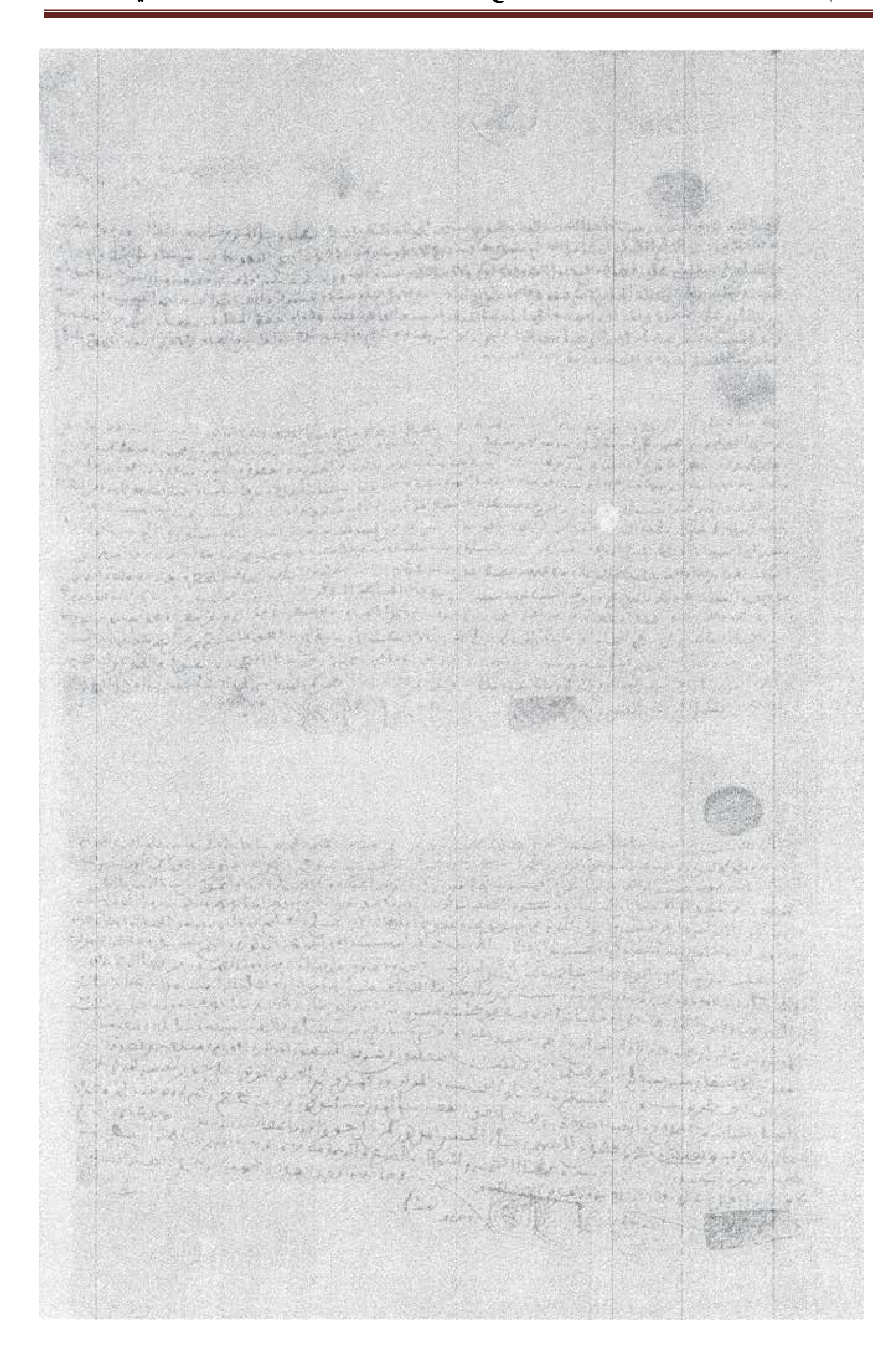
كان المجاجي محل احترام وتقدير سكان المنطقة والعثمانيين كذلك، واحتل أحفاده نفس المكانة من بعده، فقد حارب بعضهم الفرنسيين في صفوف الأمير عبد القادر[1].

لم يقتصر عمل الأندلسيون في إنشاء الزوايا ومعاهد العلم في المدن والحواضر، وإنما ساهموا مساهمة كبيرة في التعليم وتحفيظ القرآن ورواية الحديث وشرح المسائل الفقهية وتلقين اللغة العربية في ريف بلاد القبائل[2]. وقد ذكرنا سابقا أن تعرض بجاية للإحتلال الإسباني دفع بعلمائها البارزين إلى الهجرة نحو المناطق الداخلية، وبهذا فقد أدى الأندلسيون دورا كبيرا في استمرار الثقافة العربية الإسلامية في هذه المنطقة.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج. 1، ص. 202 .

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 128.



2. التأثير اللغوي والمصطلحات

تميزت الجالية الأندلسية التي استقرت بالجزائر بلهجتها العربية التي كانت شائعة بغرناطة وحواضر الأندلس، وقد تأثرت بها جماعة الحضر بالمدن الكبرى كتلمسان والجزائر وبجاية. وقد أكد William Marçais عمق التأثير اللغوي الأندلسي في تلمسان وما جاورها[1] ولعل أهم ما يميز هذه اللهجة هو قلبها حرف القاف ألفا وحرف التاء "تْسَ" وحرف "الظاد" و"الضاء" طاء.[2] وقد ساعد الأندلسيون على انتشار اللسان العربي الدارج في المناطق التي ظلت حتى قدومهم تستعمل الأمازيغية كنواحي دلس وتنس وأرزيو وفحوص بجاية وفي المناطق الجبلية القريبة من شرشال والبليدة كجبل شنوة[3].

هذا، وقد عمل بعض الأندلسيين الذين لا يتقنون اللغة العربية على شيوع لغة الفرنكا (Langua Franca) التي احتلت المرتبة الثالثة بعد اللغة العربية والعثمانية، ولغة الفرنكا هي مزيج من لغات أوروبية كالفرنسية والإيطالية والإسبانية[4]. وتغلب عليها الكلمات الإسبانية. وذلك لكون العديد من العائلات الأندلسية التي هجرت بعد صدور قرار الطرد النهائي في القرن 11هـ/17م ظلت تميل إلى استعمال اللغة الإسبانية[5]. كما أن الاحتلال الإسباني للمدن الجزائرية لفترة طويلة مثل وهران كان سببا أيضا في انتشار كلمات إسبانية في المجتمع الجزائري.

يبين الجدول التالي بعض الكلمات الإسبانية التي دخلت على اللغة العربية العامة في الجزائر[6]:

---

[1] Marçais W., Textes arabes de Tanger, transcription, traduction annotée, glossaire. Paris, 1911, p. 376.

[2] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 207.

[3] ناصر الدين سعيدوني، "الأندلسيون (الموريسكيون) بمقاطعة الجزائر ..." ص. 118.

[4] Dan P., Histoire de barbarie et de ses corsaires des royaumes et des villes d'Alger, de Tunis, de Salé, et de Tripoly, t. II, 2éme édit, Paris, 1649, pp : 92- 93.

[5] Emerit M., « Voyage de la Condamine à Alger, 1731 », in Rev. Afr, 1954, p. 375.

[6] محمد رزوق،المرجع السابق،ص. 288 - 289 و هلايلي (حنيفي)، المرجع السابق، ص. 162 - 16.

Ougouag- Kezzal C., « Bref aperçu historique sur la broderie arabe, sur une vieille brodeuse au cœur d'Alger » in Lybica,t. 17, 1969 , Alger, p. 346.

اللفظ باللهجة الجزائرية	اللفظ الإسباني	مدلوله
بَابُورْ	Babor	باخرة
بَرَاكَة	Barraca	كوخ
بْلاَصَة	Plaza	ساحة
بْلُوزَة	Blusa	قميص
بَنْدِيرْ	Pandera	دف
دُورُو	Duro	نقد إسباني
الرْوِيدَة	Rueda	العجلة
الرْوِينَة	Ruina	تخريب
سَبَاط	Zapato	حذاء
سِمَانَة	Semana	أسبوع
صَالَة	Sala	قاعة فسيحة
صَنْدَاَلَة	Sandalia	نعل
ضَبْلُون	Dablon	نقد ذهبي
فَالْطَا	Falta	خطأ
فَالْصُو	Falso	مزوز
فَامِيلاَ	Familia	عائلة
فَبْرِيكَا	Fabrica	مصنع

		توضع أمام الشيء أو خلفه لتثبيته.
كَبُوط	Capote	معطف
كَانْتِينَا	Cantina	حانة
كْلاَطَة	Culata	بندقية
كَنْتِيلْ	Canutillo	رقاقات الزركشة
الكُوشَة	Cocha	الفرن
لْقَاناْ	Gana	الرغبة
لاَمْبَة	Lampara	مصباح
مَارْكَة	Marca	النوع
نَانَة	Nana	كلمة تعظيم المرأة في اللغة الإسبانية، وتستعمل في الجزائر لمناداة الأم أو الأخت الكبرى.

3 . الموسيقى:

طبع الأندلسيون الحياة الفنية بالجزائر بطابع خاص مميز، فقد شاع نظم الموشحات وتلحين القصائد. وقد ظهرت الموشحات بالأندلس في القرن 3هـ/9م عندما كثر الشعر وبلغ درجة عالية من التهذيب والتنميق فاستحدث منه فنا سمى بالموشح[1]، واشتقت كلمة الموشح من الوِشاح أو الإشاح وسمي كذلك لأن خرجاته كالوِشاح. والوِشاح هو ترسان لؤلؤ وجوهر منظومان معطوف أحدهما على الأخر تتوشح المرأة به. والموشح في صيغته اسمي مفعول ومكان، أما كونه اسم مفعول يدل على أن الناظم قد وضع

[1] مناهل الأدب العربي، الموشحات الأندلسية، مكتبة صادر، بيروت، 1949، ص. 3.

منظومته على شكل وشاح، وأما كونه اسم مكان وهو الجزء الذي يتصل به الوشاح من الجسم[1].

يعد الفنان الأندلسي " أبو الصّلت أمية بن عبد العزيز الإشبيلي" أول من حمل الموسيقى الأندلسية إلى خارج الأندلس وقد سبق ذكره عند الحديث عن بجاية. هاجر إلى إشبيلية حوالي سنة 489هـ/1096م بعد أن سقطت في أيدي النصارى، وحط رحاله في الإسكندرية زمنا، ثم انتقل إلى بجاية ومكث بها مدة ثم ارتحل إلى المهدية بتونس واستقر بها سنة 505هـ/1111م، ولقي في البلاط الزيري أحسن إستقبال ممّا شجعه على نشر الألحان الأندلسية[2]. كان أبو الصلت أديبا ظريفا يحب مجالس الأنس والتغني بكل شأن مليح وله تآليف تشهد بفضله ومعرفته، وكان يكنى بالأديب الحكيم.

لحن الكثير من الأغاني[3] فعزت على يديه أمواج الألحان الأندلسية التي كانت مقتصرة على بلاطات الأمراء، لكن الأمر تغير عندما قدمت أمواج اللاجئين بعد سقوط حواضر الأندلس الكبرى، فهيأت الجو للخروج بالموسيقى الأندلسية من البلاطات إلى بيوت الخواص والطبقات البرجوازية التي كانت شديدة الإعجاب بالحضارة الأندلسية بكل ما تتضمن من أدب وشعر وموسيقى[4]. وقد أطلق بعض الباحثين على هذا النوع من الموسيقى ما يعرف اليوم باسم " المالوف" وهو فن تلحيني يقوم على نظام النوبات، والنوبة هي نوع من التأليف الموسيقي يتناوب فيه التأليف الغنائي والتأليف الآلي أي يجمع بين العزف على الآلات وصوت المغني، وتتكون كل نوبة من خمسة حركات متتالية وكل حركة تعبر على أحاسيس معينة، أو مناظر مجسمة ترسم بالآلات الموسيقية[5]. وقد رتب النوبة بالأندلس زرياب وجعل الغناء في النوبة الواحدة على عدة

[1] جلول يلس وامقران الحفناوي، التراث الغنائي الجزائري الموشحات والأزجال،ج.1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص. 17.

[2] محمد الطالبي، "الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين"، مجلة الأصالة، ع. 26، 1975، ص. 72

[3] أحمد المقري، نفح الطيب...، مج. 2، ص. 106.

[4] محمد الطالبي، المرجع السابق، ص. 73.

[5] أحمد سفطي، دراسات في الموسيقى الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص.8.

أبيات مختلفة الإيقاع والقافية ويكون الغناء من لحن واحد، تبدأ بالنشيد المرسل بدون وزن أو ضبط للإيقاع ثم تدخل الأوزان الثقيلة فالمتوسطة. وانتقلت هذه الطريقة من قرطبة إلى باقي المدن الأندلسية كطليطلة وإشبيلية وغرناطة ومنها إلى بلاد المغرب[1]. وكان زرياب مجددا بفطرته أدخل تحسينات على العود عندما كان في بغداد، ولما رحل إلى الأندلس أضاف وترا خامسا لهذه الآلة، واتخذ لها مضربا من قوادم النسر عوض الخشب[2]. (الصورة 05)

انتشر فن المالوف في قسنطينة التي تلقته من تونس عندما كانت المدينة تابعة للحفصيين[3]، كما شجع ملوك تلمسان الزيانيون على استقرار الأندلسيين في مدينتهم، وكانوا في كثير من الأحيان يقومون باستدعاء من يروق لهم من وجهاء الأندلس كالعلماء والفنانين فانتشرت أغاني قرطبة وإشبيلة[4]. كما انتشرت الموسيقى الأندلسية تقريبا في كل المناطق التي استوطنها الأندلسيون كدار السلطان وعلى رأسها مدينة الجزائر وباقي المدن الأخرى التابعة لها كشرشال والبليدة والقليعة ومليانة ودلس.

لقد ساعد المغرمون بالموسيقى الأندلسية من الأندلسيين المهاجرين ومن الأهالي على بقاء هذا الفن حيا عبر قرون، وقد حافظت المدن الجزائرية على هذه الموسيقى باعتمادها على النوبة ونقلتها إلى الأجيال. وتتكون النوبة في الجزائر من:

ــ **التوشية**: وهي المقدمة أي الحركة الأولى التي تأتي في بداية النوبة وافتتاح الحفلة وهي توحي للمستمع بحركة المشي وقدوم الضيوف والمدعوين والترحيب بهم[5]. تعرف التوشية في تلمسان باسم "مشالية" وفي قسنطينة باسم "بشراف"[6].

---

[1] جلول يلس وامقران الحفناوي، المرجع السابق، ص. 39.

[2] أحمد المقري، نفح الطيب...، مج. 3، ص. 126.

[3] أحمد سفطي، المرجع السابق، ص. 92.

[4] محمد الطمار ، المرجع السابق، ص. 259.

[5] محمد الطمار ، المرجع السابق، ص. 260.

[6] أحمد سفطي، المرجع السابق، ص. 42.

ــ **المصدر**: وهي الحركة الثانية من النوبة، وتأخذ اسمها من الصدر أو الصدارة لأنها تأتي بعد التوشية مباشرة، وهي عبارة عن ألحان موسيقية متمهلة. توحي بالإجلال والتوقير [1].

ــ **البطايحي**: من بطح وبطح الشيء أي بسطه، وهو فاصل غنائي موزون وبإيقاع خاص[2].

ـ **الدرج**: يصعد فيها المغني إلى مراتب الموسيقى التي تتسم بالخفة والمرح، وهنا ينسجم المغني بالموسيقى من جهة ومع المستمعين من جهة أخرى[3].

ـ **الانصراف والخلاص**: تمثل هذه القطعة القسم الأخير من النوبة تشمل على قطعتين موسيقيتين، توحي كل منهما بالنهاية، فالانصراف يدل على الذهاب وهو قطعة موسيقية خفيفة أخف من القطع السابقة وبوزن مخالف. يدرك المستمعون أن موعد الانصراف قد حان. أما الخلاص فهو القطعة الموسيقية النهائية وهي تمتاز بالسرعة في العزف[4].

ورغم أن أصول هذا الفن بقي بعيدا عن تغيير أو تحوير، لكنه تأثر بالحياة اليومية وبالمناظر الطبيعية لكل مدينة. مما أدى إلى ظهور عدة مدارس، فهناك مدرسة الجزائر ومدرسة تلمسان ومدرسة بجاية ومدرسة قسنطينة. وإن اتفقت كلها في الأصل الواحد فإنها اختلفت في بعض الفروع، كزيادة السرعة في العزف أو العكس، أو استعمال بعض الآلات الموسيقية أو عدم استعمالها، أو عدد القطع من الآلة الواحدة[5].

كانت الموشحات الأندلسية تعزف في المواسم الدينية والحفلات والأعراس، ومن الطبيعي أن هذه المشوحات لا تنتقل إلا بآلات موسيقية أدخلها الأندلسيون وحافظوا عليها

---

[1] محمد الطمار، المرجع السابق، ص. 260.
[2] جلول يلس وامقران الحفناوي، المرجع السابق، ص. 41.
[3] أحمد سفطي، المرجع السابق، ص. 42.
[4] نفسه، ص. 43.
[5] أحمد سفطي، المرجع السابق، ص. 49.

وظلت معروفة حتى اليوم. منها الآلات الوترية كالعود والرباب[1] والقانون ومنها الإيقاعية كالطار والدربوكة التي يعتمد عليها في توجيه باقي الآلات الموسيقية[2]. (الصورة 06، 07)

اعترى الموشحات الأندلسية بموطنها الجديد إدخال العامية وغلبت على مقاطعها اللغة العامية، وقد تطرقت إلى عدة مواضيع في الحب والغراميات وفي جمال الطبيعة إلى جانب قصائد في مدح الرسول الكريم ﷺ بذكر صفاته ومناقبه ومآثره. ومن أشهر روادها " أبو العباس أحمد بن عمار الأندلسي" (ت 1180هـ/1766م) نظم سنة 1167هـ/ 1753م قصيدة بمناسبة المولد النبوي، يقول في مطلعها:

يانسيما بات من زهر الربا تقتني الركبان
احملن مني سلاما لأهـيل الـبان[3]

واشتهر في تلمسان أحمد ابن المسيّب الأندلسي (ت 1207هـ/1793م) وكانت عائلته قد خرجت من الأندلس وتوجهت إلى مدينة فاس المغربية ومنها إلى تلمسان حيث مكثت فيها. امتهن ابن المسيّب مهنة الحياكة واشتهر بتنظيم الموشحات وتلحينها ونسب إليه تنظيم حوالي 3034 قصيدة شعرية تتناول موضوعات مختلفة، أغلبها مدائح نبوية[4]. من بينها:

قـــم يـا طيـر انـزل وانزل على القبر المسعود
يبلغ القاصد والمقصود وكل من هو ماشي ليها
اخرج على الباب تنادي واقصد احمد سيد اسيادي[5].

---

[1] وليام سبنسر، المرجع السابق، ص. 102.

[2] جلول يلس وامقران الحفناوي، المرجع السابق، ص. 42.

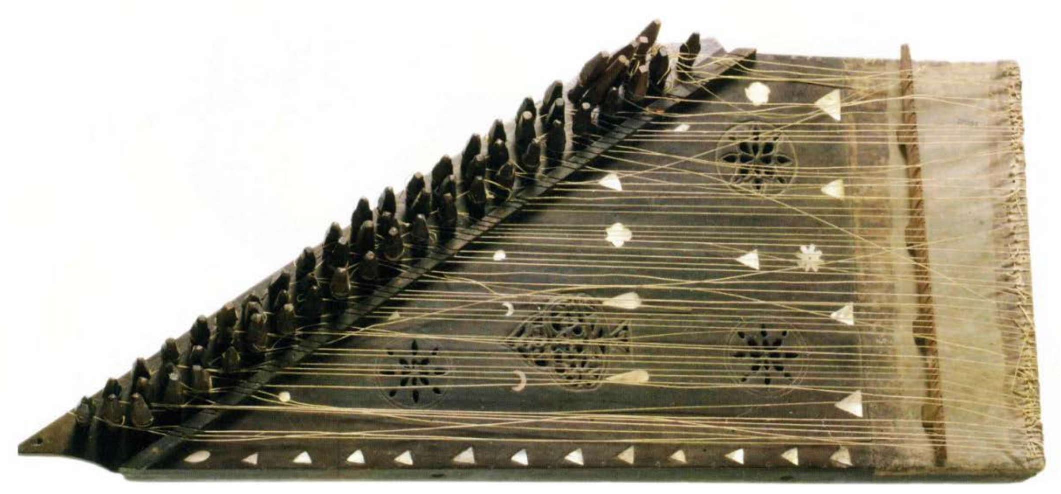
[3] ناصر الدين سعيدوني، "الأندلسيون (الموريسكون) بمقاطعة الجزائر..."، ص.121.

[4] Ben cheneb M., « Itinéraire de Tlemcen à la Mecque par Ben Messaib », in Rev. Afr., n° 44, 1900, p. 261.

[5] Ibid. p. 282.



الصورة 05: آلة العود، الجزائر، القرن، 14هـ/20م
(ط.: 84 سم)، I.M.96.3
المتحف العمومي الوطني الباردو.



الصورة 06: آلة القانون، الجزائر، القرن 14هـ/20م
(ط.: 72 سم، ع.: 28 سم)، I.M.x.45
المتحف العمومي الوطني الباردو.



الصور07: آلة رباب، الجزائر، القرن 14هـ/20م،
(ط.: 63,5 سم)، I.M.96.1
المتحف العمومي الوطني الباردو.

4 . فن الطبخ

استمد الطبخ الأندلسي تقاليده من الطبخ الإسلامي، وكان القمح هو الغذاء الأساسي في كل المدن الأندلسية، ثم يأتي بعده الشعير ويليه الأرز الذي أحبه الأندلسيون مطبوخا باللبن. ولقد تأثر الطبخ الأندلسي بوصول زرياب الموصلي،[1] الذي كان له الفضل الكبير في نقل الإرث المشرقي إلى الأندلس، وقد قال عنه المقري[2]: " كان زرياب قد جمع إلى خصاله الفنية لطف المعاشرة وآداب المجالسة وطيب الحادثة ومهارة الخدمة الملوكية ...وهو أول من اجتبى بقلة الهليون[3] المسماة بلسانهم الإسفراج، ولم يكن الأندلس يعرفونها قبله. ومما اخترعوه من الطبيخ المسمى عندنا التقايا. وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلى بالسنبوسق والكباب، ويليه لون التقلية المنسوبة إلى زرياب".

[1] زرياب هو أبو الحسن على بن نافع (173هـ - 238 هـ / 789م - 852م) نشأ بالعراق وانتقل إلى الأندلس وهو مولى الخليفة العباسي المهدي (158هـ - 169هـ / 775م - 785م). وكان تلميذا لإسحاق الموصلي ببغداد، ولقب بزرياب لسواد لونه مع فصاحة لسانه وشبه بطائر أسود.

[2] أحمد المقري، نفح الطيب...، مج. 3، ص. 127 ـ 128.

[3] بقلة الهليون هي نبتة اتخذت كخضار.

4 .1 . التركيبات الغذائية في الفترة الموحدية:

أقبل المطبخ المغربي طيلة العصور الإسلامية على التوابل القادمة من المشرق واستعمال قصب السكر. وتميزت تركيبات الأطعمة خاصة في العصر الموحدي بالتنوع والوحدة نتيجة خضوع كل بلاد المغرب والأندلس لسلطة واحدة. غير أن ظهور الموحدين في بلاد المغرب لم يكن عاملا رئيسيا في إدخال تقاليد جديدة على فن الطبخ المغاربي نظرا للبيئة التي ينتمون إليها. وإنما عملوا على إظهار الإرث الحضاري الذي كان متواجدا في المناطق التابعة لدولتهم كالمغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى والأندلس[1]. وبالتالي أصبحت كل التركيبات الغذائية شائعة ومتداولة في مختلف المدن المغاربية، فوجدت مجموعة من التركيبات التي كانت تهيأ في تونس وبجاية وقسنطينة ومراكش وفاس وأبلة وقرطبة وإشبيلية[2]. ومن بين هذه التركيبات:

ـ **"شاشية ابن الوضيع":** كانت تحضر في بجاية ويطلق عليها في الأندلس "شاشية ابن الفقير" وهي عبارة عن مرق يحضر من لحم الغنم والفلفل والكزبرة والخضر والفول المقشر ليسقى به الثريد[3].

ـ **المقروض:** كان متداولا في الأندلس وفي تونس وفي الشرق الجزائري، ويعرف في بجاية باسم "الخشكلان". يحضر من سميد خشن يضاف إليه السمن، ويفتل باليدين على شكل قضبان ويحشى تمرا أو لوزا، ثم يقطع على شكل معينات ويقلى في الزيت ويغطس في العسل[4]. وقد قال ابن أبي دينار في المقروض[5]:" فما يستعملونه في أيام العيد من

---

[1] شريد حورية، تطور المطبخ المغربي...، ص. 77.

[2] هيوسي ميراند، " المطبخ المغربي الأندلسي في العصر الموحدي من خلال مخطوط لمؤلف مجهول" مجلة صحيفة الدراسات الإسلامية بمدريد، 1962، ص. 16 ـ 17.

[3] حورية شريد، تطور المطبخ المغربي وتجهيزاته من عصر المرابطين إلى نهاية العصر العثماني (دراسة تاريحية و أثرية)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، ج. 1، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2010 ـ 2011، ص. 347.

[4] سهام الدبابي، " تهذيب المائدة في الأندلس "، المجلة العربية للثقافة، ع. 14، تونس، 1994، ص. 170.

[5] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص. 304 ـ 305.

الحلاوات والأطعمة التي لاتوجد إلا في الحضرة المقروض الذي يتفاخرون به. وهو مشهور لا يحتاج إلى تعريف وليس بعده شيء، حتى أني إلتقيت بمن يأكله في الحضرة فأعجبه غاية الإعجاب فقال: لمن في بيته المقروض كيف ينام الليل". ومازال تحضير المقروض في الجزائر باقيا إلى يومنا هذا، حتى أن في قسنطينة يقال: "بيت دون مقروض ليس بيتا" ويسمى "سَلْطَان السْنِي".

ـ **الكسكسو**: كان معروفا قبل الفترة الموحدية، لكنه انتشر بصورة واسعة في العديد من مدن وأرياف بلاد المغرب والأندلس على يد الموحدين[1]. ويعتبر من الآكلات الشعبية يفتل حبات صغيرة ثم يوضع في كسكاس ويطهى بالبخار ويسقى بالمرق والخضروات مع اللحم أو الدجاج.



الصورة 08: قدر وكسكاس من الطين، الجزائر، القرن 13هـ/19م

II.C، المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

[1] أحمد المقري، نفح الطيب...، مج. 3، ص. 301 ـ 302، حورية شريد، تطور المطبخ...، ص. 178.

4 . 2 . التركيبات الغذائية الأندلسية

أدى سقوط الدولة الموحدية في القرن 7هـ/13م إلى ظهور أربعة دويلات في بلاد المغرب والأندلس، الحفصيون في المغرب الأدنى وبجاية وقسنطينة والزيانيون في المغرب الأوسط والمرينيون في المغرب الأقصى وبنو نصر في الأندلس. لم تسع هذه الدويلات إلى الاستغناء على إرثها الغذائي، لكنه تضاعف وتكاثف خاصة بسقوط الأندلس وهجرة الكثير من الأندلسيين[1] الذين عملوا على توحيد وتنويع الكثير من التركيبات الغذائية التي كانت شائعة في مختلف المدن المغربية والأندلسية. وبهذا فقد تعزز فن الطبخ المغربي بألوان أندلسية وحدت بين جميع مدنه وأصبح يشكل إرثا حضاريا من تونس إلى الأندلس. وقد ساهمت المرأة الأندلسية مساهمة كبيرة وفعالة في نقل هذا الإرث الغذائي[2].

ظلت بعض الأكلات والحلويات في بلاد المغرب عامة والجزائر خاصة محتفظة بطريقة تحضيرها وبتسميتها القديمة، في حين تغيرت نوعا ما مكونات تحضير بعض الآكلات، كما اختفت بعض أسماء الطبخات وعوضت بأسماء محلية كالمروزية التي أصبحت تعرف ب"لحم لحلو". لذا يصعب تحديد بدقة الأطباق التي أدخلها الأندلسيون على الطبخ الجزائري.

4 . 2 . 1. أنواع الأكلات: تميز الطبخ في الأندلس باستعمال الزعفران[3] لإضفاء نكهة ورائحة زكية في الأطعمة[4]، لذا وسع الأندلسيون في غراسته عند مجيئهم إلى الجزائر واستخدموه لغرضين هما: الطعام وصبغ منسوجاتهم باللون الأصفر. كما استعمل الأندلسيون البيض بكثرة في العديد من أصناف الطبخات، وكانت إحدى طرق إستعماله

---

[1] Kaddache M., Op. Cit., p. 208.

[2] محمد المنوني، ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة، أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1979، ص. 90.

[3] الزعفران: نبات يزهر في الخريف اتخذ عدة أسماء كالجادي والجِساد والريهقان، أزهاره بيضاء ساطعة الرائحة. يستعمل الزعفران في الأصباغ وإكساب الأطعمة رائحة زكية.أنظر: ابن البيطار، تنقيح الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، تحقيق: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص. 178.

[4] موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول، ترجمة: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص. 273.

أن يمزج مع الدقيق الرقيق ويخفق على الطعام المطبوخ ليعقد[1] ويصبح المرق نوعا ما ثقيلا. ومازالت هذه الطريقة تستعمل في مناطق عديدة من الجزائر خاصة في المدن التي كانت تابعة لدار السلطان، إذ يضاف إلى الطبخة عندما استوائها البيض الذي يمزج مع عصير الليمون والبقدونس بدل الدقيق وتسمى " بالعَقدة".

ـ **البَسْطِيلة:** هي عبارة عن ورقة رقيقة من العجين تحشى أساسا بلحم الطير أو لحم الدجاج أو لحم الغنم واللوز، مع إضافة البصل والكزبرة و البيض. تعد البسطيلة قاسما مشتركا بين الجزائر وتونس والمغرب الأقصى والأندلس، وكانت شائعة بكثرة في الغرب الجزائري لا سيما في مدينة وهران وبدرجة أقل في الأوساط الحضرية في مدينة الجزائر[2].

ــ **الإسفيرية:** بقي اسمها متداولا في الجزائر وتعرف بالسفيرية. وقد اختلفت طريقة تحضيرها؛ ففي الأندلس كان اللحم يدرس ويمزج مع بياض البيض ثم يقلى أقراصا.[3] أما في الجزائر عوضت العائلات المتوسطة الحال اللحم بخبز يابس مدروس وجبن مع إضافة قطرات من ماء الورد.

4 . 2. 2. الحلويات والمرطبات:

يذكر المؤرخ التونسي ابن الخوجة (القرن 13هـ/19م):" وكان لنسوة الأندلس فضل كبير على بنات تونس، لأنهن علمن ابنة البلاد تدبير المنزل من تأثيث وطبخ وحلاويات، وكانوا قبل ذلك لا يحسنون الكثير من أصناف الحلويات"[4].

لقد ورد في الوثائق المدروسة الخاصة بمدينة الجزائر اسم لصانعي الحلويات "الحلواجي" وهذا دليل على أن صناعة الحلويات لم تقتصر على النساء في البيوت، لكنها مورست من طرف الرجال أيضا. ومن بين الأسماء يمكن ذكر على سبيل المثال:

---

[1] دافيد وينز، فنون الطبخ في الأندلس، في الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج. 2، بيروت، 1998، ص. 1034.

[2] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 399.

[3] سهام الدبابي، المرجع السابق، ص. 170.

[4] ابن الخوجة، تاريخ معالم التوحيد، نقلا عن محمد المنوني، المرجع المرجع، ص. 90.

ـ الحاج عبد الله **الحلواجي الأندلسي**[1].

ـ **الزلابيا أو الزلابية:** هي عبارة عن عجينة سائلة توضع في قمع وتصب فوق زيت ساخنة في شكل أنابيب رقيقة مستطيلة أو دائرية وفور طهيها تغطس في العسل.[2] وعادة ما تستهلك الزلابية في سهرات رمضان.

ـ **الكعك:** عرفت الحلويات الأندلسية الدائرية الشكل المحشوة باللوز والملبسة بالسكر باسم "الكعك" والمعروفة محليا ب" الكعيكعات" و" كعك الورقة " في تونس، أما في إسبانيا فهو يعرف إلى اليوم ب "الكعك الإسفنجي" (Rosquilla esponjosas)[3]. وقد تُعد عدة أنواع من الكعك مثل: " كعب الغزال" يحضر من الطحين والزبدة أو السمن ويرش بماء الزهر المقطر، وتشكل من العجينة شكل هلاليات صغيرة تحشى باللوز[4]. بعد طهيه يغطس في ماء الزهر ويسكر. ومازال كعب الغزال يحضر في الكثير من المدن الجزائرية خاصة في قسنطينة وتلمسان واحتفظ بنفس الاسم، ويحضر أيضا في تونس والمغرب الأقصى.

هناك نوع آخر من الكعك هو الكعك البسيط، يحضر من الطحين والزيت والسكر والخميرة، ويسوى مستديرا ويكون خاليا من الحشو.[5] تتميز مدينة تلمسان بكعكها البسيط الخالي من اللوز وهو ضروري في البيت التلمساني تحضره النسوة أو يباع عند الحلواجي ويقدم في الأفراح والأعياد.

---

[1] م. ش. . علبة 72 /73 الوثيقة 59.

[2] نبيلة آيت سعيد ومليكة بن مصباح، مطابخ بيوت مدينة الجزائر في الفترة العثمانية، من إيكوسيم إلى الجزائر، الجزائر، 2007، ص. 74.

[3] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 403.

[4] سهام الدبابي، المرجع السابق، ص. 171.

[5] نفسه، ص. 171.

ـ **لقمة القاضي:** يحضر من الطحين والسكر والزبدة أو السمن، تمد العجينة على شكل مستطيل ويحشى بلوز. ثم يصنع منها أشكال الجوز، ويقلى في زيت ويذر عليه السكر [1].

ـ **المروزية:** تطبخ المروزية من لحم الخروف مع قليل من المرق والسكر وبعض الفواكه الجافة. وتعتبر طبقا مفضلا في الأندلس يتناوله المسلمون بكثرة في شهر رمضان ويعتبر أكلها بعد الإفطار من التطيب[2]. أدخلت هذه الطبخة إلى الجزائر عن طريق الأندلسيين وتغير اسمها إلى " لحم لحلو"[3]، وتعد في شهر رمضان وتقدم في ولائم الأفراح والأعراس والختان. وكان يضاف لهذه الأكلة عدة فواكه جافة التي أتقنت تجفيفها العائلات الأندلسية كالتين والمشماش والكمثري والزبيب وتزين بحبات اللوز المقشر. وربما تكون هذه الأكلة قد جاءت من المشرق إلى الأندلس مع زرياب ومن الأندلس دخلت إلى بلاد المغرب[4].

ـ **الربّ:** يحضر الربّ أو المربى من الفواكه المطبوخة بالسكر أو العسل،[5] وكان أندلسيو غرناطة يعدون أنواعا مختلفة من المربى لوفرة أنواع كثيرة من الفاكهة، كمربى السفرجل والتفاح والنارنج. [6] واختصت العائلات العريقة من الأندلسيين والبلدية التي كانت تسكن مدن قسنطينة وتلمسان والقليعة والبليدة ومليانة والجزائر في تحضير أنواع مختلفة منه.[7] وكان يحضر في قدور كبيرة تسمى "قازان"[8] مصنوعة من النحاس الأحمر ومغطاة بطبقة بطبقة من القصدير وهي ثقيلة الوزن، تتكون من قاعدة مقعرة وبدن منتفخ في معظم الأحيان ينتهي إما بفوهة ضيقة أو واسعة ويحوي على مقبضين[9]. (الصورة 09)

---

[1] نفسه، ص. 171.

[2] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص. 305.

[3] Kaddache M., Op.Cit., p. 208.

[4] حورية شريد، تطور المطبخ...، ص. 80.

[5] Ben cheneb M., Op. Cit., p. 43.

[6] أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الدولة، الإسكندرية، 1997، ص. 312.

[7] ناصر الدين سعيدوني والمهدي الشيخ البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 68.

[8] Ben cheneb M., Op. Cit., p. 66.

[9] شريفة طيان، المرجع السابق، ص. 98.

ويجدر بنا القول أن طبيخ المغرب الأقصى ظل وفيا ومحتفظا بالتقاليد الأندلسية المحضة ولم يتأثر بالتقاليد العثمانية لكونه لم يخضع لسلطة الأتراك، بينما دخلت طبخات جديدة في كل من تونس والجزائر عن طريق الأتراك كالشربة وهي حساء من لحم الخروف وقليل من بعض الخضر والكزبرة، يضاف إليها شعيرات مشكلة من عجين على هيئة خطوط دقيقة تستعمل بعد التجفيف[1]. والدولمة وهي عبارة عن خضر محشية باللحم المفروم مع قليل من التوابل والبقدونس وتطهى في مرق أبيض[2]. والرشتة وهي عجينة مقطعة على شكل خيوط تطهي بالبخار وتقدم مع مرق أبيض بالدجاج[3]. والبوراك الذي يحضر من عجينة ويحشى بلحم مفروم ويقلى في الزيت[4]. أما الحلويات فهناك الباقلاوة الّتي تشكل من عجينة تقطع على هيئة أشرطة عريضة وطويلة، وتوضع داخل صينية كبيرة جنبا إلى جنب وفوق بعضها البعض، تفصل الطبقات السفلى عن الطبقات العليا لوز مهروس. تقطع إلى معينات صغيرة وتسقى بالعسل فور خروجها من الفرن[5].

قد كان الأتراك يستهلكون كميات كبيرة من الأرز، وساهم الأندلسيون في زراعته في مناطق عديدة من الجزائر خاصة في مليانة[6]. وكان يحفظ في أطباق خاصة تسمى Pilavlik نسبة إلى Pilav وهو الأرز، وقد تغيرت وظيفة هذا الطبق وأصبح يحفظ فيه الكسكسي، وعرف باسم تبسي عشاوات[7]. (الصورة 10)

[1] Ben cheneb M., Op. Cit., p.53.
[2] Ibid, p. 42.
[3] Ibid, p. 63.
[4] Ben cheneb M., Op. Cit., p. 25.
[5] Ben cheneb M., Op. Cit., p. 18
[6] Venture de paradis, « Alger au XVIII Siècle »in Rev.Afr, vol. 39, 1895, p. 287.
[7] شريفة طيان، المرجع السابق، ص. 94.



الصورة 09: قدر من النحاس الأحمر، مدينة الجزائر القرن 12هـ/18م
(ق.الفوهة: 46 سم، إر.: 32,6 سم)، II.MI.058
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة، عن: شريفة طيان.



الصورة 10: طبق بغطاء من النحاس الأحمر، مدينة الجزائر، الفترة العثمانية

(ق. الفوهة:56,5 سم،إر.: 30,5 سم)، II.Mi. 060
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

الفصل الخامس

المظاهر الاقتصادية الأندلسية

أولا: الصناعة

ثانيا: الزراعة

ثالثا: التجارة

أولا: الصناعة

عرفت البلاد الجزائرية في العهد العثماني صناعات وحرف أخذت مكانة مرموقة حيث كانت مثل نظيرتها في الأقطار الإسلامية والبلدان الأوروبية. وكانت تسد الاحتياجات المحلية للسكّان ويُصدّر الفائض منها إلى الخارج[1]، وهذا يناقض الكتابات الأجنبية خاصة الفرنسية منها الّتي تفنّنت في احتقارها وإنقاص قيمتها ومدى تطورها ووصفتها بأنها تقليدية وبدائية في طريقة صنعها وبسيطة في نوعيتها[2]، وسار المؤلفون بما يتماشى والتعليمات الاستعمارية لتبرير احتلالهم للجزائر وادّعوا أن مجيئهم سيكون سببا في تطور وازدهار هذه الصناعات[3].

ازدهرت الصناعات والحرف في الجزائر بفضل ازدهار التجارة وانفتاح البلاد على الأسواق الشرقية والأوروبية، [4] وبفضل كذلك وفود مجموعات كبيرة من الحرفيّين الأندلسيين الّذين كانوا يمارسون جميع المهن المعروفة آنذاك وتخصّصوا في مختلف الحرف السائدة[5]. وقد أدخلوا عدّة صناعات جديدة إلى الجزائر، ونشروا بها ما توصّلوا إليه من حرف كانت سائدة في شبه الجزيرة الإيبيرية، وفي نفس الوقت طّوروا ما كان موجودا من المهن التقليدية، مما أكسبهم ثقة الحكّام، فأسندت إليهم صناعة الأشياء الفاخرة والثمينة[6]، وبهذا استطاع أفراد الجالية الأندلسية من خلال هذا النشاط الحرفي تكوين ثرواتٍ ضخمة ساهمت في فعاليات اقتصاد إيالة الجزائر.

تمكّن الأندلسيون منذ استقرارهم بالجزائر من إقامة المشاغل وإنشاء الورشات لمزاولة مختلف المهن والصناعات اليدوية، هذا ما جعل مدن الجزائر وتلمسان والبليدة

---

[1] عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، ج. 2، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص. 234.

[2] Venture de paradis, Op.Cit., p. 267.

[3] Estry S., Histoire d’Alger depuis les temps les plus reculés jusqu’ à nos jours, Tours, 1845, p. 133.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج. 8، ص. 354.

[5] هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص. 130 - 131.

[6] Monlaü J., Les états barbaresques Que sais- je ?, P.U.F., Paris, 1964 , p. 111.

والقليعة وشرشال تتميّز بنشاط حرفي حقيقي موجه لتغطية الاستهلاك المحلي وللتبادل مع الأقطار الإسلامية الأخرى[1]. وقد اندهش الرحالة الأوروبيون الَّذين زاروا الجزائر من مهاراتهم الصناعية وشبهوهم بالطبقة البرجوازية الأوربية[2].

امتّد نشاط أفراد الجالية الأندلسية في الجزائر إلى كافّة مجالات الأنشطة الصناعية واستطاعوا أن يمارسوا معظم الحرف المهنية، وقد أدّى استقرارهم في مدن مختلفة من القطر الجزائري إلى ارتفاع وانتشار في عدد الحرف[3].

ضمت مدينة الجزائر معظم الحرف الَّتي اتّسمت بالتنوع والإتقان، واشتملت على أغلب ما تحتاجه المدينة من منتوجات وخدمات مختلفة. وحسب الدراسات الأخيرة فإن عدد المهن بلغ ست ومائة حرفة[4]، ففي سنة 1033هـ/1623م وصل عدد الصنّاع إلى حوالي ألف ومائتين خيّاطا وثمانين سكّاكا وثمانين حدّدا[5] ومائتين نساجا وثلاثمائة جزارا وأربعمائة خبازا[6].

شارك النازحون الأندلسيون في النشاط الصناعي في مدينة تلمسان، كالنسيج والدباغة والنحاس والأسلحة[7]، وشملت المدينة في أوائل العهد العثماني أكثر من خمسمائة خمسمائة حرفة لصناعة النسيج، إضافة إلى صناع الخشب والحدادة والصباغة[8]. أما قسنطينة فقد ضمّت في القرن 11هـ/17م صناعات مختلفة[9]، ووصل عدد الحرف فيها إلى ما يقارب العشرين حرفة تلبي حاجيات السكان اليومية كالنجارة والحدادة والنسيج

1 ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 52.

2 Brahimi D., Op. Cit., p. 40.

3 حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص. 131.

4 عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 112.

5 شريفة طيان، المرجع السابق، ص. 31.

6 Dapper O., Description de l’Afrique, Amsterdam, 1686, p. 177.

7 محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص. 237.

8 شريفة طيان، المرجع السابق، ص. 46.

9 Davity P., Description générale de l’Afrique, Paris, 1660, p. 211.

وصناعة الأسلحة وإصلاحها[1]. وشملت المدينة على 32 معملا لدباغة الجلود و75 معملا للسروج و178 معملا للأحذية[2].

ذكر Boyer أن معظم سكان مدينة وهران صنّاع كالإسكافّيين والخيّاطين والنجّارين والحدّادين والحاكة الذين يصنعون الكتّان والمنسوجات الصوفية، وعلى طول الساحل البحري تنتشر مدابغ للجلود كجلد السختيان[3] ذي اللون الأصفر والأحمر[4].

1 . دور الأندلسيين في الصنائع والحرف

تحدثت المؤلفات العربية والأجنبية عن دور الأندلسيين في مجال الصنائع والحرف، ليس في الجزائر فقط بل في كل المناطق التي حلّوا بها. وقبل استعراض أهم الآراء الَّتي وردت في شأنهم، يجب التنبيه إلى أن الحضارة الأندلسية ما هي إلا وليدة الحضارة الإسلامية في المشرق أخذت عنها مقوماتِها الأساسية، واشتقت منها عمارتها وفنونها وصناعاتها، فللشام علاقة وطيدة بالأندلس[5]. مما أوجد اتصالا ثقافيا وحضاريا وثيقا بين المشرق والأندلس[6]، وجعل الحضارة العربية الإسلامية في المشرق والمغرب كلا كلا لا يتجزأ. فبفضل المهاجرين الأندلسيين أدخلت إلى بلاد المغرب الإسلامي بأقطاره الثلاثة تونس والجزائر والمغرب الأقصى صناعات وحرف أندلسية موحّدة، جذورها شامية أموية[7] أو بغدادية عباسية[8].

---

[1] شريفة طيان، المرجع السابق، ص. 41.

[2] العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين 1792 و1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 62.

[3] جلد السختيان: هو جلد الماعز يكون مدبوغ وملوّن.

[4] Rozet M. , Op. Cit, t. 3, p. 271.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج. 8، ص. 357.

[6] موات مونتغمري، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة: محمد رضا المصري، ط. 2، لبنان، 1998، ص. 18.

[7] الأمويون: هم إحدى فروع قبيلة قريش وأول أسرة حاكمة من بني أمية، كانت عاصمة الدولة دمشق. حكم الأمويون في الفترة الممتدة من (41هـ ـ 132هـ/ 662 م ـ 750م). أنظر: وجدان علي بن نايف، الأمويون العباسيون الأندلسيون، دار البشير للنشر، عمان، الأردن، 1988 م.

[8] العباسيون: يعود نسبهم إلى عم الرسول ﷺ العباس بن عبد المطلب ونقلوا عاصمتهم من دمشق إلى بغداد. حكم العباسيون في الفترة الممتدة من (132هـ ـ656هـ/750م ـ 1258م). أنظر: وجدان علي بن نايف، المرجع السابق.

ـ قال ابن خلدون[1]: " وأما أهل الأندلس، فافترقوا في الأقطار، عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر، وتغلبت عليهم أمم النصرانية، فانتشروا في عدوة المغرب وإفريقية وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع".

ـ قال المقري[2]: " وأما أهل الحضر فمالوا إلى الحواضر واستوطنوها، فأما أهل الأدب فكان منهم الوزراء والكتاب والعمّال وجباة الأموال والمستعملون في أمور المملكة، وأما أهل الصنائع فإنهم فاقوا أهل البلاد، وقطعوا معاشهم، وأخملوا أعمالهم، وصيّروهم أتباعا لهم ومتصرّفين بين أيديهم، ومتى دخلوا في شغل عملوه في أقرب مدّة، وأفرغوا فيه أنواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس إليهم، ويصير الذكر لهم، ولا يدفع هذا عنهم إلا جاهل أو مبطل".

وذكرت الكثير من المراجع إسهامات الأندلسيين في المناطق الَّتي استقرّوا بها ومن ضمن ما قيل: " أن المهاجرين الأندلسيين قد حملوا معهم وعلى أيدهم صناعة الأندلس وفي صدورهم همم أهلها، ونقلوا ذوق تلك البلاد الموصوف بالسلامة إلى حيث حلّوا فأُخِذت عنهم فنون وشاعت بواسطتهم صنائع، وانتشرت بسببهم فوائد؛ كانوا مع رثاثة حالهم وتشريدهم في بلادهم صفر الأيدي يمثلون حيثما حلوا قطعة من الأندلس، وهم على بيئتهم وأنواع معايشهم وسائر شؤونهم ومآخذهم مسحة أندلسية تمتاز بالذوق وتدّل على الأصالة في التمدن" [3].

وتناول باحثون مختصون في تاريخ الأندلس موضوع التأثيرات الأندلسية، وذُكِر في هذا المنوال:" إن سائر الدول الإسلامية الَّتي استقبلت طوائف الأندلسيين المنفيين قد استفادت أعظم الفوائد من تقدّمهم وحلولهم بين سكانها. واقتبس أهلها الكثير من براعتهم في الصناعة والزراعة ومختلف الفنون...وقد كان الأندلسيون أبرع أهل الأرض في الزراعة

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة بن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002، ص. 359.

[2] أحمد المقري، نفح الطيب...، مج. 3، ص. 152.

[3] شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ج. 2، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1972، ص. 23.

وغرس الحدائق وإقامة المنشآت العمرانية كما اقْتُبِس الكثير من مواهبهم الحضارية وعوائدهم المشرّفة وشمائلهم الرقيقة "[1].

وأشار مؤرخون جزائريون إلى التأثير الأندلسي في الجزائر وقيل:" إن المهاجرين الأندلسيين قد وجدوا في الجزائر أرضا كأرضهم وأهلا كأهلهم فاستوطنوا وأسهموا في الحياة الاجتماعية بإدخال عنصرين رئيسيين، الأول مضاعفة الكفاح ضد الإسبان في البحر والثغور دفاعا عن النفس، والثاني نشر أنماط حضارتهم بين الجزائريين. وكانت الأندلس إلى آخر عهدها، رغم ضعفها السياسي، هي المرحلة الراقية من تطوّر الحضارة العربية الإسلامية. فارتقت بوجودهم في الجزائر العمارة وصناعة الطب والموسيقى والزراعة والصنائع والحرف والتجارة والتعليم والخط والوراقة وصناعة الكتاب... وهكذا أصبح الأندلسيون على مر السنين يشكّلون عنصرا بارزا مؤثرا في السكان بحركتهم التجارية وذكائهم وعلمهم وصنائعهم ومهارتهم في البحر. وقد طبعوا المدن الجزائرية خاصة الساحلية، بطابعهم العمراني "[2].

وقيل كذلك:" إن العهد التركي له خصائص ومميزات، فورد فيه الأندلسيون ووردت معهم صنائع وحرف ورافقتهم آداب وأخلاق مع رفاهية في المعاش من لباس ومتاع وأثاث وغيرها من مرافق الحياة"[3].

---

[1] محمد عبد الله عنان، "موقف القسطنطينية..."، ص. 113.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج. 1، ص. 148 ـ 149.

[3] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص. 66.

ثانيا: الزراعة

لعبت الزراعة دورا هاما في حياة الإنسان منذ أقدم العصور إلى وقتنا الحالي، فقد وصفها عالم الفلاحة الغرناطي، الطغنري[1]:"الزراعة والغراسة الَّتي بهما قوام الحياة وقوت النفوس"[2] فهي إذن مصدر المعيشة. إلى جانب أنّها من أهم المقوّمات الاقتصادية، وعماد التجارة وترتكز عليها الكثير من الصناعات؛ فالصناعات الخشبية تعتمد على أنواع عديدة من الأشجار، وصناعة النسيج تتطلب أنواع مختلفة من الأقمشة كالكتّان والقطن والحرير إلى جانب الأصباغ النباتية الَّتي تدخل في صباغة الكثير من المشغولات الفنية كالنيلة والزعفران وقشور الرمان.

لقد عرفت الأندلس خلال القرن 4هـ/10م ازدهارا كبيرا في ميدان الزراعة، وهذا راجع لظهور الحدائق النباتية أو الحدائق التجريبية، الَّتي جرى العمل فيها على أقلمة[3] نباتات جديدة أو تحسين أنواع أخرى لنباتات في شبه الجزيرة الإيبرية، بواسطة البذور والجذور والفسائل التي جُلبت من داخل الأندلس وخارجها[4].

تعد مدينة الرصافة[5] أول ما عُرف في هذا المضمار، وهي نوع من جنان واسعة

---

[1] محمد عبد الله بن مالك الطغنري: عاش ما بين القرنين 5 و6 هـ/ 11 و12م عمل في حدائق القصور الملكية لمدينة ألمرية وبالذات في الصُمَادِحِيَة، حيث أجرى شتى أنواع التجارب الزراعية، بعد أن جاب أرجاء بلاد المغرب الإسلامي وبلاد المشرق. وبعد ذلك تنقّل بين غرناطة وإشبيلية إلى أن انظم إلى مجموعة المزراعين والبستانيين الَّذين كانوا يعملون تحت إشراف عالم الزراعة المشهور ابن بصّال. ألف الطغنري كتابا في الزراعة سمّاه " زهرة البستان ونزهة الأذهان" وأهداه إلى حاكم غرناطة المرابطي أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين. للمزيد أنظر: محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2002 ـ 2003.

[2] إكسبيراثيون غارثيا سانشيز، " الزراعة في إسبانيا المسلمة"، في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج.2،، بيروت، 1998، ص. 1367.

[3] أقلمة أو التلقيم: هي لقح الأشجار لتثمر ثمرا آخر من جنس فصيلتها.

[4] إكسبيراثيون غارثيا سانشيز، المرجع السابق، ص. 1369.

[5] مدينة الرصافة: تقع شمال غرب قرطبة، بناها عبد الرحمن الأول.

كان الأمير عبد الرحمن الأول[1] قد أمر بتشييدها داخل قصره. ونقل إليها غرائب الغروس وأكارم الشجر من كل ناحية، من بينها شجرة الرّمان الَّتي انتشرت في كلّ أرجاء الأندلس[2]. وقد استمر الأمراء في فترة ملوك الطوائف في إنشاء حدائق تجريبية في كل قصر من قصور الحكام الجدد، كحديقة الصُمَادِحِيَة في مدينة ألمرية الَّتي جُلب إليها مختلف وسائر أنواع الثمار. والبعض منها كان غريبا في تلك الفترة، مثل أنواع الموز المختلفة وقصب السكر. إلى جانب بستان الناعور أو بستان الملك في طليطلة، وبستان حديقة المعتمد[3] في إشبيلية. وكان لكلّ واحد من تلك البساتين عالِم في الفلاحة يشرف عليها. وقد استمر هذا التقليد بعد ذلك على مدى تاريخ الأندلس ليعطينا حديقة البحيرة في إشبيلية في عهد الموحّدين أو جنّة العريف في غرناطة في الفترة النصرية[4].

وصلت الزراعة في الأندلس خلال القرن 7هـ/13م إلى أوجّ ازدهارها، وحدث ما يسمى "بالثورة الزراعية الأندلسية"، وذلك بفضل تضافر جهود الحكّام في الرغبة في تطويرها بجلب نباتات جديدة لغرض أقلمتها في جنائنهم الخاصّة. وتشجيع علماء الزراعة الَّذين كانوا أناسا ذوي معرفة موسوعيّة، انكبوا في بحوثهم على التوفيق بين النظرية والممارسة التطبيقية الحيّة؛ وخلصت أبحاثهم إلى تأليف عدّة رسائل زراعية وشكّلت نواة المدرسة الزراعية الأندلسية[5].

---

[1] عبد الرحمن الأول: هو عبد الرحمن بن معاوية لقب "بصقر قريش" وهو مؤسس الدولة الأمويّة في الأندلس بعد زوالها في المشرق، حكم من 138هـ /755هـ إلى 172هـ/788م.

[2] المقري، نفح الطيب...، مج. 1، ص. 467.

[3] المعتمد: هو محمد بن عبّاد المعتضد بن عباد حاكم إشبيلية، استنجد بيوسف بن تاشفين للتخلّص من أطماع ألفونسو السادس.

[4] Marçais G., Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman, t. 1, imprimerie officielle, Paris, 1957, p. 239.

[5] إكسبيراثيون غارثيا سانشيز، المرجع السابق، ص. 1371.

وتعتبر رسائل ابن بصّال[1] والطغنري وابن العوام[2]، من أهم الكتب المختصة في الزراعة والّتي أنتجتها العبقرية الأندلسية.

بلغت محاصيل البساتين والمزارع الأندلسية درجة عالية من التنّوع، وعلى رأسها الحبوب، حيث أن القمح والشعير يعدّان الغذاء الرئيسي للسكان[3]. وتعددت أنواع الخضر والفواكه كالقرع والباذنجان والفاصولياء الخضراء والبطيخ بنوعيه الأصفر والأحمر والخيار والثوم واللفت والكرنب والجزر والكرّاث والسلق والسبانخ والخرشوف[4]. إلى جانب السفرجل واللوز والجوز والتفاح والإجاص. وتنوعّت أصناف البقوليات كالفول والحمّص واللوبيا والجلبان والعدس والترمس[5].

اهتم الأندلسيون بزراعة الحمضيات خاصّة الليمون والبرتقال، وحضيت أشجار الزيتون والكرمة باهتمام خاص، حيث كانت تغطّي قسما كبيرا من أراضي الأندلس. وتركزت زراعة الزيتون في جبل العروس شمال قرطبة وجبل الشرف بإشبيلية،[6] كما اعتنى اعتنى الأندلسيون بأشجار الرمّان والتين والسفرجل واللوز والجوز والتفاح والإجاص. وكانت بعض أنواع هذه الأشجار لا تزرع من أجل ثمارها فقط، بل لظلّها وأخشابها الضرورية للصناعات الخشبية[7].

---

[1] ابن بصّال: هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن بصّال (ت 499هـ/ 1105م)، صاحب كتاب "القصد والبيان" ويسمى في المعاجم " كتاب الفلاحة لابن بصّال" وضمّ معلومات ونظريات طبقها هو شخصيّا لأنه كان مكلفا بالنباتات الخاصة بطليطلة. للمزيد أنظر: محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس...،

[2] ابن العوام: هو أبو زكريا يحي بن العوام الإشبيلي (ت 539هـ/1145م أو 569 هـ/1175م) نبغ في إشبيلية وألف كتاب "الفلاحة" وجاء في أربعة وثلاثين فصلا شرح فيه طبيعة الأراضي والحقول والسماد والمياه، وفيه وصف دقيق لـ 585 نوعا من النباتات. للمزيد أنظر: محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس...،

[3] Lévi – Provençal E, Op. Cit., p. 273.

[4] إكسبيراثيون غارثيا سانشيز، المرجع السابق، ص. 1377.

[5] الترمس: هو جنس البقل وأصنافه كثيرة، يؤكل بعد أن يسلق، وينقع في الماء أياما كثيرة حتى تخرج مرارته. أنظر: ابن البيطار، المصدر السابق ص. 88.

[6] أحمد المقري، نفح الطيب...، مج، 1، ص 158.

[7] عزّ الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشرق، بيروت 1983م، ص. 197.

أدخل العرب إلى الأندلس زراعة قصب السكر.[1] وانتشرت زراعة الزعفران بشكل واسع حيث استعملت في الطبخات لتضفي نكهة ورائحة زكية في الأطعمة، كما استخرجت منها صبغة الزعفران الصفراء لصبغ المنسوجات[2].

إلى جانب المحاصيل الزراعية شاعت في الجنائن والحدائق الأندلسية أشجارٌ للزينة كالصفصاف والدردار[3] والسرو[4] والسنديان[5] والدلب[6] والآس[7] والياسمين، واشتملت واشتملت كذلك على نباتات مزهرة مثل: الورود والقرنفل والبنفسج والأقحوان والزنبق. ولم تكن هذه الجنان محاطة بأسوار وإنما كانت النباتات الشوكية كالصبّار يزرع عند أطراف حدودها[8].

لقد اكتسب الأندلسيون خبرة ودراية ومهارة كبيرة في الزراعة من بلادهم الأصلية واستغلّوها في موطنهم الجديد. فاشتغل العديد منهم في هذا المجال خاصّة أولئك الذين لا يمتلكون شروط العمل في الميادين الأخرى كالتعليم والقضاء والتجارة. فتوجّه أهل الأرياف والبادية إلى المناطق الّتي تكثر فيها الفلاحة، وقد قال المقري في هذا الشأن[9]: " ولما نفذ قضاء الله على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها، تفرقوا ببلاد المغرب الأقصى من برِّ العدوة مع بلاد إفريقية، فأمّا أهل البادية فمالوا في البوادي إلى ما اعتادوه وداخلوا أهلها

[1] محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس...، ص. 532.

[2] موريس لومبار، المرجع السابق، ص. 273.

[3] الدردار: هي شجرة البقّ عند أهل العراق، وتعرف في الأندلس بشجرة البَقّم الأسود، وسميت بشجرة البقم لأنها تحمل بذور على شكل الحَنظل مملوءة رطوبة، فإذا جفت واتفتت خرج منها البقّ وهو الباعوض. أنظر: ابن البيطار، المصدر السابق، ص. 154 ـ 155.

[4] السرو: تعرف كذلك بشجرة الحَيّات لأنها مأوى الحَيّات. أنظر:. ابن البيطار، المصدر السابق، ص. 207.

[5] السنديان: هو شجر البلُّوط عند أهل الشام. أنظر: ابن البيطار، المصدر السابق، ص. 198.

[6] الدلب: هي شجرة كبيرة ذات أوراق واسعة مثل كف إنسان شبيهة بورق الكَرم. مذاقها مُرٌّ وقشر خشبها غليظ أحمر أنظر: ابن البيطار، المصدر السابق، ص. 157.

[7] الآس: شجرة تعرف عند عامة أهل الأندلس بالخيزران البلدي، تنبت بالسهل وبالجبل وخضرتها دائمة وتسمو حتى يصبح شجرا عظيما، ولها زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمرة تسود إذا أينعت. أنظر:ابن البيطار، المصدر السابق، ص. 10.

[8] إكسبيراثيون غارثيا سانشيز، المرجع السابق، ص. 1378.

[9] المقري، نفح الطيب...، مج. 3، ص. 152.

وشاركهم فيه وغرسوا الأشجار فشرقت بلادهم وصلحت أمورهم وكثرت مستغلاتهم وعمتهم الخيرات".

أدخل الأندلسيون إلى الجزائر طرقا زراعية متنوعّة كالتلقيح[1] والتلقيم والتطعيم[2] واختيار التربة ونوعية المياه،[3] فزرعوا مساحات كبيرة من الأراضي بنواحي متيجة وأصبحت سهولها بفضل مهارة فلاحي بلنسية والأراغون ذوي التقاليد العريقة في ممارسة الفلاحة، تشتهر بزراعة الأشجار المثمرة[4]. وغدت فحوص[5] مدن الجزائر والبليدة والقليعة وشرشال أشبه بنواحي غرناطة وبلنسية[6]. (الصور 09 و10)

لم يقتصر النشاط الفلاحي للأندلسيين في السواحل الشرقية والغربية لمدينة الجزائر، بل أنهم أقدموا على زراعة واستصلاح أراضي شاسعة في شرق وغرب الجزائر كعنابة ووهران ومستغانم وتلمسان.

---

[1] التلقيح: هي نقل حبوب اللّقاح بين النباتات والأشجار.

[2] التطعيم: هي عملية اتصال والتحام بين جزئيين نباتيين.

[3] محمد الأمين بلغيث، الأندلسيون وآثارهم بفحص...، ص.5.

[4] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، ص. 139.

[5] الفحص: يطلق عادة على المناطق الواسعة الّتي تقع خارج أسوار المدينة وهي تصل بين الريف والمدينة.

[6] Saidouni N., L'Algérois rural à la fin de L'époque Ottomane (1791- 1330), dar al- Gharb al- islami, Beyrouth, 2001, p. 78.



الصورة 09: فحص مدينة الجزائر أعالي مصطفى باشا

عن:Lessore E et Wylde W



الصورة 10: مدينة القليعة محاطة بالخضرة

عن: Berbrugger A

1 . ملكية الجنائن

تمكّن الأندلسيون من تنمية ثرواتهم بفضل ممارستهم التجارة واشتغالهم بالزراعة الأمر الَّذي شجّعهم على امتلاك المنازل وشراء الضيعات، وبذلك أصبحوا من كبار ملاّك الأراضي[1]. فامتلكوا الكثير من البساتين في فحص مدينة الجزائر الّذي كان يتربّع على مساحة تقدّر بحوالي 150 كلم[2] ويمتد إلى ما يزيد على إثنى عشر كيلومترا على أسوار مدينة الجزائر، يظهر فحص مدينة الجزائر كالهلال يمتد من الشمال إلى الجنوب من البحر الأبيض المتوسط إلى حدود سهول متيجة، ومن الشرق إلى الغرب من مصبّ وادي الحراش إلى حدود هضبة بوزريعة. وينقسم إلى ثلاث مناطق حسب موقعها الجغرافي والطرق الرئيسية المؤدية إلى أبواب المدينة، فهناك المنطقة الشمالية الَّتي تسمّى فحص باب الوادي والمنطقة الجنوبية الَّتي تسمى بفحص باب الجديد، أما المنطقة الثالثة وهي الجهة الشرقية الّتي يمر بها الطريق الَّذي يربط مدينة الجزائر بشرق البلاد عبر قنطرة وادي الحراش ويُشار إليها بفحص باب عزون[2]. (الخريطة 16)

يعود الفضل للأندلسيين في استصلاح الأراضي بسهل الحامة، وغرس الأشجار المثمرة بنواحي بئر الخادم وبيرطرايلية[3]، حيث أصبحت أغلب الأراضي الزراعية بهذه الجهات ملكا لأفراد الجالية الأندلسية،[4] وهذا ما توضّحه إما عقود البيع الَّتي تشير إلى شراء الأندلسيين البساتين والجنّات أو الأوقاف الَّتي تتعلق بوقف الأندلسيين لجنائنهم أو بساتينهم على فقرائهم ومن بينها:

ـ عقد[5] بيع جنان بيرطرايلية بفحص مدينة الجزائر على بعد أمتار من باب الوادي يؤرخ يؤرخ هذا العقد بـ: 1058هـ/1648م جاء فيه: "...وباعا صفقة واحدة وعقدا واحدا من

[1] Laugier De Tassy L., Op. Cit., p. 49.

[2] ناصر الدين سعيدوني، " فحص مدينة الجزائر (نوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية عشية الاحتلال) "، مجلة الدراسات التاريخية، ع.1، 1986م ، ص. 91.

[3] بيرطرايلية: هو اليوم يسمى بئر طرارية ويعني البئر الرطب.

[4] ناصر الدين سعيدوني، "فحص مدينة..."، ص. 92

[5] اكتشف هذا العقد سعد الدين بن شنب في المغرب الأقصى ضمن مجموعة من العقود العقارية.

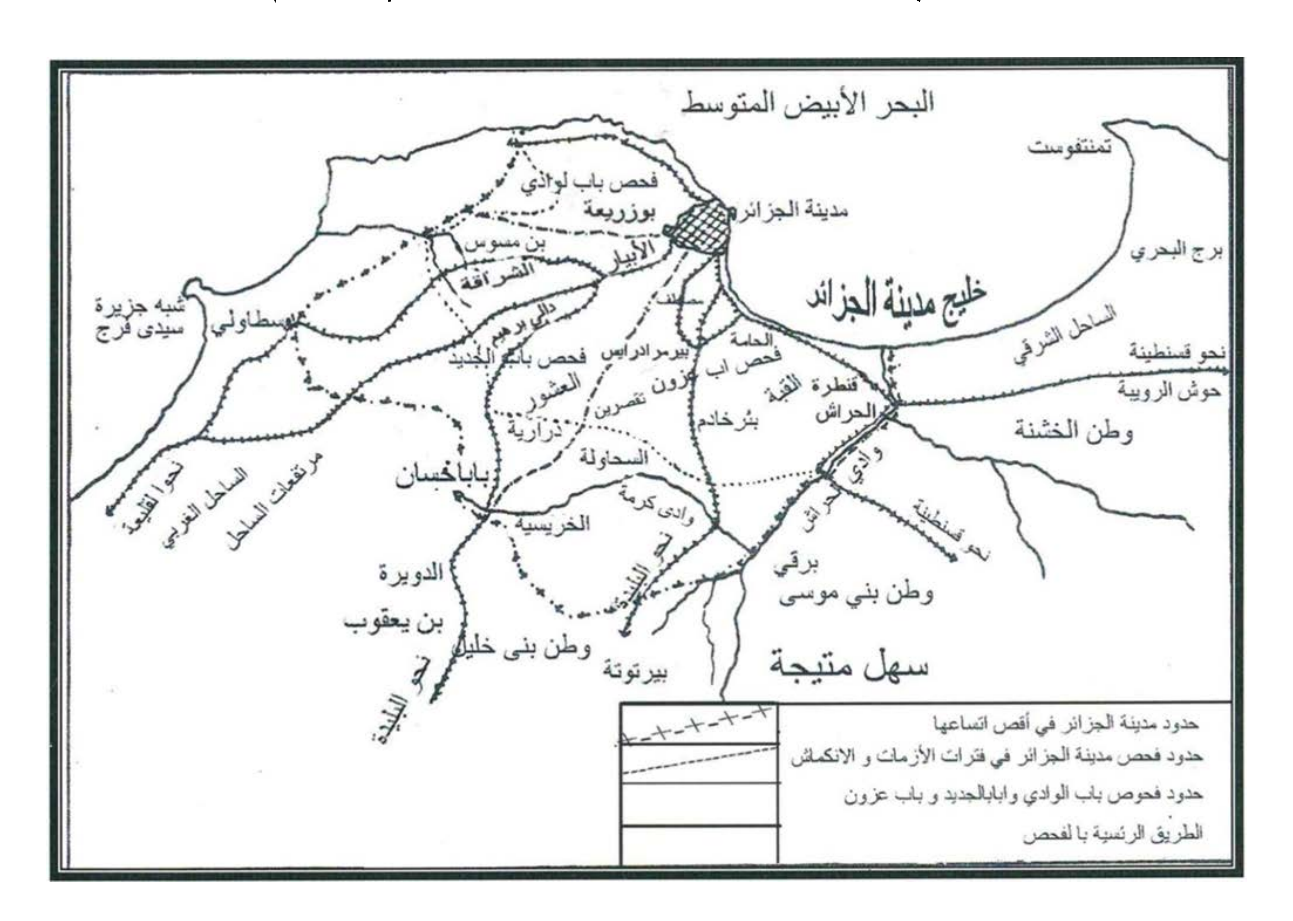
الولية عائشة بنت سعد الأندلسي جميع الجنة المذكورة بجميع حدودها وحقوقها وحرمها ومنافعها ومرافقها داخلا فيها وخارجا عنها بيعا صحيحا مستوفي الشروط الشرعية..." [1].

ـ شراء قطعة أرض خارج الباب الجديد بأعالي مدينة الجزائر 1065هـ/1654م[2].

ـ شراء أحد الأندلسيين لجنة بفحص مدينة الجزائر 1072هـ/1661م[3].

ـ تحبيس قطعة أرض بناحية المدية من طرف أندلسيين1126هـ/ 1714م[4].

ـ تحبيس جنينة بمليانة وبستان بفحص حروشة بمليانة 1152هـ / 1739م[5].



الخريطة 16: فحص مدينة الجزائر

عن: ناصر الدين سعيدوني.

---

[1] Ben cheneb S., « Un acte de vente dressé à Alger en 1648 » in Rev. Afr , n° 89, 1945, p. 288.

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 83. أنظر: علبة 102 . 103، وثيقة 65.

[3] نفسه. ص. 82. أنظر: علبة 87، وثيقة 2.

[4] نفسه. ص. 82. أنظر: علبة 34، وثيقة 125.

[5] نفسه. ص. 82. أنظر: علبة 34، وثيقة 163.

كانت الجنائن والحدائق في فحوص مدينة الجزائر من المعالم البارزة، وقد أقيمت فيها منازل لغرض الراحة والاستجمام أو لقضاء فصل الصيف. ومن بين الأمور الَّتي أدخلها الأندلسيون إلى هذه الجناين هو خلّوها من الأسوار المبنية بالحجر، إذ تحاط فقط بسور طبيعي عبارة عن نبات شوكي كالصبّار أو التين الهندي يكون كثيفا ويتراوح طوله ما بين 15 إلى 20 قدما[1] حتى لا يتعرض أصحاب البيت إلى الأنظار[2]. وقد وجد هذا التقليد بالأندلس كما ذكر آنفا بحيث لم تكن الحدائق محاطة بأسوار، وإنما كانت النباتات الشوكية كالصبّار يزرع عند حدودها[3].(الصورة 11)



الصورة 11: نبات الصبّار

عن:Lessore E et Wylde W

[1] 1 قدم = 30,48 سم.

[2] Peyssonnel J. A., Op. Cit., p. 256.

[3] إكسبيراثيون غارثيا سانشيز، المرجع السابق، ص. 1378.

2. الغلات الفلاحية

كانت الجنائن مصدرا هامّا للغذاء فكانت منبعا للخضر والفواكه، ومن أهم الغلات الفلاحية الَّتي ساهم الأندلسيون في زراعتها الحبوب والخضار والأشجار المثمرة. وقد أدى هذا التنوع في الغلات إلى غنى نظام التغذية لدى السكان، إلى جانب نباتات الزينة والغلات الصناعيّة.

2. 1. الحبوب والخضر: كانت أراضي فحص مدينة الجزائر خصبة جدًا، وغنية بالقمح بفضل احتوائها على مصادر المياه كالعيون والآبار والأودية من جهة، وبفضل اعتناء الأندلسيين بها من جهة أخرى. كما اهتم الأندلسيون بزراعة الذرة[1] ، أما في مليانة فقد ساهم الأندلسيون في زراعة الأرز، إذ قدّر محصوله ما بين خمسة وستة آلاف قنطار وكان يسدّ حاجات البلد ويُغني عن استيراده من مصر[2].

أدخل الأندلسيون أنواعا كثيرة من الخضار، قد تكون غير معروفة أو شائعة قبل مجيئهم كالفلفل والطماطم والبطاطس الَّتي استقدمها الإسبان من العالم الجديد بعد اكتشاف القارّة الأمريكية سنة 897هـ/1492م وجلبها الأندلسيون معهم إلى الجزائر. إلى جانب الفاصوليا الخضراء[3] والباذنجان الَّذي استمد تسميته من مقاطعة أندلسية هي بتانجال (Bitanjel) والسبانخ والقرنون والكراث والجلبان والملفوف والكرنب[4].

2 . 2. الأشجار المثمرة: نجح الأندلسيون إلى حدّ بعيد في توسيع وتحسين أنواع كثيرة من أشجار الفواكه، والَّتي كانت تعاني الإهمال من طرف الأهالي كالحمضيات مثل: البرتقال والليمون واللارنج خاصة في مدينة البليدة[5] والتين بنواحي برشك[6] والتوت

---

[1] Kaddache M., Op. Cit.,p. 208.

[2] Venture De paradis V., Op. Cit., p. 287.

[3] Kaddache M., Op. Cit., p. 208.

[4] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 50.

[5] Saidouni N., L’Algérois rural…, p. 78.

[6] حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص. 33.

الأبيض والأسود بالقليعة وشرشال[1]. كما اهتم الأندلسيون بزراعة العنب بنواحي مدينة الجزائر بعد أن انحطت نوعيته وكادت تختفي تماما.[2] إلى جانب أنواع أخرى من أشجار الفواكه كالمشمش والتفاح والرمان والأجاص والكرز أو حبّ الملوك واللوز والجوز[3].

اهتم الأندلسيون بغرس أشجار الزيتون تقريبا في كل المناطق الَّتي استقروا بها كضواحي مدينة تلمسان وندرومة وهنين[4]. وتركّزت زراعتة بشكل كثيف بشرق الجزائر خاصة نواحي مدينة عنابة، حيث غرس رجل أندلسي سبق ذكره يسمى "مصطفى قردناش" Moustaphas de Cordenas أكثر من ثلاثين ألف شجرة زيتون أثناء إقامته بعنابة[5]. لم تتحدث المصادر عن مصير هذا الأندلسي الثري وهل خلف أحفادا؟ وهل ساهم في زراعة أشجار الزيتون فقط؟ لكن من الراجح أنه أدخل إلى عنابة زراعة أنواع عديدة من الأشجار.

2 . 3 . أشجار ونباتات الزينة: اهتم الأندلسيون بأشجار ونباتات الزينة الَّتي تعّودوا على غرسها حينما كانوا في الأندلس، وفي مقدمتها أشجار النخيل الَّتي وفدت إلى شبه الجزيرة الإيبرية مع الفاتحين الجدد[6]. فكانت جنان فحص مدينة الجزائر والبليدة والقليعة وشرشال تضم أشجار النخيل[7]، وقد غرسها المهاجرون الأندلسيون للدلالة على حنينهم لوطنهم الأندلس الَّذي أبعدوا وطردوا منه مكرَهين[8]. بالإضافة إلى شجرة السرو إذ لا يخلو يخلو أي بستان منها[9]، وكانت تزرع في المقابر وذلك قصد قضائها على الروائح الكريهة

---

[1] حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص. 34.

[2] Estry S., Op. Cit., p. 133.

[3] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 50.

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص. 177.

[5] Peyssonnel J. A., Op. Cit., p. 125.

[6] إكسبيراثيون غارثيا سانشيز ، المرجع السابق، ص. 1377.

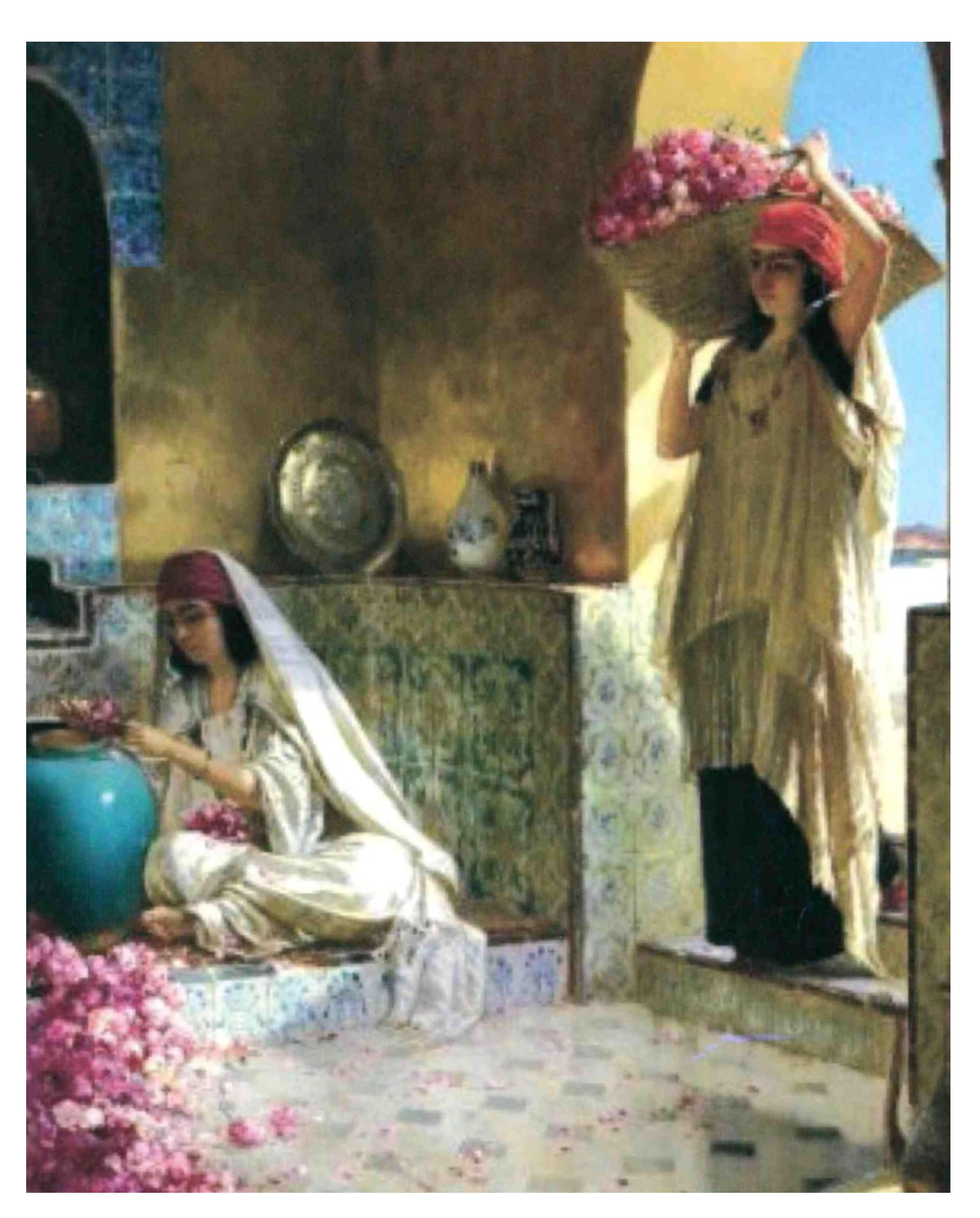
[7] Berthézène M., Dis huit mois à Alger ou récits des événements qui s’y sont passés depuis le 14 juin 1830, jour du débarquement de l’armée française, jusqu'à la fin de décembre 1831, Montpellier, 1934, p. 18.

[8] Chebel M., Dictionnaire des symboles musulmans rites, mystique et civilisation , Albin Michel, Paris, 1995, p. 320.

[9] Feydeau F., Alger, édit. Calman Lévy, Paris, 1884, p. 231.

الكريهة المنبعثة من جثث الموتى. كما تتمتع هذه الشجرة بأهمية خاصة لأنها ترمز للخلود لدوام خضرة أوراقها على طول فصل السنة[1].

فيما يخصّ نباتات الزينة فقد تميزت بالتنوع الشديد، وتتكون من أزهار مختلفة الأنواع كالقرنفل والياسمين والنسرين والزنبق والأقحوان، فضلا عن كميات كبيرة من الورد الذي كان يزهر طوال أيام السنة[2]، وذلك بغية تقطيره. (الصورة 12)



الصورة 12: نسوة يجمعن الزهور لتقطيرها

عن: Maméria Z

[1] شريفة طيان، المرجع السابق، ص. 203.

[2] Haedo F. D., « Topographie et histoire…, p. 224

3. الغلات الصناعية

ساهم الأندلسيون مساهمة كبيرة في توسيع زراعة الغلات الصناعيّة الَّتي تعدّدت أنواعها، خاصة تلك الَّتي تدخل في الصناعات النسيجية كالقطن والكتّان والحرير والقنب. فقد وسّع الأندلسيون غرس القطن في الجهات الغربية من البلاد خاصة في مستغانم[1] وغرسوا الكتّان في برشك. والكتّان هو نبات عشبي يتراوح ارتفاعه بين 30 إلى 120سم وتتميّز أليافه بالمتانة، وهي أمتن من ألياف الصوف والقطن، واستخدمت في الغزل والنسيج. ويكون لون الكتّان أبيض ضارباً إلى الاصفرار[2]. كما قام الأندلسيون بغرس عدد لا يحصى من أشجار التوت الأبيض والأسود في كل من مدينة: الجزائر[3] وشرشال[4] والقليعة[5] وبرشك وتنس[6] لتقتات منها دودة القز لاستخراج الحرير الخالص. كما وسّع الأندلسيون زراعة الزعفران، وذكر سابقا أنّ استعماله كان في الطبيخ ليعطي رائحة زكيّة وفي الصباغة حيث يستخرج منه صبغة تعطي اللون الأصفر والذهبي[7].

4. إشادة المؤلفين الأوروبيين بجنائن الجزائر

أشاد الكثير من الكتّاب سواء كانوا أسرى أم رجال دين أم رحالة بحدائق الجزائر خاصة تلك الّتي في مدينة الجزائر؛ إذ أحصاها الأب Dan عندما زار الجزائر سنة 1044هـ/1634م ب18000 حديقة[8]، ووصل عددها في القرن 12هـ/18م إلى 20000 حديقة. ويرجع الفضل للأندلسيين في توسيعها والاعتناء بها[9]، حتى غدت من أجمل حدائق العالم المتوسطي بضفتيه الشمالية والجنوبية. تسحر كلَّ من زارها ورأى جمالها

---

[1] Devoulx A., Op. Cit., p. 71.

[2] شفيق غربال، المرجع السابق، مج.2، ص. 1442.

[3] عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر...، ص. 298.

[4] حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص. 34.

[5] كربخال مارمول، المصدر السابق، ج. 2، ص. 362.

[6] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث ...، ص. 69.

[7] عائشة عبد العزيز التهامي، النسيج في العالم الإسلامي منذ القرن (8هـ - 11هـ/ 14م - 17م) دراسة أثرية فنية، ط. 3، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2003، ص. 149.

[8] Dan P., Op. Cit., t. II, p. 87.

[9] Marçais G., Les jardin…, p. 241.

وتركت صداها في المذكرات والمؤلفات[1]. إذ يذكر هايدو[2]:" أنه بمجرد أن نخرج إلى فحص مدينة الجزائر تقابلنا مناظر رائعة وممتعة تدخل السرور إلى النفوس، ويتبادر إلى الأعين جمال منظر أشجار الكروم العديدة، والبساتين الَّتي تحيط بالمدينة، ففي كل جانب لا نرى إلا أشجار البرتقال والليمون والأترج[3]، وأشجار أخرى من كلّ نوع بالإضافة إلى الأزهار، خاصّة الورود المتفتحة طوال السنة وسط الخضار والبقول".

وصف الأسير البرتغالي Joào Carvalho Mascarenhas الَّذي حلّ بالجزائر سنة 1031هـ/1621م، جمال ونضارة حدائق وبساتين فحوص مدينة الجزائر، وتحدّث عن خضرواتها وفواكهها وعيونها وينابيعها واعتدال مناخها. ومن شدّة تأثره بجمالها عقد مقارنة بينها وبين مثيلاتها في مختلف البلدان الَّتي زارها كالبرازيل والهند وبلاد فارس ومدن منغوليا وشبه الجزيرة العربية واليمن وإيطاليا وفرنسا[4]. وأقرّ أنه لم ير أي بلد أكثر غنى بالحدائق والبساتين كالجزائر. لكنه عبّر في الأخير عن الروح العدائية الَّتي تُكنّها نفسه للجزائريين، وقال أنهم لا يستحقون هذا الجمال وهذه الخيرات، ودعا السماء أن تكون هذه المدينة في يوم من الأيام ملكا للتاج البرتغالي[5].

اهتم الفنان الجزائري بالعناصر النباتية سواء منها الزهرية أم الشجرية، وتأثّر بحدائق الجزائر الكثيرة والمتنوّعة واستلهم مواضيعه الزخرفية من البيئة التي يعيش فيها[6]. فرسم هاته العناصر تقريبا في كل مشغولاته ونفذّها على معظم فنونه التطبيقية، فمثلا رسمت أشجار السرو والنخيل بكثرة على النحاسيات ووجدت أزهار الياسمين والنسرين والزنبق على مختلف المواد من معدن وخشب ونسيج. وظهرت أزهار الورد بمختلف أشكالها وأحجامها منبثقة من مزهرية أو مكونة باقة مع زهور أخرى.

---

[1] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 109.

[2] Haedo F. D., Topographie et histoire …, p. 323 – 324.

[3] الأترج *(cédratier)*: يقال له كذلك الكباد وهو نوع من الشجر كبير الثمر لا يؤكل بل يصنع منه رُبّ.

[4] Mascarenhas J. C., Esclave à Alger récit de captivité de Joao Mascarenhas (1621 – 1626), trad. Teyssier P, édit. Chandeigne, Paris, 1993, pp : 89- 91.

[5] Ibid., p. 91.

[6] شريفة طيان، المرجع السابق، ص. 203.

5. نظام الرّي

ربط المهاجرون الأندلسيون مهاراتهم في زراعة الخضر والفواكه والأشجار بمعرفتهم بطرق الرّي الملائمة، والَّتي كانت تقوم على تنظيم محكم ودقيق للمصادر المائية المتوفّرة في الجزائر. وقد أشاد المقري بدور الأندلسيين في هذا المجال[1]:"... فاستنبطوا المياه، وغرسوا الأشجار وأحدثوا الأرحّى الطاحنة بالماء وعلّموهم (سكان المغرب الإسلامي) أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها".

بذل الأندلسيون جهدا كبيرا في صرف المياه إلى الملكيات الزراعية الخاصّة أو المحبسة، فقد تمكنوا في مدينة البليدة من تحويل مياه وادي الرمان الَّذي عرف كذلك باسم وادي سيدي أحمد الكبير الأندلسي. وكان ينبع من منحدرات جبل الشريعة إلى عيون عمومية في ناحية باب السبت عبر قناة طولها 1500م، وقدَّر منسوبُها المائي ب 2000م[3] استُغلّ في سقي البساتين وإقامة مطاحن مائية قدّرت طاقتها اليومية بطحن 1000 كيس من الدقيق[2]. واستفادت منازل وبساتين فحوص مدينة البليدة بنظام ري متطوّر أقامه الأندلسيون بتحويل المياه المنحدرة من جبل الشريعة، عبر أودية الخميس وبني عزّة وجبور وبني شبلة والمبدوع وتامرة وبني مفتاح والَّتي وجهت خصّيصا لري البساتين الَّتي تحتوي على أكثر من 5000 شجرة من أنواع مختلفة أهمها أشجار البرتقال والتين والليمون والزيتون[3].

كما عمل الأندلسيون الَّذين استقروا في القليعة على استغلال مياه الآبار وخاصّة مياه وادي مازافران الَّذي يعتبر المورد الرئيسي لها، هذا ما جعل هذه المدينة تتوفر على مياه غزيرة استغلت في ري البساتين الكثيرة، والَّتي كانت تمتّد على ضفاف هذا الوادي حتى معبر عنق الجمل[4].

---

[1] المقري، نفح الطيب...، مج. 3، ص. 152.

[2] Saidouni N., L’Algérois rural…, p. 77.
[3] Ibid, p. 78.
[4] Ibid, p. 79.

أما في شرشال فقد تمكّنوا من جلب مياه من منبعين غزيرين يقعان في المرتفعات الشمالية الشرقية، واستطاعوا جلب مياه هذين المنبعين إلى المدينة وفحوصها في قنوات مصنوعة من الفخار والطين المعالج بعد أن تعذّر عليهم استغلال الآبار الواقعة بالقرب من الساحل لتغلّب الملوحة على مياهها[1].

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 51.

ثالثا: التجارة

عرفت الجالية الأندلسية بالجزائر نشاطا تجاريا لم يكن أقل شأنا وأهمية عن باقي النشاطات الاقتصادية الأخرى؛ فاشتغلوا بتحصيل الضرائب وجمع موارد الخزينة وتقديم الخدمات الضرورية للإدارة التركية وتسهيل تعاملها مع بقية السكان[1]. احتكر الأندلسيون المبادلات التجارية نظرا لمهارتهم وتكاتفهم وامتلاكهم رؤوس أموال كبيرة نقلوها معهم من الأندلس، فقد اصطحبوا معهم معظم ما يملكونه من نقود إسبانية ممّا ساعد على شيوع هذه العملة[2]. كما أن المدّة الَّتي تولى فيها الإسبان الاستيلاء على السواحل الجزائرية ساعد أيضا على رواج عملتهم في سائر البلاد. وقد تزامن هذا الاحتلال تهاطل المعادن الثمينة من ذهب وفضّة بكميات كبيرة جدا على شبه الجزيرة الإيبيرية من العالم الجديد طيلة القرن 9هـ و10هـ و11هـ/15م و16م و17م، ممّا أعانها على سكّ عملتها بأعداد هائلة[3]. فبرزت العملة الإسبانية في شكل ظاهرة عالمية لم يقتصر انتشارها على الجزائر بل غزت أسواق دول المغرب وامتدّت إلى بحر البلطيق ومنه إلى الصين[4].

لقد تميّز الأندلسيون بنشاطهم التجاري وبحيويتهم في مجال الأعمال المالية، مما جعل الحكام يميلون إلى تفضيل العملة الإسبانية عن غيرها من العملات الأجنبية الأخرى خلال تعاملهم مع الدول الأوروبية عند تسديد المشتريات ودفع الأتاوات[5]. فقد كان أندلسيو مدينة شرشال يدفعون ضرائبهم بالدوكة الإسبانية التي تعادل قيمتها الدينار الذهبي[6] وكانت أجور الجيش الإنكشاري تدفع كلّ شهرين بالعملة الإسبانية الملقبّة "بياستر الإسبانية" (Plastre espagnole) وهو الاسم القديم للريال الإسباني[7]. كما

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، ص. 32.

[2] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، ص. 195.

[3] Braudel F., Op. Cit., t. 2, p. 150.

[4] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، ص. 195.

[5] نفسه، ص. 196.

[6] حسن عبد الوهاب حُسني ، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ج. 1، مكتبة المنار، تونس، 1964، ص. 464.

[7] مهدية طيبي، المرجع السابق، ص. 179.

وجدت عملات إسبانية أخرى كالدبلون وهو عبارة عن دينار مصنوع من الذهب، وأصبح يعرف لدي السكان بالضبلون وظل متداولا طيلة الحكم العثماني، حيث بقيت بعض العائلات محتفظة به إلى يومنا هذا[1]. وكذلك الكرونة وهي عبارة عن درهم من الفضّة الخالصة كان لها رواج كبير في الحوض المتوسط بدليل أنها ذكرت في العقود والرسوم في الفترة العثمانية[2]. إلى جانب الريال الإسباني الَّذي انتشر وسيطر على الأسواق منذ أوائل العهد العثماني، بسبب وجود معامل مختصّة في صنعه بمرسيليا وجنوة بإيطاليا ومونبيلي بفرنسا. وتُزوّد به أسواق التعامل النقدي بمدن الجزائر كبجاية ووهران وتلمسان[3].

وتلمسان[3].

اكتُشف مؤخرا بمدينة الجزائر في حي ساحة الشهداء على كنز نقديّ، يضم 385 قطعة فضية ضربت في ورشات مختلفة من إسبانيا كإشبيلية وطليطلة وغرناطة. إلى جانب قطع ضرِبت في ورشات جنوب القارّة الأمريكية من أهمها ورشة مكسيكو[4].(الصور مكسيكو[4].(الصور 13 و14)



الصورة 13: ريال إسباني من الفضّة ضرب في مدينة غرناطة

[1] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص. 269.

[2] حسن عبد الوهاب حُسني ، المرجع السابق، ص. 464.

[3] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، ص. 197.

[4] Catalogue du trésor monétaire, fouille archéologique préventive place des Martyrs à Alger, centre national de recherche en archéologie, Alger, 2017, p. 11.

مدينة الجزائر، 1007هـ ـ 1031هـ/ 1598م ـ 1621م، الوزن: 13,76 غ

عن: ...Catalogue du trésor monétaire



الصورة 14: ريال إسباني من الفضّة ضرب في مدينة طليطلة

مدينة الجزائر، 1036هـ/1626م، الوزن: 13,87غ

عن: ...Catalogue du trésor monétaire

برزت عدّة عائلات أندلسية في اشتغالها بالتجارة، ومن أهمها في مدينة الجزائر عائلة "ابن هَنِي" و"ابن النِيقْرُو" و"بَرَزْوَان" و"بَرَحَال" و"بُوضَرْبَة" و"الآبْلِي" و"العَنْجَدُون"[1]. فقد استطعوا أن يرتقوا في السلّم الاجتماعي بنفوذهم المالي، ويسيطروا على مدى أجيال على مجلس التجّار في مدينة الجزائر[2].

ويبدو أنّ النساء الأندلسيّات مارسن التجارة كذلك، فقد توفيت تاجرة أندلسية عام 1025هـ/1619م مخلفة ثروة هامّة بلغت ثلاثة وثلاثين وتسعة وخمسين ألف دينار. وكانت من المستثمرين في المجال العقّاري، وكان في امتلاكها عدد من العبيد. وكانت هذه السيدة من أثرياء مجتمع مدينة الجزائر[3].

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 85

[2] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 106.

[3] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 256.

لم يتوقف نشاط التجّار الأندلسيون في هيمنتهم على المبادلات التجارية، بل اتسّع نشاطهم خاصّة في بيع الأسرى المسيحيّين، وجعلوا من هذا البيع تجارة مربحة، فقد تحدّث الراهب الإسباني فرانسيسكو خمينيث الَّذي مكث بالجزائر من سنة 1126هـ/1714م إلى غاية 1131هـ/1718م عن الثغري مصطفى بن عمار الَّذي كان يملك بحوزته 100 عبد من الأسرى المسيحيين، والَّذي عدّه من أغنى رجال إيالة الجزائر آنذاك.[1] وتشير بعض الدراسات بأنَّ عدد الأرقاء المسيحيّين الَّذين كانوا يباعون في أسواق مدينة الجزائر في الفترة التي تمتد من 927هـ - 1071هـ/1520م - 1660م كان حوالي أربعمائة ألف رقيقا[2].

عمل الأندلسيون على استثمار أموالهم الَّتي نقلوها من مواطنهم الأصلية في الجهاد البحري، وقد شجعت إيالة الجزائر الجهاد البحري لِمَا كانت تدير عليها من غنائم ثمينة. وهذا بفضل هؤلاء الأندلسيين الَّذين يتقنون اللغة الإسبانية، ويعتبرون أكثر الفئات علما بدخائل الصراع السياسي والعسكري بالبحر الأبيض االمتوسط[3].

إن اشتغال الأندلسيين في مجال بيع وشراء الأسرى لم يكن لغاية تجارية فقط هدفها كسب أموال طائلة، وإنما لكراهية الأندلسيين للإسبان وحقدهم عليهم[4]؛ ويعود هذا الموقف إلى شعورهم بالظلم وتأثّرهم بضياع وطنهم الأصلي وطردهم منه وتشريدهم. ولم يكتف الإسبان بكلّ هذه الأعمال الشنيعة بل تتبَّعوهم بسواحل بلاد المغرب مخافة أن ينظموا أنفسهم من جديد ويقوموا بثورات داخل إسبانيا.

---

[1] حنيفي هلايلي، المرجع السابق،ص. 64

[2] جون وولف، المرجع السابق، ص. 207.

[3] Laugier De Tassy L., Op. Cit., p. 51.

[4] ذهب تعصب هايدو عندما نقل روايات الأسرى المسيحيين بالجزائر إلى القول بأن: كل الأماكن والمنازل والشوارع والحقول والبساتين الَّتي يوجد فيها الأندلسيون هي في الواقع المسكن الطبيعي للشيطان، إذ لا تسمع فيها إلا الضرب والتعذيب والآلام المتكرّرة والعديدة لقتل المسيحيين، أنظر Haedo F. D., topographie…, p. 68

وبهذا أصبحت الجالية الأندلسية تمثّل النخبة المدبّرة لمبادلة الأسرى في الجزائر العثمانية، واكتسبت حظوة ومكانة لدى الحكّام. وقد ارتبط العنصر الأندلسي في نشاطه التجاري بالأوربيين ومع المتعاملين اليهود القادمين من المدن الإيطالية الَّذين كانوا يحتكرون السمسرة وأعمال المصاريف وتبديل العملة،[1] وخاصة مع جماعات اليهود السافرديم السالفة الذكر. وكانت المعاملات الاقتصادية تتمّ معهم بيسر، وربما يعود ذلك للوضع الصعب الَّذي عاشوه في الأندلس والمصير المشترك الَّذي لقوه بالجزائر.

ومن بين التجار الأندلسيين الوارد اسمهم في الوثائق يمكن ذكر:

ـ السيد التاجر عمار الأندلسي 1108هـ/1696 م.[2]

---

[1] وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816 ـ 1824)، ترجمة: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص. 89.

[2] م . ش. علبة 37 / 1 الوثيقة (37) (17).

القســـم الثاني

التأثيرات الأندلسية على العمارة والفنون التطبيقية

الفصـل الأول

فـن العمـارة والبنـاء

أولا: حرفة البناء في الجزائر والمساهمة الأندلسية

ثانيا: المنشئات المائية في مدينة الجزائر

أولا: حرفة البناء في الجزائر والمساهمة الأندلسية

البناء لغة هو وضع الشيء على الشيء على صفة يراد بها الثبوت[1]، ويعّرف ابن خلدون البناء بأنها: " أول صنائع العمران الحضري وأقدمها، وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى للأبدان في المدن " [2].

اعتبر البِنَاء في إيالة الجزائر حرفة مثل الحرف الأخرى كالحياكة والخياطة والقزازة والصياغة[3]، فلم يرتق البَنَّاء إلى رتبة المعماري كما في مصر وسوريا حيث كان يطلق عليه "باش معماري" وهذا اللفظ عثماني يعني به "مُعَلِم مِعْمَار" أو كبير ورئيس المهندسين المعماريين. لقد هيمن العنصر الأندلسي على هذه الحرفة خاصّة بمدينة الجزائر إبان القرن 11هـ/17م، حيث أن معظم المعلّمين المهرة الَّذين أسندت إليهم إدارة جماعة البنائين وتسييرها كانوا أندلسيين[4]. وتعد عائلة الثغري إحدى أبرز العائلات الأندلسية الَّتي تصدّرت جماعة البنائين من 1044هـ/1634م إلى ما بعد 1070هـ/1659م، حيث تولاها علي الثغري ثم خلفه أخوه إبراهيم الثغري. كما أن المعلمين المهرة الَّذين كانوا يشكلون لجنة مساعدة للأمين كان سوادهم من الأندلسيين. وابتداءً من مطلع 12هـ/18م تولّت عائلات محلية هذه الحرفة كعائلة اليعلاوي وعائلة تعباست والديملي والعيشاوي والبودواوي والحمزاوي[5].

كانت للجالية الأندلسية شركات متنوّعة ومتعددة للخدمات منها شركة خاصّة بأشغال البناء ذكرت في الوثائق باسم "شركة الأندلس" التي تعني الشراكة. وهي تخصّ جماعة من الأندلسيين يهتمون بالإنشاء الهندسي كبناء المنازل والحمّامات والتحصينات العسكرية وإنشاء القنوات، كما تقوم هذه الجماعة بترميم المباني الهشّة[6]. وضمت هذه

---

[1] مجمع اللغة العربية، قاموس المعجم الوسيط، ط. 4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص. 72.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة...، ص. 386.

[3] Chergui S., Les mosquées d'Alger construire, gérer et conserver (XVI^{e} – XIX^{e} siècle), P.U.P.S., Paris, 2011, p. 64.

[4] Shaw Th., Op. Cit., p. 93.

[5] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 233.

[6] Missoum S., Alger Ottomane: la médina et la maison traditionnelle, Alger, 2003, p. 173.

الوثيقة المواد المستعملة في البناء وأسعارها كالآجر والجير والتراب أي الطين والألواح[1]. وقد استخدم المسلمون الآجر أوائل القرن 1هـ/7م، ويتميز بخفة وزنه ومقاومته العالية وهو عازل جيّد للحرارة والرطوبة وحتى الصوت. كما أنه مادة اقتصادية رخيصة الكلفة إذ يصنع أساسا من الطين ويوضع في قوالب خشبية ليجفّ في أماكن بعيدة عن الشمس لكي لا تتشقّق. صنع الآجر في الجزائر في العهد العثماني على عدة أشكال وأحجام منه الآجر المربّع والمثمّن والتكعيبي، ويدخل في بناء الجدران والقباب والدعامات والأعمدة وتبليط الأرضيات[2]. أما الجير فهو مادّة صلبة تستخرج من الحجر الجيري أو الكلسي، الموجود في المحاجر ويحرق في أفران خاصة. وبعد انتهاء عملية الحرق يفقد هذا الأخير أكسيد الكربون ويتحول إلى جير حي أو ما يسمى في ذلك الوقت "جير غبرة"، لكن مع إضافة الماء يتحول إلى جير طافئ أو "جير دراس". يستعمل الجير الحي في تلبيس الجدران وترميم الشقوق، أما الجير الطافئ فيستعمل في طلاء الجدران وتبييضها[3]. (الوثيقة 03)

إن الحضور الميداني والقوي للأندلسيين في قطاع البناء أدى إلى ارتقائهم إلى أعلى المراتب في هذا المجال، فقد كشفت الوثائق أنّ كبار البنائين الماهرين في مدينة الجزائر الَّذين ارتقوا إلى مرتبة أمناء البناء كانت غالبيتهم أندلسيين. ويظهر أن أمين جماعة البنّائين كان أكثر الأمناء نشاطا نظرا للمهام المنوطة به، ونظرا لأهمية عمله، كانت تَعْضُده جماعة من المعلمين تنعتهم الوثائق: "بالرفقاء" تراوح عددهم بين ثلاثة وخمسة أعضاء. وكانوا يرافقون الأمين إلى معاينة الأمكنة، إما لإثبات صحة الملكية أو التأكد من حالتها وطبيعتها بل ولتقييمها وتقدير سعرها[4].

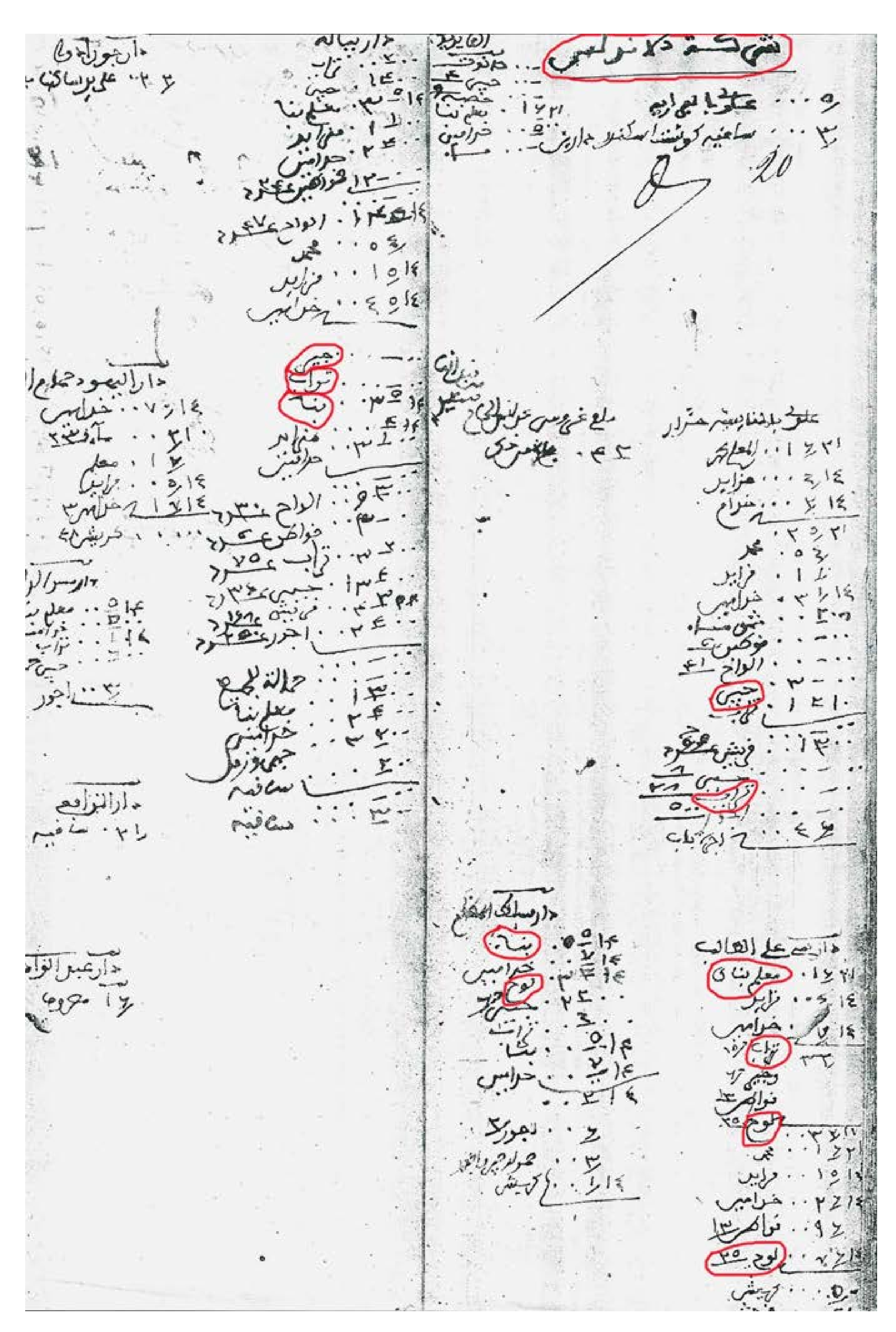
---

[1] Missoum S., Alger..., p. 173.

[2] رفيقة لعزازي عتيق، مواد وتقنيات البناء خلال العهد العثماني بالجزائر، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2012 - 2013، ص. 62.

[3] Chergui S., Op. Cit., p. 239 – 240.

[4] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 158.



الوثيقة 03: شركة الأندلس، سلسلة بيت البايلك دفتر رقم 262

عن: Missoum S

1 . البناؤون الأندلسيون:

وردت أسماء كثيرة لبنّائين أندلسيين في الوثائق الخاصّة بمدينة الجزائر ومنهم:

ـ **أمين البنائين الثغري** بن علي و**المعلم** علي **البناء** بن هاشم **الأندلسي** والمكرم إبراهيم شتوش **البناء** بن إبراهيم الأندلسي 1067هـ/1656 م[1].

ـ المكرم **المعلم** البناء بن هاشم **الأندلسي أمين البنائين ورفيقه المعلم** يحيا **البناء الأندلسي** 1071هـ/ 1660م[2].

ـ **المعلم** محمد أمين **الأندلسي** جماعة البنائين1075هـ/ 1674 م[3].

ـ **أمين جماعة البنائين المعلم** أحمد بن علي و**المعلم** عبد الله **البناء** بن سعيد **الأندلسي** 1103هـ/1691م[4].

ـ الناسك الحاج إبراهيم **أمين البنائين** بن علي و**المعلم** موسى **البناء** بن عبد الله 1117هـ/ 1705م [5].

ـ **المعلم** أحمد **البناء أمين البنائين** و**المعلم** الحاج على **البناء** ابن بلعيد **الأندلسي** 1121هـ/1709 م[6].

ـ **الأمين المعلم** علي **البنا الأندلسي أمين جماعة البنائين** 1144هـ/ 1731 م[7].

ـ أحمد **البناء أمين جماعة البنائين** ومحمد **البناء** بن محمد **الأندلسي** 1234هـ/ 1818 م[8].

ـ علي بن علي **الأندلسي أمين على جماعة البنائين ورفيقه محمد البناء الأندلسي**[9].

---

[1] م.ش.علبة 142 الوثيقة 29

[2] م.ش.علبة 98 الوثيقة 43.

[3] م.ش.علبة 149 ـ 148 الوثيقة 47.

[4] م.ش.علبة 35 الوثيقة 17.

[5] م.ش.علبة 124 ـ 125 الوثيقة 1.

[6] م.ش.علبة 44 الوثيقة 26.

[7] م.ش.علبة 88 الوثيقة 23.

[8] م.ش.علبة 96 ـ 97 الوثيقة 45.

[9] م.ش.علبة 23 الوثيقة 32.

2 . المنشآت العسكرية والمدنية:

ساهم الأندلسيون في البناء والتعمير في مدن استقرارهم، وكان لهم فضل كبير في بناء المنشآت العسكرية، بحيث شيّدوا الأبراج وهي عبارة عن تحصينات مربّعة الشكل والقلاع الّتي تشرف على حماية الأماكن الإستراتيجية للدولة[1] والثكنات المخصصة لإقامة لإقامة الجند [2] والأبواب. وكما ذكر سابقا فقد أعاد الأندلسيون بناء قلعة شرشال ودورها[3]، ودورها[3]، وكان لهم الفضل في بناء مدينة البليدة، وأنشئوا أبراجا في تيزي وزو[4] ومدينة الجزائر. لكن مساهمتهم الكبيرة كانت في مدينة الجزائر كونها عاصمة الدولة خلال الحكم العثماني وضمت أكبر عدد من المهاجرين الأندلسيين.

سعى الأندلسيون إلى تحصين مدينة الجزائر لأنّها كانت دائما مهددة بالخطر الأوروبي وخاصة الهجومات الإسبانية، فأحيطت بالأسوار والأبراج وحفرت في أسوارها خمسة أبواب كبرى هي باب الوادي[5] وباب عزون[6] وباب الجديد[7] وباب البحر [8] وباب الجزيرة.[9] (الصورة 15)

---

[1] علي خلاصي، القلاع والحصون في الجزائر المنشآت العسكرية الجزائرية، الجزائر، 2008، ص. 13.

[2] علي خلاصي، العمارة العسكرية ...، ص. 87.

[3] كربخال مارمول، المصدر السابق، ج. 2، ص. 356.

[4] Leclerc D. A., « Koukou l’ancienne capitale de la Kabylie », in Rev. Afr., 1857, p. 154.

[5] باب الوادي: أخذت هذه التسمية من الوادي الَّذي يطّل منه، وكان موقعه قرب ثانوية الأمير عبد القادر الحالية. هدّم من طرف السلطات الفرنسية سنة 1862م. أنظر: فوزي سعد الله، قصبة الجزائر..الذاكرة، الحاضرة والخواطر، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص. 23.

[6] باب عزون: منسوب إلى شهيد من أهل البلد اسمه عزون توفي على مقربة منها، يبلغ عرضها3,5م، ويعتبر الباب الرئيسي للمبادلات الاقتصادية ويبدو أنه بني ما بين 976هـ ـ 982 هـ /1568م ـ 1574م. أنظر: فوزي سعد الله، قصبة...، ص. 24.

[7] باب الجديد: هو أحدث أبواب القصبة يقع في الجنوب الشرقي لسور المدينة، بني في القرن 10 هـ/16م، شهد انتقال السلطة من ساحة الشهداء إلى القلعة بأعلى القصبة، أنظر:.Missoum S., Alger…, p. 135

[8] باب البحر: ويسمى أيضا باب الديوانة يقع أسفل جامع الجديد، كان يؤدي إلى سوق السمك وهو ممر لمسجد صغير خاص بمحترفي صيد السمك وهو جامع الربطة. أنظر: فوزي سعد الله، قصبة...، ص. 26.

[9] باب الجزيرة: يطلّ مباشرة على الميناء، أخذ عدّة تسميات كباب الدْزيرة أو باب الجهاد، ويعتبر ممرا لكل الأشخاص الّذين يركبون البحر من جاذفي السفن والقرصان والتجار. أنظر: .Missoum S., Alger…, p. 137



الصورة 15: مخطط مدينة الجزائر سنة 1570م ـ 1571م

عن: Cherif-Seffadj N

2. 1. الأبراج

من بين التحصينات الَّتي شارك في تشييدها الأندلسيون هو البرج الَّذي يقع على إحدى الجزر المقابلة لمدينة الجزائر، وقد بُني على صخرة ضخمة في أواخر القرن 9هـ/15م[1]. استخدم هذا البرج كمنارة لإرشاد السفن للمراقبة والاستكشاف، ولقد أشار الجغرافي التركي بيري الريس إلى هذا الكلام[2]:" بنى بعض العرب حصنا فوق هذه الصخرة... وبعدما احتلت من طرف الكفّار الإسبان شيّدوا عليها قلعة". واحتمال كبير أن المقصود بالعرب الأندلسيون إذ يذكر شوفاليه[3]: " لا يوجد على هذه الجزيرة التي تقع على

[1] Lespès R., Alger étude de géographie et d'histoire urbaine, librairie Félix Alcan, Paris, 1930, p. 110.

[2] Mantran R., Op. Cit., pp : 162 – 163.

[3] كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510 ـ 1541م، ترجمة: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د. ت)، ص. 22.

على بعد 300م من مدينة الجزائر سوى برج صغير بناه الأندلسيون القادمون من إسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر ميلادي حيث كان يستعمل كمنارة أو برج مراقبة".

هدّم الإسبان هذا المعلم وأقام القائد الإسباني بيدرو نافاور مكانه حصن البنيون سنة 619 هـ/1510م[1]. واسْتُغلّ في تفتيش الصادرات والواردات وفُرض على الجزائريين ضرائب وغنائم على مكاسبهم البحرية، ولمّا ضاق بالجزائريين ذرعا من تصرفات الإسبان استنجدوا بالأخوين خير الدين وعروج اللّذين عمِلا على تحطيم هذا الحصن سنة 932هـ/1525م[2] وفوق نفس المكان بَنى أعراب أحمد[3] سنة 980هـ/1572م برجا عُرف عند السكان ببرج الفنار أما عند الأوروبيين فيعرف باسم الحصن المستدير أو حصن المنارة[4]. (الصورة 16)

بُني البرج على قاعدة دائرية يبلغ قطرها 60م، شكله متعدد الأضلاع له 12 ضلعا متساويا يبلغ طول كل واحد منه 7 أمتار. يحيط به من جهة البر خندق عرضه 5 أمتار ويحتوي على أربعة طوابق، زوّد كل طابق بعدد من فتحات للمدفعية، وكان به مخزنا للذخيرة الحربية. يبلغ ارتفاع هذا البرج عن مستوى سطح الأرض 36,80 م[5].

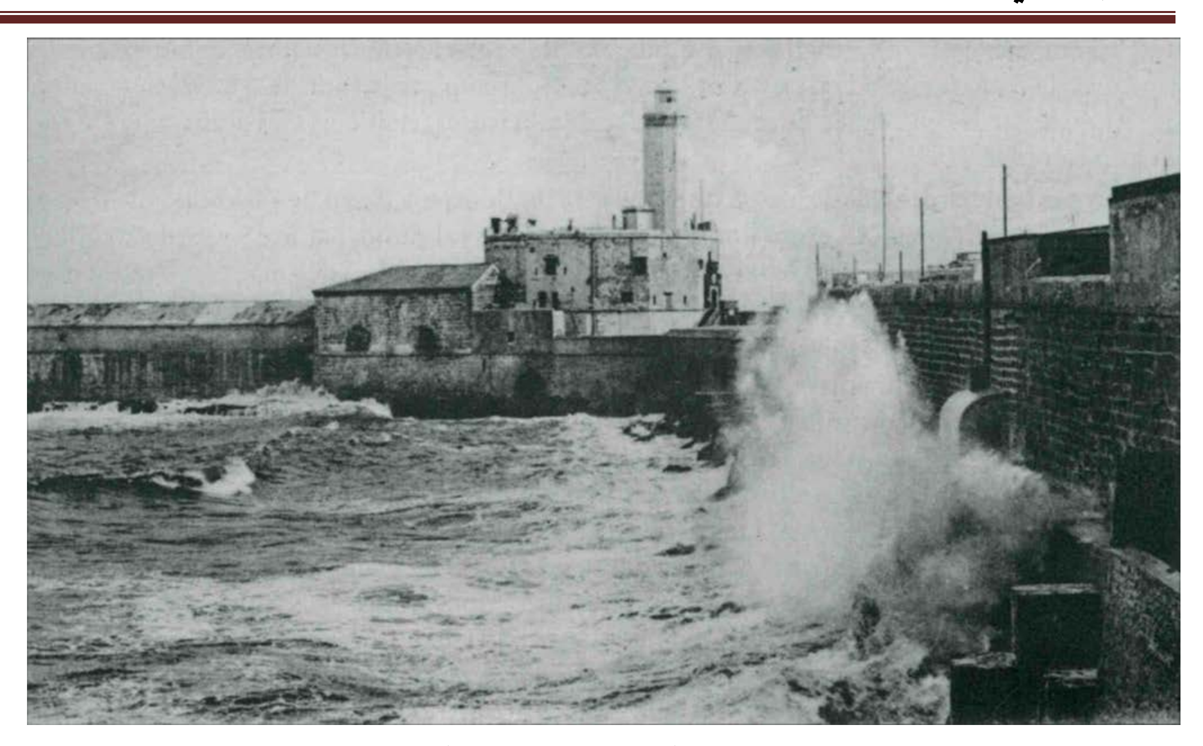
[1] Lespès R., Op. Cit., p. 110.

[2] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر...، ج. 3، ص. 50.

[3] أعراب أحمد: حكم من سنة 979هـ/ 1571م إلى 982 هـ/ 1574م.

[4] علي خلاصي، العمارة العسكرية ...، ص. 55.

[5] Missoum S., Alger…, p 121.



الصورة 16: برج الفنار

عن: Missoum S

2. 2. البطاريات

كانت تتخلّل أسوارَ مدينة الجزائر بطاريات مربّعة الشكل، وهي عبارة عن أبراج داعمة بها فتحات للمدفعية، لعبت هذه البطاريات دورا فعالا في الدفاع عن المدينة وحمايتها وينسب إلى الأندلسيين تشييد إحدى هذه البطاريات والّتي تعرف "بطبانة[1] الأندلسيين" وسمّيت بهذا الاسم نسبة للعمال والبنّائين الأندلسيين الَّذين بنوها بأعلى باب الجزيرة، وسميت كذلك "بطبانة الجمرك" نسبة إلى المكان الَّذي كان يدفع فيه التجار الضرائب على سلعهم عند دخولها المدينة[2]. ويرجّح أن إنشاء هذه البطارية قد يكون تحت إشراف البَنّاء الأندلسي الشهير المعلم موسى[3]. (الصورة 17)

تتميز هذه البطارية بهندسة معماريّة ضخمة بلغ طولها 30 قدما وعرضها 40 قدما جهّزت بثلاثة وعشرين مدفعا وفتحت على أسوارها سبع عشر فتحة منها تسعُ فتحات

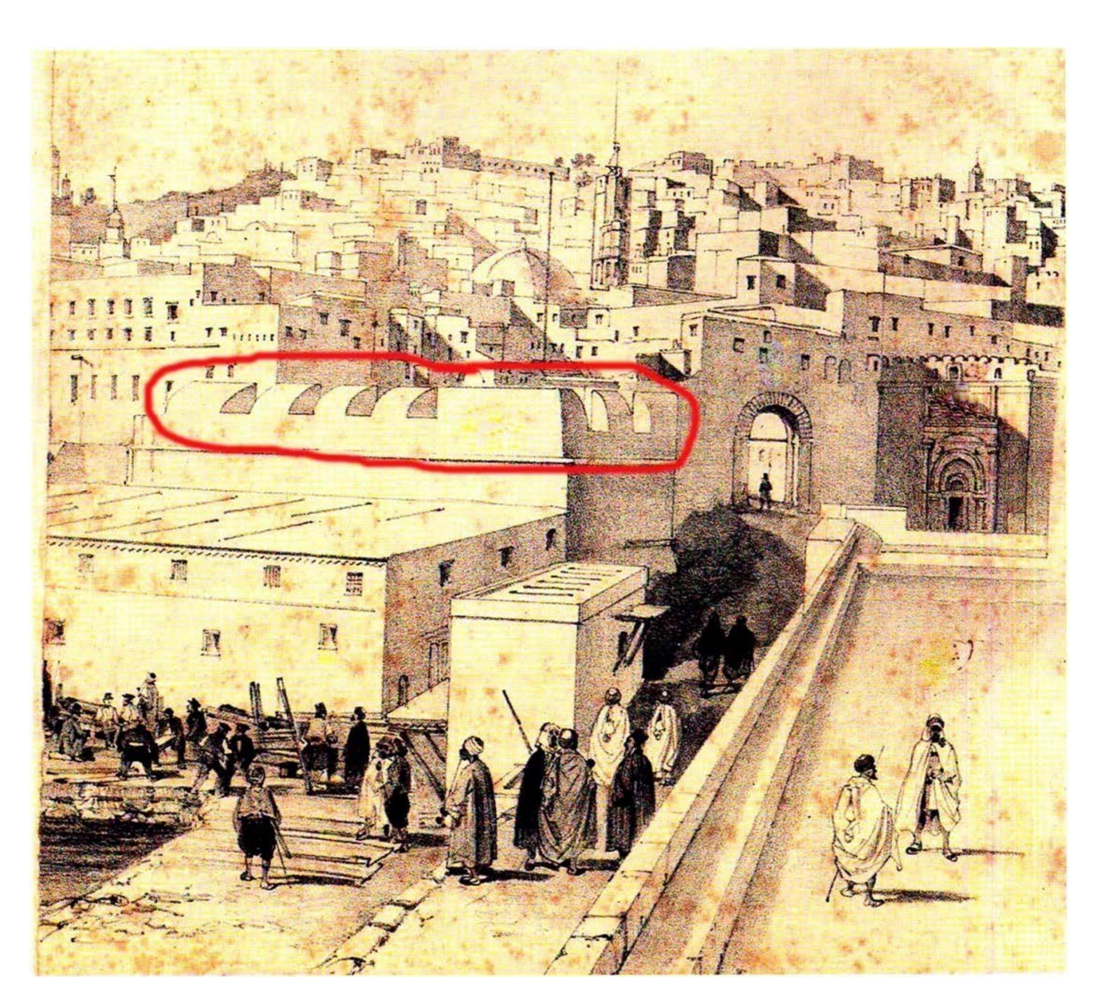
[1] طبانة: هي في الأصل طوبخانة وهي كلمة تركية مركبة من كلمتين طوب وتعني المدفع وخانة وتعني البيت أو المكان الَّذي يوضع وتهيأ فيها المدافع وتقابلها في العربية كلمة بطارية. أنظر: Ben cheneb M., Mots..., p. 57

[2] Devoulx A, « La batterie des Andalous », in Rev. Afr, 1872, p. 342.

[3] Chergui S., « Les morisques et l'effort de construction d'Alger aux XVII^{e} et XVIII^{e} siècle », in cahier de la méditerranée, 2009, p. 307.

في اتّجاه الميناء واثنان تقابلان الناحية الجنوبية وأربع فتحات تشرف على مدخل الميناء واثنتان تتحكّمان في مدخل المدينة المعروف بباب الجزيرة، وكانت تطلق من هذه البطارية طلقات المدافع بعد شروق الشمس وفي يومي عيد الفطر والأضحى[1].

بُنيت البطارية من الحجارة الجيرية وزيّنت أسوارها الخارجية بأحجار صغيرة منحوتة وقد رممت بعد حملة اللورد Exmouth على مدينة الجزائر في سنة 1231هـ/1816م. وفي سنة 1284هـ/1867م هدّمها المستعمر الفرنسي من أجل بناء الواجهة الحالية لمدينة الجزائر[2].



الصورة 17: بطارية الأندلسيين

عن: دوفولكس

[1] Devoulx A, La batterie des…, pp: 341- 342.
[2] Ibid, p. 342.

2 . 3 . تشييدات المعلّم موسى

يعتبر المعلّم موسى من أشهر البنّائين الأندلسيين في مجال العمارة العسكرية، فقد كان معلما كبيرا ومشهورا في المباني العسكرية وإنشاء القنوات المائية. عاش المعلّم موسى في الجزائر في القرن 11 هـ/17م، وهو أندلسي الأصل لا نعرف بالضبط إن كان قد ولد في الجزائر أو كان من الأندلسيين المهاجرين، ولكن يُرجح أنّه هاجر إلى الجزائر مثله مثل الآلاف من الأندلسيين الّذين طردوا من إسبانيا إثر قرار الطرد النهائي الّذي كان عام 1018هـ/1609م[1].

وُجِدت أربع كتابات تأسيسية تخلّد اسم المعلم موسى في مجال البناء:

2 . 3. 1. برج تيزي وزو: يعتبر البرج[2] أول أثر يخلّد اسم المعلم موسى[3]، حيث عثر في كوة قرب مسجد قديم بالمدينة على قطعة حجرية من الشيست الأردوازي، تُلف منها ثلث الكتابة[4]. وللأسف يجهل مكان هذه القطعة، غير أن السيد Leclerc نشر نصها في مقال بالمجلة الإفريقية:

شا البرج
سلطان مولانا نصره من
على قامة له الكن(...) لم
موسى الأندلسي لطف الله به بتاريخ اواخر رمضان
سنة خمسة وألف من الهجرة النبوية
أفضل الله على صاحبها بالصلاة[5].

لاحظ Leclerc أن حالة الكتابة غير واضحة، وكثير من الكلمات مُحيت أو تفتّتت والسطر الّذي يحوي سنة الإنشاء مكتظ بالحروف. وحسب التعليق الّذي ورد على

[1] حورية شريد، " الأسطة موسى الأندلسي "، حوليات المتحف الوطني للآثار، ع. 7، 1998م، ص. 26.
[2] لم يرد في المراجع معلومات كثيرة عن هذا البرج.
[3] تيزي وزو: مدينة تقع في منطقة القبائل شرق الجزائر، يبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 105 كلم.
[4] Leclerc D. A., Op. Cit., p. 154.
[5] Ibid, p. 155.

هامش المقال فقد أضيفت عشرين سنة للتاريخ المذكور ويصبح: " بتاريخ أواخر رمضان سنة خمسة وعشرون وألف من الهجرة النبوية" أي 1025هـ/1619م، وهذا التاريخ يوافق السنة الَّتي كان المعلّم موسى يشّيد المباني بمدينة الجزائر، حيث كان يُعدّ من أفراد ثكنة باب الجزيرة وهي الثكنة التي أخذت اسمه فيما بعد وأصبحت تسمّى" ثكنة موسى"[1].

ترى الباحثة حورية شريد أن إضافة عشرين سنةً للتاريخ المكتوب يوافق السنوات الَّتي قضاها المعلّم موسى في بناء القنوات المائية بمدينة الجزائر، فلغاية سنة 1033هـ/1623م كان يلّقب بمعلّم العيون، ولم يهتم بتشييد المباني العسكرية إلا في ثلاثينات القرن 10هـ/16م كما تخلّده الكتابات. ولهذا يجب إضافة ثلاثين سنة للكتابة ويصبح بذلك التاريخ 1035هـ/1625م وهي السنة المناسبة لإنشاء البرج[2].

2 . 3. 2. الثكنة الجديدة: تقع بنهج ميدي سابقا، أما حاليا نهج محمد علام، اتّخذت هذه الثكنة عدّة تسميات منها " ثكنة الخضارين" لأنها كانت بالقرب من سوق الخضر[3] وسمّيت كذلك " بالثكنة التحتانية أو السفلى" لموقعها، كما سميت " بالثكنة الجديدة"[4] لأنّه بنيت من قبل ثكنة أخرى تقع فوقها تسمى "بالثكنة القديمة العليا".

وجد بقرب المسرح الوطني للجزائر العاصمة أو ما كان يسمى بالدائرة العسكرية لوح تأسيسي يحتوي على نص يخلّد المعلّم موسى ببنائه ثكنة للعساكر سنة 1037هـ/1627م في عهد السلطان مراد الرابع[5] في زمن حسين باشا [6] وفيها ذكر نسبه. نسبه. تتكون الكتابة من ثمانية أسطر، ودوّنت بالخط النسخي المغربي ونفذت بالحفر البارز.(الصورة 18)

---

[1] Leclerc D. A., Op. Cit., p. 155.

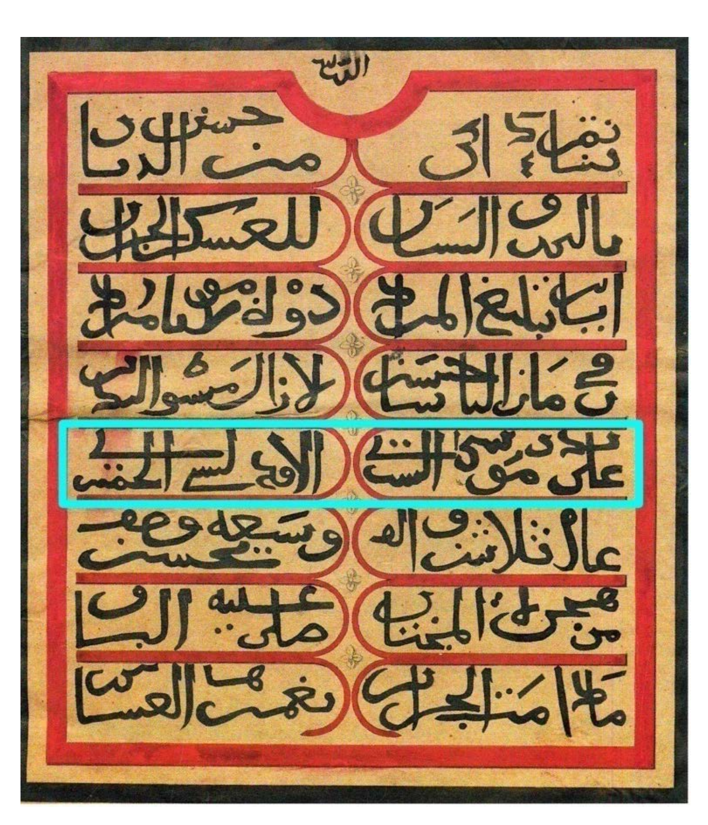
[2] حورية شريد، "الأسطة موسى..."، ص. 28.

[3] Colin G., Corpus des inscriptions arabes et turques de l’Algérie, Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1901 , p. 36.

[4] Berbrugger A., « Les casernes des janissaires à Alger » in Rev. Afr., 1858, p. 135.

[5] السلطان مراد الرابع: حكم من 1033هـ / 1623م إلى 1050هـ / 1640م.

[6] حسين باشا تقلّد الحكم مرّتين: المرّة الأولى (1036هـ ـ 1043هـ/ 1626م ـ 1633م) والمرّة الثانية (1047هـ ـ 1049هـ/1637م ـ 1639م).



الصورة 18: لوح رخامي تأسيسي للثكنة الجديدة، مدينة الجزائر
1037هـ/1627م، (ط: 52 سم، ع: 45 سم).
عن: دوفولكس.

تم بناء دار	من حسن الديار
باليمن واليسار	للعسكر الحرار
أيام تبليغ المراد	دولة مولانا مراد
في زمان الباشا حسين	لا زال مبسوط اليدين
على يد موسى اليسرّي	الأندلسي الحميري
عام ثلاثين وألف	وسبعة بحسن وصف
من هجرة المختار	صلّى عليه البارّ
ما دامت الجزآئر	تعمرها العساكر[1].

[1] Colin G., Op. Cit., p. 35, n° 20.

ذكر نسب المعلّم موسى في هذه الكتابة " موسى اليسري الأندلسي الحميري" وترجع جذوره إلى قبيلة حمير [1] باليمن مما يؤكد أصله العربي. وربما يكون أجداده قد جاءوا من اليمن مع الفتوحات الإسلامية للأندلس.

كان الجيش الإنكشاري يتكّون من عزّاب يسكنون في ثكنات كبيرة تسمى "قِشْلا" « Kişla »، وتنقسم إلى عدّة غرف تعرف ب:"اوده" « Oda » وكل غرفة تحمل رقما. خصّصت لكبار الضباط غرف رئيسية تسمى باش اوده، ويقوم على خدمتهم عبيد أجراء من طرف الدولة[2].

كان مخطط الثكنات يشبه إلى حدّ بعيد شكل الدور العادية، فتتكون غالبا من طابقين طابق علوي وطابق سفلي، وبكل طابق غرف تطلّ على صحن واسع تتوسّطها نافورة رخامية ولكل ثكنة خلوات وهي عبارة عن بيوت صغيرة للعزلة ومطبخ[3].(الشكل 06)

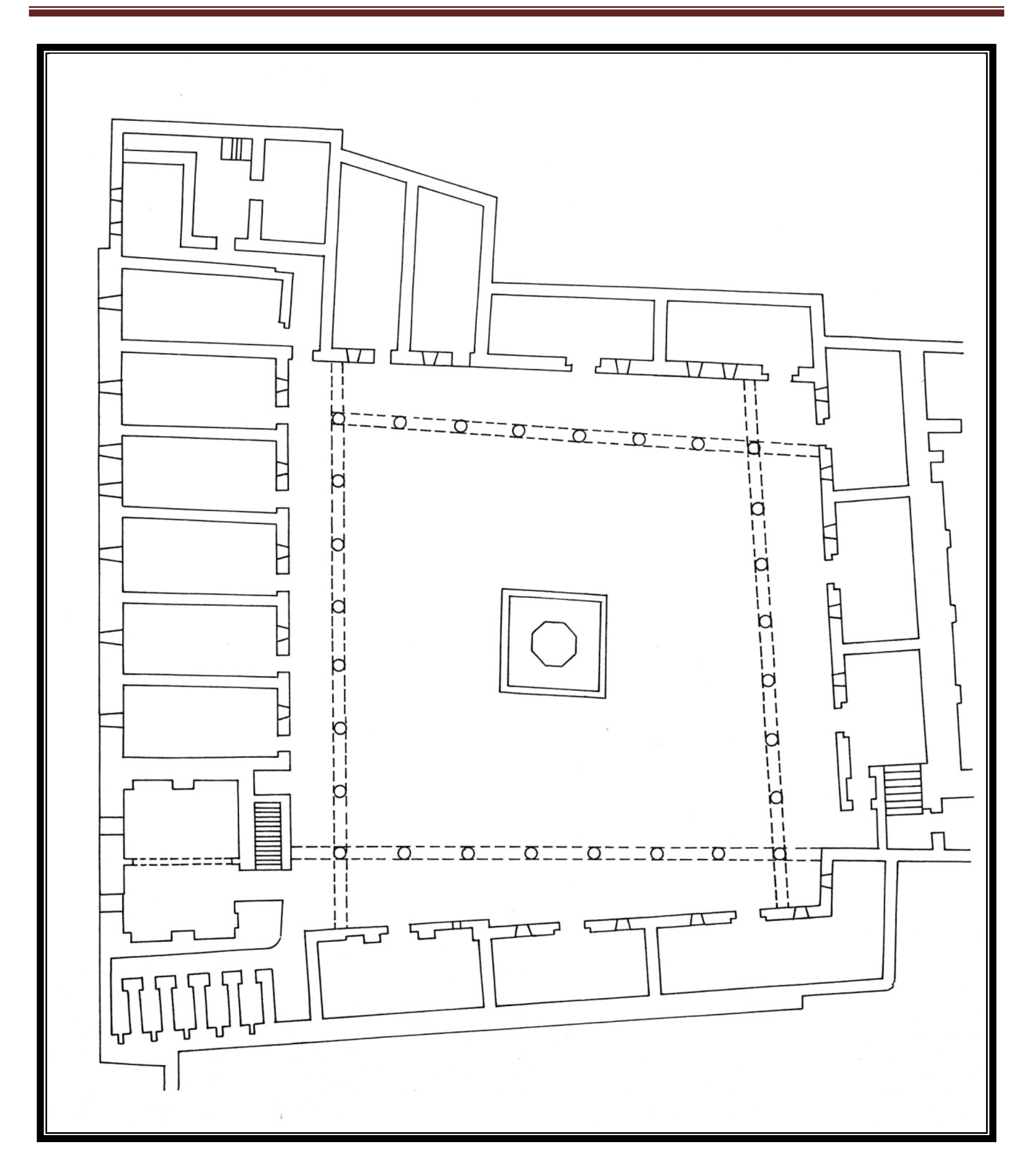
تضم الثكنة القديمة تسع عشر غرفة وتأوي 856 جنديا وكان عناصر الجيش الإنكشاري الَّذين يقيمون في هذه الثكنة يُدْعَون "رماة القنابل الفضية" لأنهم كانوا يتمرّنون عند القذف على هدف في مكان رحبة الفحم، وعند إصابتهم يكافئونهم بكرة من فضّة[4].

[1] حمير: قبيلة يمنية معروفة كان لها نفوذ كبير في أواخر دولة سبأ، ثم كونت دولة في وسط اليمن عاصمتها ظفار. أنظر: محمد شفقي غربال، المرجع السابق، م. 1، ص. 742.

[2] Shaw Th., Op. Cit., p. 184.

[3] علي خلاصي، العمارة العسكرية...، ص. 87.

[4] Berbrugger A., « Les casernes des… », pp : 135 – 136.



الشكل 06: مسقط أفقي للثكنة الجديدة

عن: علي خلاصي.

2. 3. 3. باب الجزيرة: تذكر الكتابة الثالثة أنّ المعلّم موسى ساهم في بناء الأبواب فبعد سنتين من بناء الثكنة شرع في بناء أهمّ أبواب مدينة الجزائر وهو باب الجزيرة أو باب الجهاد كما سمي بباب الدزيرة وهي تصغير لباب الجزيرة. يقع هذا الباب على الواجهة البحرية على نقطة الاتصال بالميناء، وقد بني في فترة خلافة السلطان مراد الرابع

زمن حسين باشا سنة 1039هـ/1629م، ثم تغير اسم هذا الباب وأصبح يعرف بباب فرنسا في فترة الاستعمار الفرنسي[1]. يوجد على مدخل هذا الباب لوح من الرخام ذُكر فيها اسم المعلم موسى، ورُفعت الكتابة التأسيسية الّتي تتكوّن من ستة أسطر والَّتي دونت بالخط النسخي المغربي ونفّذت بالحفر البارز. وقد تعرض السطر الأول وبداية السطر الثاني إلى كسر عندما نقل هذا اللوح من مكانه إلى المتحف العمومي العمومي الوطني للآثار القديمة إثر تهديم باب الجزيرة من طرف السلطات الفرنسية عام 1287هـ/1870م[2]. وهذا هو نصها (الصورة 19):



الصورة 19: لوح رخامي تأسيسي لباب الجزيرة، مدينة الجزائر، 1039هـ/1629م

(ط.:60 سم، ع.: 50 سم)، II. S.180

المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

[1] Colin G., Op. Cit., p. 37.

[2] Devoulx A., Epigraphie indigéne du musée archéologique d'Alger suivi d'un musée mural à Alger, Alger, 1874, p. 118.

بحمده هذا باب جديد سعيد. جهازها فيه لنا نعم المجد من الإله الحميد.

في أيام السلطان مراد صان علاه المجيد. فقلت اهلا يا باب لا فارقتك السعود.

مفتوحا فأنت باب جود و نصر جديد. حذاك ولقربك ديار فيها جنود.

في يوم عيد مسرور تهزم أسود . نصر لهم وفتح قريب و فضل وجود.

تمّة المعلم موسى الأندلوسي الفريد. فالله يجزيه جمع مجامع الرشد.

وذلك في دولت مولانا حسين باشا. أيده الله عام 1039هـ[1].

يعتبر باب الجهاد المنفذ الوحيد الَّذي يؤدّي إلى الميناء والرابط بينهما، لذلك كان يستعمل كثيرا وباستمرار من طرف كل سكان المدينة من الأهالي والأتراك والريّاس والصيّادين والتجار والمسيحيّين[2]. يعلو هذا الباب عقود تغطّي مسارات متعرجة فيها ثلاثة انكسارات بزاوية قائمة تشكّل ثلاثة أقسام، كلّ واحد منها مغطى بقبة. يبتدئ الباب عند بداية شارع البحر وينتهي عند حي القيسارية بعد أن يمرّ على مبانٍ هامّة كالجامع الكبير والجامع الجديد. ويوجد في أوله مكان مبني بالآجر خُصّص للبواب ليراقب حركة المرور من أول النهار إلى بداية الليل، ويغلق ليلا بثلاثة أبواب خشبية[3].

2. 3. 4. باب قصر الجنينة: ضمت الكتابة الرابعة قيام المعلّم موسى بترميم باب قصر الجنينة بمادة الرخام سنة 1042هـ/1632م، ويعدّ هذا القصر من أهم معالم مدينة الجزائر في العهد العثماني، وكان مسرحا كبيرا لكل القرارات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية طيلة ثلاثة قرون أو أكثر، يقع في القصبة السفلى وبالضبط قرب دار عزيزة ودار حسين باشا ومصطفى باشا. اختلفت تسمية هذا القصر عند الرحالة والمؤرخين، فعرف بالدار القديمة، ودار السلطان، وباشا قبوسي أي باب الباشا، ودار الداي، وقصر الجنينة. لا يعرف بالضبط تاريخ بناء هذا القصر إلا أنه بُني في فترة سابقة للعهد العثماني، لأن الحاكم سليم التومي أقام فيه وكان مسرحا داميا للأحداث الَّتي جرت بينه وبين خير

[1] Colin G., Op. Cit., p. 37- 38, n° 21.
[2] Haedo F. D., Topographie…., p. 40.
[3] مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص. 75. و Missoum S., Op. Cit., p. 137.

الدين، وتمّ على إثرها مقتل سليم التومي واستخلاف خير الدين على الجزائر ومنذ ذلك الوقت أصبح القصر تابعا للحكومة العثمانية. في سنة 1856م هدم الفرنسيون هذا القصر مع المباني المجاورة له، وبنوا الساحة (ساحة الشهداء حاليا) ومحيت آثاره إلى الأبد[1].

صنع باب قصر الجنينة من الخشب والحديد، وتتدلى منه سلسلة حديدية وكان يغلق بمقفل عند كل عصر[2]. ونظرا للأهمية الكبرى التي يشغلها هذا الباب باعتباره المدخل الرئيسي للقصر، فقد أولى الحكام اهتماما كبيرا به وأسندوا عملية ترميمه للمعلّم موسى. (الصورة 20)



الصورة 20: واجهة قصر الجنينة

عن: Lessore E Wyld W

[1] شريد حورية، "دار السلطان (قصر الجنينة)" حوليات المتحف الوطني للآثار، ع. 8، 1999م، ص. 47 ـ 48.

[2] De paradis V., Op.Cit., p. 274.

يحتفظ المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة بكتابة ذكر فيها اسم موسى دونت الكتابة باللغة العربية بالخط النسخي وتتكوّن من ستة أسطر، ونفذت بتقنية الحفر البارز تحيط بها زخرفة مفتوحة الطرفين على شكل مراوح، وتغلق الجهتان العلوية والسفلية على شكل رسالة[1]. (الصورة 21)



الصورة 21: كتابة رخاميّة لتجديد الباب الرئيسي لقصر الجنينة، مدينة الجزائر 1042هـ/ 1632م، (ط: 99 سم، إر: 34 سم)، II. S. 179
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

حسين باشا المفتداه وزير خنكار العمد
بوقف عسكر هذا أمر موسى المفتد
تجديد قمع للعدا في باب سلطان البلد
فحياته مجددا في طالع ينفع الحسد
تاريخه خير هذا بقل هو الله أحد[2].

إن تاريخ هذه الكتابة دوّنت بحساب الجمل "خير هذا بقل هو الله أحد" وحسب Colin تعطي سنة 1042هـ/1632م[3].

[1] Devoulx A., Epigraphie…, p. 56.
[2] Colin G., Op. Cit., p. 40, n° 22.
[3] Ibid, p. 40.
حورية شريد، " حساب الجمل"، حوليات المتحف الوطني للآثار، ع. 9 ، 2000م، ص. 40.

2. 4. إنجازات أبناء المعلّم موسى

خلف المعلّم موسى ذريّة تعلمت صنعته وحرفته وواصلت أعماله في العمارة، ومن خلال الكتابات يمكن التعرف على اثنين منهما هما: علي وإبراهيم اللّذان شيّدا مباني ذات أهمية بمدينة الجزائر. فعلي أكمل بناء الثكنة القديمة أو الفوقانية، أما إبراهيم فقد بنى برج السردين ومخزنا للحبوب. كما ساهم في تشييد مباني أخرى؛ فهو أول من شرع في وضع الأساس لبناء الجامع الجديد، بحيث أشرف على هدم المدرسة العنانية[1] ووضع محلها اللبنات الأولى لهذا الجامع وكان ذلك عام 1067هـ/1656م[2]. بعد ذلك واصل عملية البناء الأسير الأوروبي النصراني رمضان العُلْج حتى أتمه عام 1076هـ/1665م[3].

2 . 4. 1. الثكنة القديمة: تقع بنهج بن قنيف وهي غير بعيدة عن الثكنة الجديدة أو التحتانية، فبعد عشر سنوات من تشييد المعلّم موسى لهذه الثكنة. أكمل ابنه علي سنة 1047هـ/1637م بناء ثكنة قديمة كانت قد أنشأها من قَبلُ مراد مصطفى باشا[4] سنة 1005هـ/1596م، وسمّيت كذلك "بالثكنة الفوقانية" لموقعها فوق الثكنة الأولى.

نصّب في أعلى الباب الرئيسي لوح رخامي ارتفاعه 48 سم وعرضه 39 سم، عليه كتابة تأسيسيّة تحمل خمسة سطور كتبت باللغة العربية بخط النسخ، وللأسف يجهل مصير هذا اللوح التأسيسي، غير أن Colin ذكر نص الكتابة:

كمل هذا البناء المعمور عن اذن العسكر المنصور
في ولاية المولى الكبير أبي الحسن باشا الشهير
خليفة مولانا البادشاح خلد الله لنا ملكه في الافراح
على يد الأمين السيد علي ابن السيد موسى صاحب المباني
في أوائل شهر ربيع الأول عام سبعة و أربعين و ألف الاكمل[5].

---

[1] المدرسة العنانية كانت مقرا لزاوية مولاي بوعنان والتي تضمنت المدرسة و الزاوية. أنظر فوزي سعدي الله، الشتات...، ج. 2، ص. 86.

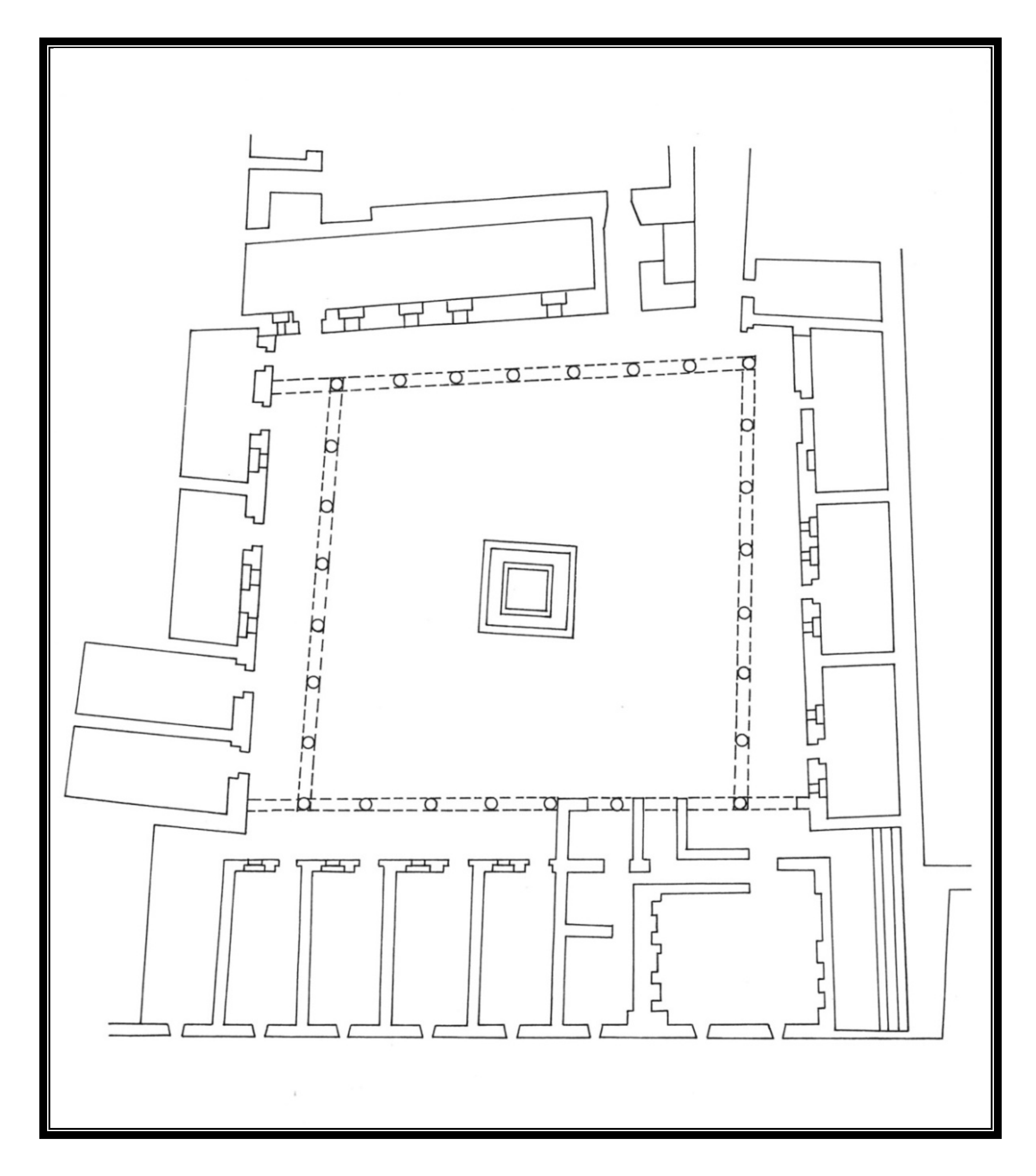
[2] Chergui S., Les mosquées d'Alger ..., p. 63.

[3] Ibid. p. 67.

[4] مراد مصطفى باشا: حكم في الفترة الممتدّة من 1005هـ / 1596م إلى 1008هـ/1599م.

[5] Colin G., Op. Cit., p. 42, n° 23.

إن المخطّط العام للثكنة القديمة لا يختلف عن الثكنة الجديدة، فهي تتكون من 31 غرفة وتأوي 1089 جنديا، تتألف من صحن على شكل مربع تقريبا طوله يزيد عن 21 م وعرضه 20 م تتوسطه نافورة من الرخام الأبيض. يطل الطابق الأرضي والعلوي على الصحن بواسطة عقود منكسرة تستند إلى تيجان وأعمدة أسطوانية الّتي بلغ عددها في كل من الطابقين 32عمودا. على الجوانب الأربعة للأروقة نجد الغرف[1].(الشكل 07)

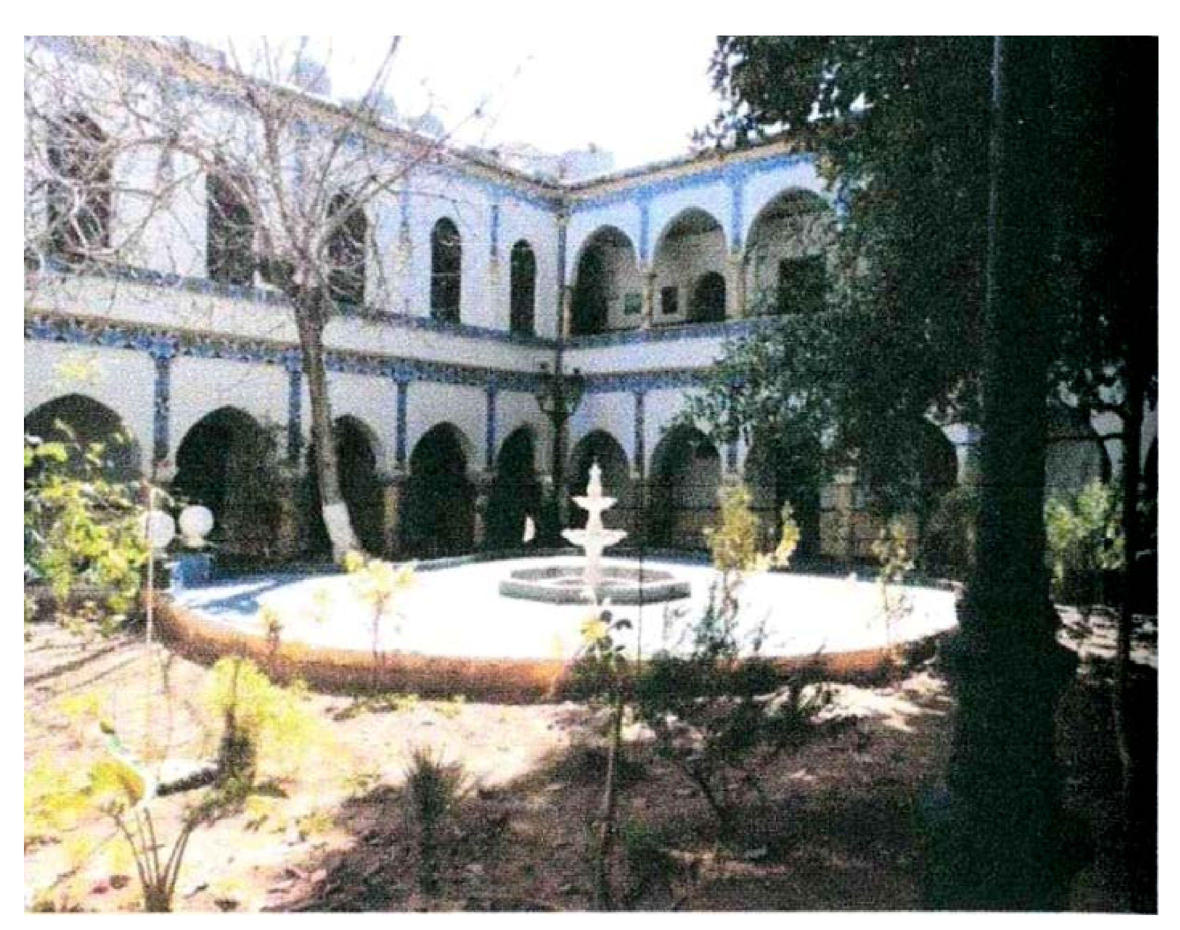


الشكل 07: مسقط أفقي للثكنة القديمة

عن: علي خلاصي

[1] علي خلاصي، العمارة العسكرية...، ص. 93.

تميّز الرواق الأرضي المطل على الصحن[1] بزخرفة خزفية توجد في أعلى التيجان إذ زينت بقطع من البلاطات الخزفية الهولندية الملونة بالأبيض والأزرق أو الأبيض والبنفسجي. تتصل هذه البلاطات بحزام الّذي يربط كل الصحن[2]. وهذا الترتيب في وضع البلاطات ذو تأثير أندلسي، سبق وأن وجد في مدن الأندلس[3].(الصور 22 و23)



الصورة 22: صحن الثكنة القديمة

عن: عثمان مفتاح.

[1] حولت إحدى القاعات الكبرى للثكنة إلى قاعة حفلات والغرف إلى فندق، وهي الآن تحت رعاية وزارة المجاهدين وتضم نادي للمجاهدين. أنظر: مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية (920 هـ - 1246 هـ/ 1514م - 1830م) دراسة أثرية معمارية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، 20014 - 20015 ص. 471.

[2] علي خلاصي، العمارة العسكرية...، ص. 93.

[3] Ravéreau A., La casbah d'Alger et le site créa la ville, Sindbad, Paris, 1989, p. 131.



الصورة 23: توضع البلاطات الخزفية على الطريقة الأندلسية

عن: Ravéreau A

2. 4 . 2. برج السردين: يقع هذا البرج المطل على البحر أسفل مدينة الجزائر تحت الجامع الجديد أو ما كان يسمى آنذاك ب " قاع السور"[1]. شيّده إبراهيم بن موسى سنة 1077هـ/ 1666م في عهد أحمد باشا[2]، أطلق عليه " برج السردين". وقد أخذ هذه التسمية من سكّتي السردين اللتين رسمتا أعلى بابه. لعب هذا البرج دورا مهما في امتداد الخط الدفاعي للميناء، فهو يشرف من الناحية الشرقية على البحر، ويتّصل من الناحية الشمالية والجنوبية الغربية ببرجين آخرين[3]. كان المدخل عبارة عن منحدر بفتحتين، تؤدي الفتحة الأولى إلى الطابق السفلي الّذي يشتمل على 16مدفعا، وتؤدي الفتحة الثانية إلى الطابق العلوي الّذي يشتمل كذلك على 16 مدفعا[4].

---

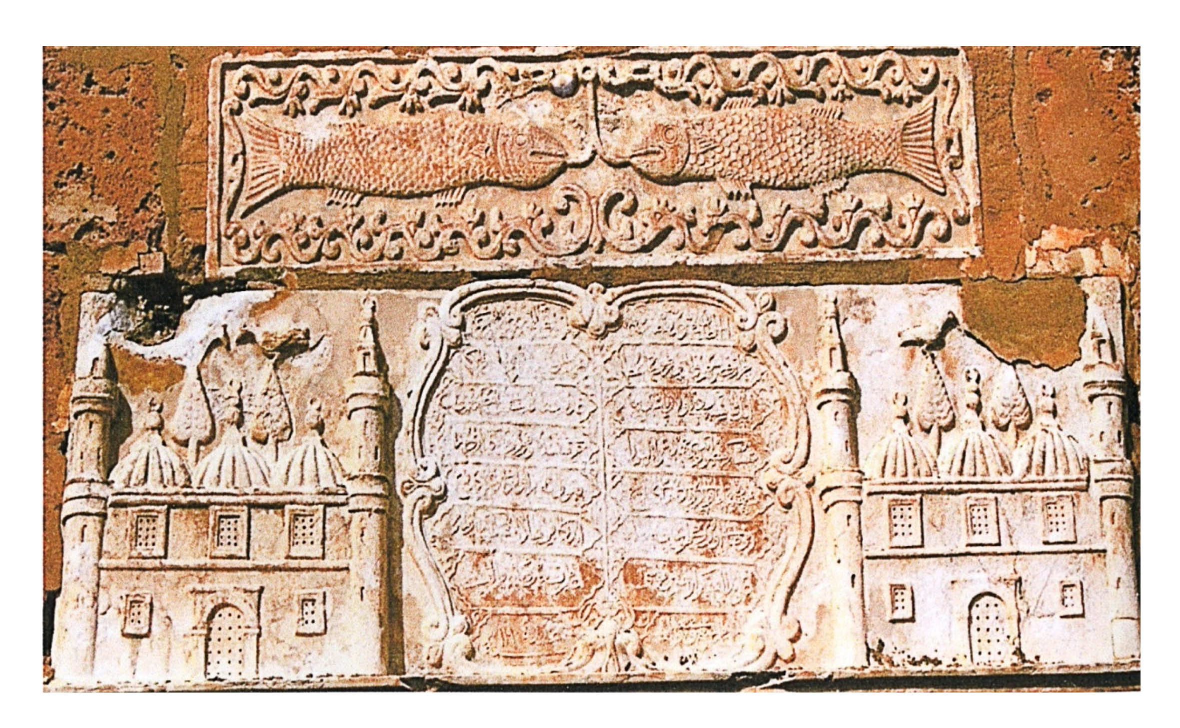
[1] Chergui S., Les mosquées d'Alger ...,, p. 73.

[2] أحمد باشا حكم مرّتين: المرّة الأولى توافق (1064هـ ـ 1066هـ/ 1653م ـ 1655م) و المرّة الثانية توافق (1067هـ - 1069هـ / 1656م - 1658م).

[3] علي خلاصي، العمارة العسكرية...، ص. 60.

[4] علي خلاصي، القلاع والحصون...، ص. 33.

نُقل اللوح التأسيسي الرخامي لبرج السردين إبان الاحتلال الفرنسي إلى برج الفنار وثبّت في أحد مخازنه الَّذي يعتقد أنه كان مخصصا للبارود والذخيرة. وهو حاليا مثبت على مبنى حديث بمبنى لقيادات القوات البحرية[1]. كتب هذا اللوح باللغة العثمانية بخط نسخي شرقي، ويحتوي على ثمانية أسطر نفّذت بطريقة الحفر البارز[2]. نُحت على جانبي هذه اللوحة نقشان بارزان يشمل كل منهما مسجدا بمئذنتين وثلاث قبات تتوسطهما شجرتان من السرو تعلوهما حمامتان. (الصورة 24)



الصورة 24: لوح رخامي تأسيسي لبرج السردين، مدينة الجزائر

1077هـ/1666م، (إر: 79سم، ع: 98 سم)

عن: مفتاح عثمان.

أيا سلطان محمد خان غازي صدر عدلكدن

جزائر قصرينة ضمّ اولدى بر طوبخانة عُظما

انك بناسنه زيادي أولان باشي أحمدّر

عسكر منصور اتدى جهد اقدام ابتدء

سعادتله تمام اولدي ديدى جرمي اكا تاريخ

---

[1] علي خلاصي، القلاع والحصون...، ص. 33.

[2] Collin G., Op. Cit., p.60.

رمى صائب أُور زهي طوبخانة زيبا

على يد الفقير ابراهيم بن موسى

عام سبعة و سبعين والف 1077[1].

أما ترجمة هذه الكتابة فهي كالآتي[2]:

أيا سلطان محمد خان الغازي[3] بفضل عدلك الكبير

أضيفت مدفعية ضخمة إلى تحصينات الجزائر

لقد أتم بناءها أحمد باشا

بجهود عسكره المنصور وإقدامه عند اتمامها

سيكون ليومه تاريخ

ارم قذائف صائبة أيها البرج الجميل تمت

على يد الفقير ابراهيم بن موسى

عام سبعة وسبعين وألف.

2 . 4. 3. مخزن للعسكر: كان ملاصقا لقصر الجنينة وخصّص لحفظ الحبوب كالقمح والشعير، أنجز في عهد الحاج علي أغا[4] سنة 1080هـ/1669م على يد إبراهيم بن موسى؛ وكتابته التذكارية محفوظة بالمتحف العمومي الوطني للآثار القديمة. دونت الكتابة باللغة العربية بخط النسخ المغربي ونفذت بطريقة الحفر. يتكوّن النص من سبعة أسطر. (الصورة 25)

---

[1] Collin G., Op. Cit., p.60, n° 38.

[2] علي خلاصي، العمارة العسكرية...، ص. 60.

[3] محمد الخان الغازي: هو محمد الرابع (المنتصر) حكم في الفترة الممتدّة من 1056هـ/1646م إلى 1097هـ/1687م.

[4] الحاج علي أغا: تقلّد الحكم من سنة 1075هـ / 1665م إلى غاية 1082 هـ/1671م.



الصورة 25: لوح رخامي تأسيسي لمخزن الحبوب بقصر الجنينة، مدينة الجزائر 1080هـ/1669م، (ط: 50 سم، ع: 50 سم)، II.S.181
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

الحمد لله فاتح الأغلاق وباسط الأرزاق.
والصلاة على من ركب البراق محمد الراقي للسبع الطباق
أقيم بناء المخزن الموفور لحفظ الزرع للعسكر المنصور.
في ولاية الأمير أبى الوفا مولانا إسماعيل باشا.
بإذن الواقف على مصالح البلاد والعباد الحاج
على اغا صانه الملك الجواد على يد.
/ اهيم بن موسى
بتاريخ الحي المغني[1].

دون التاريخ بحساب الجمل بالطريقة المغربية "الحي المغني" وحسب Colin لما تُجمع الأرقام تعطي سنة 1080هـ الموافق لـ 1670م[2].

[1] Colin G., Op. Cit., p.64, n° 39.
[2] Ibid,p.64.

لقد اشتهر بناؤون أندلسيون آخرون إلى جانب المعلّم موسى وابنيه علي وابراهيم على غرار " الشريف المعلم الحاج قاسم" (1131هـ/1717م)، وقد دلّت الوثائق على أنه كان مصحوبا بمجموعة من البنائين يشرف عليهم " بناؤون الحاج قاسم" ومجموعة أخرى من الصنّاع المختصين في البناء، ومجموعة ثالثة من العاملين " خدامين المعلم القاسم" وخلّف الحاج قاسم ابنا مارس حرفة البناء وارتقى إلى منصب المعلم "المعلم محمد وليد قاسم" ونعتته الوثائق " بالقشتولي" نسبة إلى مدينة قشتالة، وقد كان من المساهمين في أشغال الترميم والإصلاح[1]. وحسب المصادر التاريخية فإن البنائين الأندلسيون كانوا يتقاضون أجرة كبيرة على عملهم[2].

[1] Chergui S., « Les morisques et l’effort… » p. 310.
[2] Shaw T., Op. Cit., p. 93.

ثانيا: المنشئات المائية في مدينة الجزائر

واجه الأتراك عند استقرارهم بمدينة الجزائر مشكلة المياه، إذ لم تكن مجهزة من قبل بشبكة مائية محكمة التنظيم كسائر المدن العربية الأخرى مثل: تونس ودمشق حيث وجدوا فيها قنوات وشبكة مائية تعود لفترات سابقة.[1] لذا أولى الحكام الجدد عناية خاصة بمسألة توفير المياه بمدينة الجزائر، وحرص العديد من الباشوات والأغوات والدايات الَّذين حكموا الجزائر على القيام بأعمال خيرية في مجال المنشآت العمرانية الخاصّة بالمياه. وكانت مدينة الجزائر في بداية القرن 10هـ/16م تُزوّد بالمياه الصالحة للشرب عن طريق الآبار وتحجير مياه الأمطار داخل صهاريج[2]؛ لكنَّ الوضع تغيّر بعد مجيء الأندلسيين إذ استعان بهم الحكام في تطوير الشبكة المائية لمهاراتهم وخبرتهم في هذا المجال.

استغل الأندلسيون مياه الأودية كوادي المغاسيل[3] ووادي كنيس[4] ووادي الطرفة[5] ووادي الكرمة[6] ووادي مزاب[7] واستفادوا من مياه الينابيع خاصّة مياه الحامة في إنشاء القنوات والعيون والأحواض وأقاموا الناعورات "النوريات" وحفروا آبار الماء. وقد أدّت هذه الشبكة المائية الّتي تعدّ من أهم المنشاءات النفعية في العهد العثماني دورا كبيرا في

[1] Raymond A., Grandes villes arabes à l'époque Ottomane, Sindbad, Paris, 1885,p. 163.
[2] Missoum S., Alger…, p. 95 – 96.

[3] وادي المغاسل: لا يتجاوز طوله 6 كلم ويشكل المصدر الأساسي للزراعة بضاحية باب الوادي، يتشكّل هذا الوادي من تجمُّع مياه الأمطار المتساقطة بالسفوح الجنوبية والشرقية لجبل بوزريعة، ويتميز بعدم جفافه صيفا. أنظر: ناصر الدين سعيدوني، "من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر الشبكة المائية في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، ع. 9، 1995، ص. 64.

[4] وادي كنيس أو وادي الخميس: ينبع من المنحدرات الغربية لهضبة الأبيار، ويتجه صوب منحدر بئر مراد رايس. ومما يلاحظ أن هذا الوادي يصرف كمية معتبرة من الأمطار، لكنّه يجفّ أغلب أشهر السنة لتسرب مياهه في التربة. أنظر: ناصر الدين سعيدوني، "من المظاهر الأثرية..."، ص. 64.

[5] وادي الطرفة: لا يتجاوز طوله الإجمالي 12 كلم يصرف مياه السفوح الغربية لجبل بوزريعة عن طريق رافديه. أنظر: ناصر الدين سعيدوني، "من المظاهر الأثرية ..."، ص. 65.

[6] وادي الكرمة: يستمدّ مياهه من مرتفعات العاشور على بعد 2 كلم من دالي ابراهيم ليصبّ في نهر الحراش. أنظر: ناصر الدين سعيدوني، "من المظاهر الأثرية..."، ص. 65.

[7] وادي مزاب: ينبع من المرتفعات الشرقية للجزائر خارج باب عزون، ويصبّ في البحر في المكان المعروف ب " عيون الربط" ساحة أوّل ماي حاليا. أنظر: ناصر الدين سعيدوني، "من المظاهر الأثرية..."، ص. 64.

النشاط الاقتصادي والاجتماعي للمدينة، نظرا لتلبيتها حاجة الأفران والفنادق والثكنات وخاصّة الحمّامات الَّتي بلغ عددها في مدينة الجزائر في نهاية القرن 10هـ/16م حوالي 60 حماما وما كان لهذه الحمّامات أن تنتشر في المدينة لولا تطوّر شبكات الرّي وتوزيع المياه الَّتي لعب الأندلسيون دورا أساسيا في إنشائها وتوسيعها[1].

1 . القنوات:

أقام الحكام الأتراك منذ القرن 10هـ/16م شبكة من القنوات قصد جمع المياه من الأودية والينابيع الطبيعيّة القريبة من مدينة الجزائر للاستفادة منها وتزويد السكان بما يحتاجونه من ماء. وانتشرت هذه القنوات في جميع أنحاء المدينة، وبنيت أغلبها من الفخار ومن الحجارة وأقيمت بعضها فوق الأرض، وبعضها الآخر جُعلت لها أنفاقا تحت الأرض[2].

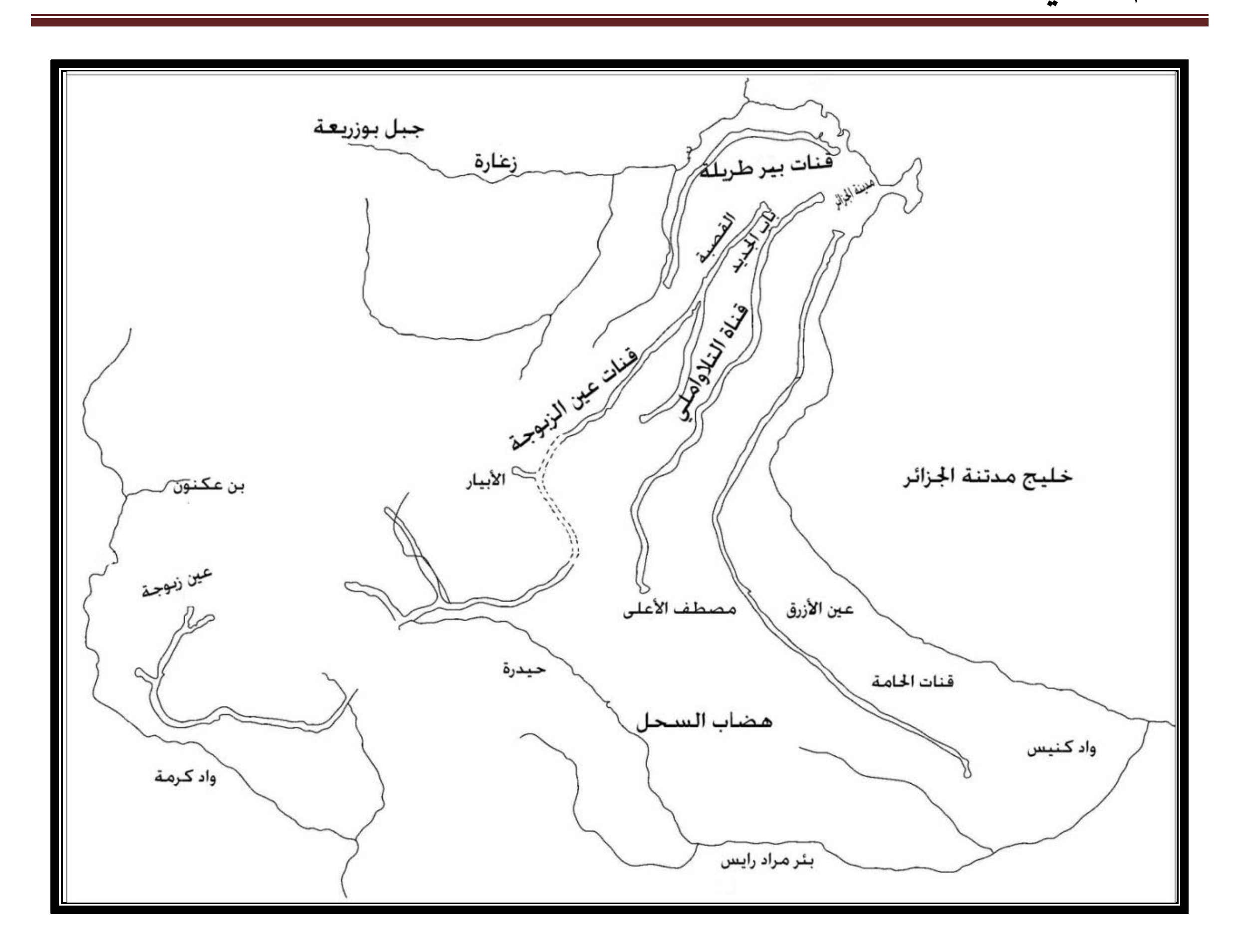
عزّز الأندلسيون الشبكة المائية بمدينة الجزائر ببناء قنوات بمقاييس ذلك الوقت وقد بلغ عددها أربعة وهي: قناة تيليملي وقناة بيرطرايلية وقناة الحامة وقناة عين الزبوجة وكانت تزوّد المدينة بـ 5385000 لتر من الماء بمعدل 1500000 لتر يوميا. ونظرا لصعوبة تضاريس مدينة الجزائر وتكّرر الهزّات الأرضية وانزلاق التربة فإن هذه القنوات تعرضت للتلف[3]. وتعتبر قناة الحامة القناة الوحيدة الَّتي عُرف اسم مُنْشئها وهو الأندلسي " المعلّم موسى"[4] الَّذي سبق ذكره. (الخريطة 17)

[1] Cherif-Seffadj N., Op. Cit., p.23.

[2] ناصر الدين سعيدوني، " من المظاهر الأثرية..."، ص. 70.

[3] نفسه، ص. 71.

[4] Dan P., Op.Cit., t. II, p. 91.



الخريطة 17: الشبكة المائية بفحص مدينة الجزائر

عن: ناصر الدين سعيدوني.

1. 1. قناة تيليملي: تقع قناة تيليملي بأعالي ضاحية مصطفى باشا في المكان المقام به حاليا قصر الشعب.[1] تعتبر هذه القناة من أقدم القنوات، بنيت في عهد حسن باشا بن خير الدين حوالي سنة 957هـ/1550م، بقصد جلب مياه المرتفعات المشرفة على خليج مدينة الجزائر وتساير هذه القناة في انحدارها نحو مدينة الجزائر طريق المرادية، وتنتهي عند باب الجديد لتصبّ في خزان ماء مقام على ارتفاع 85 م بالقرب من تحصينات القصبة[2]. يبلغ طول القناة حوالي 38800 م^2، وكان معدّل مردودها حوالي 6 إلى 7 لترات في الثانية أي ما يعادل 561600 لترًا يوميا، مما سمح لها بتزويد 29 عينا بالإضافة إلى الثكنة الجديدة[3].

[1] ناصر الدين سعيدوني، " من المظاهر الأثرية ..."، ص. 71.

[2] Cherif-Seffadj N., Op. Cit., p. 69.

[3] Raymond A ., Op. Cit., p. 163.

1 . 2 . قناة بئر الطرارية: تنطلق قناة بئر طرارية من نبع يسمى طرارية، تقع هذه القناة أعلى برج الإمبراطور [1] على بعد أمتار من باب الوادي، وتتزوّد في طريقها نحو مدينة الجزائر من آبار وعيون عدة واقعة بمنحدرات وادي المغاسل[2]. وعليه تُزَود هذه القناة المدينة بعد أن تقطع مسافة 1700 م[3]. (الصورة 26)

أنشئت القناة سنة 981هـ/1573م في فترة حكم أحد باشوات الجزائر وهو أعراب أحمد، وكان القصد من إقامتها تأمين مياه الشرب للجزء الشمالي من مدينة الجزائر المهددة آنذاك من طرف الأساطيل الإسبانية[4]. يبلغ طول هذه القناة 1700م وكان متوسط حمولتها أقل من قناة تيليملي، إذ يبلغ معدّل تدفق الماء 1,46 لترا في الثانية أي ما يعادل 126144 لتر يوميا. وبسبب التلف الَّذي أصاب مجرى هذه القناة في أواخر العهد العثماني وسوء صيانتها، فقد غدت من أقل السواقي ماءً ولم تقدم جميع الخدمات الَّتي كانت منتظرة منها[5].

---

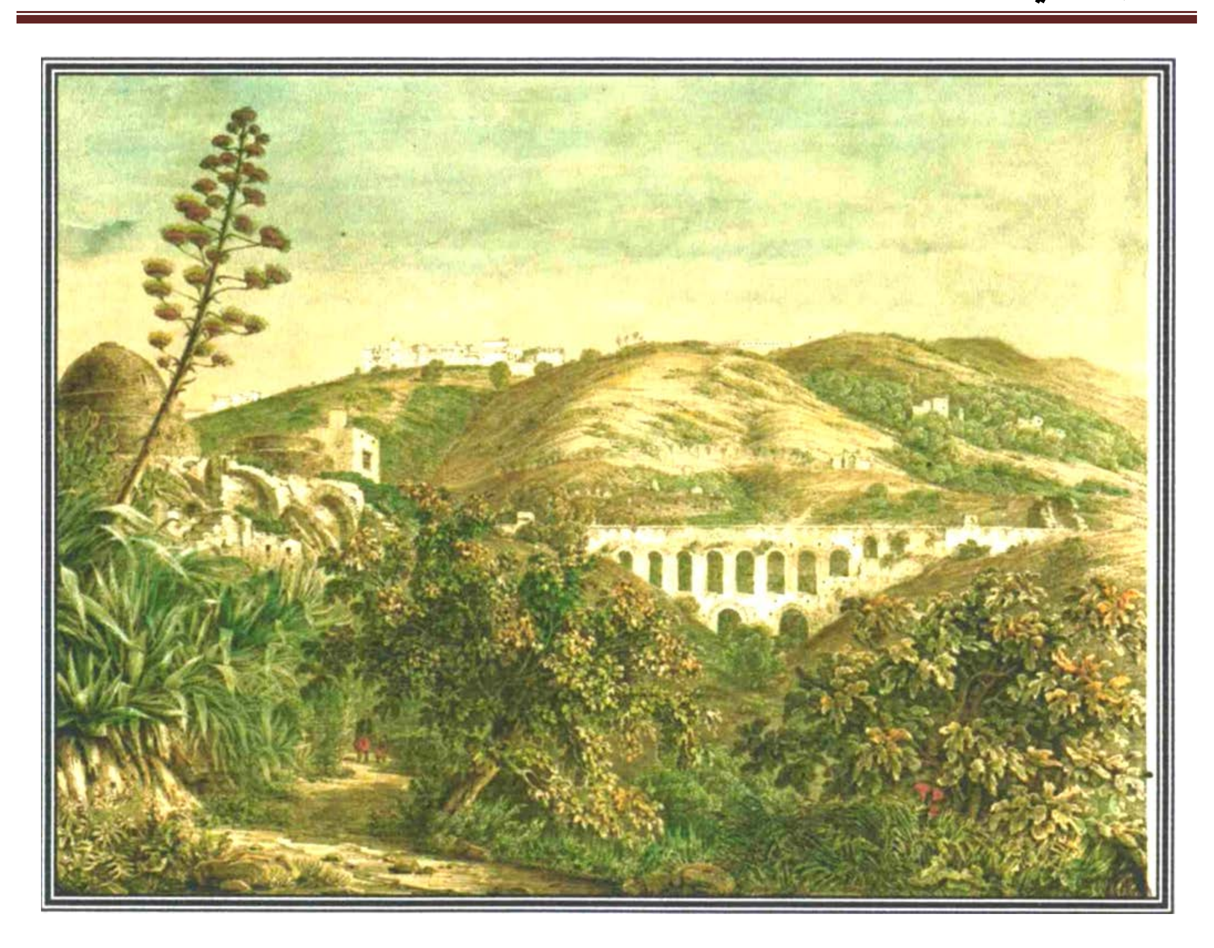
[1] حصن الإمبراطور يقع على ارتفاع 230م من مستوى سطح البحر على بعد 1200م جنوب مدينة الجزائر، وهو يحميها من الناحية الجنوبية. بناه حسن باشا سنة 1545م بعد حملة شارلكان على المدينة عام 1541م. أنظر: علي خلاصي، العمارة العسكرية...، ص. 117.

[2] Missoum S., Alger…, p. 99.

[3] Belhamissi M., Alger à travers ses eaux XVIème – XIX ème siècle, ministère de la communication et de la culture, Alger, 2004, p. 46.

[4] ناصر الدين سعيدوني، "من المظاهر الأثرية المندثرة..."، ص. 72.

[5] Raymond A.,Op . Cit , p. 164.



الصورة 26: قناة بئر الطرارية

عن: Cherif-Seffadj N

1 . 3 . قناة الحامة: تقع قناة الحامة بفحص مدينة الجزائر على بعد 100 قدم خارج باب عزون، وكان بهذه المنطقة منبعا جميلا من الماء يتربّع فوق ربوة، فاقترح الاسطة موسى على قوصة مصطفى باشا[1] أن يصل هذه المياه بالمدينة عن طريق شبكة من القنوات. وافق الباشا على هذا المشروع، فشرع المعلّم موسى في بنائه وفرغ منه عام 1017هـ/ 1611م[2].

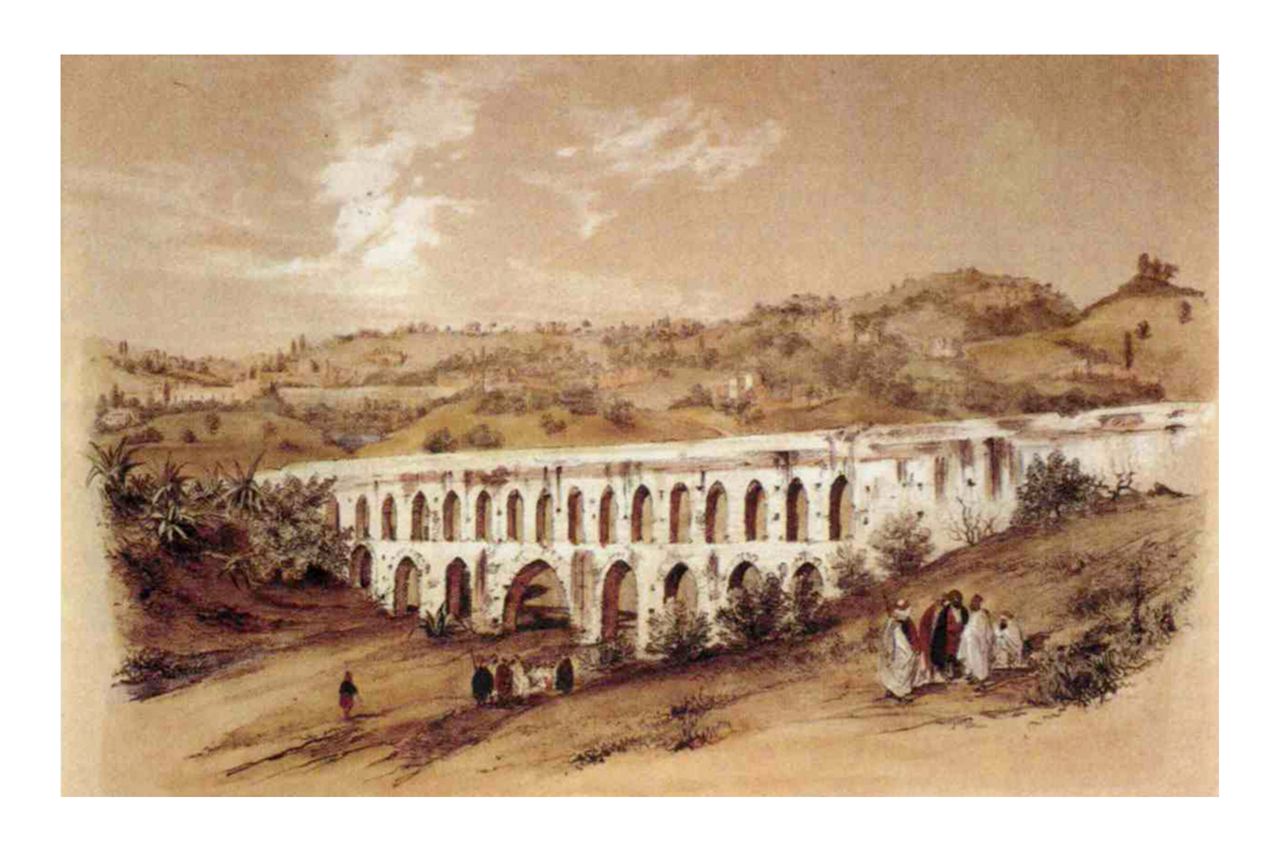
يبلغ طول القناة 5000م وتصل إلى المدينة بعد أن تقطع مسافة 4300 م عن طريق شبكة من القنوات مدعّمة بحنايا وأقواس ذات طابقين مترادفين بنيت بالحجارة[3]

[1] قوصة مصطفى باشا: حكم الجزائر في فترتين متقاربتين (1014 هـ ـ 1016هـ /1605م ـ 1607م) و (1019هـ ـ 1022هـ / 1610م ـ 1613م).

[2] Laugier De Tassy., Op. Cit., p. 100 – 102.

[3] Missoum S., Alger..., p. 103.

يبلغ معدل تدّفقها 9 لترات في الثانية بصفة شبه ثابتة أي بمعدّل 777600 ل يوميا[1].
غطّت هذه القناة القسم الجنوبي للمدينة عبر باب عزون والقسم الشرقي منها عبر شارع باب الجزيرة، وبالتالي فإنها زوّدت كل العيون التي كانت في المنطقة السفلى " الوطى" والّتي بلغ عددها 24 عينا بالإضافة إلى تزويدها لعدد من الثكنات العسكرية وقصر الجنينة[2]. (الصورة 27)



الصورة 27: قناة بئر الطرارية

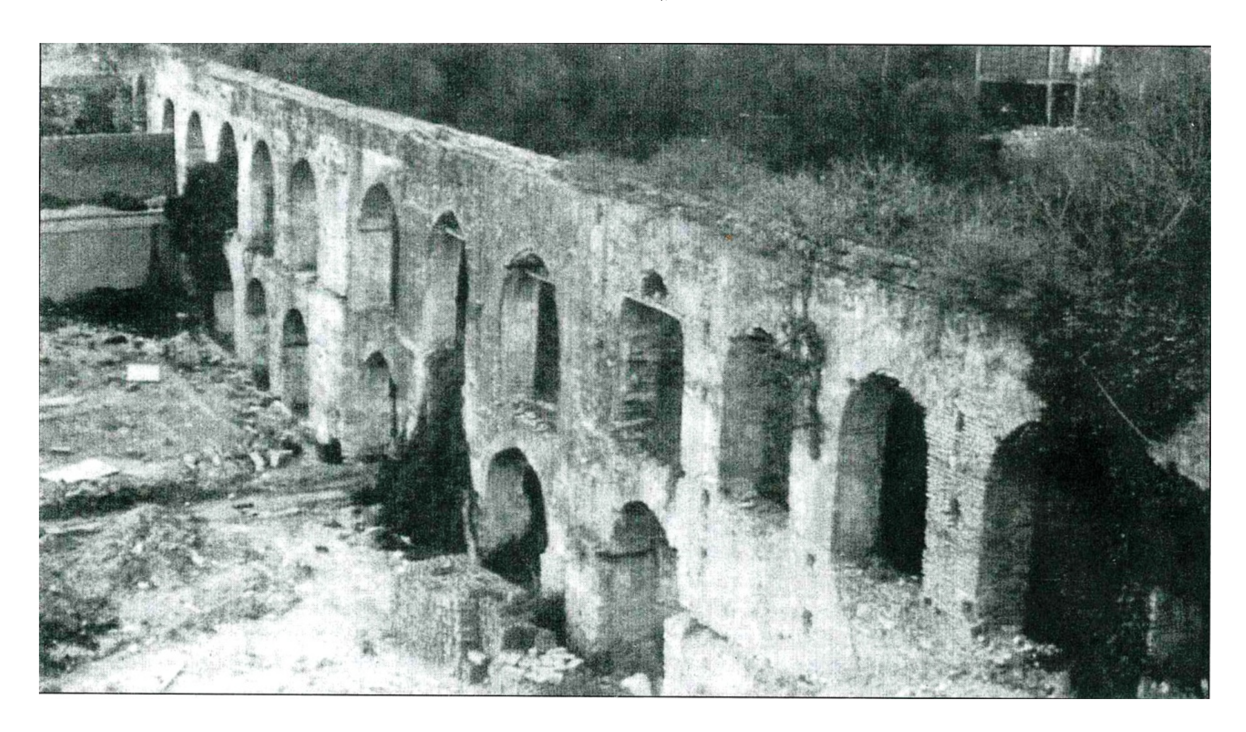
عن: Cherif-Seffadj N

1 . 4 . قناة عين الزبوجة: تقع قناة عين زبوجة في بلدية حيدرة، وهي أحدث السواقي إنشاءً وأكثرها طولا إذ تقدر بـ: 11540 م قد أنشئت بغرض جمع مياه وادي عين الزبوجة وأودية هضبة بن عكنون والأبيار المنحدرة من السفح الشرقي لجبل بوزريعة.[3] لا يعرف

[1] Belhamissi M., Alger à travers…, p. 46.
[2] Missoum S., Alger..., p. 104.
[3] ناصر الدين سعيدوني، "من المظاهر الأثرية المندثرة..."، ص. 73.

سنة بناء هذه القناة لكن هناك من يرجّح سنة 1029هـ/1619م[1]، وهناك من رجّح سنة 1049هـ/1639م[2]. وعلى العموم فإن هذين التاريخين يوافقان الفترة الَّتي عاش فيها المعلّم موسى، وربما كان هو الَّذي أنجز هذه القناة. (الصورة 28)

أنشئت القناة من مادّة الآجر وتطلّب بنائها أعمالا هندسية معقّدة، فرضتها طبيعة تضاريس المرتفعات الجنوبية الشرقية لمدينة الجزائر، مما استلزم شق أنفاق لمجرى الساقية تحت الأرض بمنطقة بن عكنون بلغ طولها 1466م، كما تطلّب بناء حواجز للقناة بناحية الأبيار لتجنب مرتفعات هضبة هذه المنطقة[3]. وقد بلغ معدل مردودها في المواسم الممطرة ما بين 8 إلى 9 لترات في الثانية أي بمعدل 734400 لتر يوميا[4].



الصورة 28: قناة عين زبوجة

عن: Missoum S

[1] Cherif-Seffadj N., Op. Cit., p. 76.

[2] Missoum S., Alger..., p. 104.

[3] ناصر الدين سعيدوني، "من المظاهر الأثرية المندثرة..."، ص. 73.

[4] Belhamissi M., Alger à travers…, p. 47.

2 . العيون و الأحواض

تميّزت عيون مدينة الجزائر بالكثرة والجمال، حتى أنها شدت انتباه الكثير من الرحّالة والرسّامين وبعض قادة الجيش الفرنسي مثل الجنرال Berthezène، الَّذي وصفها في السنوات الأولى للاحتلال بقوله[1]:" يوجد على كافّة الطرق بضواحي مدينة الجزائر العديد من عيون الماء المخصّصة للشرب، أغلبها مزيّن بأعمدة من الرخام الأبيض في غاية الجمال وهي تضاهي مثيلاتها بباريس".

زوّدت مدينة الجزائر وفحوصها بعدد كبير من العيون توزّعت في الشوارع الرئيسية وفي الممرّات وفي الدروب؛ وبلغ عددها أكثر من 100 عين[2]، ويبدو أنّه من بين الأعمال الجليلة الَّتي يقوم بها الفرد المسلم هو إنشاؤه لعين كصدقة جارية.[3] ورغم كثرة هذه العيون فإن معظمها يخلو من كتابة تذكارية تخلّد اسم منشئها، لذا وجدت صعوبة في تحديد أسماء العيون التي أنشأها الأندلسيون.

وعلى كلّ، فقد سبق ذكر النص الأصلّي الخاص بتأسيس زاوية الأندلسيين الَّذي يعود إلى سنة 1033هـ/1623م، ويضم أسماء الأشخاص الَّذين ساهموا في هذا الإنجاز "الحمد لله بعد أن استقر على ملك الجماعة الكرام الفضلاء الأخيار وهم محمد بن محمد العبلي وابراهيم بن محمد أبو ساهل و**المعلم موسى معلم العين...**"[4]. (الوثيقة 02)

من خلال هذا النص يمكن استخلاص بأن "المعلّم موسى" لقب ب "معلم العيون" نظرا لفضله وجهده في إنشاء العديد من العيون، فقد عزّز الشبكة المائية لمدينة الجزائر بعيون عامّة في مختلف الشوارع والأحياء والجوامع مولها محسنون. ورغم كثرتها إلا أنه لا توجد كتابة تذكارية تخلد اسمه. واحتمال كبير أن تكون هذه العيون قد هدّمها الاستعمار الفرنسي، خاصّة إذا علمنا أن القسم الجنوبي لمدينة الجزائر بجزْئية الجنوبي

---

[1] Berthézène M., Op. Cit., p. 38.
[2] Belhamissi M., Alger à travers …, p. 50.
[3] Klein, Feuillets d’al Djazaiz, Alger, 1937, p. 183.

[4] م. ش. علبة 82 الوثيقة 2.

والشرقي شهد تهديما كليا، والّذي كان يضم الأربعة والعشرين عينا المزودة من قناة الحامة[1].

جهزت أغلب العيون بأحواض تستقبل الماء المنهمر من فتحات خروج الماء ويصرف الماء الزائد عن طريق فتحات وجدت في قاعدة الحوض متصّلة بقنوات تصريف الماء. واستعملت هذه الأحواض لسقي الحيوانات من خيل وماشية[2]، وكانت العائلات الفقيرة تغسل فيها ثيابها[3].

3. الناعورات

تعرف الناعورات أيضا باسم النوريات، وقد أدخل العرب إلى الأندلس أساليب رّي شامية كالنوريات أو الناعورات منها ما يعمل بفعل قوّة الماء، ومنها ما تُستعمل الدوّاب في تحريكها، ومن الأندلس انتقل استعمال هذه الأنماط من النواعير إلى بلاد المغرب كما اقتبسها النصارى في شمال إسبانيا من المسلمين. وبعد طرد المسلمين من الأندلس احتفظ الإسبان بنفس نظم الرّي العربية وأبقوا على تسميتها؛ فمثلا الناعورة لا تزال تسمى باللغة الإسبانية « Noria ». وقد نصّت الوثائق الإسبانية على وجوب إبقاء نظام توزيع الماء كما كان معمولا به أيّام العرب[4].

أنشأ الأندلسيون بفحص مدينة الجزائر الناعورات " النوريات" الّتي اتّخذت شكل برج مجهز بدولاب، وتوزّع على دائرتها الخارجية دِلاء (ما يشبه الكؤوس للشرب) تغرف في المياه أثناء الدوران لتصبّ عندما ترتفع في قنوات تسقى منها الحديقة. أقيمت هذه الناعورات إما داخل الحديقة أو خارجها فهي تزوّد طوابق المنزل العلوية بالمياه ويقوم

---

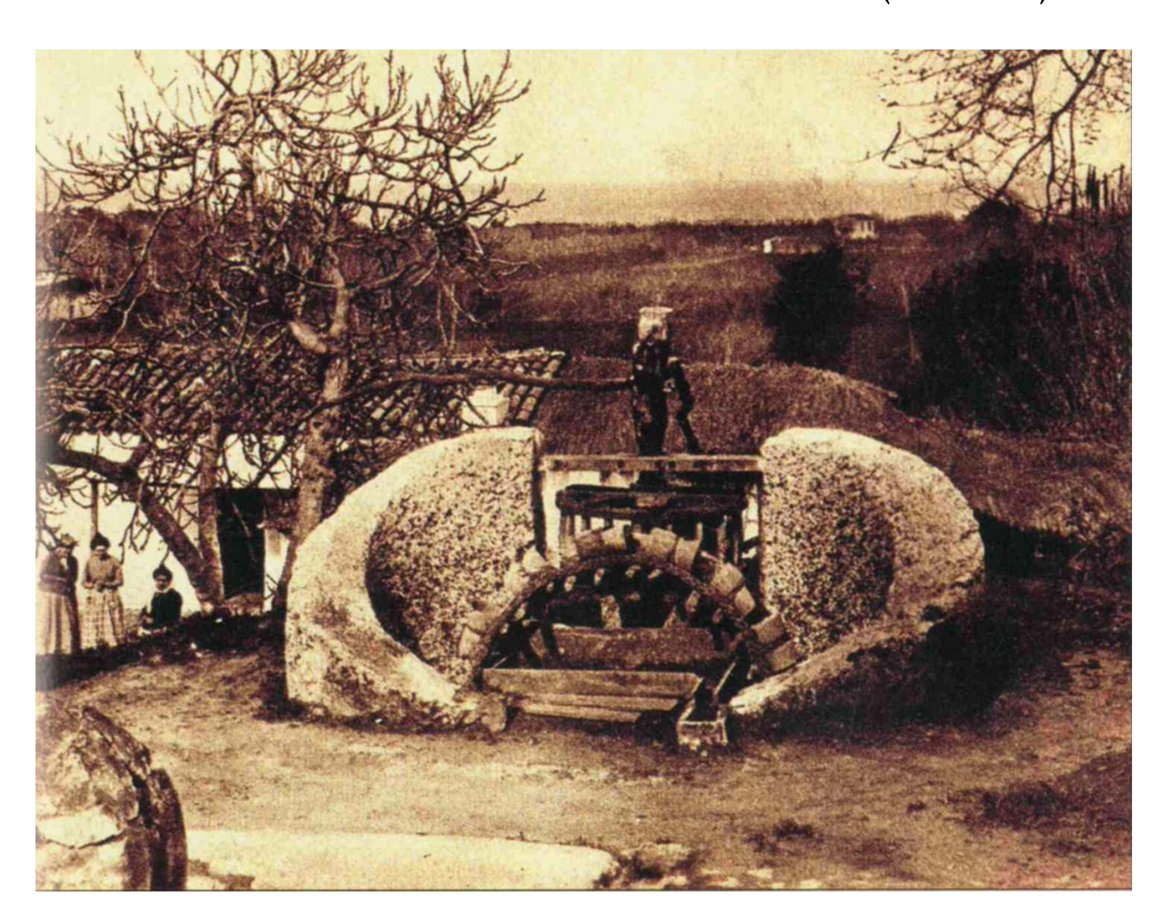
[1] حورية شريد، " الأسطة موسى..."، ص. 27.

[2] Berthézène M., Op. Cit., p. 38.

[3] Mascarenhas J. C., Op. Cit., p. 87.

[4] باقر الفحام، " الهندسة الزراعية "، مجلة المورد العدد الخاص (العلوم عند العرب)، مج. 6، ع. 4، 1977، ص. 225 ـ 226

بتشغيلها حصان مغمض العينين[1]. وفي السهول تقوم برفع المياه الموجودة بالقرب من الآبار[2]. (الصورة 29)



الصورة 29: قناة بئر الطرارية

عن: Cherif-Seffadj N

[1] Feydeau F., Op. Cit., p. 231.

[2] ناصر الدين سعيدوني، "من المظاهر الأثرية..."، ص. 77.

الفصـل الثانـي

الفنون النسيجية والجلدية

أولا: الفنون النسيجية

ثانيا: الفنون الجلدية

أولا: الفنون النسيجية

اشتهر بلاد المغرب الأوسط بصناعة النسيج بسبب وفرة المادّة الخام، خاصّة الصوف لوفرة الإنتاج الحيواني، ولم يكن القطن[1] مادّة أولية حديثة العهد في بلاد المغرب الأوسط، فبعد الفتوحات الإسلامية كان يُزرع في تاهرت[2] وطبنة[3] والمسيلة[4] ونقاوس وسهول الشلف ومستغانم. وعرفت مدينة بونة[5] وطبنة[6] بزراعة الكتّان.

انتشرت تربية دودة القز في جميع شواطئ البحر الأبيض المتوسط بعد الفتوحات الإسلامية، حيث كانت صناعة المنسوجات الرفيعة والثمينة ممكنة بفضل الإقبال الشديد على منتجات الحرير[7]، لما يمتاز بالقوّة والخفّة والجمال والرونق واللمعان، فقامت صناعة حريرية في بلاد المغرب الأوسط لتلبية طلبات الأغنياء، فخلال القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين كانت تصنع بتلمسان ألبسة مختلفة من الحرير الخالص، وأحيانا يخلط بالصوف[8].

تطورت الصناعة النسيجية في الجزائر لا سيما مع مجيء المهاجرين الأندلسيين واستقرارهم فيها، إذ أنجزوا أعمالا متقنة وجيّدة الصنع، فأسندت إليهم صناعة الأشياء الفاخرة أهمّها صناعة الحرير الَّتي اختصوا بها[9]. كما ساهموا في تطوير منسوجات أخرى

[1] القطن: يعود أصل إلى الهند ويستخرج من البذور الَّتي تحتوي على عدة حبوب مكسوة بالألياف، أنظر: شفيق غربال، المرجع السابق، م. 2، ص. 1389.

[2] عبد الكريم يوسف جودت، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9 ـ 10 م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د. ت)، ص. 95.

[3] أبو القاسم بن حوقل، المصدر السابق، ص. 85.

[4] عبيد الله البكري، المصدر السابق، ج. 2، ص. 723.

[5] أبو القاسم بن حوقل، المصدر السابق، ص. 77.

[6] نفسه. ص. 85.

[7] موريس لومبار، المرجع السابق، ص. 271.

[8] عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق، ص. 94.

[9] Monlaü J., Op. Cit., p. 111.

كالقطن والكتّان والقنّب والصوف، وكانوا يشتغلون في ورشات تسمى دراز، ويطلق عليها في المشرق طراز وتعني ورشة النساجين[1].

اشتغل الأندلسيون بصناعة الحرير خاصّة في مدن شرشال والقليعة وبرشك وتنس كما سبق ذكره، وكانت مدينة الجزائر تضم 600 مربيا لدودة الحرير[2]، واشتهرت هذه المدن بجودة إنتاجها الّذي كان يغطي حاجة السكان ويصدر جزء منه إلى الأقطار المجاورة كتونس[3]. وصار الحرير من أهم موارد الأندلسيين وكانوا يكسبون من ورائه ثروات طائلة[4].

ساهم الأندلسيون أيضا في زراعة الكتّان ونسجه بصورة واسعة خاصة في مدينة برشك الَّتي اشتهرت بحياكة الأقمشة وصنع الكتّان الّذي كان ينُقل بحرا إلى مدينة الجزائر وبجاية وتونس[5]، وساهم سكان مدينة البليدة ذات الأغلبية الأندلسية في صناعة قماش المناديل الّتي تباع في مدينة الجزائر[6].

تفنن الأندلسيون في الصناعات النسيجية في مدينة تلمسان، وضمت المدينة مجموعة من الورشات الصناعية الَّتي أسسوها، كنسج الحرير وحياكة القطن والكتّان وخاصّة غزل الصوف ونسجه[7]، ومن المنسوجات الصوفية المعروفة في تلمسان البرانس المشهورة بجودتها ومتانتها وخفتها، فقد كانت رفيعة جدا حتى أن بعضها يزن أقل من عشرة أوراق[8].

---

1 Ben Cheneb M., Mots..., p. 40.

2 عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر...، ص. 298.

3 ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، ص. 141.

4 كربخال مارمول، المصدر السابق، ج.2 ، ص. 362.

5 حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص. 33.

6 حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 91.

7 Bel A ., et Ricard P., Op. Cit., p. 53.

8 كربخال مارمول، المصدر السابق،ج.2، ص. 300

لم تقتصر صناعة المنسوجات على الرجل فقط بل شاركت المرأة الأندلسية في هذه الصناعة سواء داخل بيتها بغزلها الصوف[1] وممارسة الخياطة والطرز، أو خارج بيتها باشتغالها في ورشات الأنسجة الحريرية[2].

اكتسب الأندلسيون مهارات عالية في فن النسيج من بلادهم الأصلية. فقد قامت في الأندلس مراكز كثيرة لصناعة المنسوجات واشتهرت عدّة مدن في هذا المجال، أهمّها مدينة ألمرية ومالقة وإشبيلية وغرناطة ومرسية[3]. وتعدّ مدينة ألمرية مركزا أساسيا في صناعة المنسوجات الحريرية الفاخرة، إذ ضمّت ثمانمائة طراز يُعمل بها أنواع كثيرة من الحرير ومشتقاته كالديباج والدمشقي والقطيفة والتافتاه والأصبهاني[4] والجرجاني[5] والثياب المعينة؛ وهي عبارة عن ثياب تزخرف إما بنقط صغيرة تشبه عيون الوحش أو بعناصر هندسية على هيئة عين[6]. بالإضافة إلى العتابي وهي قطع من الأقمشة تغطي بها النساء النساء رؤوسهن، وقد انتقل هذا النوع من الحرير إلى إيطاليا وفرنسا عن طريق الأندلسيين[7].

أدخلت تربية دودة القز وصناعة نسيج الحرير إلى الأندلس عن طريق السوريين الّذين آتوا من منطقة قسْرين الواقعة في شمال سوريا واستقرّوا في منطقة البشرات وضواحي جيان في القرن 2هـ/8 م[8]، وابتداءً من القرن 4هـ/10 م توسعت وانتشرت هذه

---

[1] Boyer P., La vie quotidienne à Alger à la veille de l’intervention française, Paris, 1963, p. 188.

[2] Haedo F. D., Topographie…, p. 146.

[3] سعاد ماهر، النسيج الإسلامي، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، القاهرة، 1977، ص. 124.

[4] الأصبهاني: ينسب إلى مدينة أصبهان بإيران.

[5] الجرجاني: ينسب إلى مدينة جرجان الّتي تقع شرق إيران.

[6] محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، (د. ت)، ص. 124.

[7] أحمد محمد الطوخي، المرجع السابق، ص. 305.

[8] موريس لومبار، المرجع السابق، ص. 272.

الصناعة في الأندلس وازدهرت ازدهارا كبيرا حتى أنّها كانت تصدّر منه إلى معظم دول أوروبا والعالم الإسلامي[1].

وكما عرفت الأندلس الأنسجة الحريرية بأنواعها المختلفة، عرفت أيضا أنسجة الكتّان الَّذي كان يزرع على نطاق واسع؛ وكان ذا جودة عالية حتى أنَّه فاق كتّان مصر[2]. أما مادة الصوف فكانت تستعمل في نسج الألبسة الشتوية. وقد أدخل العرب إلى إلى الأندلس مادّة القنّب والَّتي جيء بها من بلاد فارس. واحتفظ باسمه القديم "البذور الملكية" أو "شاه دنج"[3]. والقنب يشبه الكتّان لكن أليافه أقل ليونة منه ولا تتطلّب زراعته عناية كبيرة[4]. يكثر استخدامه في مجالات عديدة كالأقمشة والثياب الغليظة والورق والحبال المفتولة وكلّ ما يستخدم من النسيج على ظهر المراكب[5].

1. مجالات الصناعة النسيجية

1. 1. الحرارة ومشتقات الحرير: الحرّارون هم غازلو الخيوط والأنسجة الحريرية وبائعوها، وقد وصفت الأستاذة عائشة غطاس هذه الصنعة بأمّ الصنائع[6]، وكانت من أكثر الحرف رواجا، ويطلق على مربي دودة القز في المصطلح الجزائري "بالقّزازين".

كانت صناعة نسج الحرير من أكثر الفروع إنتاجا وازدهارا ورواجا، فابتداء من القرن 11هـ/ 17م حدثت تحوّلات في المبادلات التجارية الدولية، حيث حلّت مادّة الحرير

---

[1] سعاد ماهر، المرجع السابق، ص. 124.

[2] أحمد محمد الطوخي، المرجع السابق، ص. 304.

[3] لوسي بولنز، "نباتات الصباغة والنسيج قطاع زراعي مزدهر في الأندلس قوامه القطن والعظلم (الباستيل) (من القرن الخامس إلى السابع الهجري من الحادي عشر إلى الثالث عشر الميلادي)"، في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج. 2، بيروت، 1998، ص. 1400.

[4] شفيق غربال، المرجع السابق، مج. 2، ص.1401.

[5] لوسي بولنز، المرجع السابق، ص. 1400.

[6] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 229.

محلّ بضائع أخرى ثمينة مثل الذهب والفضّة. وأصبحت تجارة المواد النسيجية خاصّة الحريرية منها تشكلّ محورا أساسيا في العلاقات التجارية بين دول العالم[1].

ظلّت صناعة الحرير مزدهرة في الجزائر لكنها في العقد الأخير من القرن 13هـ/19م بدأت تعاني من مشاكل، وهو ما تجلّى في تناقص عدد الحرّاررين في السنوات ما بين 1233هـ و1242هـ/1817م و1826م، ممّا أدى إلى ضعف في الإنتاج المحلي واضمحلالها[2]. ففي مدينة شرشال تناقص عدد الحرّارين الأندلسيين الَّذين فضلوا استغلال الفحوص الملاصقة لأسوارها والإنزواء داخل منازلها مخافة مهاجمة القبائل الجبلية القريبة.[3] لذا أصبحت هذه الصناعة تعتمد على خام الحرير المستورد عن طريق البحر من أزمير[4] وسالونيك[5] وبيروت[6] ورغم ما طرأ عليها من تغييرات فقد ظلّت ظلّت إحدى أهم الصناعات الجزائرية، مثلما أشار إلى ذلك شالر[7]:"...وأهمّ الصناعات الجزائرية هي صناعات الحرير والصوف والجلود المدبوغة".

استمرت صناعة المنسوجات الحريرية قائمة إلى ما بعد الاحتلال، ففي السنوات الأولى الَّتي أعقبت ذلك واصل عدد من الحرّفيين في ممارسة نشاطهم في مدينة الجزائر

[1] Braudel F., « L'économie de la méditerranée au XVIIe siècle » in Les Cahier de Tunis, n° 14, quatrième année, 1956, Tunis p. 191.

[2] ناصر الدين سعيدوني والمهدي الشيخ البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 69.

[3] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 68.

[4] إزمير: تقع بغرب تركيا بها ميناء يطلّ على خليج أزمير بشمال شرق بحر إيجه، كانت مستعمرة إغريقية ثم رومانية وبيزنطية. كانت مركزا مسيحيا منذ بداية النصرانية، خربها تيمولنك وأسقطها الأتراك سنة 824هـ/1424م. أنظر شفيق غربال، المرجع السابق، م. 1، ص. 129.

[5] سالونيك: تقع جنوب بلاد مقدونية على بحر الأرخبيل، اسمها القديم ترما Therma لوفرتها على المياه المعدنية. ولما تولى الإمبراطور " كسندر" الملك في مقدونيا، أطلق عيها اسم زوجته " تسالونيك" Thessalonique ومع مرّ الزمن حُرف هذا الاسم إلى سالونيك أو سالانيك. تكمُن أهمية هذه المدينة في مينائها الَّذي يتميّز بحركة تجارية هامة خاصة في العهد العثماني. أنظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: حسان حقي، دار النفائس،بيروت ، 1988، ص. 133.

[6] ناصر الدين سعيدوني والمهدي الشيخ البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 68 ـ 69.

[7] وليام شالر، المصدر السابق، ص. 93.

لكن بعدما أقدم الفرنسيّون على تدمير منطقة الأسواق أُجبر الحرّارون على مغادرة مقرّاتهم[1].

استطاع الأندلسيون أن يغيّروا حياة الجزائريين من البساطة إلى الترف وذلك بلبس الحرير على أنواعه، كما تفنّنوا في خياطة الأقمشة الفاخرة الَّتي أكثروا من لبسها.[2] وقد اشتقوا من مادّة الحرير أنواعا كثيرة كالديباج والدمشقي والتافتاه والموصلي والقطيفة.

أ ـ الديباج والدمشقي: يعتبر الديباج من مشتقات الحرير الخالص، وكان معروفا في الشرق قبل الإسلام، ثم استمر نسجه بعد ظهور الإسلام[3]، وهو عبارة عن منسوج مزركش مزركش ومُوَشَّى بخيوط الذهب والفضّة. ويستعمل في نسجه سداة واحدة وأكثر من لون واحد من اللحمة للزخرفة، وغالبا ما يكون ضمنها خيوط معدنية كالذهب والفضّة والنحاس المذهب الَّتي تظهر فقط في أجزاء الزخرفة وتختفي في ظهر المنسوج، أما الأرضيّة فتكون غالبا من خيوط السدى، لذا اقتصر استعمال الديباج على وجه واحد فقط لاختلاط ألوان اللحمة مع بعضها البعض في الوجه الآخر منها[4].

أما الدمشقي فقد اشتهرت به مدينة دمشق فنسب إليها، وهو من المنسوجات الزخرفية الَّتي تخصص سداة واحدة ولحمة واحدة كلاهما من لون واحد أو لونين مختلفين. وتحدث الزخرفة فيه عن طريق استعمال أطلس من السداة أو بعبارة أخرى إظهار أكبر عدد من خيوط السداة في أجزاء الأرضية خيوط اللحمة تحتها، ثم أطلس من اللحمة في أجزاء الزخرفة لتختفي خيوط السداة تحت ذلك بإظهار أكبر قدر ممكن من اللحمة في أجزاء الزخرفة وبالعكس في الوجه الآخر من المنسوج[5].

---

[1] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 229.

[2] شريفة طيان، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1991، ص. 23.

[3] محمد عبد العزيز مرزوق، المرجع السابق، ص. 124.

[4] سعاد ماهر، المرجع السابق، ص. 106.

[5] نفسه، ص. 106.

ب ـ التافتاه والأطلس: يرجع أصل التافتاه إلى إيران، ويتميّز بتشكيل تقاطع بسيط من السدى واللحمة بحيث يكون نسيجه واضحا وشكله العام أملس، كما يكون متمّوجا إذ تظهر فيه دارات ذات انعكاسات[1].

أما الأطلس فقد اشتهرت به آسيا الصغرى؛ وكان يصدر منه بكثرة إلى مصر في العصر المملوكي، وعرف باسم الطلس الرومي، كما يعرف باسم الساتان. يتحصل عليه بتقاطع خيط السدى مع خيط اللحمة مرّة واحدة في كل تكرار، بمعنى أنّ بناء النسيج الأطلسي يتم بمرور اللحمة فوق خيط سداه واحدة وتحت عدد من خيوط السدى في كل تكرار أو العكس، وتقاطع خيوط السدى واللحمة في النسيج الأطلسي عادة ما تكون متفرقة عن بعضها البعض، وتساعد في انعكاس الضوء على سطح النسيج وظهور اللمعة المميزة للأطلس[2].

ج ـ القطيفة: تعد القطيفة من الصناعات النسيجية التي أدخلها الأندلسيون إذ ارتبطت بوجودهم، وقد اختصّ فيها مهاجرو غرناطة وسميت "بالمخمل"[3]، ولقيت ازدهارا كبيرا في مدن الجزائر وشرشال وبرشك[4]. تصنف القطيفة من المنسوجات الوبرية التي تختلف بوجه عام عن الأنسجة العادية من حيث مظهرها وذلك بوجود بروز وبري الشكل على سطحها نتيجة إضافة خيوط خاصة على سطح المنسوج[5].

د ـ الألاجا: هو نوع من القماش المنسوج من القطن والحرير معا، وقد ظهر لأول مرة في العصر العثماني، وكان عادة يزدان بأشرطة رفيعة ذات ألوان متعّددة تزخرف مساحة النسيج كلّه[6].

---

[1] شريفة طيان ، الفنون التطبيقية...، ص. 138.
[2] عائشة عبد العزيز التهامي، المرجع السابق، ص. 136 ـ 137.
[3] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، ص. 141.
[4] ناصر الدين سعيدوني والمهدي الشيخ البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 68.
[5] سعاد ماهر، المرجع السابق، ص. 107.
[6] عائشة عبد العزيز التهامي، المرجع السابق، ص. 138.

من بين الأسماء الأندلسية الَّتي تولت حرفة الحرارة في مدينة الجزائر اعتمادا على عقود مختلفة يمكن ذكر:

- أوسط أحمد **الحرار** بن علي **الأندلسي** 1057هـ/ 1648م[1].
- الشاب محمد **الحرار** ابن نفيسة ابن محمد **الثغري** 1065هـ/ 1654م[2].
- الحاج على **الحرار** بن على **الأندلسي** 1074هـ/ 1663م[3].
- أمين جماعة **الحرارين** الحاج يحي ابن قاسم **الأندلسي**1093هـ/ 1682م[4].
- أمين جماعة **الحرارين** أوسط محمد بن محمد **الأندلسي** 1099هـ/ 1687م[5].
- الحاج محمد **الحرار** بن المرحوم فاضل **الأندلسي** 1105هـ/ 1693م[6].
- الحاج **الحرار** ابن الحاج قاسم **الأندلسي**1111هـ/ 1699م[7].
- الحاج أحمد **الحرار** صناعة ابن محمد **الأندلسي**1156هـ/ 1743م[8].
- الحاج علي **الحرار** ابن السيد إبراهيم **الأندلسي** 1161هـ/ 1748م[9].
- محمد **الحرار** ابن الحاج إبراهيم **الأندلوسي** 1172هـ / 1758 م[10].

1 .2. الحياكة والخياطة: تعدّ الصوف من بين المواد الأولية الَّتي اعتمدت عليها الصناعة الجزائرية أثناء العهد العثماني لوفرة الإنتاج الحيواني. وساعدت العوامل الطبيعية والمناخية الملائمة لتربية الغنم، وقد انتشرت بشكل كثيف في مناطق المشريّة والبيّض

[1] م. ش. علبة 47 / 1 الوثيقة 47.
[2] م. ش. علبة 119 ـ 120 الوثيقة 37.
[3] م. ش. علبة 38 الوثيقة 5.
[4] م.ش. علبة 1/45 الوثيقة 45 .
[5] م.ش.علبة 35 الوثيقة 22.
[6] م.ش.علبة 116 الوثيقة 11.
[7] م.ش. علبة 49 الوثيقة 9.
[8] م.ش.علبة 2/5 الوثيقة 5.
[9] م. ش. علبة 1/45 الوثيقة 45.
[10] م. ش. علبة 123 الوثيقة 22.

والجلفة وتبسة وتيارت وثنية الحدّ[1]. تميّز صوف الجزائر بجودتها العالية ونقاوتها وبطولها وبطولها ورقتها[2]، وقبولها كل الألوان الَّتي يراد صبغها بها[3]؛ وكثرت مشاغل غزل الصوف بمدن عنابة والجزائر وبرشك ووهران وتلمسان[4].

وردت في الوثائق كلمة "الحوكي" وهو ناسج الصوف وبائعها،[5] وإذا رجعنا إلى القواميس العربية لا نجد هذه الكلمة، وإنما "الحائك" وجمعها " الحاكة ".[6] وربما تكون كلمة حوكي من اللغة الدَارِجَة، وقد اشتغل الأندلسيون في هذه الحرفة وتمّ الوصول إلى اسمين هما:

ـ **الحوكي** بن محمد **الأندلسي**[7].

ـ **الأوسط** محمد الخياط ابن سعيد **الحوكي الأندلسي**[8].

أما عن الخياطة فيقول عنها ابن خلدون عند حديثه عن صناعة الحياكة والخياطة بأنهما ضروريتين في العمران ويحتاج إليهما البشر[9]، وتعتبر الخياطة من أهم الصنائع الَّتي أتقنها ومارسها الأندلسيون في مدينة الجزائر، بدليل أنّ هناك كثيرًا من التأثيرات الأندلسية على اللباس الجزائري خاصّة لباس المرأة.

من أهم الخيّاطين الأندلسيين حسب الوثائق الأرشيفية:

ـ يحيا **الخياط الأندلسي** 1033هـ/ 1623م[10]. (الوثيقة 02)

---

[1] Golvin L., Op. Cit., t. I, p. 35.
[2] Giacobetti P., Les tapis et tissages du djebel - Amour., Paris, 1932, p. 3.
[3] Ibid, p. 9.
[4] Lombard M., Les textiles dans le monde musulman au 7 au 12ème siècle, Paris, la Haye, New York, 1978, p. 29.
[5] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 391.
[6] لويس معلوف، المنجد في اللغة والأدب والفنون، ط. 18، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، (د. ت)، ص. 162.
[7] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية ...، ص. 93
[8] م.ش. علبة 50 الوثيقة 22.
[9] عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة العلامة...، ص. 391.
[10] م.ش.علبة 82 الوثيقة 2.

ـ أبو زكريا يحي **الخياط** ابن يوسف **الأندلسي** 1064هـ/ 1653م[1].

ـ الأوسط **محمد الخياط** ابن سعيد **الحوكي الأندلسي**1065هـ/ 1654م[2].

ـ الحاج علي **الخياط صناعة** بن المرحوم بكر الحي القيوم عثمان **الحوكي الأندلسي** 1069هـ/ 1658م[3].

ـ **المكرم الحاج** علي **الخياط** صناعة **الأندلسي** 1069هـ/ 1658م[4].

ـ **أوسط** عبد الله **الخياط** ابن احمد شيخون **الأندلسي** 1073هـ/1662م[5].

ـ **السيد** حسين **الخياط الأندلسي** 1074هـ/ 1663م[6].

ـ **المعظم أوسط** حمودة الخياط بن محمد **الشريف الأندلسي** 1075هـ/ 1664م[7].

ـ **الحاج** أحمد **صناعة** ابن يوسف **الأندلسي** 1197هـ/ 1762 م[8].

ـ **الشاب المكرم** ابن العباس أحمد الزروق **الخياط** ابن احمد بن مسعود **الأندلسي** 1093هـ/ 1682 م[9].

ـ **الحاج** احمد **الخياط** صناعة بن إبراهيم **الأندلسي** 1126هـ/ 1714 م[10].

ـ **السيد محمد الخياط صناعة** بن **أسطا** احمد **الأندلسي المقفولجي** 1150هـ/ 1737 م[11].

ـ **السيد محمد الخياط** ابن احمد بن محمد **الأندلسي** 1156هـ/ 1743 م[12].

---

[1] م.ش.علبة 99 ـ 100 الوثيقة 38.

[2] م.ش.علبة 50 الوثيقة 22.

[3] م.ش.علبة 123 الوثيقة 39.

[4] م.ش.علبة 122 الوثيقة 6.

[5] م.ش.علبة 146 ـ 147 الوثيقة 14.

[6] م.ش.علبة 145 الوثيقة 13.

[7] م.ش.علبة 123 الوثيقة 4.

[8] م.ش.علبة 72 ـ 73 الوثيقة 32.

[9] م.ش.علبة 99 ـ 100 الوثيقة 54.

[10] م.ش.علبة 1/47 الوثيقة 47

[11] م.ش.علبة 76 ـ 77 الوثيقة 22.

[12] م.ش.علبة 2/5 الوثيقة 5.

- أبو عبد الله **السيد الحاج محمد الخياط صناعة** ابن محمد **الأندلسي** 1167هـ/ 1753 م[1].

- **المعظم** السيد الحاج احمد **الخياط الشريف** بن يحي **الأندلسي** 1182هـ/ 1768 م[2].

1 . 3. الصباولجية: الصباولجي هو صانع خيط القّنب وبائعه[3]، وقد وردت عند ابن شنب كلمة " سباولو" أو "صباولو" وهو الخيط الخشن الذي يصنع من مادّة القنّب[4]. يستخدم القنب في مجالات كثيرة كالأقمشة والثياب وكان رجال مدينة الجزائر يلبسون سراويل من القنب[5]. كما استعمل كخيط لطرح المطارح والوسائد.

تم العثور على اسم واحد لهذه الحرفة:

- **الحاج** قاسم **الصباولجي الأندلسي**[6].

1 . 4. صناع الشواشي: تعتبر الشاشية إحدى ملابس الرأس التي ترتديها المرأة والرجل وهي عبارة عن منسوج دائري على شكل قلنسوة أو طاقية.[7] ويبدو أن اسمها جاء منسوبا منسوبا إلى منطقة "شاش" الواقعة في مدينة الري الإيرانية[8].

عيّن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور[9] خلال القرن 2هـ/8م محمد بن الأسد واليا واليا على إفريقية للقضاء على ثورات الخوارج. فجلب هذا الأخير حوالي 30.000 جنديا من بلاد فارس، وكان من بينهم من ينحدر من منطقة شاش. فاستقروا في مدينة القيرروان وخصّصت لهم دكاكين يصنعون فيها الشاشية التي كانت تسمى "القيروانية "[10].

---

[1] م.ش.علبة 80 الوثيقة 10.

[2] م.ش.علبة 1/10 الوثيقة 10.

[3] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 392.

[4] Ben cheneb M., Mots … , p.48.

[5] رينهات دوزي، المعجم المفصّل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2012م، ص. 183.

[6] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 88.

[7] Dozy E. , Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes, Amesterdam, 1849, p. 305.

[8] Ben cheneb M., « Origine du mot chachiyya » in Rev. Afr., 1907, p. 56.

[9] أبو جعفر المنصور: يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة العباسية (136هـ - 158هـ /745م - 775م).

[10] Al – annabi M., « La chechia tunisienne » in Etudes sur les morisques andalous en Tunisie, direccion General de Relaciones Culturales, Madrid, 1973, p. 305.

هاجر بعض صناع الشواشي في الفترة الأغلبية [1] إلى بلدان قريبة كالمغرب والأندلس واستقروا في مدينة قرطبة وطليطلة وغرناطة، وبفضلهم تطورت هذه الصناعة وأصبحت معروفة ومتداولة بكثرة في أغلب المدن الأندلسية[2].

تعتبر صناعة الشاشية في الجزائر من بين الصناعات التي كانت موجودة قبل حلول الأندلسيين ونهضت بفضل اعتنائهم بها، فأصبح لها سوق خاص بمدينة الجزائر عرف بسوق الشواشي. وقد اختص الأندلسيون بمدينة الجزائر بصناعة نوع جيّد من الشاشية من الصوف المعالج، من بينهم عائلة "بوناتيرو" بحي باب الوادي. وقد لقيت الشاشية الجزائرية رواجا كبيرا في أسواق الشرق خاصة تونس واسطنبول[3]. ورغم هذه الشهرة فقد تعرّضت هذه الصناعة في القرن 12هـ/18م إلى الضعف والتراجع فانحطت نوعيتها وتناقص المشتغلون بها هذا ما سمح للشاشية التونسية أن تغزو الأسواق الجزائرية[4].

لبست المرأة الشاشية، وهي عبارة عن قبعة اتّخذت شكلا مستديرا تقطع الأشكال الزخرفية على ورق مخصّص للرسم، ثم تطبّق على القطيفة المبطّنة بجلد رقيق وتكسى بالديباج أو القطيفة[5]. (الصورة 30)

[1] الأغالبة: ينتسب الأغالبة إلى إبراهيم بن الأغلب، حكموا تونس وجزء من الجزائر، وكانت عاصمتهم القيروان.
(184هـ - 296 هـ / 800م - 909م) أنظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر...، ج. 1.

[2] Al – annabi M., Op. Cit. , p. 305.

[3] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 53.

[4] Venture de paradis, Op. Cit., p. 280.

[5] Ougouag- Kezzal C., « Le costume et la parure de la mariée à Tlemcen » in Lybica,t. 18, 1970 , Alger, p. 259.



الصورة 30: أداة صنع الشاشية
المتحف العمومي الوطني أحمد زبانة
عن: سمير بوتيش

تطرز الشاشية بالخيوط الذهبية أو الفضّية وتضاف إليها رقاقات االزركشة، وفي بعض الأحيان ترصع بالأحجار الكريمة والمجوهرات، وبقطع نقدية ذهبية فيثقل وزنها وتصبح صلبة مما يستلزم تبطينها من الداخل، وقد اقتصر هذا النوع على المرأة الغنّية وتلبس في أيام الأعراس والحفلات [1]. وخلال القرن 12هـ/18م قل ارتداء الشاشية وأصبحت تغطى بالمحرمة، لكنها ظلت تلبس من طرف الفتيات العازبات تحت اسم "قنبات" وكانت تثبت تحت الذقن بواسطة خيط رفيع [2]. (الصور 31 و32)

[1] Boyer P., Op. Cit. , p. 157.

[2] شريفة طيان، ملابس المرأة بمدينة...، ص. 128.



الصورة 31: شاشية من القماش مطرزة بالخيوط الذهبية ورقاقات الزركشة، مدينة الجزائر
القرن 12هـ 13هـ/ 18م - 19م،(ق.: 10 سم، إر.: 3,5سم)
II.T.b.52، المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.



الصورة 32: شاشية مزينة بقطع ذهبية
عن: شريفة طيان

لبس الرجل الشاشية وتكون في أغلب الأحيان حمراء اللون ملساء لا تحتوي على زخارف صنعت من قماش الجوخ. والجوخ هو قماش منسوج يندف وجهه بطريقة آلية لخلق السطوح الوبرية بحيث يبدو وجه وظهر القماش متشابهين[1].(الصورة 33)



الصورة 33: شاشية رجل من الجوخ الأحمر مطرزة بخيوط ذهبية، مدينة الجزائر
القرن 12هـ - 13هـ/ 18م - 19م، (ق.: 16 سم، إر.: 8 سم)
C.x.171، المتحف العمومي الوطني الباردو - الجزائر -

ضمت الوثائق مجموعة من صنّاع الشواشي بمدينة الجزائر منهم:

- **الناسك** الحاج علي **صانع الشواشي** ابن حسن **الأندلسي** 1074هـ/1663م[2]. (الوثيقة 04)
- **الناسك الحاج** حمودة **صانع الشواشي** ابن **الحاج** احمد **الأندلسي** 1075هـ/1694 م[3].
- **المكرم الحاج** إبراهيم **صانع الشواشي** بن محمد **الأندلسي** 1110هـ/ 1698 م[4].
- **المكرم** علي **صانع الشواشي** بن احمد وفاطمة بنت علي **الأندلسي**1151هـ/1698م[5].

---

[1] عائشة حنفي، " لباس الرأس والقدم لرجال مدينة الجزائر في العهد العثماني" ، حوليات المتحف الوطني للآثار، ع. 11، 2002 م، ص. 72.

[2] م.ش.علبة 16/ 1 الوثيقة 16.

[3] م.ش.علبة 117 - 118 الوثيقة 24.

[4] م.ش.علبة 101 - 102 الوثيقة 23.

[5] م.ش.علبة 44 الوثيقة 3.

ـ **أوسطا محمد صانع الشواشي** ابن المعلم **صانع الشواشي الأندلسي** 1151هـ/1738 م[1].

ـ **الحاج** إبراهيم **صانع الشواشي** بن محمد 1172هـ/ 1758 م[2].

عرفت مدينة البليدة أيضا صناعة الشواشي وذكرت الوثائق أسماء من بينها:

ـ أصحاب البطان المعد **لصناعة الشاشية** بالبليدة وهم الحاج علي بن أحمد الفهري الأندلسي وشركاؤه[3].

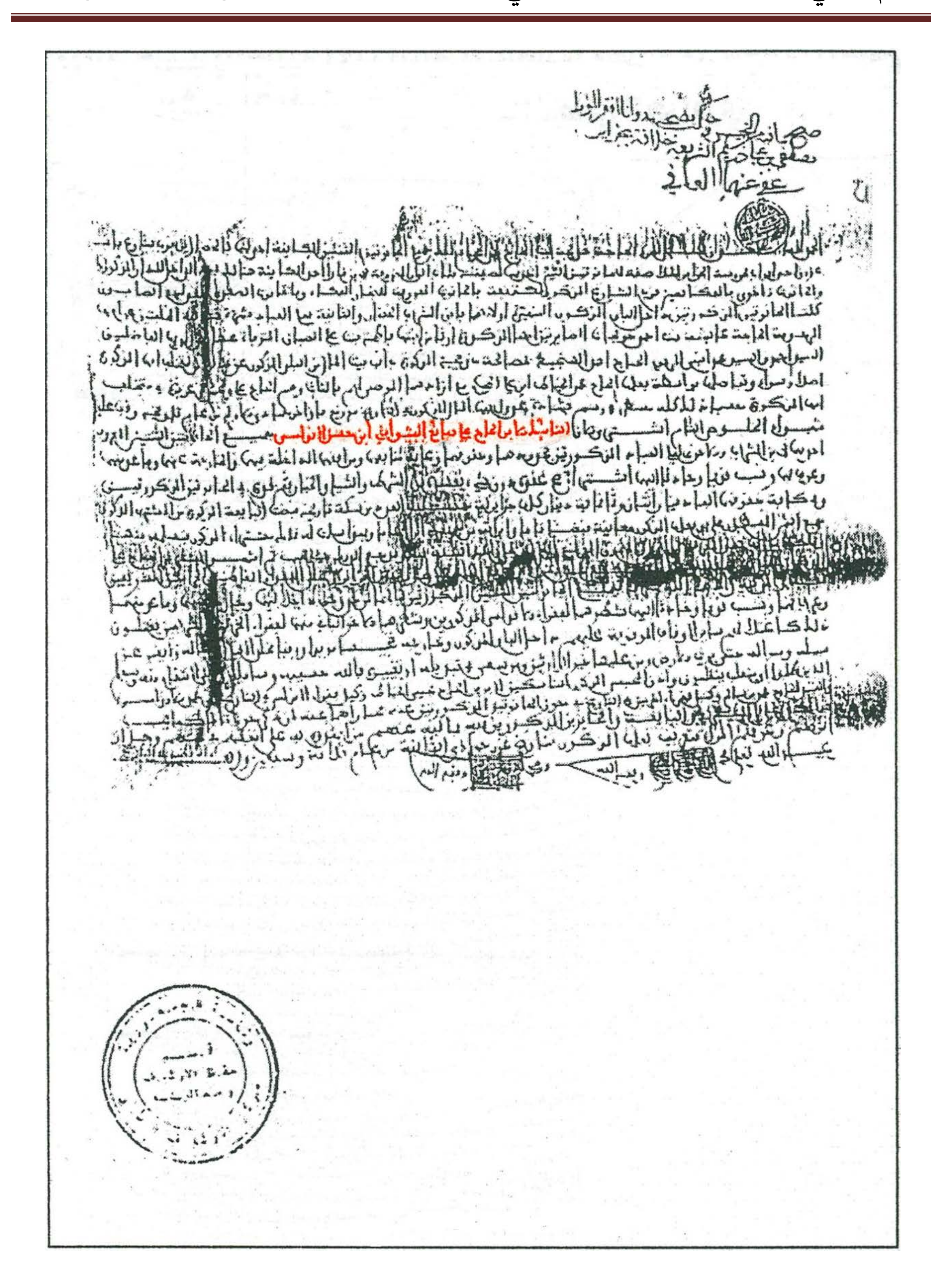
يقصد بكلمة " البطان " الصانع الَّذي يتولّى تبطين الشاشية من الداخل، لكي تستقيم الشاشية وتكون صلبة غير ليّنة.

---

[1] م.ش.علبة 87/ الوثيقة 55.

[2] م.ش.علبة 2/101 الوثيقة 5.

[3] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 93 .



الوثيقة 04: عقد شراء وتحبيس حانوتين من طرف " الحاج علي صانع الشواشي ابن حسن الأندلسي".

عن: حنيفي هلايلي.

1 . 5. القاوقجية: القاوقجي أو القوقجي هو صانع القلنسوة الطويلة وبائعها،[1] و"القاوق" أو "القوق" عبارة عن طاقية أو قلنسوة طويلة من الصوف أو القطيفة تكون مبطنة بقماش وتتخذ شكل مخروط. لبستها المرأة في مدينة قسنطينة وتلمسان[2]. يصل علوها إلى حوالي 0,20م توضع بشكل مائل وتثبّت في أسفل العنق برباط جلدي أو نسيجي ضيق[3].

يبدو أن القلنسوة لا تختلف عن الشاشية كثيرا، ففي القرن 6هـ/12م كانت هاتان الكلمتان مترادفتين، غير أن القلنسوة تتميّز بنهايتها المدّببة[4]. تعدّ القلنسوة أكثرَ لباس الرأس شيوعا في غرناطة، فقد كان المسلمون من أبناء الطبقة الراقية يغطون رؤوسهم بقلنسوات عالية مدببة أو مخروطية[5]. (الصورة 34)

تم العثور على اسم واحد وهو: **الحاج محمد القاوقجي** [6].



الصورة 34: قلنسوة مخروطية الشكل من القطيفة مطرزة بخيوط ذهبية، الجزائر

القرن 12هـ - 18هـ/ 13م - 19م، (ق.: 15سم، إر.: 18سم)

C.x.176، المتحف العمومي الوطني الباردو - الجزائر.

---

[1] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 393.

[2] Ben cheneb M., Mots ..., p.67.

[3] Ougouag- Kezzal C., « Le costume et la parure… » ,p. 258.

[4] Marçais G., Le costume musulman d' Alger, Paris, 1930, p. 85.

[5] Ariè R., L'Espagne musulmane au temps des Nasrides (1232 – 1492), Paris, 1990, p. 386.

[6] م.ش. علبة 99 – 100 الوثيقة 12.

1 . 6 . الكبابطية: الكبابطي هو من يبيع الكبابط أو يصنعها والكبابط جمع كَبُوط وهو نوع من اللباس الرجالي يشبه المعطف[1]. أرجع دوزي أصل كلمة كبوط إلى اللغة الإسبانية (capote) التي تسلّلت إلى الأندلس ومنها إلى بلاد المغرب[2]، وقد عرف هذا المعطف المقلنس في الأندلس وكان يلبسه المسيحيون وهو يشبه إلى حدّ ما الكبوط الإسلامي. وكان الجنود الأتراك يرتدونه عندما يذهبون إلى الأرياف[3]. ومع بداية القرن 11هـ/17م إنتقل إلى الشباب الَّذين كانوا يجوبون البحار[4].

يكون الكبوط غالبا قصيرا وبأكمام طويلة وبغطاء للرأس ملتصق به، ويصنع من الصوف الخشنة[5]. وقد استمر لبسه حتى القرن 14هـ/20 م في مدن الجزائر وتلمسان وقسنطينة وعنابة، وقد كان يهود تلمسان هم الَّذين يتولون صناعته وكثيرا ما يزخرف من الأمام والخلف بخيوط من الصوف الملون[6]. (الصورة 35)

ومن أسماء الكبابطية الأندلسيين يمكن ذكر:

ـ محمد **الكبابطي** بن محمد **الأندلسي**[7]. (الوثيقة 05)

ـ سليمان **الكبابطي الأندلسي**[8].

[1] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص. 246.

[2] رينهات دوزي، المرجع السابق، ص. 336.

[3] Marçais G., Le costume musulman…, p. 78.

[4] Laugier De Tassy., Op. Cit., p.60.

[5] Rozet M., Op. Cit., t. 2, p. 55.

[6] Bel A., Ricard P., Op. Cit., p. 128.

[7] م.ش.علبة 5 الوثيقة 5.

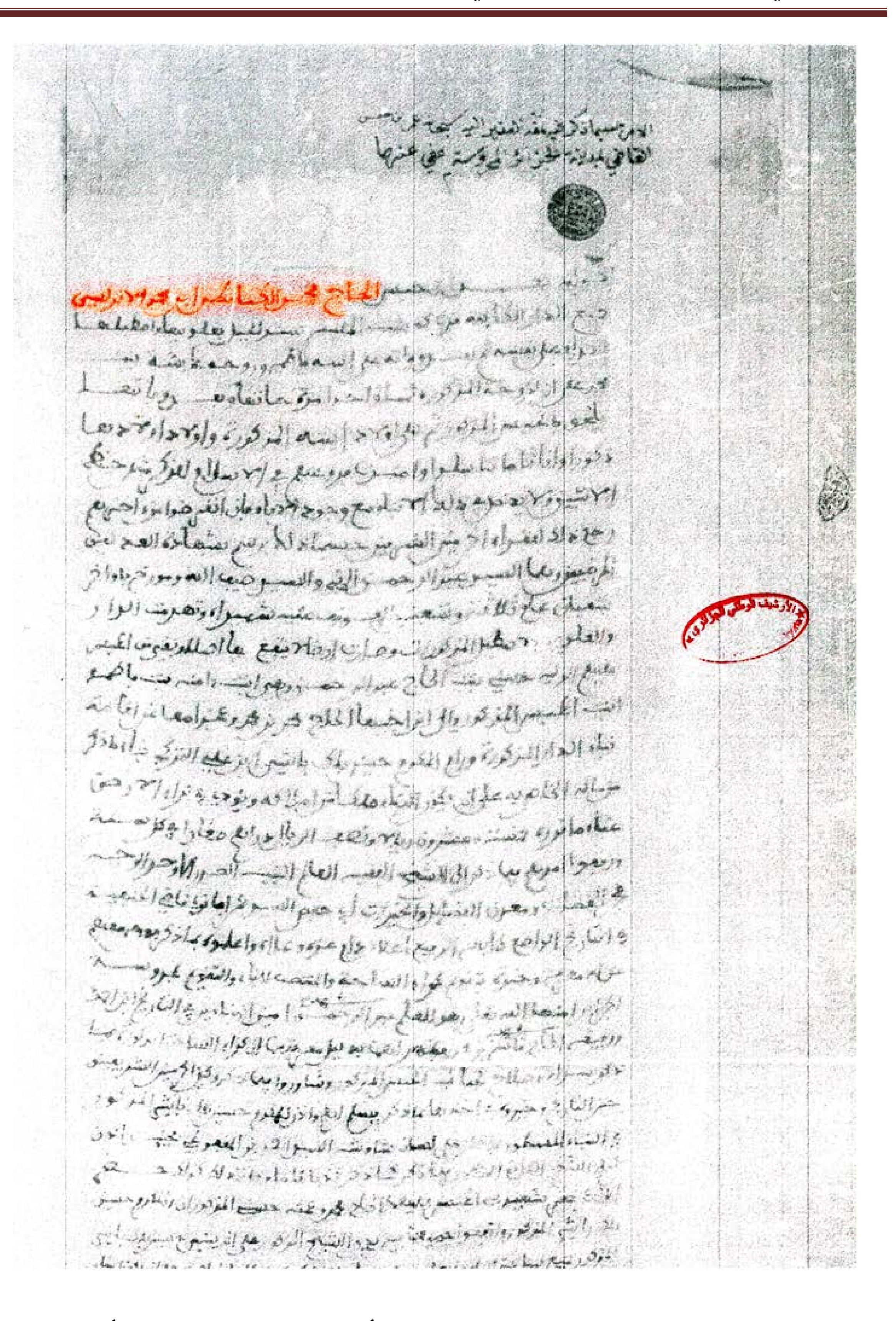
[8] أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر…، ج1، ص. 240.





الصورة 35: رجل من مدينة تلمسان يرتدي كبوطا

عن: Bel A



الوثيقة 05: تحبيس الحاج "محمد الكبابطي الأندلسي" دارا على فقراء الأندلس

عن: الأرشيف الوطني الجزائري.

2. التقنيات الصناعيّة

2 . 1. الغزل وأنواله

2. 1. 1. غزل الحرير: أدّى الأندلسيون دورا كبيرا في غزل الحرير ونسجه ليس في الجزائر فقط، وإنما في تونس والمغرب كذلك، ويعود لهم الفضل في تطوير هذه الصناعة الفاخرة[1]. والغزل هو تحويل الألياف والشعيرات إلى خيوط صالحة ومنتظمة للعمليات النسيجية المختلفة ويأتي بعد الغزل عملية النسج وفيها تحوّل الخيوط بعد ظفرها وجدلها إلى شبكة متينة موحّدة للحصول على قطعة قماش أو نسيج[2]. (الصورة 36)



الصورة 36: دولاب الغزل أو الناعورة

المتحف العمومي الوطني الباردو ـ الباردو ـ

[1] Golvin L., « Le métier à la tire des fabricants de brocart à Fés », in Hesp, t. 37, 1950, pp : 39 - 40.

[2] Golvin L., les arts populaires ..., t. I, p. 109.

يتمّ غزل الحرير بطريقتين الأولى يدوية والثانية آلية، يتمثل الغزل اليدويّ في حلّ غزل الفيالج للحصول على حزمة من الخيوط وتمريرها إلى عملية الفتل. وقبل البدء في عملية الفتل ينظف الحرير ويبلّل بغمسه في الماء، ثم يقسّم إلى مجموعات من الخيوط الموحدة الوزن. ويوضع على مكّب وهو عبارة عن قطعتين خشبيتين على شكل الحرف اللاتيني (T)[1]. (الصورة 37)

يتكوّن هذا المكبّ من بكرتين متشابهتين ومتناظرتين تقعان على بعد مسافة متساوية تدخل ربطة الخيوط في الركيزة وتنظمها على البكرتين، وقبل أن تبدأ عملية لف الخيط يجب الانتباه إلى توازن البكرات بحيث إذا جر الخيط ينفك هذا الأخير بحرية ويلتوي حول عجلة خفيفة من القصب، يدوّره العامل بيده اليمنى. وعندما تجدل كمية كبيرة من الحرير تكون كافية لتكوين ربطة تسحب ثم تربط[2].



الصورة 37: آلة كب خيط الحرير

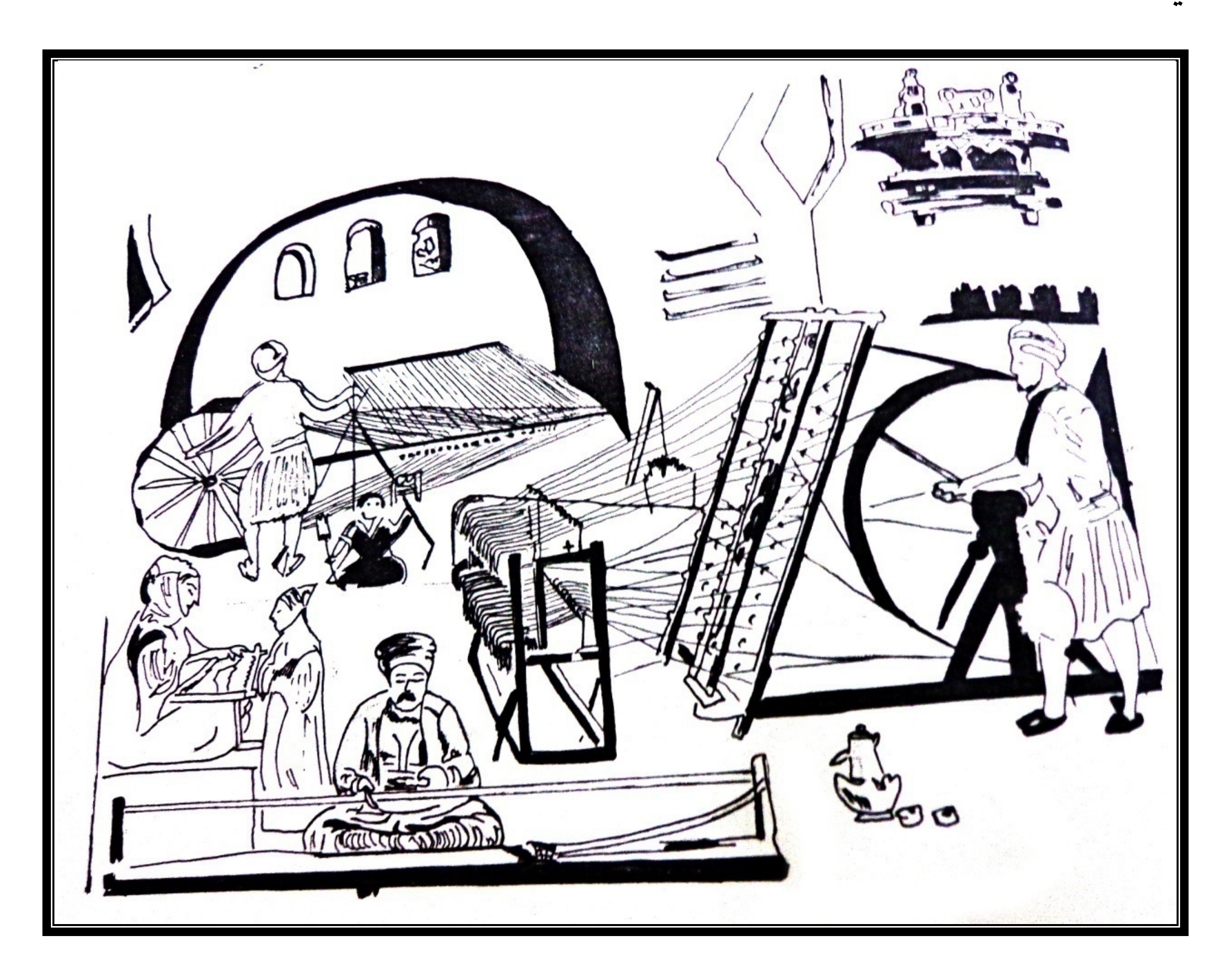
المتحف العمومي الوطني الباردو ـ الباردو.

[1] Laloë G., Enquête sur le travail des femmes indigènes à Alger, Alger, 1910, p. 35.
[2] Ibid, p. 37.

أما الغزل الآلي فيستعين فيه العامل بنولين لفتل الخيوط الحريرية:

يعرف الأول باسم " **برلّة** ": وهو عمودي ومائل قليلا يحتوي على اثنين وثلاثين زوجا من المغازل موضوعة على قضبان تتحرّك بواسطة حزام تسند إلى هيكل خشبي. يتكوّن بدوره من دولابين متراكبين يتحركان بالعجلة الرئيسية عن طريق حبل على شكل رقم 8[1]. (الشكل 08)

يعرف الثاني باسم " **الطورنو**": يخصّص أساسا لإعادة فتل الخيوط الحريرية المخصّصة للخياطة والطرز، يتكّون من قسمين أحدهما متحرّك على عجلة، والآخر ثابت في شكل شبيكة مثبتة على الجدار بها عقف حسب عدد المغازل أو الخيوط المراد فتلها[2].



الشكل 08: أنواع الأنوال المستعملة في فتل الحرير

عن: شريفة طيان

[1] شريفة طيان، ملابس المرأة بمدينة ....، ص. 37.

[2] نفسه، ص. 38.

2. 1. 2. غزل الصوف: تكون عملية جزّ الصوف عادة في فصل الربيع، فبعد غسلها وتبيضها بمادّة الجبس أو بصابون طبيعي[1]، تمشّط الصوف ثم تغزل باستعمال المغزل والمردن. يتكون المغزل من قضيب خشبي لا يتعدّى طوله 20 سنتم، مزوّد في حافته بصفيحة معدنية أو خشبية تسمى "صنارة"، أما المردن فيطلق عليه في الجزائر باسم "الرّقة" وهو عبارة عن قصبة طويلة تتراوح طولها ما بين 70 إلى 80 سم وهي ملفوفة في إحدى نهايتيها على عمق 5 سم[2].(الصورة 38)

غالبا ما تقوم المرأة بعملية الغزل حيث تثّبت المغزل تحت ذراعها الأيمن، وتلفّ الفتيلة المثبتة في صنارة المغزل بين السبابة والإبهام بيدها اليسرى. وبيدها اليمنى تحرّك المغزل بحركة دوران سريعة وتجعّد الفتيلة بجذبها بطريقة سلسة. وبهذه العملية تحِوّل الصوف إلى خيوط صلبة بأطوال وأسماك مختلفة، ثم تصنف وترتّب حسب طولها وتكبّب على شكل لفائف كبيرة[3].



الصورة 38: المغزل

المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة

[1] Golvin L., les arts populaires…, t. I, p. 65.

[2] Bel A ., et Ricard P., Op. Cit., p. 27.

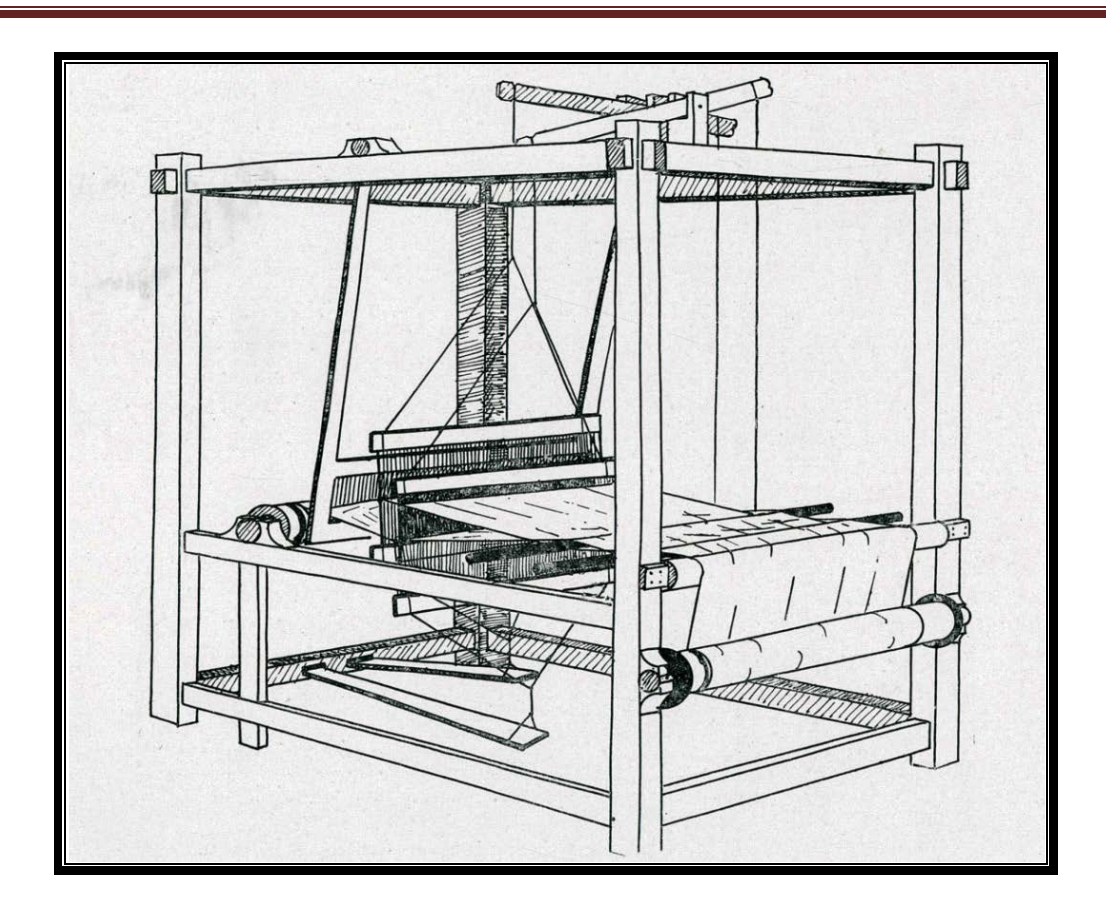
[3] Giacobetti P., Op. Cit., p p: 8 - 9.

2 . 2. النسج وأنواله

2. 2. 1. نسج الحرير: تأتي بعد عميلة الغزل عملية النسج، وفيها تحول الخيوط الحريرية إلى أقمشة، وذلك بتقاطع خيوط السدى والَّتي تكون خيوطها مفتولة وممتدة بشكل متوازي فيما بينها على المنسج مع خيوط اللحمة التي تتعامد معها من طرف لآخر مرورا فوق أو تحت الخيوط الطويلة. ونتحصل بهذا التقاطع على نسيج. ويستعمل في النسج نوعان من الأنوال، أنوال عادية وأنوال السحب والجبد الخاصّة بالأقمشة الثمينة.

أـ النول العادي: يتكّون من أربعة قضبان خشبية تثبت عموديا على سطح الأرض لتشكّل هيكل علبة مستطيلة، تجمع هذه القضبان الأربعة من أطرافها العلوية بقضبان أخرى أفقية للمسك والربط. كما تثبت خشبة أسطوانية أفقية بين القضيبين العموديين الأماميين، ويقابلها قضيب مزوّد بمدورة ومثبت بأوتاد يمنع ارتخاء الخيوط وقت النسج ويستلم القماش الَّذي تم نسجه. يضاف إلى ذلك قضبان أخرى تحتوى على حلقات صغيرة، ترفع وتنزل قسما من خيوط السدى الَّتي تمرّ من خلالها خيوط اللحمة، كما زود النول بإطار به مشط يضغط على خيوط اللحمة اَلّتي مرّت من قبل بين خيوط السدى لتمرّ عبر حلقات، خصصت كل حلقة منها لخيط من خيوط السدى. تحرك هذه الإطارات بواسطة حبال مربوطة بمدواسين تلمس قدم النسّاج مرورا بالأوتاد الجانبية المعلّقة[1]. (الشكل 09)

[1] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 150.



الشكل 09: النول العادي

عن: Golvin L

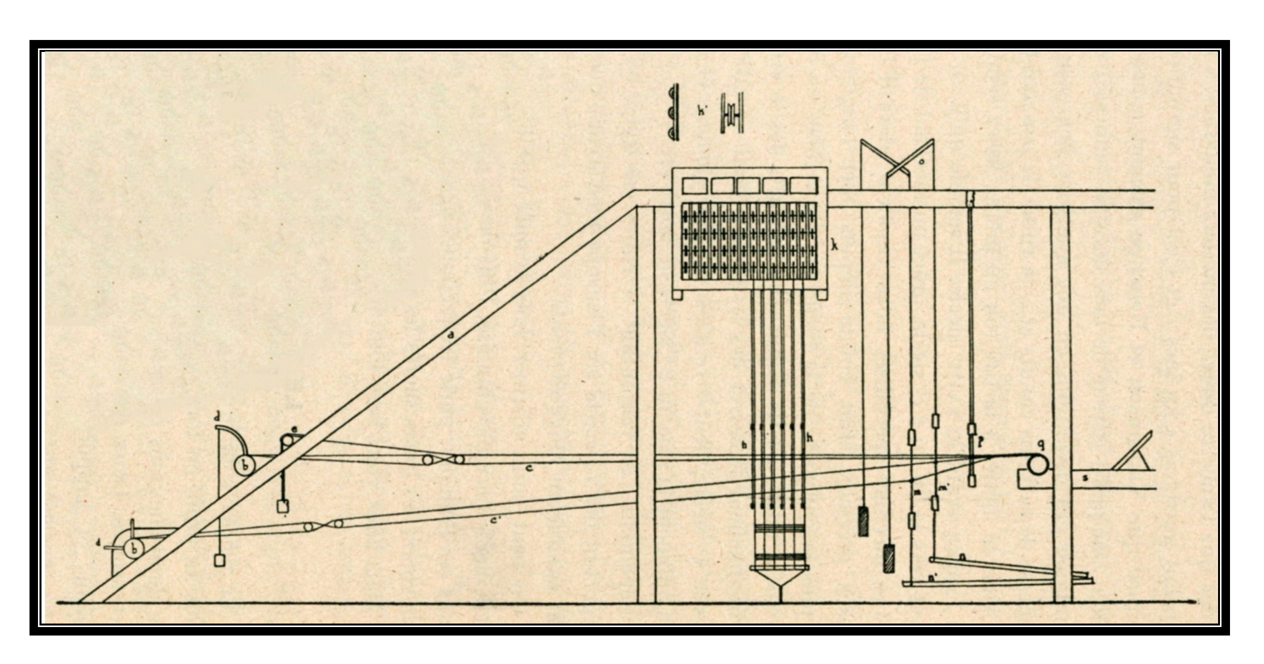
ب ـ نول السحب والجبد: يستعمل هذا النول في المنسوجات الحريرية الثمينة كالديباج والدمشقي ذات الزخارف المعقّدة. ويتشكّل من هيكل خشبي على شكل شبه منحرف ومن خاصيته أنه يحتوي على غطاءين من خيوط السدى. يخصّص الغطاء الأول لنسج الأرضية ويخصص الغطاء الثاني لتشكيل الزخرفة[1]. كما يحتوي على رافعة معلقة تشدّ غطاء السدى العلوية، وفوق قضيب مرتكز على قاعدة خيطين معلقين في قضيب آخر صغير ومشدودين بعصا مزودة بحصيتين.

يشمل النول على عدد كبير من صفائح السدى تحوي على خيوط، يوجد على يمينه ست صفائح تكّوِن المنسج، تتّصل من القاعدة بمدوسين يحركهما النسّاج، وتتصل بجهاز على شكل عاتق الميزان، وكل عاتق يحمل ثقل موازن. يتطلب هذا النول نسّاجيْن

[1] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 151.

النسّاج الأول هو النسّاج الرئيسي والثاني مساعده، ويقوم كل واحد منهما بتمرير المكوكات على ألوان مختلفة وبعملية الجبد والسحب للخيوط المتعددة الألوان تظهر زخرفة ملونة[1]. (الشكل 10)

أما في المنسوجات الحريرية البسيطة والّتي لا تتطلب زخارف معقدة فيمكن نسجها في أنوال بسيطة خاصة بالحرير تحتوي على ست صفائح، يعرف هذا النول بالجزائر باسم "المرمى" وفيه يستعين النسّاج بمكوك يعرف باسم "النزاق" يدخل فيه الخيوط الذهبية أو الفضية أو الحريرية في الصف الأفقي للخيوط الحريرية ليظهر المنسوج ناعما، وفي نفس الوقت يقوم صانع في الورشة بتنظيف نُسالة[2] الحرير بأداة تسمى " فَزَاز" يمسكها بيده ويمسك باليد الآخرى مقصا يصنع بهذا النول الأحزمة والبنايق والمناديل والفوط[3].(الشكل 11)



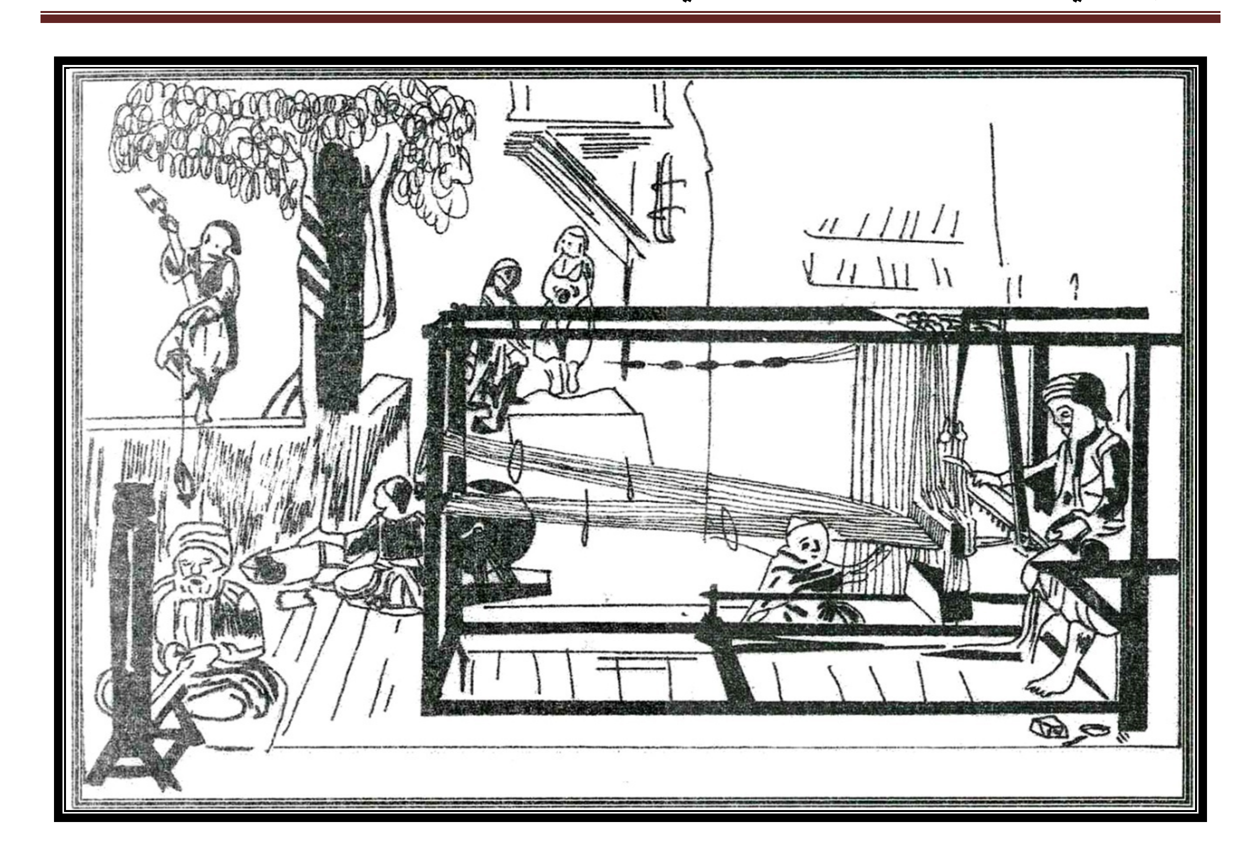
الشكل 10: نول الجبد والسحب

عن: Golvin L

[1] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 151 ـ 152

[2] نسالة: هي عبارة عن خيوط حاشية الحرير التي تنسل من المنسوج.

[3] Eudel P., L'orfèvrerie algérienne et tunisienne, Adolphe jourdan, Alger, 1902, p. 207.



الشكل 11: نول لنسج الحرير

عن: شريفة طيان.

2 . 2 . 2. **نسج الصوف:** يستعمل في نسج الصوف النول العادي، أما الطريقة فهي بسيطة وليست معقّدة، وتعتبر خيوط السدى بمثابة الهيكل العَظْمي الَّذي تنسج عليها مادة الصوف، فبواسطة المرور المنتظم لخيوط اللحمة على خيوط السدى تتشكّل شرائط أفقية أحادية اللون أو متعددة الألوان[1]. وغالبا ما يكون النسيج الأحادي اللون قليل الأهمية من الناحية الجمالية، إذ ينسج عادة للاحتياجات اليومية كالأغطية والألبسة الرجالية والنسائية البسيطة كالجلابيب والبرانس والحائك[2]. أما طريقة النسج الملّون فنحصل عليه باختلاف الألوان. فبعد أن تنسج عدة خطوط بلون معين تتبعها خيوط بلون ثانٍ وثالث ورابع وهكذا. وإذا أراد النسّاج إدخال مواد أخرى مثل الصوف والحرير، فتنسج

[1] Delaye A., Notions pratiques de tissage manuel sur métier à hautes lisses, Alger, 1928, p. 122.

[2] Bel A ., et Ricard P., Op. Cit., p p: 106 – 108.

عدة خيوط من مادة الصوف ثم عدة خيوط من مادة الحرير تتبعها خيوط أخرى من الصوف وهكذا[1].

ثانيا: الفنون الجلدية

احتلت الصناعات الجلدية في الجزائر في العهد العثماني مكانة هامّة، لاعتمادها على مادّة الجلد المتوفرّة نظرا لوفرة الماشية، بحيث كانت تلبّي حاجات البلاد وتصدّر إلى الخارج. فكان الشرق الجزائري يشتمل على كثير من الأراضي الخصبة الشاسعة والمراعي الَّتي تكثر فيها أنواع المواشي، خاصة البقر الَّذي كان يزيد عن الكفاية، فيصدّر منه إلى الخارج[2]، إذ بلغت صادرات الجزائر سنة 1232هـ/ 1822م عشرة آلاف قنطار من الجلد الخام[3]. كما اعتبرت صناعة الجلود من بين الحرف المهمة الَّتي تصدرت قائمة الصناعات، بدليل أنّ كمية الجلود المصدرة هي نفسها الَّتي يتمّ تصنيعها داخل الوطن[4]. وساهمت الجالية الأندلسية مساهمة كبيرة في هذه الصناعة، إذ كانت تمثل 12% من مجمل الحرف الأخرى، وتأتي بعد صناعة النسيج[5].

تميّزت مدينة الجزائر بوجود مشغلين أو ورشتين خاصة بدباغة الجلود، وجدت الورشة الأولى داخل المدينة، عرفت بدار الدباغة العربية، حيث كان الأندلسيون يمارسون نشاطهم. أما الورشة الثانية فكانت خارج أسوار المدينة تعرف بدار الدباغة التركية وهي خاصة بالعنصر التركي[6]. وكانت تصنع من هذه الجلود المصبوغة السروج والألجمة والأحذية النسائية والرجالية والمحافظ والحقائب وحوامل المسدسات وحوامل الخراطيش[7] يصدر الكثير منها إلى تركيا. فكان يخرج من ميناء مدينة الجزائر من 20000 إلى

---

[1] Delaye A., Op Cit., p. 123.

[2] محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص. 97.

[3] وليام شالر، المصدر السابق، ص. 103.

[4] Shuval T., La ville d’Alger vers la fin du XVIII ème siècle population et cadre urbain, France, 1998, p. 133.

[5] Ibid, p. 133.

[6] زهية بن كردرة، أسواق مدينة...، ص. 128.

[7] ساجية عاشوري ، "صناعة الجلود بمدينة الجزائر في العهد العثماني"، في كتالوج: فن الفروسية في الجزائر القرن 18م و19م، وزارة الثقافة، المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة، (د. ت)، ص. 16.

25000 قطعة محمّلة على خمس أو ست بواخر. وكان يطلق على الشخص الَّذي يقوم بمراقبة هذه المواد الأولية "خوجة الجلد"[1].

تعدّ قسنطينة أهم مدينة في الصناعة الجلدية. فحسب دراسة إحصائية قائمة على جرد أسماء الحرفيين والصنّاع المسجلة أسماؤهم في سجّل المحاكم الشرعية للمدينة والمؤرّخة بسنوات 1205 ـ 1210هـ/1790م ـ1795م، فإنّه تبين أن الصناعات الجلدية تأتي في مقدّمة الصناعات بنسبة 44,41 %. وبلغ عدد الدبّاغين 86 دباغا، وعدد السرّاجين 61 سراجا، وعدد الخرّازين 33 خرازا، وعدد الشبارلية واحد[2].

يظهر أنّ الصنّاعات الجلدية في قسنطينة هي الأكثر حضورا والأكثر عددا، وهو ما يعكس عدد الورشات المخصّصة لها، والَّتي قدّرها الاستعمار الفرنسي سنة 1840م ب 33 ورشة لصباغة الجلود و75 ورشة للسرّاجين و167 ورشة للإسكافيين[3].

أما في تلمسان فقد ساهم الأندلسيون في هذه الصناعة، إذ سيطروا على مصانع الأسرجة والإسكافة[4]. ورافقوا مهاراتهم بطرز المجبود لإنجاز السروج وجعبات الفشك[5].

1 . الصناعات الجلدية ومجالاتها

تنوعت الصناعات الجلدية وظهرت حرف ساهم فيها الأندلسيون كالبابوجية والشبارلية والخرازة.

1. 1 . البابوجية: البابوج أو البابوش، يعود أصل كلمة بابوش إلى اللغة الفارسية، وهي تتكون من "**با**" وتعني رجل و"بوش" بمعنى يغطي[6]. أُدخل البابوش إلى الجزائر في بداية

[1] خوجة الجلد: هو الشخص الذي بيده مفاتيح فندق الجلود، لكون تجارة الجلد كانت احتكارا محصورا على الدولة دون التجار الخواص. أنظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات...، ص. 234.

[2] عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني دراسة عمرانية أثرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2009 ـ 2010، ص. 163 ـ 164.

[3] ـ أندري برنيان وآخرون، المرجع السابق، ص. 204.

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج. 1، ص. 220.

[5] Ougouag- Kezzal C., « Bref aperçu… » , p. 345.

[6] Ben cheneb M., Mots…, p. 14.

القرن 11هـ/17م عن طريق الأتراك العثمانيين،[1] وهو عبارة عن خف مسطح بدون العقب الخلفي وليس له كعب. وكان يلبسه الرجال والنساء على السواء في كلّ من مدينة الجزائر[2] وتلمسان وقسنطينة كما عرف في تونس والمغرب[3].

ينتعل الرجال بابوشا من الجلد الأصفر[4]، بينما تنتعل النساء بابوشا مزيّنا من الأمام بشرابات حريرية بمختلف الألوان ومطرّزا بالخيوط الذهبية. وأحيانا يكون مدبّبا من الأمام ويحمل طزرا مذهبا كثيفا[5]، وقد يصنع بابوش المرأة كذلك من القطيفة أو الجلد ويطرّز كلّيا بالخيوط الذهبية[6].

احتلت حرفة البابوجية مكانة معتبرة في الصناعة المحلية، وتميّز صنّاع البابوش بمهارة فائقة في تصميم الأشكال وإعدادها[7]. ومن بين أسماء صناع البابوج الأندلسيين التي وردت في الوثائق المدروسة:

. أبو العباس **الحاج** أحمد بن محمد **الأندلسي** 1057هـ/1648م[8].

1 . 2 . الشبارلية: الشبارلي هو الصانع المختص في الحذاء النسوي، أخذت الكلمة من اللاتنية "كبرلة" أي العنزة الصغيرة أو الجلد الصغير، لأن جلدهما طري لصناعة الأحذية[9]. ويطلق على جلد الماعز اسم السختيان أو الفيلالي نسبة إلى منطقة تافيلالت بالمغرب الأقصى[10].

---

[1] شريفة طيان، لباس المرأة ....، ص. 136.
[2] Arvieux Ch., Mémoires du chevalier d'Arvieux, t. 5, Paris, 1735, p. 281.
[3] Marçais G., Le costume…, p. 110.
[4] Venture de Paradis, Op.Cit., p. 303.
[5] Marçais G., Le costume .., p. 110.
[6] شريفة طيان، لباس المرأة...، ص. 137.
[7] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص.231.
[8] نفسه، ص.239.
[9] عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص. 59.
[10] Vackon M., Les industries d'art indigènes en Algérie, Alger, 1902, p. 50.

تعتبر الشبرلة حذاءً نسويّا مصنوعا من جلد الماعز، تلبسه المرأة خارج البيت تطرز الشبرلة بخيوط ذهبية أو فضية[1]. وشاع استعمالها في مدن الجزائر وشرشال والبليدة[2].

خلال القرن 13هـ/19م تغير شكل الشبرلة عدّة مرّات؛ إذ كانت فرغة الحذاء مربّعة ثم أصبحت دائرية وأخيرا مستدقّة الرأس[3]. وقد ساهم الأندلسيون في صنعها[4]. ومن ومن بين أسمائهم:

- علي **الشبارلي الأندلسي**[5].

1 . 3 . المقفولجية: المقفولجي هو صانع الحذاء المعروف بالمقفول وهو الاسكافي أيضا[6].

تم رصد ثلاثة أسماء في الوثائق:

- **أسطا** احمد **الأندلسي المقفولجي** 1150هـ/ 1737 م[7].
- **الحاج** أحمد **الأندلسي أمين جماعة المقفولجية** 1075هـ/ 1674م[8].
- مصطفى **المقفولجي الأندلسي**[9].

1 . 4 . الخرازة: أخذت كلمة خراز من فعل " خرز" بمعنى ثقب، ويقال خرز الجلد أي ثقبه بالمخرز وخاطه، والخرّاز هو صانع ذلك وحرفته الخرازة[10]. وحسب Mercier فإن الخرّاز هو الإسكافي[11].

---

[1] Marçais G., Le costume .., pp : 110 – 111.
[2] Baghli O., Chaussures traditionnelles algériennes, SNED, Alger, 1977, p. 40.
[3] Marçais G., Le costume ..., p. 111.
[4] Missoum S., Alger…, p. 62.
[5] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية ...، ص. 84.
[6] Ben cheneb M., Mots…, p. 82.
[7] م.ش.علبة 77/76 الوثيقة 22.
[8] م.ش.علبة 1/9 الوثيقة 3.
[9] م.ش.علبة 44 الوثيقة 98.
[10] جمال الدين منظور، المصدر السابق، م. 2، ص. 811.
[11] Mercier E., « Constantine avant la conquête française » in R. N. M. S. A. C., Vol. 19, 1878, p. 69.

لم يرد في الوثائق المتفحصة أسماء لخرازين أندلسيين، لكن الأستاذ بوغوفالة من خلال دراسته لأوقاف مدينة مليانة أشار إلى اسم خراز أندلسي وهو:

ـ **المعلم محمد الخراز الأندلسي**[1].

إن ذكر معلم خراز دليل على أنه كان يشرف على هذه الصناعة ويعلم غيره من صناع هذه الحرفة.

2 . تقنيات الصناعة

2 . 1. دباغة الجلود: طوّر الأندلسيون صناعة الجلد وأصبحت أكثر إتقانا ودقة مما كانت عليه قبل حلولهم بالجزائر؛ وقد ساعد هم على ذلك وجود أحواض خاصة تعالج فيها الجلود قبل توجيهيها إلى الإسكافيين[2]. وأكثر أنواع الجلود استعمالا جلد الماعز.

تخضع مادّة الجلد أوّلا إلى عملية أساسية هي الدبغ، يتمّ خلالها التخلص من الشعر والصوف والألياف العالقة بالجلد، وفي نفس الوقت تجفيفه وإكسابه خاصية المرونة والطراوة من أجل تسهيل عملية التصنيع[3]. تُبسط الجلود على الأرض بعد تمليحها وتعرض لأشعة الشمس لمدّة ثلاثة أو أربعة أيام؛ تُطوى بعدها على شكل حزمة مربّعة ويحفظ لمدة شهر. بعدها تبلّل الجلود في أحواض للتخلص من الألياف والبقايا اللاصقة في القطع، وتجيّر بتمريرها في ثلاثة أحواض بها مادة الجير، وذلك لتمديد وتوسيع مسامات الجلد[4]؛ ثم تغسل بماء ساخن وتكشط بأداة حادة لنزع بقايا الشعر وتصبح نظيفة تماما[5]، لتوضع بعد ذلك في سائل يحتوي على النخالة[6]. وأخيرا توضع الجلود بعدها في في مادة الغريس وهي مادة تعطي الليونة للجلد وتبقى على هذا الحال لمدة أسبوع، وتقلب ثلاث أو أربع مرّات؛ ثم تقطر وتترك لتجفّ، ويعاد غطسها في الغريس لمدّة أسبوعين

[1] ودان بوغوفالة، المرجع السابق، ص. 157.

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 55.

[3] Lamay M., Le cuir, Paris, 1996, p p: 4 – 7.

[4] Letourneau R., et autres, « La corporation des Tanneurs et l’industrie de la tannerie à Fés » in Hésp, t. 20, 1935, p. 186.

[5] Ibid, p. 188.

[6] النخالة: هي الطبقة الخارجية الصلبة من الحبوب ويمكن طحنها من القمح والشعير والأرز والذرة.

فيتغير لون الجلود وتصبح سمراء وأقل لزوجة. يقوم الدباغ بترك الجلود تمتص مادة الدبغ، إذ تترك مدّة كافية لكي تمتص الجلود هذه المادة امتصاصا جيّدا؛ بعدها تنشر على الأرض، وقبل أن تجف تطلى بطبقة من مادّة الدبغ وتوضع في أحواض بها سائل مركّز لمدة أسبوعين، ثم تجفّف تجفيفا تامّا وتنقل للصباغة [1].

2 . 2. صباغة الجلود: تتم صباغة الجلود بوضعها في أكياس، ويصب عليها محلول الشبّ ويضاف له ثلاثة مقاييس من رماد شجر الجولق[2]، مع إضافة مواد أخرى بكميات محدودة ومدروسة بدقة للحصول على ألوان مختلفة، كخشب بقم أسود[3] أوقشور الرمان أو قملة النبات[4]. بعدها يحرك الجلد في جميع الاتجاهات وتضرب الأكياس بعصا طويلة في في جميع جوانبها لمدة يوم كامل؛ ويجدّد المحلول اثنى عشر مرة بعد أن يغلى لبضع دقائق. بعد ذلك تفتّق الأكياس ويعصر الجلد وينشر على الأرض في مكان بعيد عن أشعة الشمس؛ ويرشّ بماء بارد عدة مرّات وهي آخر مرحلة من الصباغة. ويتمّ الحصول على اللون الأحمر أو اللون الأسود من البقم؛ الأسود وعلى اللون الأصفر من قشور الرمان.

بعد الانتهاء من الصباغة يقوم العامل بتلبين الجلد بإدخاله في أحواض، ورشه بالماء بواسطة قطعة نسيجية من جهة الوجه فقط، ثم يقلبه من جهة الظهر ويحكّه بأداة محدّبة وفي الأخير يُلَمِّسه بصفيحة معدنية مستطيلة الشكل[5]. وبهذا يصبح الجلد جاهزا للتصنيع.

---

[1] شريفة طيان، ملابس المرأة...، ص. 56.

[2] الجولق: هو نبات من جنس الشوك، أنظر: ابن البيطار، المصدر السابق، ص. 111.

[3] بقم أسود: مأخوذ من شجرة البقم، تكون بذورها مملوءة بالماء وإذا جفت تتفتت ويخرج منها الباعوض. أنظر: ابن البيطار، المصدر السابق، ص. 154 ـ 155.

[4] قملة النبات: هي نوع من الحشرات الصغيرة الناعمة التي تتغذى على عصارة النباتات، تسبب ضررا كبيرا للمحاصيل الزراعية.

[5] شريفة طيان، ملابس المرأة...، ص. 58.

الفصـل الثالث

التأثيرات الأندلسية على اللباس

أولا: ملابس الرأس

ثانيا: ملابس البدن

ثالثا: ملابس المرأة الحضرية الأندلسية

أولا: ملابس الرأس

كانت ملابس المرأة الأندلسية عبارة عن مزيج حضاري أندلسي مع تقاليد شاميّة وبغداديّة، وكان يتميّز بالأناقة والجمال. وفي هذا الصدد يخبرنا ابن الخطيب عند تحدثّه عن نساء غرناطة[1]: "وقد بلغن من التفنّن من الزينة لهذا العهد والمظاهرة بالمصبغات والتنفيس بالذهبيات والديباجيات والتماجن في أشكال الحلي".

ولذا كان اهتمام المرأة الحضرية الجزائرية منصبا على زي المرأة الأندلسية وتقليده فأدخلت نماذج عديدة من الألبسة إلى الجزائر. وقد احتفظ البعض منها بشكله العام وبتسميته، في حين اختفى اسم البعض الآخر وعوّض باسم جزائري لكن مع احتفاظه بطابعه الأندلسي. بالإضافة إلى عدد من الألبسة الأندلسية الَّتي طورّها الجزائريون بإدخال تعديلات عليها على مرّ الزمن إلى أن وصلت إلينا كما نعرفها اليوم. ونظرا لندرة الأدلّة المادّية للباس الرجل، سيتم التطرق للتأثيرات الأندلسية على لباس المرأة الجزائرية.

من الألبسة الأندلسية الخاصة بالرأس الَّتي أدخلت إلى الجزائر:

1 . **البنيقة:** اشتقت كلمة " البنيقة" من فعل بنق بمعنى إيصال قطعة في الثوب أو في القميص لتوسيعه[2]. وما زال هذا اللفظ مستعملا في مدينة الجزائر وفي شمال المغرب الأقصى كمدينة تطوان. وتحمل البنيقة نفس الوظيفة في هذه البلدان، إذ يتعلق الأمر بقلنسوة مربعة أو دائرية بذيلين تضعها المرأة على رأسها لجمع شعرها وتغطيته[3]. عرفت البنيقة في تونس باسم "كوفية" أو "شكوفية"، المشتقة من الكلمة الإسبانية « escofia »[4].

---

[1] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج. 1، مصر، (د. ت)، ص. 20.

[2] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 1، ص. 267.

[3] Colin G. S., « Banika » in E.I., t. I, E. J. Brill, Leiden, G.- P Maisonneuve et Larose, Paris, 1975, p. 1047 .

[4] Marçais G., Le costume …, p. 112.

لم تعرف المرأة الجزائرية البنيقة إلا مع قدوم الأندلسيين، وهي من بين ملابس الرأس الَّتي جلبتها المرأة الأندلسية معها وانتشرت في كل البلدان المغربية. قد تكون البنيقة دخلت إلى بلاد المغرب مباشرة بعد سقوط غرناطة من طرف الفئات الغنية الَّتي كانت ترتديها[1].

تتشكّل البنيقة أساسا من شريط طويل يتراوح طوله ما بين 1,80م و2,50م وعرضه ما بين 15 ,0 م و23 ,0 م، يثنى هذا الشريط من الوسط و يخاط من الخلف في أحد طرفيه بواسطة شريط مثبت عليه يكون على امتداد 0,22م، وبهذا يصبح الشريط الكلي مكونا من لَفّتين مما يجعل البنيقة مكونة من قسمين، القسم الأول وهو الجزء الذي أحدثت فيه الخياطة ويخصّص لتغطية الرأس، والقسم الثاني عبارة عن ذيول تلفّها المرأة حول شعرها، وترتدي المرأة البنيقة إما بعد خروجها من الحمام أو أثناء قيامها بالأشغال المنزلية أو تبقيها طول اليوم لكي تحافظ على شعرها [2]. (الصورة 39)

[1] محمد رزوق، المرجع السابق، ص. 297.

[2] شريفة طيان، ملابس المرأة...، ص. 121.



الصورة 39: بنيقة من الكتّان مطرزة بخيوط حريرية، مدينة الجزائر
القرن 13هـ ـ 14هـ/19م ـ 20م، (ط.:1م، ع.: 0,30م)
II.T.b.156، المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية.

تصنع البنيقة عادة من الكتّان أو القطن، وقد بقيت المرأة الجزائرية تستعملها إلى وقتنا الحاضر وقد انتشر استعمالها في الكثير من المدن الجزائرية كقسنطينة وتلمسان وعنابة، لكن بتسميات مختلفة ففي تلمسان تعرف "بالقردون"، وفي قسنطينة تعرف "بالملوي"[1]. وتعتبر البنيقة من أجمل قطع اللباس التونسي فهي غنية بالطرز بالخيوط الحريرية والذهبية والكنتيل، وإن فقدت مكانتها في اللباس اليومي فإن لبسها بقي مستمرا حاليا في حفلات الأعراس[2]. (الصور 40 ـ 41)

[1] Marçais G., « Les broderies turques d'Alger » reprinted from ars islamica, vol. 4, 1937, p. 147.
[2] Benfoughal T., les costumes féminins de Tunisie, entreprise national des arts graphiques, Alger, 1983, p. 44.

يبدو أن البنيقة انتقلت إلى منطقة القبائل حيث كانت المرأة تضعها على رأسها لتغطي شعرها[1]. (الصورة 42)



الصورة 40: بنيقة من الكتّان مطرّزة بخيوط ذهبية، مدينة قسنطينة، القرن 13هـ/19م (ط.: 1,10م، ع.: 0,29م)، II.T.b.121
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.



الصورة 41: بنيقة من القطيفة والكتّان تونس، القرن 13هـ/19م، (ط.: 1م، ع.: 0,25 م)، II.T.b.122
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

[1] Belkaid L., Algéroise : Histoire d'un costume méditerranéen, Edisud, 1998, p. 125.



الصورة 42: امرأة جزائرية ترتدي لباسًا ريفيًا وبنيقة

عن: Marçais G

ثانيا: ملابس البدن

تميّزت ملابس البدن ذات التأثيرات الأندلسية بالتنوع، وقد أبدعت المرأة في خياطتها وتزيينها ومن هذه الملابس:

1. الدرة: تسمى كذلك درّاعة أو المدرعة كانت شائعة ببغداد في الفترة العباسية لدى الطبقة الفقيرة. ثم انتقلت إلى الأندلس لتصل إلى الجزائر. كانت الدرة في الأندلس عبارة عن قميص طويل يصل إلى الركبتين يصنع من القطن أو من الحرير[1]. تلبسها المرأة والرجل؛ واختص رجال القضاء بغرناطة بلبس الدرة ذات الألوان الزاهيّة كالأحمر والأزرق[2].

لبِس الرجل والمرأة في الجزائر الدُرّة، وقد كانت درّة الرجل على شكل قميص شديد البياض كبير وعريض يصنع من قماش رقيق[3]، أمّا درّة المرأة فتغطى كليا بالتطريز وتزين بالأحجار الثمينة، وهي على عدة ألوان، جانب منها يكون أصفر والجانب الآخر يكون أزرق أو أحمر[4]، وهي الموضة المتبعة في ذلك الوقت[5].

كانت المرأة الأندلسية في مدينة الجزائر تهوى لبس الدرة الملونة واتبعتها في ذلك المرأة الحضرية والمرأة اليهودية، إلا أن أكمام درّة المرأة اليهودية طويلة وأكمام درّة المرأة المسلمة قصيرة. وقد بقي لبس الدرّة إلى غاية القرن 13هـ/19م، غير أنها لم تعد تعرف بهذا الاسم وإنما باسم "جبّة "[6]. وقد تواصل لبسها حتى بعد الاحتلال الفرنسي سواء من طرف اليهوديات المقيمات في المدن الجزائرية أو من طرف المسلمات المقيمات في قسنطينة وفي تلمسان وفي المدن التونسية خاصة مدينة مونستير[7]. وفيما بعد تخلّت المرأة في مدينة الجزائر نهائيا عن الجبّة، وكثر استعمالها في قسنطينة وأصبحت تعرف باسم

---

[1] Lévi – provençal E., Op. Cit., t. 3, pp : 425- 426.
[2] Ariè R., Op. Cit., p. 384.
[3] Marçais G., Le costume musulman …, p. 70.
[4] Pananti F., Relation d’un séjour à Alger, Paris, 1820, p. 293.
[5] شريفة طيان، ملابس المرأة...، ص. 102
[6] نفسه، ص. 103.
[7] Marçais G., Le costume musulman…, p. 95.

"قندورة"[1]، بينما تطورت هذه الجبّة في تلمسان إلى "بلوزة"، وبالرغم من أنها تلقت تأثيرات أندلسية غير أنها خضعت لتقاليد محلية من حيث تفصيلها وتزيينها[2]. (الصور 43 – 44 - 45)



الصورة 43: امرأة جزائرية ترتدي درة ذات اللونين الأصفر والأحمر
المتحف العمومي الوطني الباردو – الجزائر –
عن: شريفة طيان.

[1] شريفة طيان، ملابس المرأة...، ص. 103.
[2] Ougouag- Kezzal C., « Le costume et la … », p. 257.



الصورة 44: امرأة من مدينة قسنطينة ترتدي جبّة

عن : شريفة طيان.



الصورة 45: راقصتان ترتديان جبتين ذات اللونيين الأصفر والأحمر، الأصفر والأزرق.

عن: شريفة طيان.

2. الغليلة: يعود أصل الغليلة حسب دوزي إلى مصر[1]، وانتقلت إلى الأندلس إبان الحكم الأموي، وهي عبارة عن قميص يُصنع من قماش رقيق يلبسه الرجل والمرأة وعرفت باسم "الغِلالة" [2]. وجاء تعريفها في لسان العرب[3]: "الغِلالة ثوب يُلبس تحت الثياب واغتلت المرأة الثوب أي لبسته تحت الثياب لأنه يتغلل".

أدخلت الغِلالة إلى الجزائر عن طريق الأندلسيين، وعوّضت هذه التسمية في الجزائر وفي المغرب الأقصى ب "الغليلة" وكانت تصنع من القماش الرقيق المستورد من مدينة بلنسية كما تصنع من مشتقات الحرير كالساتان والقطيفة والدمشقي، وتتّخذ ألوانا

---

[1] Dozy R., Op. Cit., p. 323.

[2] Lévi – provençal E., Op. Cit., t . 3, p. 424.

[3] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 4، ص. 1009.

متنوعة وزاهية[1]. يصل طول الغليلة إلى ربلة الساق، وتكون مفتوحة من الأمام[2]؛ تتميّز بعنق مجوّف وواسع وتغلق بواسطة أزرار كبيرة ذهبية وفضية جميلة وجيّدة الصنع[3]. وتثبت في الوسط بحزام حريري أو ذهبي[4].

تزوّد الغليلة بأكمام لا تتجاوز المرفقين حتى يتسنّى للمرأة أن تغتسل بسهولة خاصة عند الوضوء، وتستطيع المرأة أن تصل هذه الأكمام بأخرى تكون مثنية بين المرفقين والمعصم لإطالتها ولتغطية الساعدين[5].

شاع ارتداء الغليلة في القرنين 11هـ - 12هـ/17م - 18م، ولم تقتصر على فئة معينة حيث لبستها المرأة الجزائرية الحضرية والأندلسية والتركية واليهودية والمسيحية. وبحلول القرن 13هـ/19م وبالتحديد سنة 1830م حذفت أكمام وأصبحت لا تغطي سوى الكتفين وتبرز عنهما قليلا بحيث يبقى الذراعان عاريان[6]. (الصور 46 – 47)



الصورة 46: غليلة بأكمام من القطيفة، مدينة الجزائر، القرن 12هـ - 13هـ/ 13م - 19م

(ط.: 45 سم، ع.: 25 سم) ، II.T.b.155

المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

---

[1]Marçais G., Le costume musulman…, p. 96.
[2] Venture de paradis, Op. Cit., p. 300.
[3] Marçais G., Le costume musulman…, p. 97.
[4] Boyer P., Op. Cit., p. 156.
[5] شريفة طيان، ملابس المرأة...، ص. 104.
[6] Marçais G., Le costume musulman…,pp : 97 – 98.



الصورة 47: غليلة من الديباج، مدينة الجزائر، القرن 13هـ/19م
(ط.: 68 سم، ع.: 46 سم)، C.x.9
المتحف العمومي الوطني الباردو – الجزائر–

3 . **السروال:** استعار العرب السروال من الفرس بدليل أن كلمة سروال فارسية معربة وأصلها في الفارسية "شَرْوَال"[1] ومعناه لباس يستر العورة إلى أسفل الجسم. لبست المرأة السروال مثل الرجل لأنه أكثر سترة، وحبب الرسول صلّى الله عليه وسلم أن تلبسه المرأة. فقد أعرض وجهه عن امرأة سقطت من على حمار فقالوا له: "إنها متسرولة"، فقال عليه الصلاة والسلام: " اللّهم اغفر للمتسرولات من أمتي ـ ثلاثا ـ، يأيها الناس اتخذوا السراويلات فإنها من أستر ثيابكم، وحُضوا بها نساءكم إذا خرجن". [2]. ولهذا حرصت المرأة المسلمة على لبسه.

---

[1] شير السيّدادّي، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، مكتبة لبنان، بيروت، 1990، ص. 88.

[2] رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، دار الآفاق العربية، 2002م، ص. 234.

لبست المرأة الجزائرية نوعين من السراويل: نوع خاص بالبيت وآخر خاص للخارج[1].

سروال الدار: لبس كل من الرجل والمرأة في الأندلس سروالا قصيرا وضيقا يصل طوله إلى الركبة[2]، وقد لبست المرأة في مدينة الجزائر هذا النوع من السروال في البيت دون الرجل بحيث كان يكشف عن ربلة ساقها لذا استعانت بالفوطة. كما لبست المرأة سروالا قصيرا قليل الاتساع ملتصقا عند الفخذين وضيّق في مستوى الركبتين. يكون السروال من القماش أو الحرير ويطرّز في بعض الأحيان[3].

ومن أمثلة هذه السراويل القصيرة سروال من مدينة الجزائر صُنع من الحرير ذي اللون الأحمر القرميدي به أربع فتحات لإدخال الحزام لكي تشد به المرأة وسطها. زخرف في نهايتة بطرز ذهبي يتمّثل في زهيرات تتخللها رقاقات الزركشة. (الصورة 48)

بالإضافة إلى سروال آخر قصير من مدينة عنابة صنع من الكتّان الأبيض مطرز بخيوط حريرية تتمثل الزخرفة في زهرة القرنفل نفّذت بعدة ألوان كالأحمر والأصفر والبني. وفي الأسفل خطوط أفقية باللون البني والأحمر. (الصورة 49)

شاع لبس هذا النوع من السراويل في الكثير من المدن المغربية التي شهدت هجرة أندلسية كثيفة كفاس والرباط وسلا وتطوان[4]. ولبسته أيضا المرأة الحضرية في تونس خاصّة في مدن تونس وسوسة والحمامات[5]. (الصورة 50)

[1] شريفة طيان، لباس المرأة...، ص. 111.

[2] Lévi – provençal E., Op. Cit., t. 3, p. 424.
[3] Marçais G., Le costume musulman…, p. 94.
[4] Belkaid L., Op. Cit., p. 45.
[5] Benfoughal T., Op. Cit., p.33.



الصورة 48: سروال قصير من الحرير مطرّز بخيوط جذهبية، مدينة الجزائر
القرن 13هـ/19م، (ط.: 65 سم، ع.: 100 سم)، II.T.b.235
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.



الصورة 49: سروال قصير من الكتّان مطرّز بالحرير، مدينة عنابة، القرن 13هـ/19م
(ط.: 1,03 سم، ع.: 1,28 سم)، II.T.b.123
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.



الصورة 50 : سروال من الحرير مطرّز بخيوط ذهبية، تونس، القرن 13هـ/19م
(ط.: 85 سم، ع.: 115سم)، II.T.b. 237
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

سروال الزنقة: هو السروال الخاص بالخروج ويسمى باللهجة المحلية "سروال زنقة "[1] مصنوع من الكتان شديد البياض والاتساع وهو يتدلى حتى يصل إلى مواضع القدمين[2]. (الشكل 12)

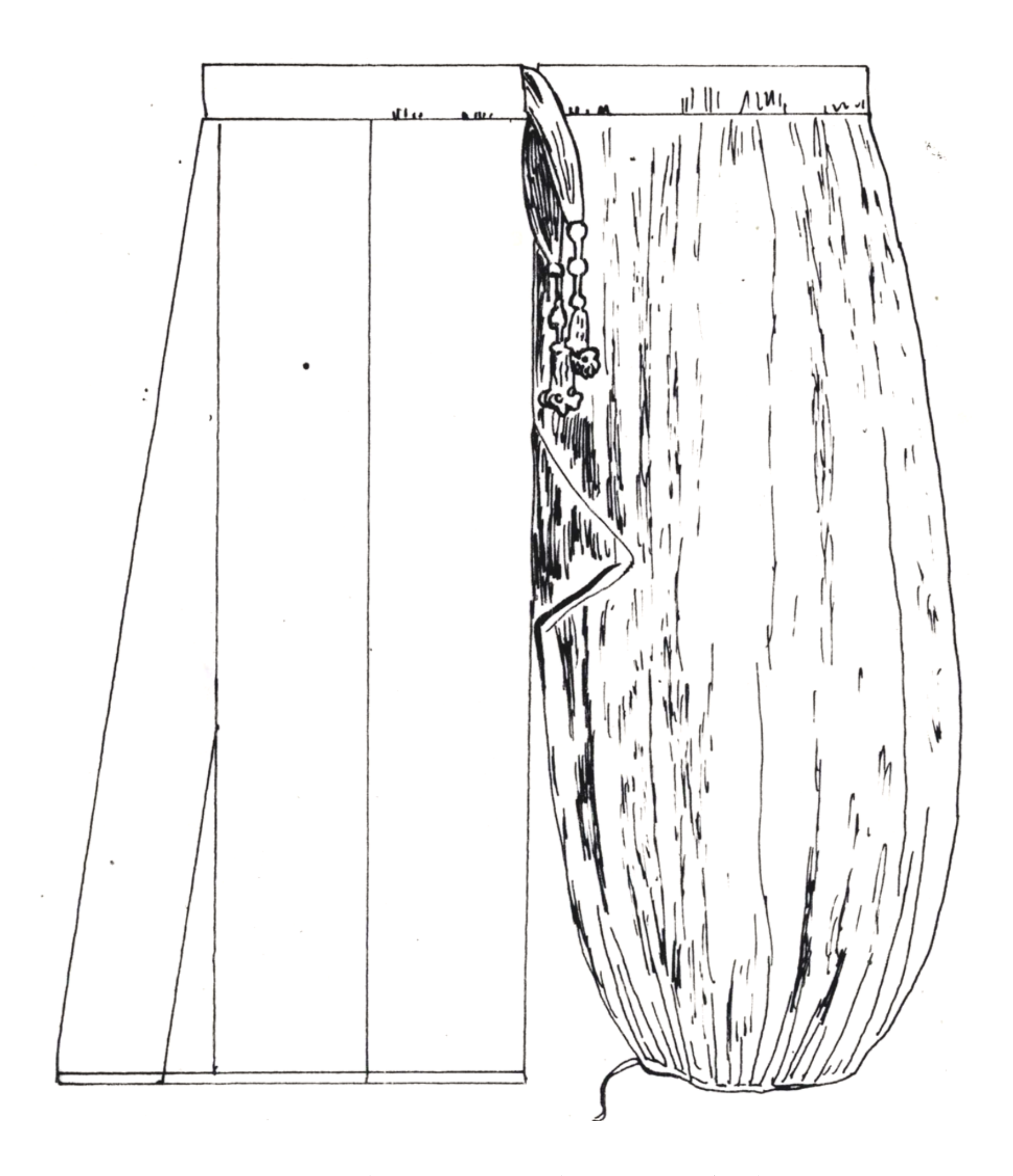
يبدو أن هذا السروال ذا تأثير أندلسي أيضا، فقد لبست المرأة في الأندلس عند خروجها من البيت سروالا واسعا مفرطا في الطول، تطويه طيّات متعددة لتظهر جمال ساقيها. كما لبسته المرأة في مدينة فاس؛ إذ يخبرنا مارمول أن نساء فاس إذا خرجن لا سيما الأندلسيات منهن يلبسن سراويل طويلة متمّوجة جدّا، تبدو معها الساق جميلة[3]. نزعت المرأة الحضرية بمدينة الجزائر وشرشال تلك الطيات ومدت في طول السروال من

[1] شريفة طيان، ملابس المرأة...، ص. 112.

[2] Haedo F. D., Topographie…, p. 144.

[3] مارمول كربخال، المصدر السابق، ج. 2، ص. 176.

الركبة بواسطة كميمات يصل طولها إلى مترين وغالبا ما تلبسه فوق السروال الأول[1].
(الصور 51 – 52)



الشكل 12: سروال عريض من الحرير

عن: شريفة طيان.

[1] Jouin J., « Documents sur le costume des musulmans d'Espagne », in Rev. A., 1934, p. 46.



الصورة 51: فتاة غرناطية ترتدي سروالا ذا طيّات

عن: Jouin J



الصورة 52: نساء جزائريات يرتدين سروالا خاصًّا بالخروج

عن: Belkaid L

4 . الفوطة: كلمة هندية الأصل " يوتة" دخلت إلى الفارسية باسم " فوتة" ومنها عرفتها اللغة العربية وتحولت إلى فوطة[1]. والفوطة جمعا فُوَط وهي ثوب قصير غليظ يكون مئزرا يجلب من السّند[2]، وقد لا حظ ابن بطوطة في رحلته إلى بلاد الهند أن الفوطة تُلبس من طرف الرجل والمرأة على السواء، فذكر[3]:" ولباسهم فوط، يشدّون الفوطة منها على أوساطهم عوض السراويل"، ويقول في موضع آخر عن فوطة المرأة[4]:" ولا يلبسن أكثرهن إلاَّ فوطة واحدة تسترهن من السرة إلى أسفل وسائر أجسامهن مكشوفة وكذلك يمشين في الأسواق".

حملت الفوطة عدّة مدلولات حسب البلد والوظيفة، فهي نسيج من الحرير يشده العامل على وسطه أثناء العمل عند أهل مدينة شيراز. وهي ثوب قصير غليظ يتأزر به عند دخول الحمّام أو الخروج منه، وتتّخذ أيضا لتنشيف الماء عن الجسد بعد الاستحمام عند أهل مدينة بغداد[5]. أما في الأندلس فكان يلبسها الرجال الَّذين يقدّمون الخدمات للزبائن في الحمّام كحك الظهر والتدليك[6]، واتّخذت الفوطة في مدينة الكوفة شكل إزار مخطّط يشتريها الحمّالون والخدم فيتّزرون بها[7]. وعند الأتراك هي عبارة عن قطعة حريرية يربطها مُقَطّع اللحم على سائر ملابسه ليصونها من آثار الطعام عند إعداد المائدة[8]. وحسب دوزي فإن الفوطة كثيرة الاستعمال في الجزيرة العربية وفي سائر بلاد العرب

---

[1] رجب عبد الجواد إبراهيم، المرجع السابق، ص. 364.

[2] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، م. 4، ص. 1144.

[3] محمد بن عبد الله بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة تحفة النُّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج. 2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1989م، ص. 251.

[4] نفسه. ص. 253.

[5] رجب عبد الجواد إبراهيم، المرجع السابق، ص. 365.

[6] Lévi – provençal E., Op. Cit., t. 3, p. 430.

[7] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 4، ص. 1144.

[8] رجب عبد الجواد إبراهيم، المرجع السابق، ص. 366.

ووصفها بأنها قطعة غير مخيطة مشدودة حول الفخدين ومتدلية حتى الركبتين، وكانت تصنع في مصر من الكتّان المخطّط[1].

قد تكون الفوطة أدخلت إلى الجزائر إما عن طريق الأندلسيين أو عن الطريق الأتراك لكنها برزت أكثر مع مجيء الأندلسيين الذين برعوا في الصناعات النسيجية خاصة الحريرية إذ تصنع الفوطة في غالب الأحيان من الحرير أو القطن أو الكتّان وتكون مخطّطة ومتعددة الألوان.

الفوطة بمظهرها العام عبارة عن قطعة من القماش عرضها يعادل منديلين كبيرين تعقد في مستوى البطن فتبدو مفتوحة من الأمام لتكشف ساقي المرأة بكاملهما. وهي بذلك تشبه تنّورة مفتوحة[2].

تلبس المرأة في مدينة الجزائر الفوطة أثناء قيامها بالأشغال المنزلية، وتكون مصنوعة من قماش حريري عليه أشرطة عريضة تلفها حول وسطها وتعقدها من الأمام[3]. الأمام[3]. وتضعها إما فوق سروال البيت أو تشدّها حول فخديها مباشرة باستغنائها عن السروال خاصة في فصل الصيف[4]. (الصورة 53 – 54)

تلبس المرأة في مدينتي تلمسان والجزائر فوطة طويلة تغطي القسم السفلي من جسمها ابتداءً من الخاصرين إلى غاية الدسار، وتصنع من الحرير الخالص وتكون مخططة باللون الذهبي أو الفضي تعرف في مدينة الجزائر باسم " فوطة الصفيحة"[5] وترتديها المرأة في الأعراس وفي الحفلات[6].(الصورة 55)

[1] رينهات دوزي، المرجع السابق، ص. 303.

[2] شريفة طيان، ملابس المرأة...، ص. 113.

[3] Marçais G., Le costume musulman…, p. 94.

[4] Shaw Th., Op. Cit., p. 116.

[5] Eudel P., Op. Cit., p. 207.

[6] Belkaid L., Op. Cit., p. 63.

ما تزال الفوطة مستعملة في وقتنا الحالي، خاصة في الحمّامات العامة حيث تتّزر بها المرأة، كما أنها منتشرة بكثرة في بلاد القبائل، وتعدّ من أهم القطع المشكّلة للباس هذه المنطقة. ومن المحتمل أن يكون الأندلسيين هم الّذين أدخلوها معهم لما استقروا في أرياف بجاية، ومن بجاية انتقلت إلى المناطق المجاورة لبلاد القبائل. (الصورة 56)



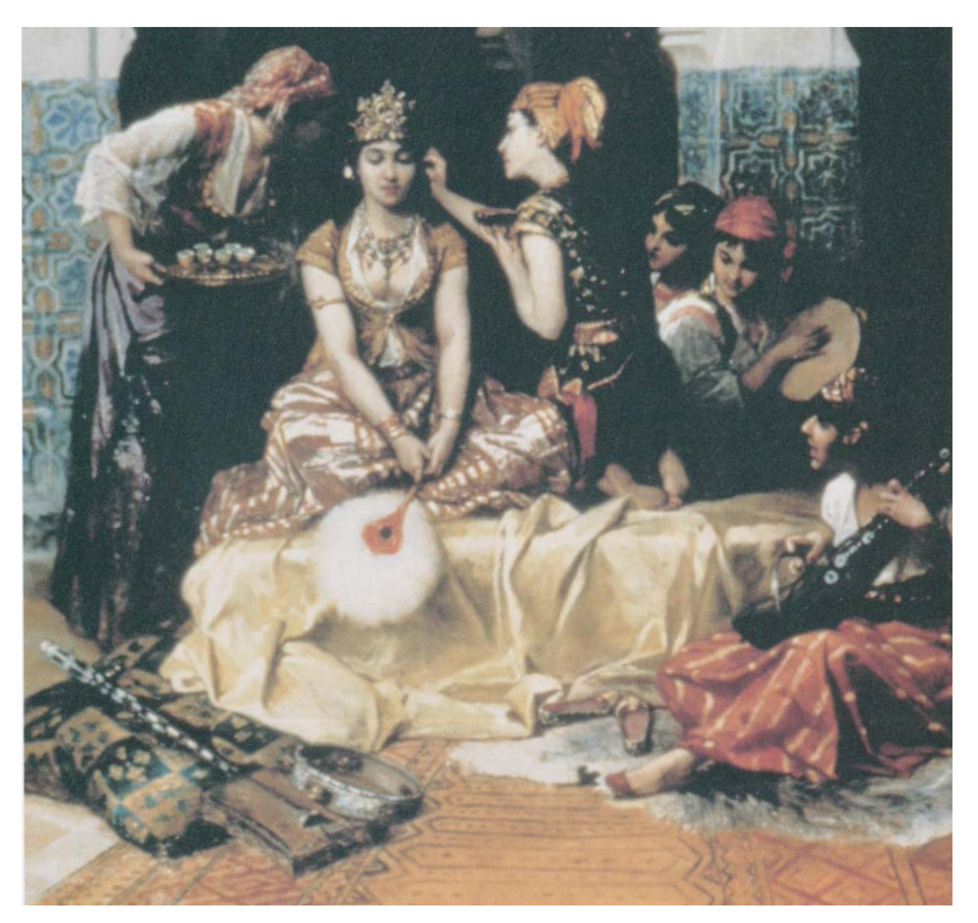
الصورة 53: امرأة زنجية ترتدي فوطة مخطّطة

المتحف العمومي الوطني الباردو – الجزائر–

عن: شريفة طيان.



الصورة 54 : امرأة من مدينة الجزائر ترتدي الفوطة، عن: Marçais G



الصورة 55: عروس من مدينة الجزائر ترتدي فوطة الصفيحة، عن: Belkaid L



الصورة 56: امرأة ريفية من قبيلة آيت هشام (تيزي وزو) ترتدي فوطة مخطّطة.

عن:Belkaid L

ثالثا: ملابس المرأة الحضرية الأندلسية

تفضّل المرأة الحضرية الأندلسية ملابس الترف لتظهر أكثر أناقة وأحسن منظرا أمام النساء الأخريات؛ فخصّصت لكل فصل نوعا من القماش، ففي فصل الشتاء تلبس الجوخ والقطيفة. وفي فصل الصيف تلبس الأقمشة الخفيفة كالحرير على مختلف أنواعه. وقد ارتدت ملابس عادية في بيتها أثناء قيامها بالأشغال المنزلية، بينما ارتدت ملابس فاخرة عند خروجها[1].

1. **الملابس العادية:** تلبس المرأة الحضرية الأندلسية أثناء قيامها بالأشغال المنزلية قميصا قصيرا شفافا أكمامه قصيرة، وسروالا قصيرا لا يغطي ساقيها، وتضع فوقه فوطة ملّونة أو مخطّطة تربطها في وسطها وتبقى مفتوحة من الأمام. وكما سبق ذكره قد تستغني المرأة عن السروال وتكتفي بلبس الفوطة فقط خاصة أيام الصيف[2].

2. **ملابس الزينة:** تلبس المرأة عادة بعد الانتهاء من الأشغال المنزلية ملابسا جميلة وأنيقة، مما يجعلها تتحفّظ عن الظهور بها عند خروجها من المنزل[3]. وتتمثل في قميص طويل شديد البياض، يصل إلى مستوى القدمين، ويكون واسعا بدون رقبة وفتحته واسعة. أما أكمامه فهي عريضة جدّا ومفتوحة من الكتف حتى المرفق[4]. وغالبا ما كانت المرأة تلبس قميصا ثانيا فوق القميص الأول، يُضاف إليه سروال من الكتّان أو القطن عريض وطويل يصل إلى عقب القدم. ومن عادة المرأة أن تضع سروالا آخر فوق السروال القصير الَّذي تلبسه في البيت[5].

---

[1] شريفة طيان، "ملابس المرأة وأزياؤها بمدينة الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، ع. 15 ـ 16، 2012 ـ 2013، ص. 210.

[2] نفسه، ص. 110.

[3] نفسه، ص. 110.

[4] ساجية عاشوري، لباس وحلي المرأة بمدينة الجزائر، في كتالوج: من إيكوسيم إلى الجزائر، الجزائر، 2007، ص. 77.

[5] شريفة طيان، "ملابس المرأة وأزياؤها..."، ص. 211.

تضيف المرأة الحضرية إلى القميص والسروال سترات وصدريات مختلفة الأنواع والأشكال فمنها القصيرة والطويلة[1]، فتلبس فوق القميص الشفاف صدرية قصيرة لا تتعدى مستوى الكليتين[2]. تكون ضيقّة لشدّ الصدر تعرف "بالفريملة" وتكون مفتوحة من الأمام وتغلق بواسطة أزرار ومشابك[3]. وتضع فوق الفريملة الغليلة التي سبق ذكرها، وتضيف فوطة طويلة من الحرير مشدودة في الوسط ومربوطة من الأمام[4].

إلى جانب الفريملة والغليلة ترتدي المرأة القفطان الذي غالبا ما يصنع من الحرير والقطيفة، ويعود أصله إلى تركيا الذي أخذته عن الفرس[5]. وجد القفطان في البلدان المغربية كالجزائر وتونس والمغرب، وقد انتشر لبسه في كل من الجزائر وتونس عن طريق الأتراك، أما في المغرب الّذي لم يخضع للحكم العثماني، فيبدو أنه أدخل إلى هذا البلد عن طريق الأندلسيين[6]. يحتوي القفطان على أكمام قصيرة ويصل إلى غاية منتصف منتصف الساقين، وأثناء الحفلات والأعراس ترتدي المرأة ثلاثة أو أربعة قفاطين ذهبية اللون[7].

بالنسبة لملابس الرأس فهي متنوعة أبرزها الشاشية السالفة الذكر، وتكون غالبا مطرزة أو مرصعة بالنقود الذهبية. وأحيانا تضع المرأة فوق الشاشية أوْشحة تعرف ب"عصيصبة" تكون معقودة من الخلف وتغطي الجبهة[8]. وهناك الصرْمة التي هي عبارة

[1] شريفة طيان، " ملابس المرأة وأزياؤها..."، ص. 211.

[2] Renaudot M., Alger, tableau du royaume de la ville d’Alger et de ses environs, état de son commerce de ses forces de terre de mer ; description des mœurs et des usages du pays, librairie universelle, Paris, 1830, p. 61.

[3] Marçais G., Le costume…, p. 101.

[4] شريفة طيان، "ملابس المرأة وأزياؤها..."، ص. 211.

[5] Marçais G., Le costume…, p. 36.

[6] شريفة طيان، ملابس المرأة بمدينة...، ص. 106.

[7] ساجية عاشوري، " لباس وحلي المرأة..."، ص. 78.

[8] Berbrugger A., Algérie, Historique, pittoresque et monumentale, 1ère partie, province d’Alger, Paris, 1843, p. 13.

عن صفيحة ذهبية أو فضية مخرمة تضعها المرأة فوق رأسها وتثبتها بقطعة من القماش الملّون[1]. (الصورة 57)



الصورة 57: امرأتان من مدينة الجزائر بلباس الزينة
المتحف العمومي الوطني الباردو – الجزائر –
عن: شريفة طيان.

3. ملابس الخروج: عندما تخرج المرأة الحضرية الأندلسية من بيتها للذهاب إلى الحمّام أو زيارة الأهل والأقارب، ترتدي سروالا طويلا عريضا الَّذي يعرف بسروال الزنقة سبق ذكره أعلاه. ويكون أبيض اللون للمتزوجة ومتعّدد الألوان للعازبة، ويربط بحزام محدثا طيات وثنايات. وتتغطى بحائك أبيض اللون رقيق يوضع على الرأس وينزل إلى غاية القدمين بعد أن يتقاطع في ناحية الصدر[2]. والحايك عبارة عن قطعة نسيج مستطيلة

[1] Marçais G., Le costume…, p. 116.

[2] شريفة طيان، " ملابس المرأة وأزياؤها..."، ص. 215.

الشكل لا تفصَّل ولا تخاط، تُلَفُّ حول الجسم من الرأس إلى القدم. وكان يلبس في المدن والأرياف من طرف الرجال والنساء[1]. وكانت المرأة ترتدي حايكا يصنع من القماش صيفا ومن القطن شتاءً[2]. هذا، وقد عرفت المرأة الجزائرية نوعين من الأحجبة.

النوع الأول: يتمثل في الملحفة وهي عبارة عن إزار عريض يقدر بثلاثة أذرع تقريبا ويبلغ طوله حوالي تسعة أذرع، يُشد طرفاه العلويان بإبزيم عادة ما يكون من الفضة. ويبدو أن الملحفة جلبها الأندلسيون، لكنها كانت معروفة قبل قدومهم خاصّة عند المرأة الريفية والبدوية. ويرجح أن يكون المرابطون هم الَّذين أخذوا الملحفة إلى الأندلس، وعند قدوم الأندلسيين إلى الجزائر جلبوها معهم[3].

النوع الثاني: يتمثل في الحايك وهو من الأحجبة الَّتي لبسته المرأة الحضرية وكان معروفا في كل الأقطار الإسلامية، ففي مصر كانت المرأة تخرج بملابس ثمينة متألقة باللآلئ وتضع على رأسها قلنسوة وتتغطى بإزار من القطن رقيق وناعم[4].

شاع لبس الحايك في الجزائر وخاصّة في أوساط النساء وكان يدخل ضمن الأحجبة التي تستر بها المرأة كامل جسمها قبل خروجها من البيت. ومما تجدر الإشارة إليه أن الحايك لم يكن مقتصرا على نساء مدينة الجزائر بل كان معروفا تقريبا في كل المدن الأخرى. ولبسته المرأة المسلمة واليهودية والزنجية؛ فاختصت المسلمة بحائك أبيض واليهودية بحائك أسود والزنجية بحائك أزرق[5].

اختلفت طريقة لبس الحايك من مدينة لأخرى، ففي تلمسان كانت المرأة تتغطى عند الخروج بحايك لا يظهر منها شيئا ما عدا عين واحدة تظهر من خلال ثنية كبيرة في الحايك[6]. ويبدو أن هذه الطريقة في لبس الحايك عُرفت من قبل في الأندلس، وبالأخص

[1]Renaudot M., Op. Cit., p. 33.

[2] حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 70.

[3] شريفة طيان، ملابس المرأة...، ص.115.

[4] شريفة طيان، " ملابس المرأة وأزياؤها..."، ص. 217

[5] نفسه، ص. 218 ـ 219.

[6] Marçais G., Le costume…, p. 104.

في مدينة غرناطة ويظهر هذا واضحا في الرسوم البارزة على جدران المصلى الملكي في كاتدرائية غرناطة[1]، حيث برزت مجموعة من النساء الموريسكيات خلال حفل التعميد من طرف محاكم التفتيش بحايك يغطي كامل أجسامهن ويشد باليد اليمنى ليغطي الوجه. (الصور 58 – 59)



الصورة 58: نساء غرناطيات يرتدين الحايك خلال تعميدهن

عن: Belkaid L

[1] Belkaid L., Op. Cit., p. 154.



الصورة 59: امرأة غرناطية ترتدي الحايك

عن: Jouin J

غطت المرأة في مدينة الجزائر جسمها بحائك أبيض تضعه على رأسها وتغطي وجهها من عينيها إلى غاية الذقن بمنديل يعقد خلف الرقبة بخيطين[1]، وقد ذكر ليفي بروفنسال أن النساء في الأندلس كن يضعن على وجوههن عند الخروج من البيت منديلا من الشاش يعقد من الخلف بحيث لا يسمح بظهور سوى العينين[2]. ويبدو أن هذا المنديل دخل إلى الجزائر عن طريق الأندلسيات وأخذ اسم محلي "العجار"[3].(الصورة 60)

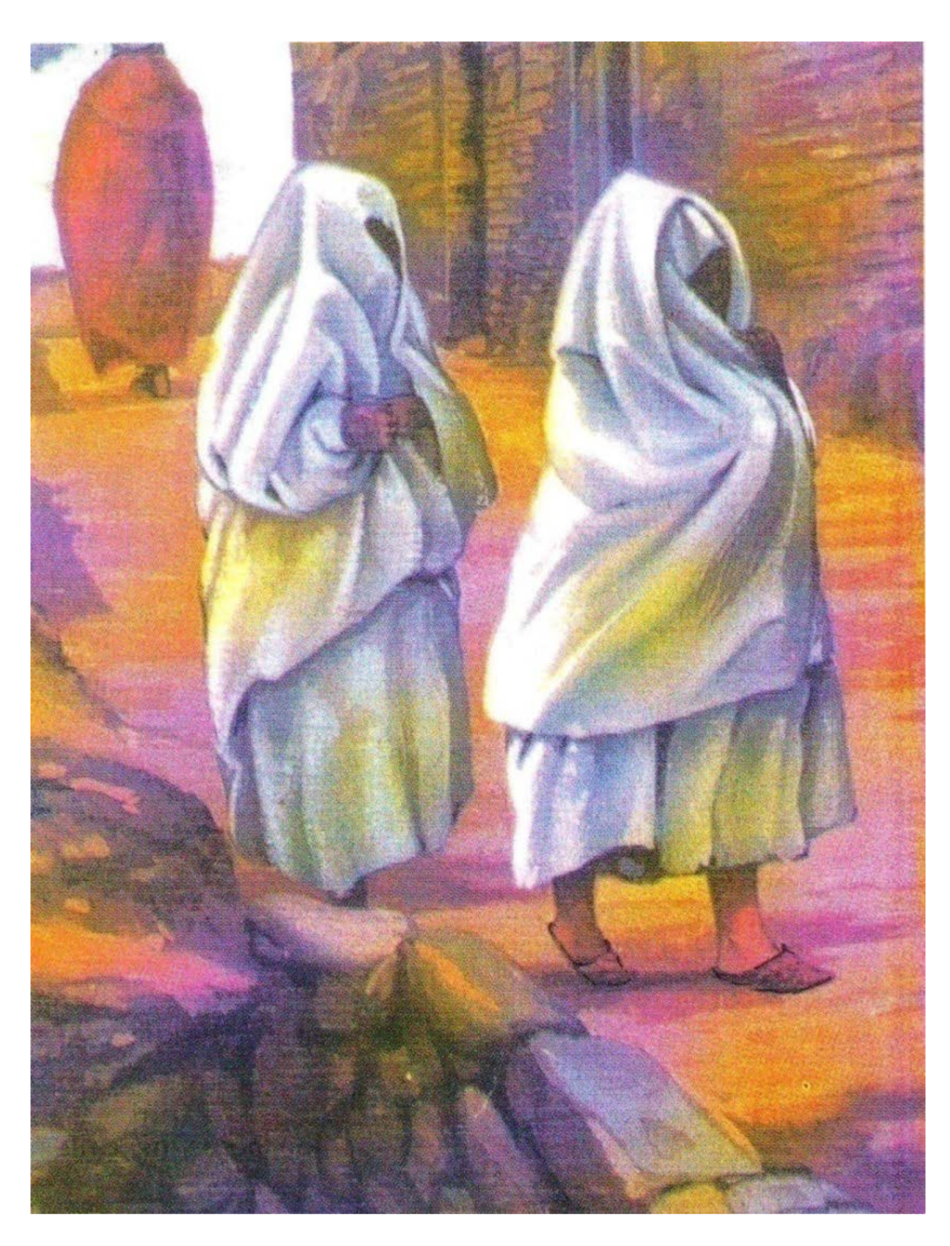
[1] Laugier de tassy, Op. Cit., p. 61.
[2] Lévi – provençal E., Op. Cit., t. 3, p. 424.
[3] Belkaid L., Op. Cit., p. 153.

لم يكن لبس العجار متداولا في كل المدن الجزائرية فقد اختصّت به المرأة الحضرية والأندلسية خاصّة في مدينة الجزائر والبليدة وشرشال والقليعة والمدية ومليانة. أما تغطية الوجه بالحايك بحيث لا تظهر إلا عين واحدة فقد ظهرت بالغرب الجزائري كتلمسان ووهران وبوسعادة وأطلق عليها اسم "العوينة"[1]. (الصورة 61)



الصورة 60: عجار، مدينة الجزائر، القرن 13هـ - 14هـ/19م - 20 م
08/402/05، المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية.

[1] Aouf M., Le costume traditionnel Algérien, Alger, 2004,p. 71.



الصورة 61: نساء من مدينة تلمسان يرتدين الحايك

عن: Aouf M

الفصـل الرابـع

فنــون الطـرز

أولا: فن الطرز في الجزائر

ثانيا: الطرز المعدني

ثالثا: القياطين

رابعا: الشبيكة

خامسا: أنواع المطرّزات

أولا: فن الطرز في الجزائر

الطرز هو عملية تزيين القماش بواسطة رسومات منفذة بالإبرة والخيط القطني، أو الحريري، أو الذهبي، وتكون هذه الخيوط في الغالب متعدّدة الألوان[1]. ويضفي الطرز على اللباس جمالا وأشكالا زخرفية بديعة، فتغيّره من هيئة بسيطة إلى هيئة أنيقة وجذّابة[2].

يعرف الطرز باسم "شغل الإبرة" وكذلك بالرقمة، ولذا أطلق على الطراز اسم "الرقام"[3] ويجب أن تكون لديه معرفة بالرسم والألوان إلى جانب الذوق الفنّي. غالبا ما يكون الطرز بمادة أغلى من مادة النسيج[4]، وهذا النسيج يكون على نوعين: نسيج بسيط كالكتّان والقطن ونسيج ثمين كالحرير والساتان والقطيفة والديباج.

عرفت الجزائر في الفترة العثمانية ازدهارا كبيرا في فن الطرز، حيث تألّق وأصبح الطرز المزيّن بالحرير أو بالخيوط المعدنية متداولا في كثير من مدن الجزائر عند الفئات الغنية والفقيرة على السواء. وظهر الطرز الجزائري كإحدى التظاهرات الرائعة لفن الإبرة فقد أعجب السيد هينون Henon الّذي كان عضوا في لجنة التحكيم العالمية حول الطرز والشبيكة وصناعة القياطين، بالمطرّزات الجزائرية التي عُرِضت في المعرض العالمي سنة 1318هـ/1900م. وكتب في تقريره ما يلي:" للمطرّزات الجزائرية طابعا خاصّا، فقد أنجزت على قماش خشن بخيوط ذهبية. وكثير من هذه المطرزات ليس لها خلفية أو قفا ونفّذ العمل بدقة شديدة حتى أن نقطة النهاية لا تظهر. فالسيّد هنري والسيدة بن عابن[5] من الجزائر مصرّان على إعادة إنجاز المطرّزات القديمة، ونظرا للعمل المتقن والجيد لهذه

---

[1] Arseven C. E., Les arts décoratifs turcs, Milli Egitim Basimevi, Istanbul, S. D., p. 238.
[2] Ougouag- Kezzal C., « Bref aperçu…», p. 343.
[3] شريفة طيان ،" فن التطريز الحريري بمدينة الجزائر في العهد العثماني" مجلة آثار، ع. 6، 2007، ص. 120.
[4] سعاد ماهر، المرجع السابق، ص. 110.
[5] السيدة لوس بن عابن: من أصل يهودي أسسّت سنة 1845م باتفاق مع المارشيل بوجو مدرسة خاصة بالطرز الجزائري التقليدي. لقنت عددا كبيرا من الفتيات الجزائريات أصول هذا الفن وأبدعت في إنجاز قطع في غاية الدقة والجمال. تبّرعت بمجموعة كبيرة من المطرّزات للمتحف العمومي الوطني للآثار القديمة. أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر... الثقافي، ج. 8، ص. 358.

المطرّزات فإنها تستحق بكل جدارة الميدالية الفضية اعترافا منا وتشجيعا لهذا الفن الرفيع والأصيل"[1]. (الصورة 62)



الصورة 62: فتيات جزائريات يتعلّمن الطرز

عن: شريفة طيان.

ثانيا: الطرز المعدني

1. الطرز المعدني على القماش

جلب الأندلسيون خبرة ودراية في الطرز وتوشيح الثياب بخيوط الذهب؛ وكان التطريز الذهبي في مدينة الجزائر من اختصاص العنصر الأندلسي[2]. وضمّت مدينة مستغانم ورشات خاصة بالطرز الذهبي[3]، كما تميّزت مدينة تلمسان بالطرز المعدني[4] واختصّت مدينة قسنطينة بالطرز نفسه على اللباس لاسيما على الجبّة.

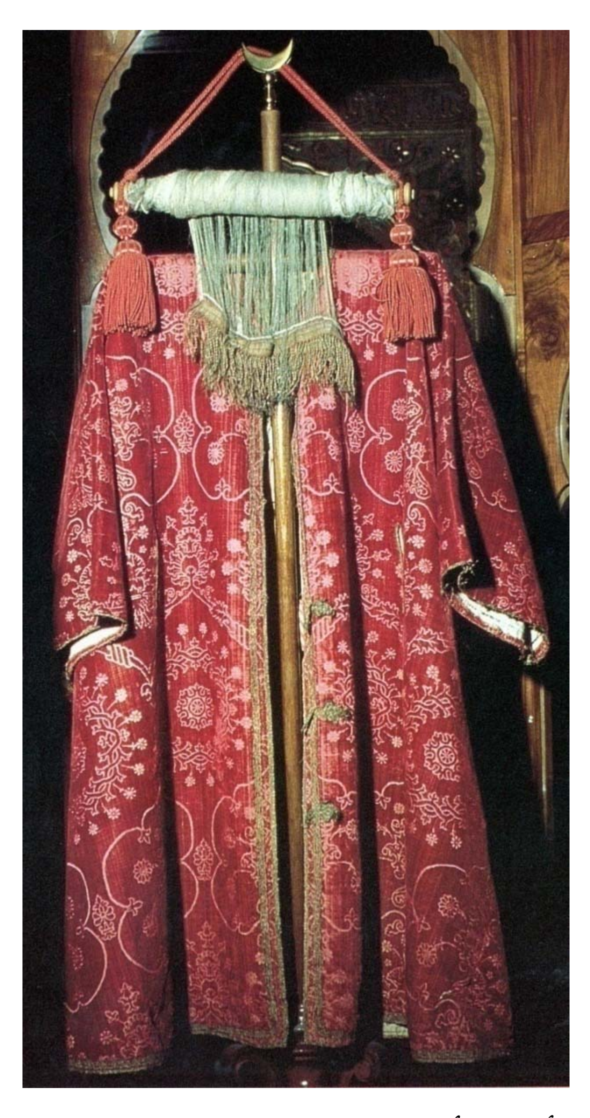
[1] Vachon M., Op. Cit., p. 48.

[2] Marçais G., L'art en Algérie, Alger, 1906, p. 145.

[3] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 59.

[4] Ougouag- Kezzal C., « Bref aperçu… » , p. 345.

تطوّر فن التطريز الذهبي في أوساط المجتمع الجزائري، ولم يعد حكرا على الطبقة الغنيّة بل امتد وتطوّر على يد الطبقة المتوسطة، اعتمادا على تقاليد أندلسية موروثة انتشرت بكثرة منذ القرن 9هـ/15م[1]. وقد عرفت مدينة غرناطة في عصر بني نصر في القرن 9هـ/15م القطع النسيجية الموشّاة بخيوط ذهبية؛ ومن بين هذه القطع عباءة حمراء اللون تنسب للأمير أبو عبد الله المشهور بالزغيبي صنعت من نسيج الكتّان، تلبس في فصل الربيع مزيّنة بوحدات متكّررة من العناصر النباتية، زيّنت الرقبة وحافة العباءة بخيوط ذهبية ورافقتها سلسلة من الأزرار الذهبية[2]. (الصورة 63)



الصورة 63: عباءة للأمير " أبو عبد الله " مطرّزة بخيوط ذهبية، القرن 9هـ/15م

عن: Vernet J et Martinez Martin L

[1] Ougouag- Kezzal C., « Bref aperçu… » , pp : 344 – 345.

[2] عائشة عبد العزيز التهامي، المرجع السابق، ص. 273.

تميّزت العائلات الجزائرية بمحافظتها على طرق الطرز الأندلسي بكل وفاء وإخلاص[1]، لكن منذ القرن 10هـ/16م أُدْخلت أساليب عثمانية ممّا أعطى للطرز الجزائري جمالا وروعة وطابعا خاصّا. لا سيما التطريز بالخيوط الحريرية الّتي كانت تتماشى جنبا إلى جنب مع الخيوط الذهبية في قطعة واحدة، على قماش خفيف يكون في الغالب من الحرير أو الكتّان[2].

مُورس الطرز بالخيوط المعدنية في أغلب المدن الجزائرية الّتي سكنها الأندلسيون كما وجد في تونس والمغرب الأقصى خاصّة في مدينتي فاس والرباط[3]. لم تقتصر هذه الحرفة على الرجل الّذي يعرف باسم "الحلاتجي" والّذي كان يطرز السروج والبابوشات المصنوعة من الجلد[4]، وإنما شاركته المرأة؛ إذ كانت تقوم بطرز الملابس كالفريملات والقفاطين والمناديل بالإضافة إلى ملابس خاصة بالحمام كالبنيقة والتنشيفة[5].

يتمّ الطرز بالخيوط المعدنية غالبا على قماش ثمين كالقطيفة والساتان والحرير. ويستعمل نوعان من الخيوط المعدنية يعرفان بالترزي والفتلة بالإضاقة إلى رقاقات الزركشة[6].

ـ **خيط الترزي:** هو خيط ذهبي غير ملفوف على الخيط الحريري، رقيق ودقيق، ويلوى على صفائح رقيقة[7]، يسمى حاليا "بالشعرة" يصنع الترزي من الذهب الخالص بحيث يكون ممزوجا بنسبة معينة من النحاس. يستعمل هذا النوع من الخيط في غرزة المجبود[8].

ـ **خيط الفتلة:** هو خيط ذهبي خشن مظفور نواته مصنوعة من الحرير، كان قديما يصنع

[1] Ougouag- Kezzal C., « Bref aperçu… », p. 345.

[2] شريفة طيان، "فن التطريز..."، ص. 121.

[3] Ougouag- Kezzal C., « Bref aperçu… », p. 345.

[4] Eudel P., Op. Cit., p. 211.

[5] Ibid, p. 214.

[6] شريفة طيان، ملابس المرأة...، ص. 72.

[7] نفسه، ص. 72.

[8] Eudel P., Op. Cit., p. 211.

في العراق ومنه يستورد إلى أماكن عديدة، وهو على نوعين: فتلة حرّة خالصة نسبة الذهب فيها 90%، وفتلة عادية نسبة الذهب فيها ضعيفة[1]. يستعمل خيط الفتلة في غرزة تعرف باسم الفتلة نسبة إلى خيطها.

ـ **رقاقات الزركشة:** مصنوعة من الذهب أو الفضة غالية الثمن، تباع بالميزان[2] ويبدو أن هذه الرقاقات من أصل أندلسي كون ملابس الأثرياء في الأندلس قبل سقوط غرناطة كانت تزيّن بها لتضفي على الثوب لمعانا. وقد كانت حلّة القداس[3] التي ارتداها الملك فرديناند في كاتدرائية غرناطة سنة 897هـ / 1492م مزيّنة بمثل هذه الرقاقات[4].

تسمى هذه الرقاقات في مدينة الجزائر باسم "نجوم"، وتسمى في كل من تلمسان وقسنطينة وتونس باسم "عدس". يضاف إلى هذه المواد القصب وهو عبارة عن سلك ذهبي ملفوف على شكل حلزوني يعرف باسم الكنتيل[5]، وقد استمدت هذه الكلمة من اللغة الإسبانية (canutillo) المأخوذة من كلمة (cana) وتعني القصب[6].

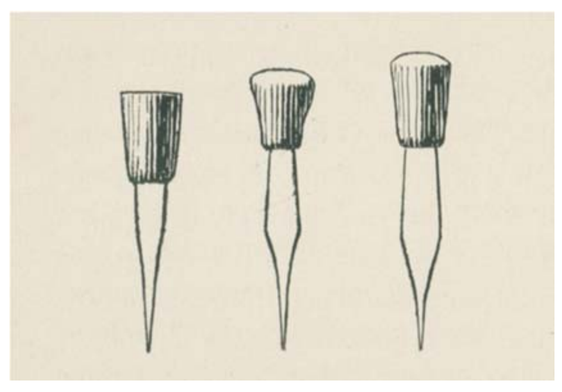
1. 1. تقنية الطرز المعدني على القماش

قبل البدء في عملية التطريز تُجمع الأدوات اللازمة، وتتمثل في مخارز مختلفة الأحجام والمقاسات، أهمها تلك التي تسمى محليّا "لشفة"؛ وهي عبارة عن ساق خشبي ومخرز معدني نهايته حادّة تستخدم لثقب القماش أو الجلد، ويكون سمك المخارز مختلفا[7]. بالإضافة إلى إبر خشنة وأخرى رقيقة تتماشى وسمك الخيط.

بعد أن تحضّر النماذج والرسومات المنفذّة على الورق تعهد إلى المطرّزة الَّتي تلصقها على وجه القماش بغراء خاص[8]. (الشكل 13)

---

[1] Ougouag- Kezzal C., « Bref aperçu… », p. 345.
[2] Eudel P., Op. Cit., p. 211.
[3] حلّة القداس: هو ثوب بلا كمَيْن يرتديه عادة الكاهن عند إقامة قداس الصلاة.
[4] Ougouag- Kezzal C., «Bref aperçu… », p. 345.
[5] Ibid., p. 346.
[6] Soliman O., Dictionario Espanol – Francés – Arabe, Liban, 1991, p. 79.
[7] Goichon A.M., « La broderie au fil d'or à Fès, des rapports avec la broderie de soie ses accessoires de la passementerie » in Hesp, 1939, p. 54.
[8] شريفة طيان، ملابس المرأة بمدينة...، ص. 73.



الشكل 13: لشفات بأحجام مختلفة

عن: Goichon A

تجلس المطرّزة أمام نولها وتثبّته بقدميها وساقيها المتقاطعة. يعرف هذا النول في الجزائر باسم "طبلة". ويتكون من لوحتين صغيرتين يوجد في أحد طرفيها فلق لشدّ القماش وتثبيته[1]. لما تبدأ المطرّزة في عملها تضع في أصبع السبابة قمعا لحمايتة من الإبرة يسمى "قسطبينة" وكلمة قسطبينة مأخوذة من الكلمة الفارسية " كستبان" وقد أدخلت إلى بلاد المغرب عن طريق الأندلسيين[2].

من المعلوم أنه استعملت طريقتان في التطريز بالخيوط المعدنية هما: المجبود والفتلة

1. 1. 1. المجبود: تثبت المطرّزة قماشها في طرف الطبلة وتضغط على الملقط الذي يكون في جهة اليسار ليظهر الطرز مائلا قليلا، بحيث يتسنى لها أن ترى عملها من الجانبين. لأنها تطرّز تارة في الوجه وتارة أخرى في القفا. (الشكل 14) (الصورة 64)

تبدأ المطرّزة في ثقب القماش وبطانته بواسطة مخرز يعرف في الجزائر ب "لشفة" وتمرّر الإبرة المركبة بخيط من الكتان من القفا إلى الوجه على حافة الخيط الذهبي، ثم تغرز الإبرة مرّة ثانية في نفس الثقب وتجذب الخيط الذهبي إلى القفا. وتبعا للرسم تواصل المطرّزة في إحداث ثقوب متقاربة فيما بينها ويقوم الخيط الذهبي بعملية الذهاب والإياب على وجه القماش. تتميّز غرزة المجبود بأنها جد منتظمة ومشدودة بدقة حتى أنه يصعب معرفة بداية التطريز من نهايته[3].

---

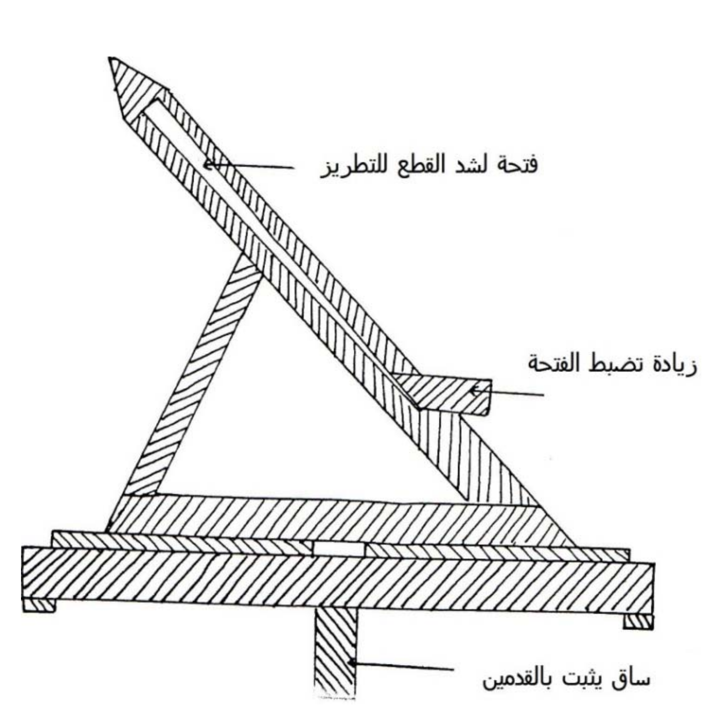
[1] شريفة طيان، ملابس المرأة بمدينة...، ص. 73.

[2] Ben cheneb M., Mots…, p. 69.

[3] شريفة طيان، ملابس المرأة...، ص. 73 - 74.



الصورة 64: طبلة من الخشب مزينة بقطع من الصدف
المتحف العمومي الوطني الباردو – الجزائر–



الشكل 14: طبلة
عن: شريفة طيان.

1.1. 2. الفتلة: يوضع الخيط الذهبي فوق الرسم الَّذي حضر مسبقا، ثم تمرّ الإبرة الَّتي بها خيط كتّاني غالبا يكون أصفر اللّون من قفا القماش إلى وجهه لمسك الخيط الذهبي ولتثبيته جيدا. تمرّ الإبرة ثانية من الوجه إلى القفا في نفس الثقب ويجذب معه الخيط الذهبي .

عندما تنتهي المطرّزة بتثبيت الخيط الذهبي على الشكل الزخرفي تزين المساحة الداخلية برقاقات الزركشة. فتدخل الإبرة في الشكل الحلزوني لقطعة القصب وتخرجها من قفا القماش ثم تعود مرّة ثانية إلى مركز الرقاقة وتثبتها جيدا[1].

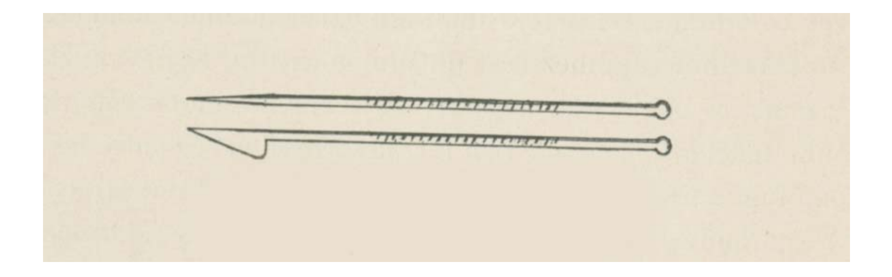
2. الطرز المعدني على الجلد

ارتبط الطرز على الجلد بالخيوط المعدنية بغرزة المجبود، وقد لقي هذا النوع من الطرز اهتماما كبيرا من طرف الرجل حيث مارسه بكل دقة وإتقان. ومن أهم المدن الَّتي اختصت في الطرز على الجلد هي: مدينة الجزائر والبليدة والمدية وتلمسان وقسنطينة[2].

2 . 1. تقنية الطرز المعدني على الجلد

يسبق عملية الطرز على الجلد تحضير الرسم والَّذي يستعمل فيه عدّة أدوات من أهمها:

ـ **المفتل:** عبارة عن ساقٍ فولاذي أسطواني الشكل ذي نهايتين قاطعتين، صنع جزؤه الأوسط على شكل حلزوني ليمنع انزلاق الأصابع، ويستعمل في رسم الخطوط المستقيمة بينما يستعمل الجانب المسطّح في رسم الخطوط المنحنية[3]. (الشكل 15)

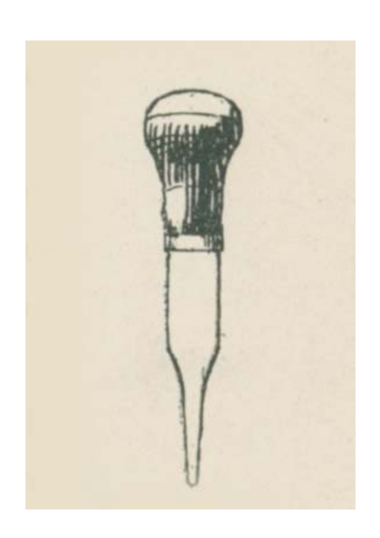


الشكل 15: المفتل

عن: Goichon A

[1] Ougouag- Kezzal C., «Bref aperçu… », p. 346.
[2] Vachon M., Op. Cit., p. 51.
[3] Goichon A. M., Op. Cit., p .60.

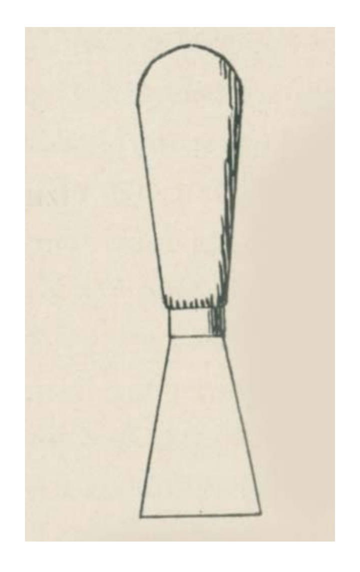
ـ **المفرط:** عبارة عن خنجر ذي مقبض خشبّي يتكون من صفيحة فولاذية عرضها 1 سم ويتراوح سمكها ما بين 1 إلى 2 ملم، خصّص المفرط للقطع[1]. (الشكل 16)



الشكل 16: المفرط

عن: Goichon A

ـ **الشفرة:** عبارة عن صفيحة فولاذية مسطّحة وقاطعة ذات مقبض خشبي، وظيفتها تنسيق القطع الجلدية الّتي قُصّت بالمقص[2].(الشكل 17)



الشكل 17: الشفرة

عن: Goichon A

[1] Goichon A. M., Op. Cit., p. 61.
[2] Ibid, p. 62.

توضع الأشكال المرسومة على القطعة الجلدية وتثبت جيّدا بين لوحتي الطبلة لتشدّها بقوة. ويبدأ المطرّز في العمل بتثبيت الخيوط المعدنية في تمرير خيط عادي خاص بالخياطة الَّذي يمرّ بطريقة تناظرية، ويستعين بالشفة ويقوم بثقب الجلد كلّما استدعى الأمر، وتبعا للرسم المنفذ على الورق لتسهيل تمرير الإبرة بسهولة من القفا إلى الوجه. وبهذه الطريقة يغطىّ كل الرسم بخيط ذهبي أو فضي. أما قفا القطعة فيغطى بقماش من الكتان ويجذب بقوة من الطرفين. وعند الانتهاء من التطريز تزخرف القطعة مثل القماش برقاقات الزركشة[1].

[1] شريفة طيان، ملابس المرأة بمدينة...، ص. 75.

ثالثا: القياطين

تعتبر صناعة القياطين جزءا مكملا للتطريز بالخيوط الذهبية، وسمّيت "بالبرشمان" وتعني حاشية من الحرير المفتول[1]، وكانت في أوّل الأمر تصنع من خيوط الحرير، ثم أضيفت لها خيوط ذهبية، غير أنّه في الأخير استعمل فقط الذهب بمفرده[2].

تعود صناعة القياطين إلى أصل عثماني وموروست خاصّة في مدينة الجزائر وكانت تمول الكثير من مدن الشرق والغرب، هذا ما جعلها تحتلّ مكانةً هامّة.[3] وكون المطرز بالذهب هو الَّذي يقوم بلصق القياطين في الملابس أو خياطتها، فإن الأندلسيين ساهموا في هذه الصناعة لأنهم مارسوا الطرز الذهبي وبرعوا فيه.

توضع القياطين في أماكن الخياطة وفي الجيوب وعلى طول الرقبة وحواف الملابس، وترافقها سلسلة من الأزرار المزيّنة بالخيوط الذهبية لتضفي على اللباس رونقا وجمالا وأناقة[4]. وتتمّ صناعتها باستخدام نولا خاصا يتكّون من قطعتين خشبيتين، تشكّل القطعة الأولى طاولة صغيرة مثبتة على ارتفاع ذراع بينما القطعة الثانية مثبتة عموديا على أحد أطراف الطاولة. يحتوي النول على بكرتين يلتف حولهما شريط يتدلى خلف المسند الخلفي؛ وبطرفي الشريط ثقل موازن وحلقة، أما المسند فينتهي بمربط زجاجي أو معدني[5].(الصورة 65)

لم تقتصر صناعة القياطين على الرجل فقط، بل شاركته المرأة ومارست هذه الصناعة خاصة الضفائر الّتي كانت تتفّوق فيها. تجلس المرأة أمام نولها وتبدأ عملها بضفر الخيوط ويجب أن تكون أصابع يدها ذات مهارة وخفّة عاليتين حتى تستطيع تشبيك الخيوط[6]. فتظفر بتمرير الحلقة من يد إلى أخرى ومن فوق إلى أسفل. وتتحصّل

[1] Ben cheneb M., Mots…, p. 20.
[2] Goichon A. M., Op. Cit., p. 263.
[3] Laloë G., Op. Cit., p. 45.

[4] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 165.

[5] شريفة طيان، ملابس المرأة بمدينة...، ص. 76.

[6] Eudel P., Op. Cit., p. 221.

في الأخير على بريم ذهبي على شكل أنبوب يصنع حسب المقاس المطلوب ويقدر بالذراع التركي الذي يساوي ما بين 60 سم و70 سم[1].



الصورة 65: نول لصناعة القياطين
عن: شريفة طيان.

أما بالنسبة للشرابات والأزرار فكانت تصنع بواسطة قالب يتكون من خيوط مجمعة ومغطاة بالشمع لتعطي أشكالا مدوّرة أو بيضوية أو كمثرية، يلف حولها خيط ذهبي عدة مرّات. وفي الأخير نتحصل على شرابات جميلة تستعمل غالبا في البرانس وفي أطراف الأحزمة، وفي بعض السترات[2]. (الصورة 66)

تتم صناعة الأزرار بنفس التقنية، وتستعمل في صدريات الرجال والغليلات والفريملات وغيرها، حيث يوضع الزر داخل القالب وتلتفّ حوله خيوط متشابكة من

[1] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 165.

[2] Eudel P., Op. Cit., p. 221.

الحرير فتغطيه كلّيا، ويعطي شكلا كمثريا به ثقب، يسمح من خلاله تثبيت الزر على سلك معدني[1].



الصورة 66: أدوات صنع القياطين والشرابات والأزرار

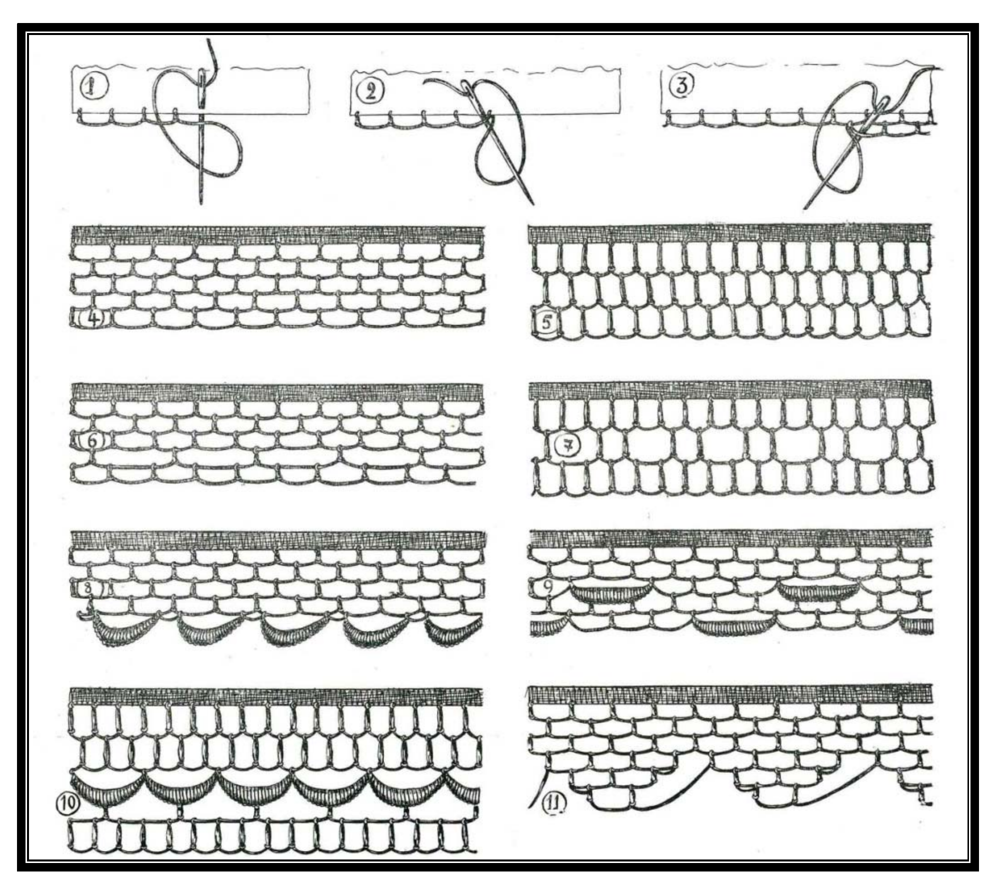
المتحف العمومي الوطني الباردو – الجزائر–

[1] Laloë G., Op. Cit., p. 53.

رابعا: الشبيكة

تعتبر الشبيكة من الحرف المستحدثة الَّتي ارتبطت بالوجود الأندلسي بالجزائر [1] فقد تعلّمت المرأة الحضرية الَّتي احتكت مع نظيرتها الأندلسية هذه الصنعة، وظلّت تتوارثها جيلا بعد جيل؛ هذا ما عمل على بقاء هذه الصناعة في كثير من مدن الجزائر الجزائر والبليدة والمدية والقليعة وشرشال وقسنطينة وجيجل وبجاية[2]. وهناك نوعان مختلفان:

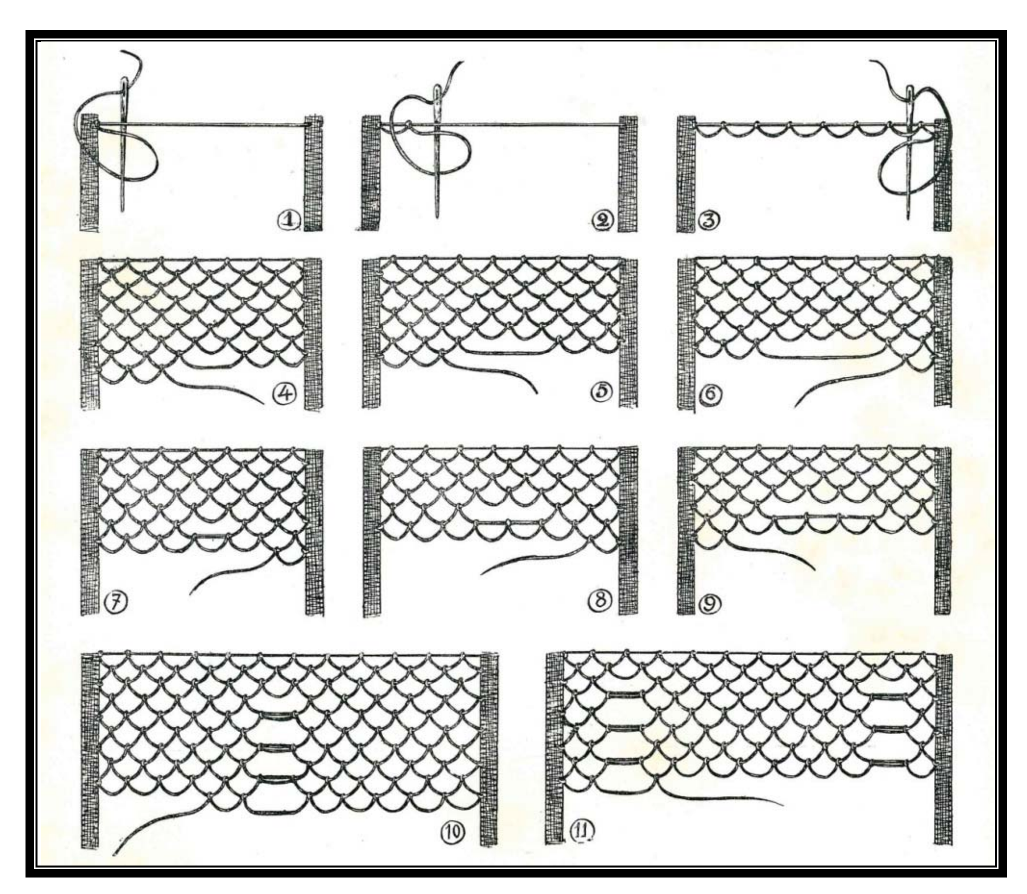
1. **الطرز بغرزة مقطوعة:** تعرف باسم الدربيز وذلك لتنويع الطرز الممتلئ بالخيوط الكتانية على نسيج كتاني أو قطني.[3] (الشكل 18)
2. **الطرز بجبد الخيوط:** يعرف باسم الشبيكة ويتمّ فيه سل الخيوط من النسيج ويحفظ البعض منها لتربط وتشدّ مختلف أقسام الرسم الَّذي يراد تطريزه. (الشكل 19)



الشكل 18: الطرز بالغرزة المقطوعة

عن: Ricard P

[1] Ricard P., Dentelle Algérienne et Marocaine, éd. Larose, Paris. 1928, p. 19.
[2] Ibid , p. 20.
[3] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 160.



الشكل 19: الطرز بحبد الخيط
عن: Ricard P

تعتبر الشبيكة تركيبة متواصلة من الخيوط الَّتي تعقد وتلتفّ بعضها حول بعض التفافا يجعلها تتقاطع تقاطعا متشابكا، ينتج عنه فراغ أو ثقوب لتكوين شكلٍ زخرفي[1]. لم يقتصر هذا النوع من الطرز على الجزائر فقط، بل مارسته المرأة التونسية وعرف في المغرب الأقصى خاصة في مدينة الرباط باسم "رنْدة"[2]. وقد أطلقت هذه التسمية أيضا في مدينة شرشال[3]، وكلمة "رنْدة" هي اسم لمدينة أندلسية استولى عليها الإسبان سنة 890هـ/1485م. وبعد قرار الطرد الجماعي هاجرها، الكثير من العائلات إلى الجزائر والمغرب الأقصى وارتبط اسم هذه المدينة بألقابهم، وسبق ذكر أنّ من بين ألقاب العائلات الأندلسية التي نزحت إلى مدينة الجزائر والمدوّنة في سجّلات المحاكم الشرعية "عائلة

[1] سعاد ماهر، المرجع السابق، ص. 117.

[2] Ricard P., Op. Cit., p. 15.

[3] Drici R., la dentelle collection du musée national des arts et traditions populaires, Alger, S. D. , p. 8.

"رنْدة"، وفرع من هذه العائلة استقر بمدينة الرباط ، واحتمال كبير أن تكون هذه العائلة هي الَّتي أدخلت هذا النوع من الطرز إلى بلاد المغرب.

لقد تغير اسم هذا الطرز في عدة مدن من الجزائر؛ وأصبح يعرف باسم " شبيكة" وهو مأخوذ من كلمة " شبكة" لأنه يشبه شبكة الصيد في مظهره بحيث يتكون من خيوط متقاطعة وعقد بينها فراغات صغيرة[1].

عرفت هذه الطريقة التزينية عند البعض بالطرز الأبيض، خلافا للطرز الَّذي ينفّذ بالخيط الذهبي أو الخيط الحريري الملون. وتوجّه الإبرة في صناعة الشبيكة إلى الأعلى خلاف الطرز العادي الَّتي توجّه فيه الإبرة نحو الداخل[2]، وتنجز الشبيكة حسب تقنيات متنوعة وغرز متعددة، مسجّلة ومحفوظة أغلبها في الذهن أو حسب نموذج[3].

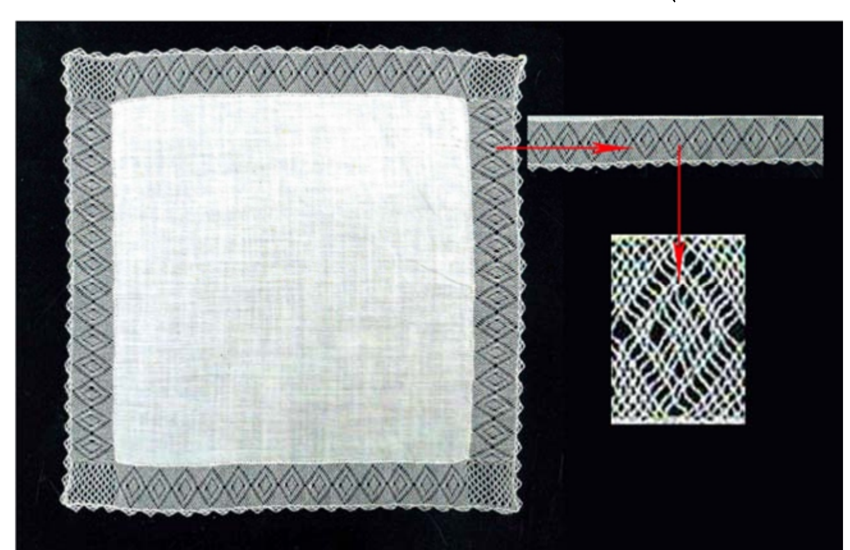
تنفّذ الشبيكة في زخرفة الملابس الداخلية كالقميص، وتوضع على كتفيه على شكل صفوف عمودية ومتوازية، أو على حوافه أو على طول دائرة العنق وتنزل إلى غاية الصدر[4]. وفي هذا الصدد يقول Venture de paradis[5]: "... لقد زخرفت حواف الأكمام بالشبيكة الَّتي أنجزت بالخيط الذهبي أو الفضي مما يجعل القميص غاليا جدا". كما نفذّت الشبيكة في أطراف البنيقة والتنشيفة والستائر إلى جانب المناديل الصغيرة.

أما فيما يخص الزخارف فأغلبها هندسية تتمثل في المثلثات والمربعات والمعينات التي عرفت باسم "المقروطة"، وربما تكون أخذت هذه التسمية من فن الطبخ الجزائري التقليدي، إلى جانب التعرجات الَّتي هي عبارة عن خطوط منكسرة أطلق عليها اسم "شطروان"، وهناك دوائر صغيرة جدا مثقوبة أطلق عليها اسم "عوينات"، قد تكون تصغيرًا

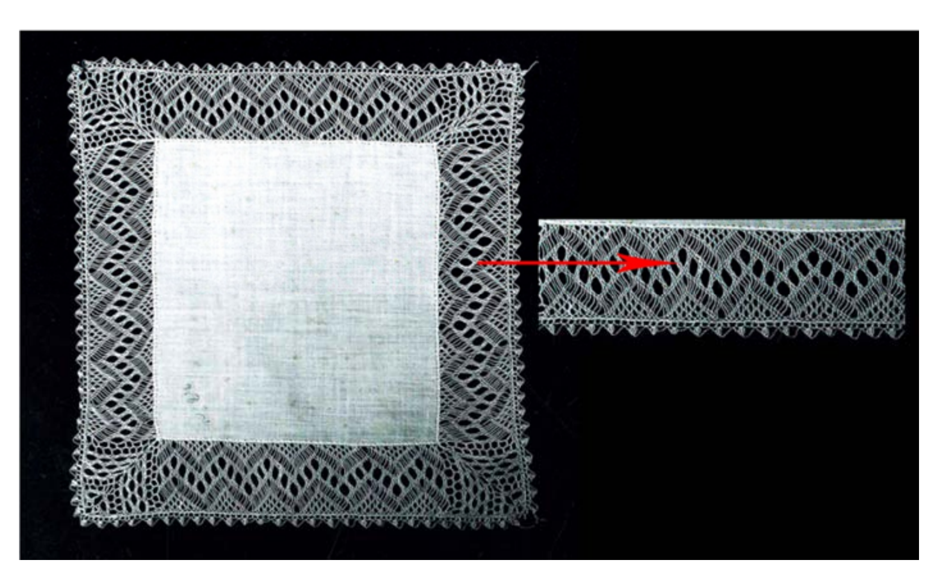
---

[1] Ricard P., Op. Cit., p. 15.
[2] Drici R., Op. Cit., pp : 6 -7.
[3] Ibid,p.8.
[4] Ricard P., Op. Cit., p. 17.
[5] Venture de paradis, Op.Cit., p.300.

لكلمة عين. بالإضافة إلى عناصر زخرفية أخرى مثل "سليلم" ومعناه سلم صغير[1].
(الصور 67 -68 - 69)

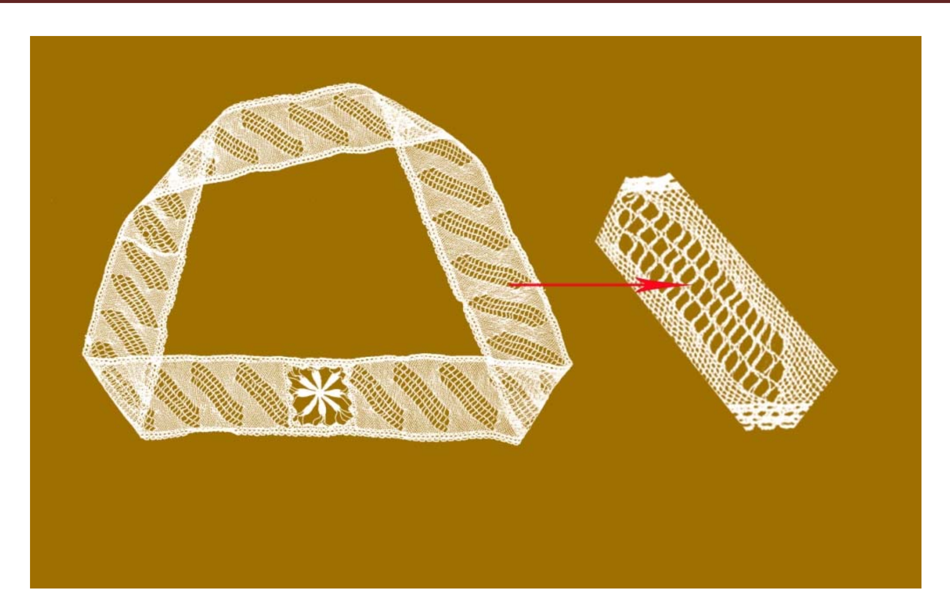


الصورة 67: منديل من قماش مطرّز بالشبيكة تحمل شكل مقروطة
الجزائر، القرن 14هـ/20م، 97-442-04
المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية.



الصورة 68: منديل من قماش مطرّز بالشبيكة تحمل شكل شطروان
الجزائر، القرن 14هـ/20م، 97-136-04
المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية.

[1] Drici R., Op. Cit., p. 8.



الصورة 69: زخرفة حواف فستان بالشبيكة تحمل شكل سْلِيلَم

القرن 14هـ/20م، المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية.

خامسا: أنواع المطرّزات

1. أنواع القطع المطرزة على القماش

إن أهم ما يميّز المنسوجات الجزائرية هي أساليب الطرز المختلفة الّتي أبدع فيه الرجل والمرأة على السواء، فقد مارست المرأة بكثرة التطريز بالخيوط الحريرية وصناعة الشبيكة. بينما برع الرجل في التطريز بالخيوط المعدنية على مادّة الجلد. وكما سبق ذكره فإن الطرز بالخيوط الحريرية هو تقليد عثماني، والتطريز المعدني بنوعيه: الفتلة والمجبود والمرفق برقاقات الزركشة هو تأثير أندلسي، وحتى صناعة القياطين والأزرار المصنوعة من الخيوط الذهبية مارسها الأندلسيون وأبدعوا فيها. إلى جانب طرز الشبيكة التي أدخلتها النساء الأندلسيات. وتتجلى مهارة الطرازين الجزائريين في إدماج ومزج هذه الأساليب الأندلسية والعثمانية في قطعة نسيجية واحدة مما زادها جمالا.

1. 1. الملابس المطرّزة بالخيوط المعدنية

تعددت قطع القماش المطروزة بالخيوط المعدنية، ومن أهمّها السترات الّتي تنوّعت وتعدّدت فكانت تصنع على وجه الخصوص من القطيفة لأنها أكثر سمكا وصلابة:

أ ـ **الغليلة:** سبق ذكر الغليلة في الفصل السابق، وقد نفذ الطرز بالخيط الذهبي على مستوى الصدر والرقبة بغرزة الفتلة. ويتمثل الطرز في شكل بيضوي في جانبي الغليلة وحفّت الرقبة بقياطين مزيّنة بمجموعة من الأزرار. (الصورة 70 – 71)



الصورة 70: غليلة من الديباج مطرّزة بخيوط ذهبية، مدينة الجزائر، القرن 13هـ/19م

(ط.:68 سم)، II.T.b.457

المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.



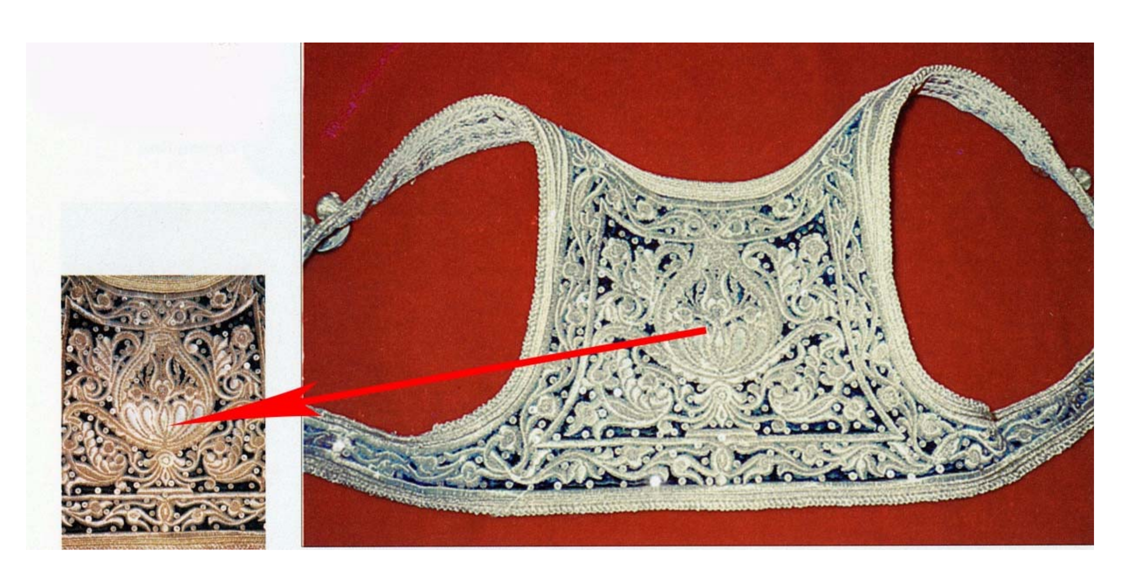
الصورة 71: غليلة من الديباج مطرّزة بخيوط ذهبية، مدينة الجزائر، القرن 13هـ/19م

(ط.: 76 سم)، II.T.b.455

المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

ب ـ **الفريملة:** هي من السترات القصيرة الَّتي كانت ترتديها المرأة الحضرية الأندلسية ومن الأمثلة:

فريملة من قطيفة حمراء طرّزت بخيوط ذهبية بغرزة المجبود، نفّذ الطرز من الخلف ويتمثل في جامة مركزية بداخلها عناصر نباتية تتمثّل في بتلات تعلوها زهرة اللاله. أحيطت الجامة بمجموعة من المراوح النخيلية تنتهي بوريدات وتتخللها رقاقات زركشة ذهبية. زينت تقويرة العنق بقياطين مزوّدة بأزرار ذهبية. (الصورة 72)



الصورة 72: فريملة من القطيفة مطرّزة بخيوط ذهبية، مدينة الجزائر، القرن 13هـ/19م
(ط.: 15,5سم، ع.: 17سم)، II.T.b.61
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

فريملة أخرى مصنوعة من القطيفة الحمراء، طرّزت على ظهرها بالخيط الذهبي بتقنية المجبود، يتمثل التطريز في مزهرية تمركزت في الوسط تخرج منها زهرة ذات سبع بتلات ينبثق من يمينها ويسارها سيقان مورقة. أحيطت المزهرية بإطار من الفروع الملتوية على شكل ضفيرة وتنتشر على وجه الفريملة وظهرها رقاقات الزركشة المذهبة، وزينت من الأمام بقياطين مزوّدة بستة عشر زرا إجاصي الشكل. (الصورة 73)




الصورة 73: فريملة من القطيفة مطرّزة بخيوط ذهبية، مدينة الجزائر، القرن 13هـ/19م
(ط.: 21 سم، ع.: 25 سم)، II.T.b.243
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

ج - **القفطان:** يلبس القفطان في الجزائر من طرف الرجل والمرأة معا، ولكنه يختلف من حيث الطرز والزخارف. فقفطان المرأة مفتوح من الأمام يصل إلى غاية منتصف الساقين لكن بحلول القرن 13هـ/19م تغيّر شكل القفطان وأصبح طويلا يصل إلى القدمين. يطرّز بالذهب والفضّة من الجهة الأمامية ابتداءً من الكتف ويزيّن بسلسلة من الأزرار المصنوعة من الخيوط الذهبية والفضية ويغلق بزرّين موضوعين في مستوى البطن.[1]

ومن أمثلة القفاطين قفطان رجالي صنع من القطيفة الحمراء مفتوح من الأمام طوله لا يتجاوز منتصف الساق، طرّز من الأمام والخلف بشرائط ذهبية عريضة بداخلها عناصر نباتية نفّذت بتقنية المجبود، تتمثل في أغصان متموّجة تتخلّلها مراوح نخيلية، بين كل مروحتين عنقود عنب محاط بمجموعة من الخطوط. زودت فتحة القفطان بأزار ذهبية. (الصورة 74)

[1] Venture de paradis, Op. Cit., p. 37.



الصورة 74: قفطان من القطيفة مطرّز بصفائح ذهبية، الجزائر، القرن 12هـ ـ 13هـ /18 م ـ 19م، (ط.: 1,30م، ع.: 86 سم)، II.T.b.139
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

هناك قفطان آخر نسوي صنع من القطيفة بأكمام طويلة، ذو لون أحمر قاتم مطرّز بخيوط ذهبية من الأمام والخلف بغرزة المجبود، زخرفت حافة القفطان الأماميّة بمجموعة من الأشكال البيضوية المتلاصقة، بداخلها عناصر نباتية محوّرة. وتنتشر في باقي المساحة مجموعة من أزهار ذات أغصان مورقة. أما الظهر فزخرف بنفس الأزهار الَّتي في الأمام، وطرزت على أطراف الأكمام سلسلة من الأشكال البيضويّة شبيهة بالَّتي على حافة القفطان. (الصورة 75)




الصورة 75: قفطان بأكمام من القطيفة بطرز ذهبي، الجزائر، القرن 14هـ/20 م
(ط.: 1,43م، ع.: 50 سم)، II.T.b. 290
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

د ـ البدعية: هي عبارة عن سترة قصيرة بدون أكمام، يلبسها الرجل في المناسبات والأفراح تكون مفتوحة من الأمام وتغلق بأزرار، وتطرّز طرزا كثيفا بالخيوط الذهبية. ومن أمثلة البدعيات المطرّزة:

بدعية من القطيفة الحمراء طرّزت من الأمام والخلف بخيوط ذهبية بغرزة المجبود والفتلة. طرّزت الجهة الأمامية بزخارف نباتية تتمثل في مراوح نخيلية نفذت بغرزة المجبود. تتخللها شرائط عمودية أسفلها شكلان بيضويان نفذتا بغرزة الفتلة. طرز الظهر بزخارف متناظرة قوامها سيقان متداخلة، وعلى الجانبين أشرطة ذهبية عمودية. تنتشر رقاقات الزركشة الذهبية في كلّ جهات البدعية. (الصورة 76)




الصورة 76: بدعية من القطيفة مطرّزة بخيوط ذهبية، الجزائر، القرن 13هـ/ 19م
(ط.: 35 سم، ع.: 33 سم)، II.T.b.49
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

1 .2. الملابس وقطع التأثيث المطرزة بالخيوط المعدنية والحريرية والشبيكة

طرزت بعض أنواع القطع النسيجية بالخيوط المعدنية والحريرية، وفي بعض الأحيان يزيّن جانبيها بأشرطة ضيّقة مطرّزة بخيوط حريرية أو ذهبية بغرزة الشبيكة. استعمل هذا االنوع من الطرز بكثرة في لباس الرأس الخاص بالمرأة كالبنيقة والتنشيفة كما استعمل في منسوجات التأثيث كالستائر والسِمَاط.

أ ـ البنيقة: اهتمت المرأة الجزائرية بالبنيقة الَّتي كانت تصنع عادة من قماش رقيق كالكتّان والحرير، وأفردت لها طرزا خاصا استعملت فيها غرزا مختلفة وتقنيات متعدّدة. من الأمثلة البيانق الَّتي استعملت فيها الخيوط الحريرية مع الخيوط الذهبية:

بنيقة من قماش كتّاني خفيف وشفاف، لها شكل مستطيل وثُنيت في الوسط مشكلة قبعة. طرزت البنيقة من الأعلى إلى الأسفل بغرزة المعلقة الَّتي هي عبارة عن غرزة مائلة أو منحرفة تظهر متشابهة في وجه القماش وقفاه ويتم إنجازها باستعمال أربع أو ست عقد[1].

[1] شريفة طيان، "فن التطريز..."، ص. 122.

استعملت الخيوط الحريرية ذات اللون البنفسجي الَّذي طغى على الطرز مع اللون الأخضر الموجود بقلة، بالإضافة إلى الخيوط الذهبية. تتشكّل الزخرفة من عناصر نباتية قوامها مراوح نخيلية كبيرة تتخللها أزهار القرنفل المتوّجة بهلال وأزهار الرمان وعباد الشمس. طرزت هذه الأزهار بالخيط الذهبي. في أسفل البنيقة شريط ضيق مطرز بالخيط الذهبي، وفي نهايتها أهداب ذهبية يقدر طولها ب 4 سم[1].(الصورة 77)



الصورة 77: بنيقة من الكتّان مطرّزة بخيوط حريرية وذهبية، مدينة الجزائر، القرن 12هـ/18م، (ط.: 124 سم، ع.: 18 سم)، II.T.b.105
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

بنيقة أخرى من الكتّان الأبيض طرزت من الأعلى إلى الأسفل بخيوط حريرية مع خيوط ذهبية باستعمال غرزة الزليلج التي هي عبارة عن مربعات خزفية ذات أشكال نجمية ولها خلفية وتكون فتحات نجمية الشكل[2]. (الصورة 78)

[1] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 331.
[2] شريفة طيان، "فن التطريز..."، ص. 123.

تتشكل الزخرفة من أشكال نباتية قوامها مراوح نخيلية وسيقان وبراعم نفذت بالخيط الحريري ذو اللون الأحمر والأزرق، واستعمل الخيط الذهبي لزخرفة زهرة القرنفل. في أسفل البنيقة شريط ضيّق مطرّز بخيوط ذهبية به مجموعة من المعينات.



الصورة 78: بنيقة من الكتّان الأبيض مطرّزة بخيوط حريرية وذهبية، مدينة الجزائر القرن 12هـ - 13هـ/ 18م - 19م، (ط.: 1,11م، ع.: 0,16 م)، II.T.b.96 المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

هناك بيانق استعملت فيها الخيوط الحريرية فقط، وطرّزت في أسفلها بغرزة الشبيكة ومن الأمثلة:

بنيقة من الكتّان مطرّزة من قبعتها إلى أسفلها بخيوط حريرية ملونة كالأحمر والأخضر بغرزة الزليلج، تتمثل الزخرفة في وريدات صغيرة بسيقانها وأوراقها، إلى جانب

أشكال نباتية محورة. زين أسفل البنيقة بشريط ضيق مطرّز بخيط حريري أبيض به مجموعة من الخطوط المنكسرة تحمل شكل شطروان، وتنتهي بأهداب. (الصورة 79)



الصورة 79: بنيقة من الكتّان مطرّزة بالخيوط الحريرية الشبيكة، مدينة الجزائر
القرن 14هـ/ 20م، (ط.: 1,15م، ع.: 0,20 م)
08/350/97، المتحف العمومي الوطني لفنون والتقاليد الشعبية.

ب ـ التنشيفة: هي قطعة من القماش مستطيلة الشكل تغطي بها المرأة شعرها بها عند خروجها من الحمّام مباشرة وتجففّه، تصنع التنشيفة عادة من الكتّان وتطرز بزخارف منسقة ومنظّمة[1]. ومن الأمثلة:

[1] شريفة طيان، الفنون التطبيقة...، ص. 169.

تنشيفة مطرّزة بخيوط حريرية ذات اللون البنفسجي والأخضر مع خيوط ذهبية، نفذ الطرز بغرزة المعلقة، وقوامه مراوح نخيلية استعمل فيها الخيط البنفسجي الَّذي طغى على بقية الألوان مع اللون الأخضر الموجود بقلة، تتخلل المراوح أزهار كبيرة وصغيرة مطرّزة بالخيط الذهبي. في أعلى وأسفل التنشيفة شريطان ضيقان مطروزان بخيط حريري أبيض بغرزة الشبيكة ذات أشكال مخرمة تتمثّل في خطوط مائلة وأخرى منكسرة. (الصورة 80)



الصورة 80: تنشيفة من القماش مطرّزة بخيوط حريرية وذهبية والشبيكة، مدينة الجزائر
(ط.: 2,63 م، ع.: 0,41 م) ، القرن 12هـ - 13هـ/ 18م - 19م
II.T.b.77، المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

تنشيفة أخرى مصنوعة من القماش الرقيق، ومطرّزة بخيوط حريرية متعددة الألوان كالأزرق والأحمر والأخضر والأصفر والأبيض باستعمال غرزة المعلقة. زخرفت القطعة بعناصر نباتية محورة قوامها أشكال بيضاوية تنتظم حول زهيرة مركزية، إلى جانب المراوح نخيلية. زيّن جانبا التنشيفة من الأسفل بأشرطة مطرّزة بالحرير الأبيض بزخارف هندسية قوامها خطوط مائلة متقاربة مخرمة منفذة بغرزة الشبيكة[1]. (الصورة 81)

[1] شريفة طيان، الفنون...، ص. 334.



الصورة 81: تنشيفة من القماش مطرّزة بخيوط حريرية والشبيكة، مدينة الجزائر، القرن 12هـ/18م، (ط.: 2,15م، ع.: 0,35 م)، II.T.b.103
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

ج ـ **السَجَف:** جمعها سجوف ويقال:" سَجَف البيتَ" أي أرخى عليه سترا[1]، فالسجف هو ستار الباب المسمَّى عادة "إزار الباب". وتتمثل وظيفته في فصل الغرفة عن الخارج، أي صحن الدار (وسط الدار)، الَّذي يعتبر الفضاء المخصّص للأشغال المنزلية الَّتي تقوم بها المرأة، وفي نفس الوقت هو المنفذ الوحيد للرجال الأجانب الَّذين يقصدون الحجرات المجاورة. فالستار هو الحدّ الفاصل بين فضائين متميّزين يشهد على حرمة سكان الدار ويحميه من النظرات الخاطفة الفضولية الماكرة[2].

يعلّق الستار عادة على مدخل الحجرات، ويسمح بدخول الضوء، كما أنه له وضيفة جمالية حيث أنه يزيّن البيت خاصة في أيام الأعياد والأفراح. وتكتسي مداخل

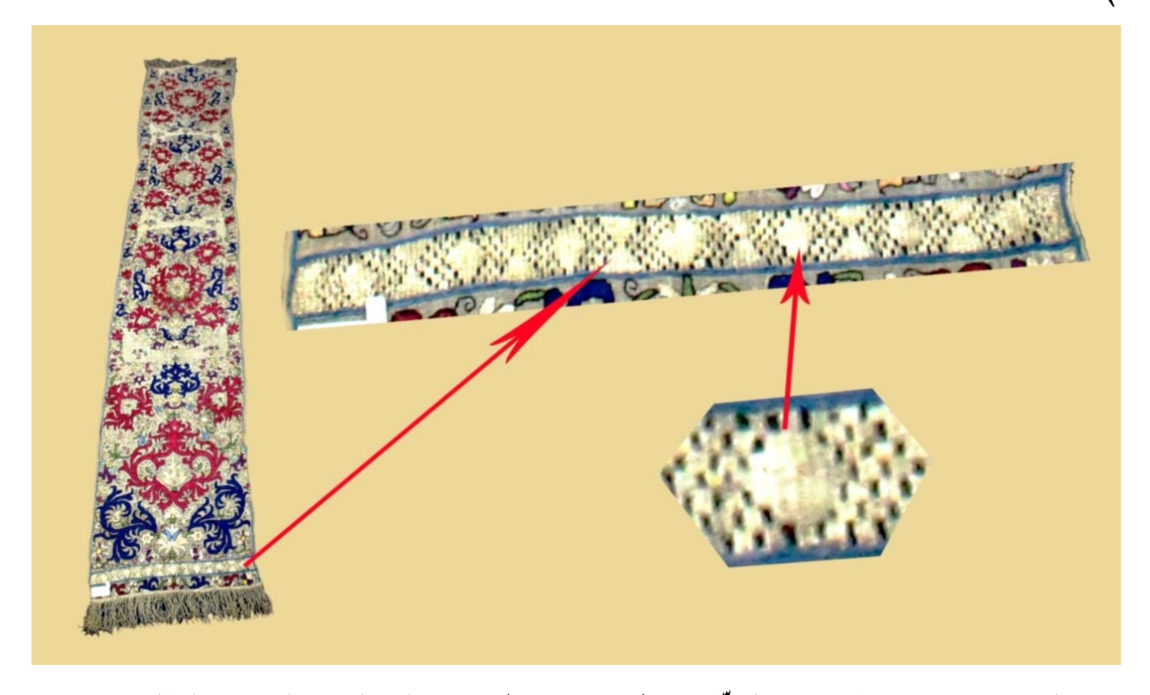
[1] لويس معلوف، المنجد في اللغة...، ص. 322.

[2] راضية دريسي، " أسجاف مدينة الجزائر طرز ذو فن وتايخ"، في كتالوج: الحياة اليومية في مدينة الجزائر، الجزائر، 2007، ص. 29.

الغرف بستائر فاخرة غالبا ما تتكون من ثلاثة أشرطة مصنوعة من أقمشة شفافة وخفيفة متّصلة فيما بينها بأشرطة حريرية متعدد الألوان يكون الشريط الأوسط أعرضها[1].

ومن أمثلة الستائر المطرزة بالخيوط الحريرية والشبيكة:

ستار من الكتّان الأبيض الرقيق مطرز بخيوط حريرية متعدّدة الألوان كالبنفسجي والأصفر والأزرق والأحمر والأخضر. تقوم الزخرفة على أشكال نباتية محورة وضعت عموديا على طول الستار من الأعلى إلى الأسفل، شكلت جامّات دائرية تتمثل في أزهار متنوعة ومراوح نخيلية. وفي أسفل الستار شريط ضيق نفذ بداخله طرز بغرزة الشبيكة أنجزت بخيوط حريرية بيضاء تتمثل الزخرفة في معينات أخذت شكل مقروطة. (الصورة 82)



الصورة 82: ستار من الكتّان مطرّز بخيوط حريرية والشبيكة، مدينة الجزائر
القرن 13هـ/19م، (ط.: 2,90 م، ع.: 0,56 م)، II.T.b.199
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

[1] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 172.

ستار آخر من الكتان الأبيض طرّز بخيوط حريرية يغلب عليه اللون البنفسجي إلى جانب اللون الأخضر والأبيض الموجودان بقلة، نفذ الطرز على كامل الستار بغرزة المعلقة وتتشكل الزخرفة من مجموعة من الأزهار الكبيرة بداخلها أزهار صغيرة. في أعلى وأسفل الستار شريطان ضيقان بداخلهما طرز بغرزة الشبيكة، قوام زخرفتهما دوائر صغيرة مثقوبة أعطت شكل "عوينة". (الصورة 83)



الصورة 83: ستار من الكتّان مطرّز بخيوط حريرية والشبيكة، مدينة الجزائر
القرن 13هـ/19م، (ط.: 2,40 م، ع.: 0,41 م)، II.T.b.285
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

د ـ السِمَاط: هو ما يبسط ليوضع عليه الطعام[1]، ويحتفظ المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة على سماط من الكتّان، مطرّز بخيوط حريرية باللون الأحمر والأزرق. تتمثل الزخرفة في أشكال نباتية محورة وضعت عموديا على طول السماط. في أعلى وأسفل السماط شريطين عريضين مطروزين بخيوط حريرية متعددة الألوان كالأبيض

[1] لويس معلوف، المنجد في اللغة...، ص. 350.

والأزرق والأحمر والأخضر، نفذ الطرز بغرزة الشبيكة قوامه أشكال مخرمة تتمثل في معينات كبيرة. (الصورة 84)



الصورة 84: سماط من الكتّان مطرّز بخيوط حريرية والشبيكة، الجزائر
القرن 13هـ/19م، (ط.: 1م، ع.: 50 سم)، II.T.b.544
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

2. أنواع القطع المطروزة على الجلد بالخيوط المعدنية

تنوعت القطع الجلدية الَّتي طرّزت بالخيوط المعدنية، وتتمثل أساسا في عدّة أنواع من الأحذية النسوية كالبابوش والشبرلة الَّتي سبق ذكرهما. وقد احتل طرز السرّوج مكانة هامّة لدى الطرّازين وتفنّنوا في طرز كل المعدات الَّتي يحتاجها الفارس كحقائب السفر والتماغ وحامل الخراطيش وحامل المسدسات.

2. 1. الأحـذيـة

أ ـ **صبّاط المجبود:** هو من الأحذية الراقية المطرّزة بالخيط الذهبي؛ ظهر في الفترة العثمانية وعُرِف في مدن الجزائر وقسنطينة وتلمسان. وكان يقدم للعروس كهدية لها من

طرف أهل زوجها. يصنع الصبّاط من الجلد المدبوغ ويكون مغلقا من الأمام ويزود بكعب[1].

يحتفظ المتحف العمومي الوطني الباردو بصبّاط المجبود ذي كعب، صنع من جلد الفيلالي أصفر اللون وهو مغلق من الأمام، ومطرّز كليا بخيوط ذهبية بغرزة المجبود. تتمثل الزخرفة في وريدات خماسية البتلات وفروع ملتوية تتخلّلها مراوح نخيلية، زين الصباط برقاقات الزركشة المذهبة. (الصورة 85)



الصورة 85: صبّاط المجبود من الجلد مطرّز بخيوط ذهبية، الجزائر، القرن 13هـ/19م

(ط.: 26 سم، إر.: 9 سم)، Ch.X. 226(1,2)

المتحف العمومي الوطني الباردو – الجزائر –

ب ـ البابوش: يلبس كل من الرجل والمرأة البابوش، لكن بابوش المرأة يكون مطرّزا بالخيوط الذهبية. ومن أمثلة بابوش المرأة:

بابوش مصنوع من الجلد البني بتفريشة حمراء، مغلق من الأمام ومغطّى بقطعة من القطيفة ذات اللون الأزرق، عليها تطريز ذهبي قوامه زهرة مركزية تنبثق منها مروحتان نخيليتان. (الصورة 86)

[1] Baghli O., Op. Cit., p. 40.



الصورة 86: بابوش من الجلد مطرّز بخيوط ذهبية، الجزائر، القرن 13ه/19م
(ط.: 27 سم، ع.: 7 سم)، Ch. X.37
المتحف العمومي الوطني الباردو – الجزائر –

ج ـ الشبرلة: ساهم الأندلسيون في صناعة الشبرلة، وتصنع من الجلد وتثبت عليها قطعة من القطيفة الزرقاء، مطرّزة بالخيوط الذهبية قوامها زخارف نباتية مكثفة أساسها مراوح نخيلية تتخلّلها زهرات. بالإضافة إلى رقاقات الزركشة. (الصورة 87)



الصورة 87: شبرلة من الجلد والقطيفة مطرّزة بالخيوط الذهبية، مدينة الجزائر
القرن 13ه/19م، (ط.:24سم،ع.: 9 سم)، II.Cr.11
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

د ـ **التماغ:** مظهره عبارة عن جوارب من الجوخ طولها يعادل طول الساق وتشبه ثناياه الآلة الموسيقيّة المعروفة بالأكورديون، والجزء الَّذي تدخل فيه الرجل عبارة عن نعل جلدي أصفر أو أحمر اللون حسب لون الجوارب.

خصّص التماق للزعماء الكبار والفرسان، وقد عرف في الجزائر منذ الفترة المرينية خلال القرن 8هـ/14م، لكنه انتشر لبسه بشكل واسع في الفترة العثمانية خاصة في مدينة الجزائر وقسنطينة. يتمّ لبسه داخل حذاء[1]. (الصورة 88)

طرّز التماغ بالخيوط الذهبية على مقدمة الحذاء وجزئه العلوي، وتتمثل الزخرفة في عناصر نباتية كأنصاف المراوح النخيلية والورود الصغيرة، باستعمال رقاقات الزركشة في تشكيل الأزهار.



الصورة 88: زوج من تماغ من الجلد والقطيفة مطرّز بالخيوط الذهبية
الجزائر، القرن 12هـ/18م، (ط: 78 سم، ع: 22 سم)
II.T.b.113، المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

[1] Baghli O., Op. Cit., pp : 18 – 19.

2 . 2. عدّة الفارس والفرس

أ ـ الجبيرة: هي حقيبة صغيرة من الجلد ذات فتحة واحدة، يحملها الفارس أثناء تنقلاته طرّزت من الداخل والخارج بخيوط ذهبية، تتمثل الزخرفة في دوائر وأشرطة بداخلها عناصر نباتية ثبت بأعلى الحقيبة حزام للتعليق. (الصورة 89)



الصورة 89: جبيرة من الجلد مطرّزة بالخيوط الذهبية، الجزائر
القرن 13هـ/19م، (ط: 39سم، ع: 28سم)، II. Cr. 22
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

ب ـ حامل مسدس: هو عبارة عن حقيبة من الجلد لها شكل مسدس، بداخلها فراغات لحفظ الخراطيش، طرّزت واجهته بعناصر نباتية مكثفة منفذة بخيوط ذهبية، تتمثل في المراوح النخيلية وأزهار سداسية البتلات. (الصورة 90)



الصورة 90: حامل مسدس من الجلد مطرّز بالخيوط الذهبية، الجزائر
القرن 13هـ/19م، (ط: 16سم، ع: 13سم)،II.Cr.31
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

ج ـ السرج: هو رحل الدابة، وهو عبارة عن بساط جلدي يوضع على ظهر الخيل[1] تطرز السروج غالبا بالخيوط المعدنية الذهبية بتقنية المجبود، وتكون المادة الأساسية فيه الجلد ويغطى بالقطيفة. ومن أمثلة السروج:

سرج مصنوع من الجلد ومغطى بقطيفة بنية، وطرّز بخيوط ذهبية بتقنية المجبود قوام الزخرفة عناصر نباتية محوّرة كالفروع المتشابكة والسيقان والمراوح النخيلية والأزهار وزود في أطرافه يقيطان زرقاء اللون. (الصورة 91)

[1] مجمع اللغة العربية، قاموس المعجم...، ص. 425.



الصورة 91: بساط سرج من الجلد والقطيفة مطرّز بالخيوط الذهبية، الجزائر

القرن 13هـ/19م، (ط.: 90 سم،ع.: 62 سم)، II.T.b.430

المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

الفصـل الخامس

الفنون والصناعات الخشبية

أولا: الفنون الخشبية والأصباغ

ثانيا: صناعة السفن والقنداق

أولا: الفنون الخشبية والأصباغ

تميّزت الصناعة الخشبية في الجزائر عموما بكونها صناعة ذات تأثيرات محلية قائمة بذاتها، ساهم في ازدهارها الأندلسيون الَّذين استقروا بالجزائر. وقد ساعدهم على ذلك وفرة المادة الأولية في البلاد المتمثلة في الأخشاب[1]، ويرجع سبب هذه الوفرة إلى الأندلسيين الَّذين وسّعوا في غرس أنواع كثيرة من الأشجار السابق ذكرها كالأشجار المثمرة المتمثلة في البرتقال والليمون واللوز والزيتون، وإن كانت هذه الأشجار لا تستعمل كثيرا في المشغولات الخشبية لأنها غرست من أجل الغذاء. بالإضافة إلى الأشجار غير المثمرة كالدردار والسرو.

تعتبر أشجار الأرز أكثر الأنواع استعمالا حيث استخدمت أخشابه في التدفئة وبناء السفن وصناعة الأثاث[2]، يتميّز بصلابته وقوته، واستعمل في الأعمال الفنية في الحفر وصنع الروافد والرسم والتصوير[3]. كما يتميّز أيضا برائحته الطيبة الَّتي تدوم لعدّة سنوات؛ اقتصر ظهوره في الأطلس البليدي[4] خاصة في جبال الشريعة والونشريس وجرجرة والبابور وفي الأوراس[5]. يأتي بعده شجر الجوز الَّذي يعدّ خشبه من أمتن الأخشاب ويتميز بصلابته المرنة وجمال أليافه، استخدم في الحفر الدقيق لاندماج أليافه وتراكمها[6] ومن أهم مناطق انتشاره مدينتا مليانة وتبسة.

احتوت غابات الجزائر على أشجار الصنوبر الَّتي انتشرت في تلال الساحل الغربي لمدينة الجزائر في سيدي فرج والمعالمة والدواودة وتيبازة وجبال شنوة والقليعة[7]. ومن أشهر أنواعه صنوبر حلب الذي يمتد على مساحات شاسعة من الغرب الجزائري

---

[1] Fraigneau A., La maison mauresque, S. L, S. D, p. 46.

[2] Garayon G.,Le travail artistique du bois en Algérie, imprimerie fontanas, Alger, S.D, p. 3

[3] أندريه باكار، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، ج. 2، دار تولي، باريس، 1981، ص.220.

[4] الأطلس البليدي: يمتد من غرب حجوط حتى جبل بوزقزة، ومن الشمال يحده سهل متيجة وجبل بوزرريعة ويمتد على شاطئ البحر من مدينة الجزائر حتى شرشال. أنظر: عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر ...، ص. 45.

[5] Gast M.et Assié Y., Des coffres puniques aux coffres Kabyles, Paris, 1993, p. 31.

[6] شريفة طيان، الفنون...، ص. 105.

[7] عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر...، ص. 118.

والأطلس الصحراوي[1]. يتميّز خشب الصنوبر بليونته وبأليافه الرقيقة وسهولة الحفر فيه استعمل خاصّة في صناعة الصناديق الكبيرة في بلاد القبائل لتوفره في المنطقة[2].

انتشر شجر البلوط في أغلب غابات المدن الساحلية، كالمناطق المجاورة لمدينة الجزائر مثل بوزريعة[3]. تتميّز أخشابه بالقوة والمرونة وهو قابل للصقل بصورة جميلة، إلا أنّه غير قابل للنحت الدقيق. أما الجهات الساحلية الممتدّة من القالة إلى بجاية فقد غطتها أشجار الفلين والزيتون وهذا قبل أن تتعرّض للإتلاف والحرق من طرف الجيوش الفرنسية المحتلة[4]. وغطّت مساحات معتبرة من التل الوهراني والعاصمي شجر العفصية المعروفة بالتويا الَّذي استعمل بكثرة في الأثاث الرفيع الّذي كان يباع بأثمان باهضة. واستعمل في صناعة الأثاث أيضا خشب الزان، السهل التشكيل ويتميز بصلابته وليونته[5]، واستعمل كذلك خشب الأبنوس وهو من الأخشاب الصلبة أسود اللون يستعمل بكثرة في التطعيم وهو قابل للصقل ويتحمّل التقلّبات الجوية[6]. (الخريطة 18)

---

[1] Lespes R., Pour comprendre l’Algérie, Alger, 1937, p. 43.

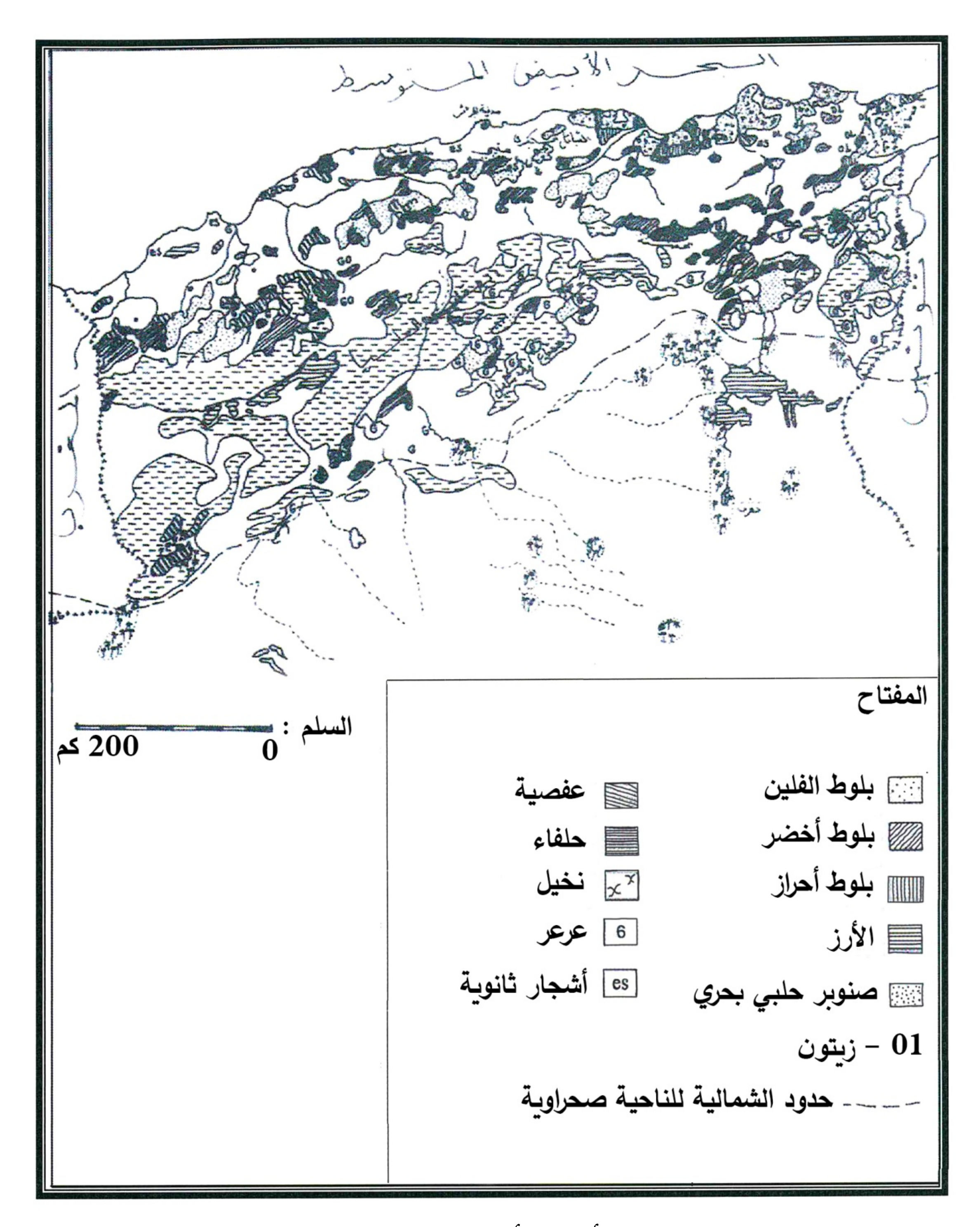
[2] Gast M., Assie Y., Op. Cit., p. 30.

[3] عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر...، ص. 118.

[4] ناصر الدين سعيدوني والمهدي الشيخ البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 60.

[5] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 105.

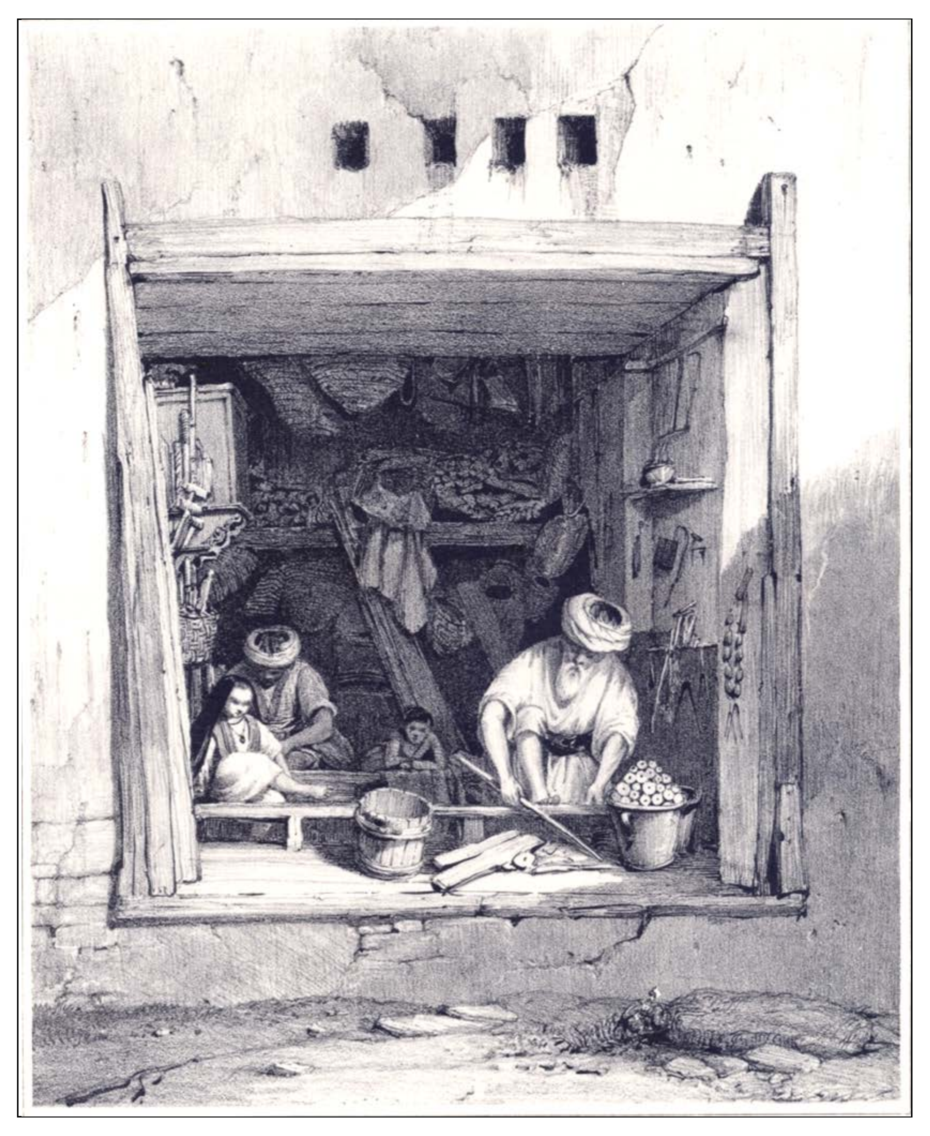
[6] نفسه، ص. 105.



الخريطة 18: أنواع الأشجار المتوفرة في الجزائر

عن: علي بن بلة (بتصرف).

رافق توفر المادّة الأولية في الجزائر وفرة اليد العاملة التي كانت تقوم بهذه الإنجازات؛ فقد كان للأندلسيين دورٌ هامٌ في دفع عجلة هذه الصناعة دون إهمال الصناع المحليين الذين شاركوا فيها[1]. وقد ضمت مدينة الجزائر ورشات متخصصة في إنجاز الخشب وسوقا للوح وآخر للخراطين[2]، حيث يتمّ فيه تحضير قطع خشبية صغيرة مستطيلة الشكل تجمع بعضها لبعض وتكوّن أشكالا فنية مخرمة[3]. (الصورة 92)



الصورة 92: خرّاط على الخشب

عن: Lessore E et Wylde W

[1] كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص. 40.

[2] Emérit M., « Les quartiers commerçants à Alger à l'époque turques » in Algéria, 1952, p.11.

[3] محمد رزق عاصم، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص. 97.

كان بمدينة تلمسان سوق خاصة بالخراطين والنجّارين والقبابين[1] المختصّين في صناعة القباقيب والأقباب والقبيبات، والقباقيب هي عبارة عن خفّ خشبي يتكون من قطعة خشبية صلبة تتصل بالقدم بواسطة شريط جلدي[2]. وتعرف الأقباب بأنها أوعية خشبية تستعمل خاصة في ملء الماء الساخن في الحمام، أما القبيقبات فهي عبارة عن أوعية صغيرة من الخشب تحمل الماء للشرب وكثيرا ما كانت تحلّى بمقبض جلدي وبمسامير من النحاس الأصفر[3].(الصورة 93)



الصورة 93: قبيقب من الخشب، مدينة تلمسان، القرن 13هـ/19م

10. 23. 97، المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية.

عرفت مدينة قسنطينة الصناعة الخشبية الَّتي كانت تتم في ورشات خاصة؛ تميّزت بالتنوع في الصناعة والزخرفة، وأنتجت هذه الورشات مشغولات متعدّدة ومتنوعة

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج. 1، ص. 220.

[2] شريفة طيان، ملابس المرأة...، ص. 141.

[3] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 112.

كالصناديق المختلفة الأحجام،[1] الّتي كانت تزخرف إما بتقنية الصبغ والدهن أو بتقنية الزخرفة بالمسامير، إلى جانب إنجاز الموائد والقباقيب[2]. (الصورة 94)



الصورة 94: صندوق من خشب الأرز عليه زخارف مسمارية، مدينة قسنطينة
القرن 12هـ ـ 13هـ/ 18م ـ 19م، (ط.: 1م، ع.:54,5 سم، إر.: 69 سم)
II.B.56، المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

1 . مجالات الصناعات الخشبية

ظهرت حرف خاصة بالصناعة الخشبية ساهم فيها الأندلسيون بصورة كبيرة كالخشابة والنجارة.

ـ **الخشابة:** من الخشب هو ما غلظ من العيدان، ويمثل القسم الصلب من الشجر والخشّاب هو الّذي يقطع الخشب ويبيعه. فهو بائع الخشب[3].

وقد ورد في الوثائق المدروسة اسم واحد للخشّاب وهو:

[1] Feraud C. L., « Les corporations de métiers à Constantine » in Rev. Afr., 1872, p. 452.

[2] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 111.

[3] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 2، ص. 832.

ـ " محمد الأندلسي **الخشاب**"[1].

ـ النجارة: تطلق كلمة النجارة على كل المصنوعات الّتي تتخذ من الخشب مادّة لها كالصناديق والأبواب والنوافذ، وهي تنقسم إلى قسمين:

• النجارة الثابتة: تخص القطع الَّتي توضع وتثبت في العمائر كالنوافذ والأبواب والأطر والسقوف والأوتاد الَّتي كانت تربط بين العقود والداربزين والرفوف الجدارية. (الصورة 95)

• النجارة المتحرّكة وتتعلّق بمختلف المصنوعات المنتقلة من صناديق وعلب وطاولات وكراسي[2].

يقوم النجّار بإنجاز كل هذه المشغولات سواء كانت ثابتة أو متحركة، وقد وردت في الوثائق أسماء لنجّارين أندلسيين في كل من مدينة الجزائر والمدية.

النجّارون الأندلسيون بمدينة الجزائر:

ـ المكرم أوسطا عبد الله **النجار** بن محرز **الأندلسي**[3].

ـ السيد محمد بن الجيد **الأندلسي النجار حرفة**[4].

ـ أحمد بن **النجار** الأندلسي[5].

ـ يوسف **النجار** الأندلسي 1102هـ/1690 م[6].

النجارون الأندلسيون بمدينة المدية:

ـ محمد بن الجيكوا **النجار** الأندلسي[7].

---

[1] م . ش.علبة 49 الوثيقة 34.

[2] علي بن بلة، المرجع السابق، ص. 29.

[3] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 153.

[4] نفسه، ص. 113.

[5] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 86.

[6] نفسه. 88.

[7] ودان بوغوفالة، المرجع السابق ص. 124.



الصورة 95: منظر عام لدرابزين بقصر خداوج

عن: علي بن بلة

1 . 1 . صناعة الأثاث:

الأثاث هو كثرة المال ومتاع البيت، ويقال: أثَّث الشيء أي وطأه[1]. يتكون أثاث البيت الجزائري عموما من طاولات صغيرة تعرف باسم المائدة[2]، وخزائن جدارية وأسرّة خاصّة بالكبار بأعمدة خشبية مذهبة، وأخرى للصغار تعرف باسم الدوح[3]. بالإضافة إلى الكراسي العالية وكراسي المصاحف التي يطلق عليها المكتوبة[4]، والمرايا المستوردة من البندقية. كما أخذت المصنوعات الخشبية الملونة أهمية كبيرة مثل الصناديق الملونة والرفوف[5] إلى جانب أدوات المطبخ كالمثارد والمهارس والقِصاع والملاعق وطوابع الخبز[6]. (الصور 96 - 97)

[1] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 1، ص. 19.

[2] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 128.

[3] Boyer P., Op. Cit., p. 161.

[4] Vachon M., Op. Cit., p. 37.

[5] علي بن بلة، المرجع السابق، ص. 21.

[6] حورية شريد، تطور المطبخ المغربي...، ص. 139.



الصورة 96: رف جداري من الخشب، مدينة الجزائر، القرن 12هـ ـ 13هـ/18م ـ19م

(ط.: 12سم، إر.:31 سم)، II.B.50

المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة، عن: طيان شريفة.



الصورة 97: طابع خبز، مدينة الجزائر، القرن 12هـ/18م

(ق.: 15سم، إر.: 41 سم) ، II.B.41

المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

من بين المشغولات الأثاث التي ساهم فيها الأندلسيون:

1 . 1 .1 . الصناديق والعلب

ـ **الصناديق** : يعدّ الصندوق من بين أثاث البيت الجزائري، فقد كانت بمدينة الجزائر صناديق خشبية شبيهة بحقيبة الثياب، تقوم مقام الخزانة ذات الأدراج وهي مصبوغة باللون الأحمر ومزخرفة بالنقش العربي المذهب[1].

[1] هاينرتيس فونمالتسان، المصدر السابق، ص. 30.

عرفت الجزائر صناعة الصناديق الخشبية قبل مجيء الأندلسيين، لكن البعض منها ارتبط بظواهر اجتماعية متّصلة بالعادات، مثل " صندوق العروسة " وتعود هذه التسمية إلى كونه بمثابة الخزانة الَّتي تضع فيها العروس ملابسها وجهازها، تأخذه يوم الزفاف معها إلى البيت الزوجية. وقد ساهم الأندلسيون في صناعة هذا الصندوق في المغرب وكان يصنع في المدينتين المغربيتين تطوان والرباط من شجر العرعر الصلب في هيكل غاية في الكبر لتجمع فيه العروس رياشها[1] ولباسها[2]. وأما في الجزائر فيصنع عادة من خشب البلّوط والزان، وقد زوّد هذا الصندوق من الداخل بعلبتين جانبيتين لتضع فيهما العروس حليَّها وأشياءها الثمينة، وكان يُحمل على ظهر الحمار عند تنقلها إلى بيت زوجها[3].

بقي صندوق العروس متداولا عند بعض العائلات الجزائرية خاصة في مدينة الجزائر حتى أواخر الخمسينات من القرن الماضي، حيث تلاشى استعماله فأصبح كقطعة أثاث للعرض في المنزل. وقد كانت العائلات الثريّة تتباهى به لحجمه وثقله عند إخراجه من بيت العروس وكان يتم طلب صنعه من عند النجّار في مرحلة الخطوبة وهي مرحلة مهمّة في تحضير حاجيات العروس[4].

يزخرف صندوق العروس عادة بأسلوب الصبغ والتصوير، ويسبق عملية الصبغ طلاء أسطح الخشب بلون أحادي، وتترك تجف في الهواء في مكان بعيد عن الشمس بعد ذلك يقوم الفنان بالرسم بواسطة الفرشاة باستعمال الألوان المرغوب فيها كالأحمر والأخضر والأصفر والأبيض، وتكون هذه الألوان طبيعية. وللحفاظ عليها من المؤثرات الخارجية كالحرارة والرطوبة تطلى بمادّة اللاكية وهي مادّة صمغية شفافة، تجفّ بسرعة

---

[1] الرياش: هو ما كان فاخرا من اللباس.

[2] محمد المنوني، المرجع السابق، ص. 89.

[3] ليلى مرابط، صندوق العروس، في كتالوج: من إيكوسيم إلى الجزائر، الجزائر، 2007، ص. 210.

[4] زهور حداد،" صندوق العروس"، في كتالوج: الحياة اليومية في الجزائر، الجزائر، 2007، ص. 47.

تستخرج من شجر السماق[1] وعرفت تقنية الدهن باللاكية في العصور الإسلامية المتأخرة خاصّة العصر العثماني[2].

تجلى في صندوق العروس رسم مواضيع زخرفية تتمثل في عناصر نباتية وهندسية وحيوانية منفذة بأسلوب طبيعي ومحور. تشكل هذه العناصر خاصة الحيوانية منها مواضيع ترمز إلى حياة زوجية هنيئة وكثرة الأولاد، فالطيور عامة ترمز إلى الشرف والحماية كالسنونوة، واليمامة ترمز إلى الحب والصفاء والبساطة والفرج؛ كما أنها تعبّر عن المرأة الجميلة والرقيقة. أما أسلوب رسم السمكة وهي تسبح في حركة بطيئة، فيعد من الخصائص الأساسية في الفن الإسلامي منذ القرن 6 هـ/12م والذي استمر فيما بعد. وترمز السمكة إلى الخير والخصوبة والتكاثر لكثرة بيضها. أما ظهور السمكة جنبا إلى جنب مع طائر اليمامة في رسم واحد، فهما يرمزان إلى إبعاد الحسد والشر[3]. (الصور 98 - 99)

إن وجود هذه الكائنات الحيّة في صندوق العروس هو بمثابة دعاء لها بحياة سعيدة مملوءة بالحب والخير والمال وكثرة الأولاد[4].

---

[1] شجر السماق: هو من الأشجار الصمغية ذو أزهار وثمار حمراء، ينمو تلقائيا في المناطق الحارة.

[2] عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العهد العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974، ص. 165.

[3] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 251.

[4] نفسه، ص. 251.



الصورة 98: صندوق العروس من الخشب وصفائح نحاس، مدينة الجزائر، القرن 12هـ ـ 13هـ/18م ـ 19م ، (ط.: 113,5 سم،ع.: 54 سم، إر.: 66 سم)، II.B.046

المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.



الصورة 99: صندوق العروس من الخشب، مدينة الجزائر، القرن 12هـ ـ 13هـ/18م ـ 19م

(ط.: 84,5 سم،ع:50,5 سم، إر: 62 سم)، II.B.055

المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

ـ **الفَنِيق:** هو عبارة عن علبة أو صندوق صغير مخصّص لحفظ المجوهرات، يطلق عليه عامّة اسم "صندوقة" أو " الفَنِيق" وكلمة فَنِيق جمعها فُنُق وأَفْنَاق تعني الفَحْل الّذي لا يُؤذَي ولا يُركب لكرامته على أهله. واشتقت هذه الكلمة من فعل "فنق" بمعنى النّعمة في العيش. والفَنيقة هي الوعاء الصغير[1].

أطلق الأندلسيون اسم الفَنِيق على المجموعة النفيسة من الحلي الثمينة الَّتي لا يستطيع أن يقتنيها إلا كبار الأغنياء والَّتي يصعب امتلاكها. انتقلت هذه الكلمة إلى بلاد المغرب لكنها تغيرت في معناها، ففي مدينة تطوان المغربية الَّتي استوطنها عدد كبير من الغرناطيين تتزين العروس ليلة زفافها بالفَنيق الَّذي يتشكّل من مجموعة من الحلي الثمينة أما بالجزائر فإن كلمة الفنيق اقتصرت على الصندوق الصغير حافظ المجوهرات[2].

يبدو أن هذه التسمية انحدرت مع مجيء الأندلسيين، وانتشرت في مدينة الجزائر وفي المدن المجاورة لها كشرشال التي تلفظ " فْنْيَق"، وقد تكون هذه التسمية انتقلت أيضا إلى بلاد القبائل كأزفون وصَدُوق ببجاية تحت اسم " أفنيق" الَّذي يقصد به الصندوق الكبير الخاص بحفظ الملابس.

صنع الفنيق من خشب الأبنوس وتنوعّت طريقة زخرفته، فهناك الفنيق المطعم بمواد ثمينة كالعاج والصدف حيث تحفر الأجزاء المراد تطعيمها في التحف وتثبت عليها القطع الصغيرة المصقولة[3]. واستخدمت طريقة الحفر الَّتي تتم بواسطة مقص أو منقر يدفع براحة اليد أو يضرب بواسطة مطرقة خشبية ذات رأسين، وتنفذ الزخارف المحفورة بطريقة تسمح بحفظها وتماسكها وذلك بترك أجزاء كافية تفصل بين العناصر المحفورة[4].

[1] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 4، ص. 1136.
[2] زهور حداد، المرجع السابق، ص. 48.
[3] محمد رزق عاصم، المرجع السابق، ص. 54.
[4] علي بن بلة، المرجع السابق، ص. 80.

أما طريقة التخريم فهي ترتكز على قطع الخشب وتفريغ المساحات ألّتي تفصل بين العناصر الزخرفية بواسطة منشار خاص بطريقة يتم بها الحصول على زخارف مخرمة[1].

اتخذ الفينق أشكالا مختلفة، فهناك من له قاعدة مرتفعة ترتكز على أربعة أرجل مزوّد بغطاء مسطح، زخرف على كامل أجزائه بزخارف نفذت بأسلوب التطعيم بالصدف قوامها أشكال نباتية تتمثل في زهرة ثمانية البتلات محاطة بمجموعة من الوريقات الصغيرة مشكّلة فروعا ملتويةً تتخلّلها أشكال قلبية. زوّدت الواجهة الأمامية للفنيق بقفل.(الصورة 100)

هناك فينق آخر يحتوي يرتكز على أربعة قوائم مفصّصة صغيرة يعلوه غطاء متعدد الأوجه، زخرف بأسلوب التطعيم بالصدف والعاج، قوام زخارفه فروع نباتية ملتوية محزوزة تتخلّلها أوراق بسيطة مطعمة بالصدف وقد احترم فيها الفنان صفة التناظر. أما سطح الغطاء فطعم بالعاج مشكلا إطارا لتحديد الزخرفة. (الصورة 101)



الصورة 100: فنيق من الخشب مطعم بالصدف، مدينة الجزائر، 12 ـ 13هـ/18 ـ 19م

(ط.: 55 سم، ع.: 30سم)، 97 ـ 90 ـ 06

المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية.

[1] علي بن بلة، المرجع السابق، ص. 81.



الصورة 101: فنيق من الخشب مطعم بالصدف والعاج، مدينة الجزائر، القرن 12هـ ـ 13هـ/18م ـ 19م، (ط.: 32 سم، ع.: 20 سم، إر.: 25 سم)، II.B.99
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

1 . 2. صناعة الأحذية الخشبية

أدخل الأندلسيون إلى الجزائر صناعة الأحذية الخشبية المتمثلة في القبقاب، ولم يكن هذا الحذاء معروفا من قبل إلا بقدومهم، وانتشر في الكثير من المدن كمدينة الجزائر ومدينة تلمسان ومدينة قسنطينة.

1. 2. 1. القبقاب وأنواعه: هو عبارة عن خفّ يتكون من قطعة خشبية واحدة صلبة تتصل بالقدم بواسطة قطعة جلدية لشدّ مشط القدم[1]. وقد كان منتشرا في أغلب المدن الأندلسية وارتدته المرأة في الأرياف وفي المدن[2]، كما لبسته داخل بيتها وفي خارجه. ويبدو أن أصل القبقاب من سوريا أُدخل إلى الأندلس في فترة الحكم الأموي، وظلت المرأة ترتديه حتى بعد سقوط غرناطة[3] وكان يطلق عليه اسم "قَوْقَب"[4].

---

[1] Baghli O., Op. Cit., p. 43.
[2] Lévi – provençal E., Op. Cit., p. 425.
[3] Ariè R., Op. Cit., p. 387.
[4] Dozy R., Op. Cit., p.311.

صنع القبقاب في الجزائر من خشب أشجار الزيتون والبرتقال والعناب والتوت والدردار والصنوبر، وسمي بهذا الاسم للصوت الذي يحدثه عند المشي به[1]. وهناك نوعان من القبقاب:

ـ **القبقاب المسطّح:** هو القبقاب الَّذي ينعدم فيه الكعب تماما، وفي بعض الأحيان يزود بكعب منخفض جدا، وأحيانا أخرى ينعدم الكعب تماما، تلبسه المرأة داخل بيتها لتجنب الانزلاق في الأماكن المبلّلة، كما يلبسه الرجال والنساء في الحمّامات العامة، لأنه غير موصل لحرارة أرضية بلاط الغرفة الساخنة، ولهذا السبب جهّزت حمامات غرناطة بقباقيب مصنوعة من خشب الجوز تلبس عند الدخول لهذه الغرفة[2]. وقد سلكت حمّامات مدينة الجزائر هذا السلوك بحيث أصبحت هي الأخرى تجهز بقباقيب لتقي الرجل من حرارة البلاط[3]. عادة ما تُطعم القباقيب المسطّحة بأصداف. (الصورة 102)



الصورة 102: زوج قبقاب من الخشب مطعم بالصدف، مدينة الجزائر
القرن 13هـ/19م، (ط.: 22,4 سم، إر.: 3 ,22 سم)، Ch.X.52
المتحف العمومي الوطني الباردو - الجزائر-

[1] Baghli O., Op. Cit., p. 43.

[2] أحمد محمد الطوخي، المرجع السابق، ص. 84.

[3] Baghli O., Op. Cit., p. 46.

ـ **القبقاب العالي:** يصنع من قطعة واحدة ويحتوي على نعل بيضاوي الشكل مستدق الطرف ومسطّح. يثبّت في القدم بواسطة رباط جلدي، وغالبا ما يتضمن القسم الخلفي منه زخارف مخرمة تتمثل في أشكال هندسية كالمعينات والمثلثات. وفي القسم السفلي ساندان عموديان يعزلان النعل عن الأرض يتراوح علوهما ما بين 10سم و12سم[1].

تلبس المرأة القبقاب العالي لتتفادى جرّ ذيال ثوبها عن الأرض، ولإطالة قامتها لتظهر رشيقة وأنيقة، كما تلبسه العروس لهذا الغرض[2]، كما أنّه يطعم بمواد ثمينة كالصدف.

من أمثلة هذه القباقيب العالية:

قبقاب عروس ذو كعب عالي مستدق الطرف من الأمام مزود برباط جلدي عليه زخارف خطية غير منتظمة نفذت بخيط حريري بني اللون. زخرف القبقاب بقطع صدفية أخذت شكل معينات ومربعات صغيرة. (الصورة 103)

قبقاب آخر يتميّز بكعب عالٍ جدا مستدق الطرف من الأمام والخلف مزود برباط من القطيفة السوداء عليه زخارف مطرزة بخيط حريري أحمر اللون عبارة عن أزهار صغيرة بسيقانها. زخرف القبقاب بقطع مربّعة من الصدف عليها زخارف محزوزة تتمثل في أزهار بسيقانها وأوراقها. (الصورة 104)

---

[1] شريفة طيان، ملابس المرأة...، ص. 142.

[2] رينهات دوزي، المرجع السابق، ص. 308.



الصورة 103: زوج قبقاب من الخشب مطعم بالصدف، مدينة الجزائر

الفترة العثمانية، (ط.: 23 سم، إر.: 7سم)، Ch.X.226 (1,2)

المتحف العمومي الوطني الباردو - الجزائر-



الصورة 104: زوج قبقاب من الخشب مطعم بالصدف، مدينة الجزائر

الفترة العثمانية، (ط.: 22 سم، إر.: 23 سم)، Ch.X.60 (1,2)

المتحف العمومي الوطني الباردو - الجزائر-

يبدو أن القبقاب العالي قد انتقل إلى المناطق الريفية؛ لكن شكله وزخارفه تختلف عن سابقيه، فهو يرتكز على قائمين عريضين ومرتفعين؛ يمتاز قسمه العلوي الَّذي يحيط بالقدم بالبروز وزوّد بقطعة جلدية كأداة للربط ثبتت من الأسفل بمسمارين. زخرف القبقاب بعناصر هندسية قوامها مثلثات وخطوط متوازية شبيهة بالزخارف البربرية، ومن ثم يرجّح

أن يكون هذا النوع من القباقيب قد صنع في بلاد القبائل. وحسب بعض المراجع فإن هذه القباقيب تلبس في مواسم الأمطار والثلوج[1]. (الصور 105 - 106)



الصورة 105: قبقاب من الخشب، منطقة القبائل، القرن13هـ ـ 14هـ/19م ـ 20م

(ط.: 26 سم، إر.: 12سم)، II.B.37

المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.



الصورة 106: قبقاب من الخشب، منطقة القبائل، القرن 13هـ ـ 14هـ/19م ـ 20 م

(ط.: 29 سم، إر.: 13,7 سم)، Ch.X.46

المتحف العمومي الوطني الباردو - الجزائر-

[1] Baghli O., Op. Cit., p. 44.

2. الأصباغ

ربط الأندلسيون مهاراتهم في مختلف الصناعات كالنسيجية والجلدية والخشبية بمهنة الصباغة، حيث أنشأوا لهذا الغرض أحواضا وصهاريج استغلت بعضها للاستعمالات المنزلية وريّ البساتين، واستغل البعض الآخر لتحضير مواد الصباغة. ففي مدينة البليدة تمكّن الأندلسيون من استغلال مياه وادي الرمان لإنشاء أحواض الصباغة وأصبحت جماعة الصبّاغين الأندلسيين تتولى صباغة الأقمشة والأصواف المستعملة في صناعة الشاشية بمدينة الجزائر[1]. واشتهرت مدينة دلّس بصباغة الصوف والجوخ لوجود مجاري مائية نقيّة [2]، وقد أكد الوزان هذا الكلام عندما وصف سكانها بأن جلّهم صباغون لوجود عددٍ من العيون والجداول بها[3].

برع الأندلسيون في صبغ الأخشاب الَّتي كانت تستعمل في الأثاث والرفوف وفي الصنادق والموائد والدارابزين والسقوف. وكان بمدينة الجزائر سوق للصباغين بقرب من باب عزون[4]، وقد زوال الصباغون وظيفتهم داخل ورشات بسيطة. (الصورة 107)

هذا، وقد جذبت حرفة الصباغة أنظار بعض الأوروبيين الّذين أعجبوا بجمال الألوان ومتانتها وصفائها وأشادوا بدور الأندلسيين الَّذين حافظوا على تقاليد هذه الحرفة الَّتي كانت مشهورة في بلادهم، فقالوا عنها: " فن الصباغة فن متطور في مدينة الجزائر فالمور المسلمون يصنعون ألوانا زاهية تضاهي ألواننا لكنها أكثر ديمومة، بل يملكون بعض الألوان الزاهية التي لم تصل لدينا لنفس المستوى؛ فمثلا اللون الأحمر الأرجواني برّاق أكثر من ذلك الَّذي نصنعه في ورشنا. فهم يولون اهتماما كبيرا في تحضير الألوان ممّا يعطيها متانة ودرجات تلون رائعة. ومن خلال علاقتهم مع الشرق تحصلّوا على مواد نظيفة وأكثر نقاء من موادنا، فضلا على أنهم أكثر إتقانا في استخدامها. وتظهر هذه

---

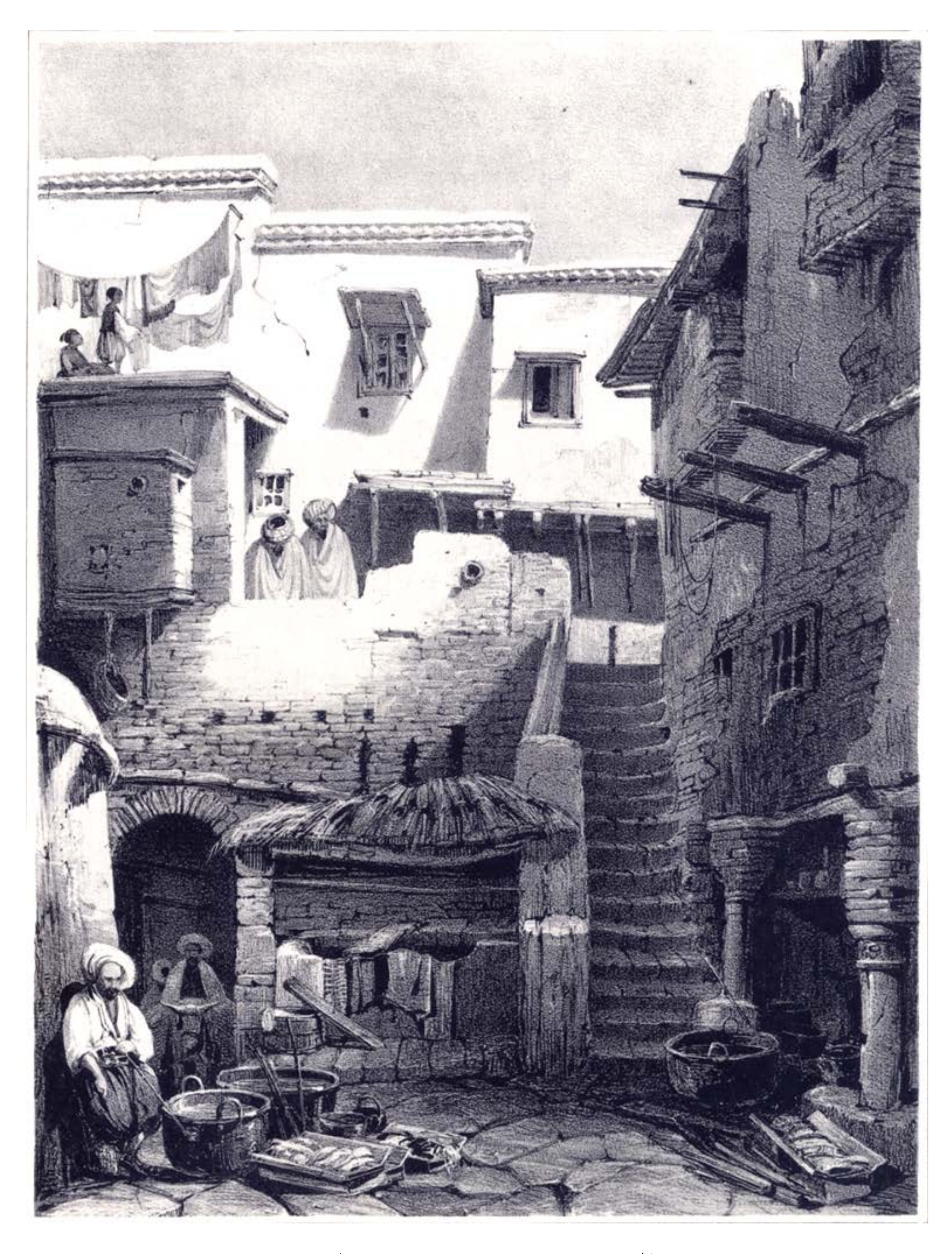
[1] Venture de Paradis V. ,Op.Cit., p. 277.

[2] Nicolas de Nicolay, Les quatres premiers livres de navigation et pérégrinations orientale, Lyon , 1568, p. 22.

[3] حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص. 42.

[4] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 209.

الألوان جليا في ملابسهم ودورهم، وليس من الغرابة أن يكون المور قد حافظوا بعناية فائقة على فن كان يحظى بشهرة فائقة في بلادهم (الأندلس) منذ القدم"[1].



الصورة 107: ورشة صباغة

عن: Lessore E et Wylde

[1] Lessore E.,Wylde W.,Voyage pittoresque dans la régence d'Alger, paris, 1835, p. 9.

من أسماء الصباغين الأندلسيين الَّذين وردت أسماؤهم في الوثائق:

ـ **أوسطا** أحمد **الصباغ** واد **الحاج** أحمد **الأندلسي**[1].

ـ أحمد بن محمد **صباغ الأندلسي**[2].

ـ **الحاج** ابراهيم **الصباغ** ابن المرحوم **الحاج** حميدة **الأندلسي**[3].

2 . 1. مواد الصباغة

كانت مواد الصباغة تُستخلص من النباتات والحشرات والمعادن، ورغم استخراجها بطرق بسيطة وبدائية، إلا أنها تميّزت بالجودة والصلابة والثبات والانسجام[4]. وقد تميّزت مواد الصباغة بالكثرة بحيث لا يمكن حصرها ومن أهمّها:

2 . 1 . 1. الأصباغ النباتية: تتكون من أصل نباتي وهي متعدّدة من أهمها:

أ. **النيلة:** تعد النيلة من أوائل مواد الصبغ الطبيعية وأهم الأصباغ الزرقاء وأثمنها، تستخلص من فصيلة نباتية هي الأنديجوفيرا.عرفت بالهند ومصر القديمة[5].

تتشكّل النيلة أساسا من بقايا نباتية سهلة التبلوُر وتتبخّر في درجة حرارية مرتفعة فتعطي اللون الأزرق، ولا يمكن لمادّة النيلة أن تقوم بعملية الصباغة وهي على شكل بلوري إذ أنها لا تذوب في الماء، لذلك تتم الصباغة في مادة النيلة البيضاء وفي أحواض عميقة ويوضع القماش بعيدا عن الهواء فيتشبّع بالصبغة ثم يعرض للهواء فتتأكسد الصبغة وتعطي القماش اللون الأزرق. ويتمّ استخراج النيلة البيضاء من النيلة الزرقاء المجفّفة بعد أن تحلّل هذه الأخيرة عن طريق عملية التخمير بواسطة العسل أو النخالة[6].

---

[1] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 153.

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية ...، ص. 87.

[3] م. ش. علبة 141 الوثيقة 41.

[4] Guiauchain G., Alger, imprimerie algérienne, Alger, 1909, p. 91.

[5] محمد شفيق غربال، المرجع السابق، ج. 2، ص. 1870.

[6] عائشة عبد العزيز التهامي، المرجع السابق، ص. 146.

من خواص النيلة أنها لا تحتاج إلى مثبت لذلك استخدمت على نطاق واسع في صباغة الخشب. كما استعملت كقاعدة لدرجات من الألوان مثل اللون البني والزيتوني والأسود[1].

ب ـ الزعفران: تستخرج من الزعفران صبغة قويّة ومركّزة، تعطي لونا ذهبيا وأصفرا.[2] يكثر استعماله بالدرجة الأولى في المنسوجات وفي المصنوعات الخشبية[3].

ج ـ الفوة: هو نبات ذو أزهار صغيرة صفراء، ويعدّ من أهم الصبغات الطبيعية المستخدمة قديما في الصباغة باللون الأحمر، تجمع عروق هذا النبات في فصل الربيع وترحى بواسطة رحى يدوية للحصول على مسحوق[4].

د ـ البليحاء: هو نبات عشبي صبْغي يستخرج منه اللون الأصفر، وكان ينمو في ضواحي مدينة الجزائر[5]. وعند مزجه مع النيلة يعطي اللون الأخضر.

هـ ـ قشور الرمان: تعتبر صبغة الرمان رخيصة الثمن، تعطي لونا أصفر ولكنه غير ثابت كالزعفران، وإذا استعملت هذه الصبغة مع الصوف الأبيض فإنها تنتج لونا أصفر يميل إلى الخُضرة، أما إذا أضيفت لصبغة الرمان صبغة الفوة فإنها تعطي لونا بنيا يميل للأحمر[6].

2 . 1. 2. الأصباغ الحيوانية

أ ـ الدودة القرمزية: هي حشرة تعيش وتتغذّي وتتكاثر على شجرة البلوط الدائم الاخضرار حيث تحتوي إناث هذه الحشرة على المادة الفعالة لإنتاج هذه الصبغة؛ ويتم تحضيرها

---

[1] عائشة عبد العزيز التهامي، المرجع السابق، ص. 147.

[2] نفسه، ص. 149.

[3] لطيفة بورابة، "المركبات اللونية على التحف الخشبية لدور مدينة الجزائر (دراسة نموذجية)"، مجلة آثار، عدد خاص، أعمال الملتقى الوطني خمسون سنة من البحث الأثري في الجزائر، 2012، ص. 37.

[4] Chantreaux G., « Le tissage sur métier de haute lisse à Aït Hichem et dans le haut Sebaou » in Rev . Afr., 1941, p. 102.

[5] Boyer P., Op. Cit., p. 59.

[6] عائشة عبد العزيز التهامي، المرجع السابق، ص. 150.

بجمع هذه الإناث عندما يصل عمرها حوالي ثلاثة أشهر وتوضع في الماء الساخن ثم تجفّف إما تحت أشعة الشمس أو على الموقد. وعند الانتهاء من عملية التجفيف تسحق وتعطي لونا أحمر أرجوانيا يتميّز بثباته مع الضوء[1].

تنمو دودة القرمز بكثرة في الغرب الجزائري[2]، وقد أطلق الإسبان على هذه الحشرة اسم « cochinilla » وكانوا يجلبونها من مستعمراتهم الجديدة في القارة الأمريكية. بعد ذلك انتشرت في بلدان عديدة، ويبدو أن الأندلسيين ساهموا في إدخال تربية دودة القرمز ليس في الجزائر فقط وإنما في تونس كذلك[3].

ب . المريق: هو نوع من الرخويات البحرية ذات غطاء صدفي أحادي الصفق، ينتشر في حوض البحر الأبيض المتوسط. بعد أن تطحن الأصداف ويستخرج منها المادة الصبغية تنقع في الملح أو رماد الحطب لمدة ثلاثة أيام لتنشيط الصبغة. وبعد الغليان يُصفى السائل ويصبح جاهزا للصباغة ويعطي اللون الأحمر الأرجواني[4]. وبالإمكان الحصول على ألوان عديدة بإضافة أملاح النحاس والحديد[5].

2. 1. 3. الأصباغ المعدنية: هي الأصباغ الّتي مصدرها مواد معدنية، وهي على عدة أنواع من أهمها:

ـ المغرة: هي خليط من أكسيد الحديد والطين[6]، تعرف في الجزائر باسم " مكرة " أو "كعش" وتعطي إما اللون الأحمر أو الأصفر[7].

---

1 عائشة عبد العزيز التهامي، المرجع السابق، ص. 151.

2 أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 40.

3 Teyssier P., « Le vovabulaire d’origine espagnole dans l’industrie tunisienne de la chechia », Etudes sur les morisques andalous en Tunisie, direccion General de Relaciones Culturales, Madrid, 197 3, p. 313.

4 Pedrazzi T., « Le travail de la pourpre et des tissus », in les phéniciens en Algérie les voies du commerce entre la méditerranée et l’Afrique du noire, Alger, 2011, p. 125.

5 شريفة طيان، الفنون التطبيقية... ، ص. 142.

6 محمد شفيق غربال، المرجع السابق، ج. 2، ص. 1726.

7 Golvin L., Les arts populaires..., t.1 , p. 93.

2 . 2. المراسخ

تلعب المراسخ دورا هاما في تثبيت الألوان والأصباغ، وهي تتكون أساسا من الأملاح المعدنية التي بفضلها تثبت الألوان كالألمنيوم وكبريتات النحاس وكبريتات الحديد والقصدير. ولهذه الأملاح خاصية التركيب مع الخيوط، إذ تعتبر كمثابة خط ربط بين الخيوط والأصباغ، فهي من جهة تعطي طبقة شفافة لا تتحلل أثناء عملية الغسل، ومن جهة أخرى تشكل مع الألوان الرئيسية تركيبات لونية جدّ مقاومة. ومن أفضل المراسخ المستعملة في الجزائر هي الشب[1] لاحتوائه على نسبة عالية من البوتاسيوم والألمنيوم[2].

كما تثبت الألوان بمواد طبيعة كالصمغ وزلال البيض، وكان الصمغ يستخرج من كعب البقر وهي عبارة عن صفيحة يفتتها الصباغ إلى قطع صغيرة، ثم يضعها في إناء داخل حوض مائي ثم يضع الإناء مع الحوض فوق الموقد. وعندما يلاحظ أن المادة الصمغية ذابت يقوم بخلطها مع اللون المراد تحضيره.[3]

2 . 3 . دلالات الألوان

اهتمت أغلب الأمم بدلالة الألوان، واعتقدوا أن لكل لون معنى خاصا في فهم الإنسان له، وباختلاف ثقافات هذه الأمم تختلف دلالت الألوان. فعند المسلمين اتصلت الألوان بالبيئة العربية وبالإسلام كذلك. وللألوان قيم دقيقة تتصل بالوجدانيات، فهي تثير في النفس الفرح والحزن معا.[4]

ـ **اللون الأصفر:** هو رمز الشمس والذهب، يفضله الكثير من المسلمين للتزيين وإظهار الجمال؛ وكان محببا لديهم وكنّوه بالصفراء[5]. وجاء هذا اللفظ في القرآن الكريم: ״**قَالُوا ادْعُ**

---

[1] Golvin L., Les arts populaires..., t.1 , p. 95.

[2] محمد شفيق غربال، المرجع السابق، ج. 2، ص. 1072.

[3] لطيفة بورابة، المرجع السابق، ص. 35 ـ 36.

[4] بشر فارس، سرّ الزخرفة الإسلامية، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الإسلامية، القاهرة، 1952، ص. 40.

[5] لطيفة بورابة، التصوير في سقوف المنشآت المدنية في العهد العثماني بمدينة الجزائر والمدن السورية (حلب ودمشق) دراسة أثرية فنية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 2008 ـ 2009، ص. 294.

ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنّهَا بَقَرَةٌ صَفْراء فَاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُ النَّاظرين" [1]. يرمز إلى هذا اللون عند سكان المغرب عامة والجزائر خاصة إلى الغضب[2].

ـ **اللون الأزرق:** يرمز هذا اللون إلى الوحدة والصفاء والخلود والهدوء وإلى الوحدة والسمو[3].

ـ **اللون الأحمر:** هو لون الدم لذلك فهو يرمز إلى الحياة، ويتعلّق بالحياة والفرح من جهة وبالموت والحرب من جهة أخرى. وكان اللون الأحمر محبوبا جدا عند سكان الأندلس[4].

ـ **اللون الأخضر:** حظي هذا اللون عند المسلمين بالاهتمام أكثر من أي لون آخر، فهو أفضل الألوان وأشرفها، لأنه لون الجنة وهو مرتبط بالجمال والفرح والطبيعة والحياة. وكان الرسول صلّى الله عليه وسلّم يضع فوق رأسه عمامة خضراء[5]. وتميّزت الصناعات الإسلامية بعدم وضع هذا اللون في مكان جلوس الإنسان أين يطأ قدمه[6].

ـ **اللون الأسود:** يرمز هذا اللون إلى السيادة والزهد والبساطة، مع أنه لون الحزن والتشاؤم[7]، وقد ذُكر اللون الأسود في القرآن الكريم عند وصف المكذّبين من الكفار والمنافقين" **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَمَ مَثْوَى لِلْمُتَكَبِرِينَ** "[8]. يرمز اللون الأسود كذلك إلى الشجاعة والمقاومة.[9]

---

[1] سورة البقرة الآية 60.

[2] Chebel M., Op. Cit., p. 123.
[3] Ibid. p. 124.
[4] Ibid. p. 124.
[5] Rossello Bordy G., « La céramique verte et brune en al – Andalous du X^{e} au XIII^{e} siècle » in Le vert et le brun de Kairouan à Avignon céramique du X au XV siècle, Paris, 1995, p. 105.
[6] Arceven C. E., Op. Cit., p. 98.
[7] Rossello Bordy G., Op. Cit., p. 105.

[8] سورة الزمر الآية 60.

[9] Chebel M., Op. Cit., p. 123.

ثانيا: صناعة السفن والقنداق

1 . صناعة السفن

أدى الوجود العثماني في الجزائر دورا مهمّا في انبعاث النشاط الملاحي في غرب البحر الأبيض المتوسط، وساهم الأندلسيون في تنشيط حركة الجهاد البحري بهجومهم المتواصل ضد السواحل الإسبانية، لمعرفتهم الجيّدة للغة القشتالية وللأماكن الجغرافية والطرق البحرية. وترجع المساهمة الأندلسية في ميدان الجهاد البحري إلى مشاركتهم في صناعة السفن[1].

تعزّزت صناعة السفن في الجزائر بفضل الأندلسيين الّذين أدوا دورا هاما في هذه الصناعة؛ إذ كانوا يعدّون من أفضل العناصر المساهمة في هذا الميدان؛ وأصبحت السفن في عهدهم أحسن بناءا وأحسن تجهيزا[2]. وشاركهم الأسرى النصارى والسكان المحلّيون غير أنهم كانوا أكثر تفوقا لأنهم أهل الخبرة والصنعة[3]. وقد اكتسب الأندلسيون الأندلسيون مهاراتهم في صناعة السفن من بلادهم الأصلية إذ تقدمت هذه الصناعة تقريبا في كل المدن الأندلسية الساحلية، وأقيمت بها دور لإنشاء السفن مثل مالقة[4] والمنكب[5] والجزيرة الخضراء[6] والمرية[7]. وكانوا يستخدمون أشجار الصنوبر لإنجاز الصواري[8].

كان الأندلسيون من أبرز خبراء صناعة السفن وتجهيزها في البحر الأبيض المتوسط منذ استقرارهم ببجاية في الفترة الحفصية؛ وحافظوا على هذا التقدّم حتى بعد مجيء الأتراك. وقد أنشأ الأندلسيون في شرشال معملا لصناعة الأخشاب معتمدين في

---

[1] Haedo F. D., Topographie et histoire …, p. 101.

[2] Devoulx A., « La marine de la régence d'Alger », in Rev. Afr., n°. 73, 1869, p.390.

[3] مولاي بلحميسي، "صناعة السفن في الجزائر أيام الأتراك (ق. 16 ـ 19)"، مجلة الدراسات الأثرية، ع. 3، 1995، ص. 52.

[4] أحمد بن علي القلقشندي، المصدر السابق، ج. 5، ص. 212.

[5] مدينة المنكب: تقع جنوب الأندلس غير بعيدة عن مالقة، أنظر: القلقشندي، المصدر نفسه، ج. 5، ص. 211.

[6] أحمد محمد الطوخي، المرجع السابق، ص. 312.

[7] أحمد بن علي القلقشندي، المصدر السابق، ص. 210.

[8] ليفي بروفنسال، تطور الأندلس، (د. م)، (د. ت)، ص. 102.

ذلك على غابات الونشريس[1]. واستغلت هذه الأخشاب لصناعة السفن[2]، ومن بينها مراكب مراكب صغيرة تتسّع لعشرة أشخاص، يبحروا فيها الأندلسيون إلى إسبانيا، وعند وصولهم يخفونها في الخلجان الصغيرة أو يدفنونها تحت رمال الشواطئ ليخلصوا أهلهم أو يأسروا بعض النصارى[3].

يعتبر الخشب المادّة الأساسية في صناعة السفن، وقد اعتمدت القوة البحرية الجزائرية على الغابات الَّتي تقدّم لها الخشب اللازم، واستخدمت لهذا الغرض الأخشاب الصلبة كخشب شجر الأرز والبلوط والصنوبر. وكان لكل قطعة من السفينة خشبها الخاص بها، فبعضها للأقسام الغاطسة والمقوسة لصدر السفينة، وأخرى لجوانب الهيكل ودعائمها، وثالثة لربط جدرانها[4]. فاستعمل خشب البلوط الأخضر لبناء قاعدة السفن الحربية لمقاومته الصدمات[5]، بينما استعمل بلوط الزان للمجاذيف، أما الصواري فقد أنجزت بخشب الصنوبر الحلبي لاستقامته وصلابته واستخدم خشب الصنوبر البحري للأوتاد الجانبية لهيكل السفينة[6].

نظرا للاستعمال الكبير للأخشاب في صناعة السفن، فإن استغلالها لم يكن كافيا لمثل هذه الصناعة، لذا لجأت الدولة إلى استيراد حاجاتها من الأخشاب من دول أوروبا الشمالية مثل هولندا وبريطانيا[7]. لكن في أواخر القرن 12هـ/17م أصبح الاستيراد مستحيلا بموجب قرارات ملوك المسيحية والمراسيم البابوية الَّتي عملت على خنق هذه الصناعة الّتي كانت تهدد أساطيلها. وحتى يتسنى التموين أبرمت الحكومة الجزائرية

---

[1] توفيق المدني، المرجع السابق، ص. 204.

[2] حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2 ص. 34.

[3] ليلي الصباغ، المرجع السابق، ص. 141.

[4] مولاي بلحميسي، "صناعة السفن ..."، ص. 54.

[5] حليم سرحان، تطور صناعة السفن الحربية بالجزائر على عهد العثمانيين (920هـ ـ 1246هـ) (1514م ـ 1830م) من خلال المصادر التاريخية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007 . 2008، ص. 59.

[6] نفسه، ص. 60.

[7] عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر...، ص. 119.

اتفاقات مع شخصيات محلّية بارزة تعهّدت بقطع الأشجار وإرسالها إلى دار الصناعة مقابل أثمان متفّق عليها[1]. كما استفادت البحرية الجزائرية من الأخشاب الَّتي كانت تتحصل عليها من غنائم البحر.

تم العثور في الوثائق المتفحصة على اسم واحد لصانع السفن وهو:

ـ الحاج محمد **صانع السفن** ابن أوسط رمضان **الأندلسي**[2].

1. 1. مراكز صناعة السفن

قامت صناعة السفن على شواطئ الجزائر وتمركزت في بادئ الأمر في مدينة الجزائر الَّتي كان بها عدّة مصانع، كمصنع بحي باب الوادي لإنجاز الوحدات الكبيرة وآخر بباب عزون اختصّ بصنع أشكال وأصناف من السفن أقلّ حجما، ومصنع ثالث من ناحية باب البحر قرب الجامع الجديد. وقد تمّ تطوير ميناء مدينة الجزائر، واتَخذ قاعدة بحرية هامّة لبناء المراكب الجديدة وإصلاح المراكب القديمة والمعطوبة وتجهيزها[3].

وتجهيزها[3].

توسعت هذه الصناعة بعد ذلك وأصبحت الجزائر تتوفّر على مراكز صناعية عديدة سميت "بدار صناعة البحر" أو "دار صناعة المراكب"[4]، كما سمّيت "ترسانات" أو"ترسخانه"؛ وتعني مستودع الذخائر وأدوات الحرب. وقد تأثر الأوروبيون بالحضارة العربية فاقتبسوا منها لفظ "دار صناعة البحر" ونقله الإسبان أوّل الأمر بلفظة (Tarsanah) ثم حرّفوه إلى (Arsenal)، ثم عاد العرب وأخذوه من الإسبان بلفظ (Tarsanah) وظنوها تركية فعرّبوها إلى " ترسانة" أو ترسخانه[5].

---

[1] مولاي بلحميسي، "صناعة السفن..."، ص. 53.

[2] م.ش.علبة 101 ـ 102 الوثيقة 64.

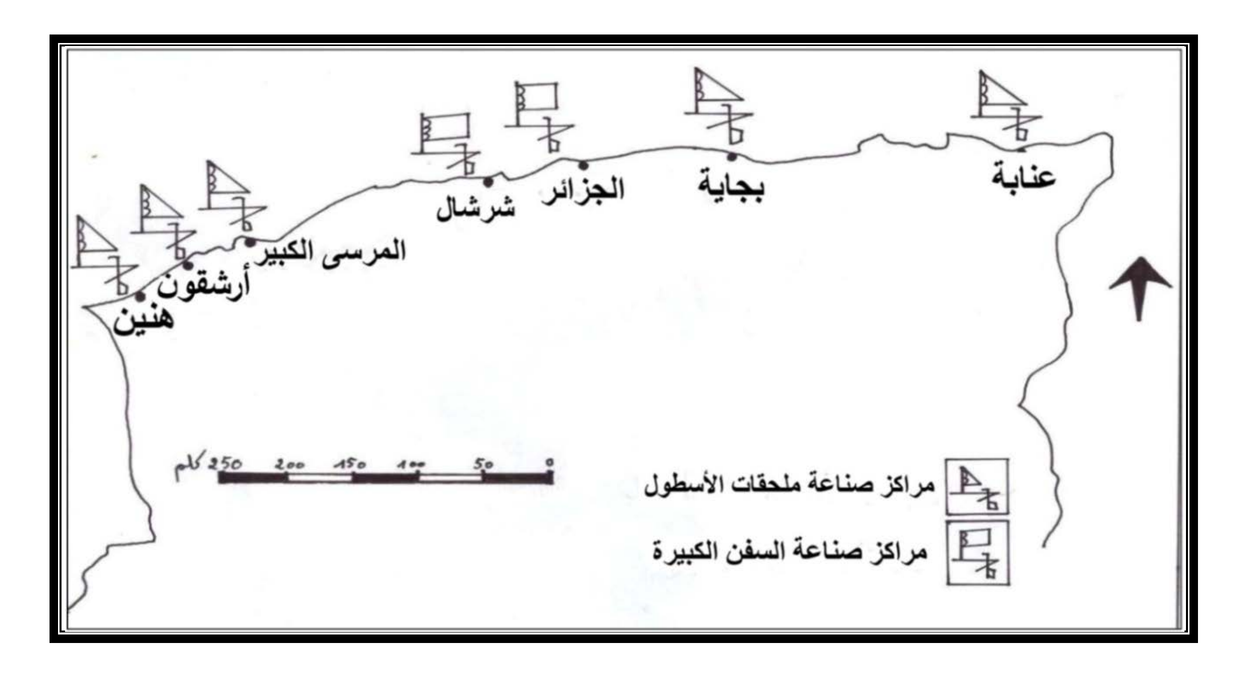
[3] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر...، ج. 3، ص. 487.

[4] أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 54.

[5] محمد رزق عاصم، المرجع السابق، ص. 48.

جُهّزت الترسانات بكل ما يلزم لصنع السفن من الأخشاب والنحاس الَّذي يستعمل في تغطية قاعدة السفينة ليحفظ الخشب من التعفّن، بالإضافة إلى القطران [1] لطلاء المركب من الخارج حتى يصير غلافه صلبا وأملس ويمنع المياه من التسرب نحو الداخل[2].

من أهم مراكز صناعة السفن في الجزائر مدينة الجزائر وبجاية وجيجل وشرشال وعنابة حيث كان يتم صنع سفن تتجاوز حمولتها 300 طنا؛ وقد تصل في مرسى الجزائر إلى 400 طنا، وهي من نوع الفرقاطات المجهزة بعشرين وثلاثين مدفعا. كما لعبت مراسي الغرب الجزائري كالمرسى الكبير وهنين دورا حاسما في هذا المجال[3].(الخريطة 19)



الخريطة 19: مراكز صناعة السفن في الجزائر في الفترة العثمانية

عن: حليم سرحان.

---

[1] القطران: سائل دهني يستخرج من بعض الأشجار كالصنوبر والأرز.

[2] مولاي بلحميسي، "صناعة السفن..." ، ص. 48 ـ 49.

[3] ناصر الدين سعيدوني والمهدي الشيخ البوعبدلي، المرجع السابق، ص.65.

1 . 2. أنواع السفن

ذكرت المصادر نوعين من السفن ساهم الأندلسيون في صناعتها وهما: البركنتي والفرقاطة[1] ويعتبران من قطع الأسطول الحربي الجزائري، كما صنع الأندلسيون الَّذين استقروا في مدينة تنس مراكب صغيرة تسمى بالشقف[2]، وعلى ما يبدو أن الأندلسيين أنجزوا أنواع أخرى من السفن لم يأتي ذكرها لدى المؤلفين.

1 . 2. 1. البركنتي: تسمى باللغة العثمانية "بركنده" وهي سفينة صغيرة وخفيفة تمثل مرحلة انتقال بين السفن ذات المجاذيف والسفن ذات الشراع. تحمل شراعا واحدا ويتراوح عدد مقاعدها من ثمانية إلى ستة عشر مقعدا للمجذّفين، تميّزت مجاذيفها بالطول والدقة مما سهّل قيادتها وسرعة حركتها[3]. وتعتبر من أهم وحدات الأسطول الجزائري لسنوات 916هـ/1510م و965هـ/ 1557م و1044هـ/1634م، وكانت تحمل على ظهرها ستة مدافع وأربع وعشرين قاذفة حجارة.[4] ويشير الشريف الزهار أنه في سنة 1184هـ/1170م أنشأ محمد عثمان باشا[5] سفينة البركنتي من الحجم الكبير تستع لأربعة وعشرين مدفعا[6]. (الصورة 108)

استعمل البركنتي في بعض الأحيان لحمل البضائع أو لنقل الشخصيات البارزة كالسفراء والوزراء، واستعملها ريّاس البحر في جولاتهم البحرية[7].

---

[1] Haedo F. D., Topographie et histoire …, p. 101.

[2] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص. 145.

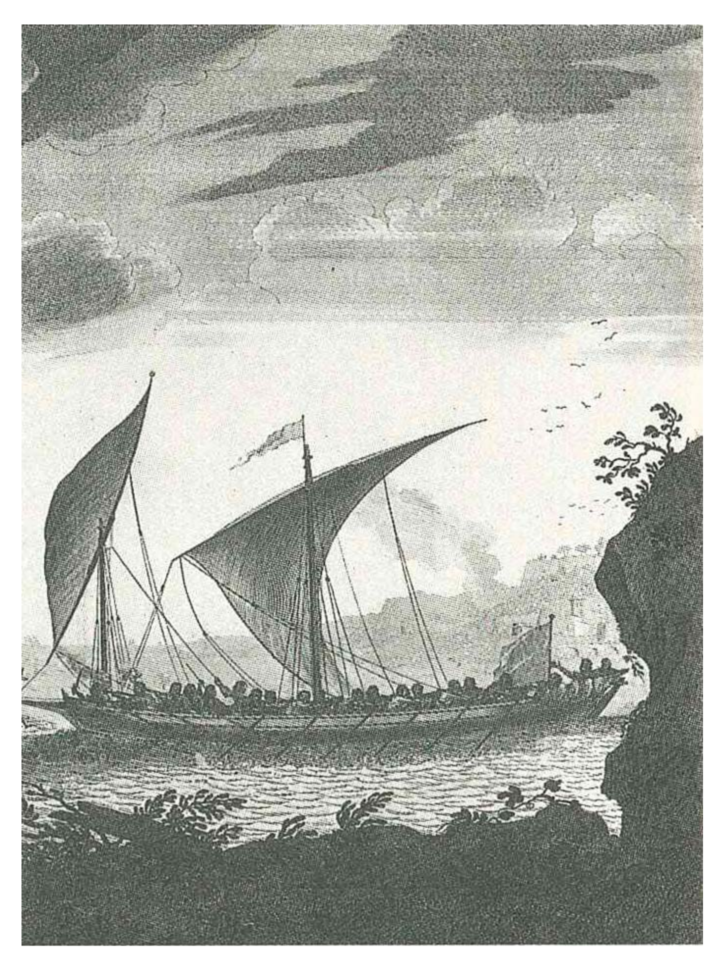
[3] Belhamissi M., Marines..., p. 172.

[4] Devoulx A., « La marine… », pp. 389- 391.

[5] عثمان محمد باشا: عرف عنه العدل والاستقامة والتقشف عاش زاهدا، حكم من 1179هـ / 1766م إلى 1205هـ / 1791م. أنظر: أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، الجزائر، 1937م.

[6] أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 25.

[7] سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، القاهرة، (د. ت). ص. 331.



الصورة 108: سفينة البركنتي

عن: Mascarenhas J. C

1. 2. 2. الفرقاطة: تعتبر الفرقاطة من عائلة السفن المجذافية الحربية الخفيفة الحركة استعملت في أساطيل البحر الأبيض المتوسط منذ العصور الوسطى، مقدمتها انسيابية الشكل قليلة العرض مزوّدة بصاريتين وشراعين مربّعين[1]. يصل طولها حتى 50 مترًا وعرضها 8 أمتارٍ وعمقها متران، يتراوح عدد المقاعد بها بين خمسة و ستة مقاعد[2]. (الصورة 109)

تعدّ الفرقاطة إحدى أهم قطع الأسطول الجزائري المصنّعة بدرجة أكبر في الخارج وبدرجة أقل في الجزائر. الأمر الذي أرغم الحكام على شرائها من الدول الأوروبية لا

---

[1] Belhamissi M., Marines et marins…, p. 173.
[2] Dan P., Op. Cit., t. 3, p. 307.

سيّما انجلترا الرائدة في صناعة هذا النوع من السفن. وكانت الفرقاطة تتسلح بالمدافع ويتراوح عددها ما بين 40 إلى 60 مدفعا حسب الحاجة[1].



الصورة 109: سفينة الفرقاطة
المتحف العمومي الوطني الباردو - الجزائر-

1. 2. 3. الشقف: يعتبر الشقف أو الشكف أو الشكايف من الزوارق الخفيفة وهي أوروبية الأصل، يطلق عليها في اللغة البرتغالية باسم Esquif وفي اللغة الإيطالية Schifo، أما في اللغة الإسبانية Askif[2]. استخدمت هده الشقف في المجال التجاري وفي وقت الحروب لنقل الغنائم، وقد ذكرها الشريف الزهار في مذكراته: " فلّما قدم الإصبانيول للمرّة الثالثة خرج الحاج محمد القبطان أثناء القتال في زورق، ومعه زوارق صغار من غير مدافع تدعى الشكايف يرسلها القبطان وقت القتال" إما للتقدم، أو للتأخر، أو لتحمل الناس إذا تكسر مركب"[3]. (الصورة 110)

---

[1] حليم سرحان، المرجع السابق، ص. 144.

[2] هانس كندرمان، مصطلح السفينة عند العرب، ترجمة: نجم الله مصطفى، شركة أبو ظبي للطباعة والنشر، الإمارات العربية المتحدة، 2002، ص. 148.

[3] أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 33.

صنع الأندلسيون الشقف في مدينة تنس، وكان الغرض منها ليس تجاريا أو حربيا وإنما لصيد السمك[1].



الصورة 110: شقف

عن : حليم سرحان.

كما ذكر أعلاه؛ فقد يكون للأندلسيين دور في إنجاز أنواع أخرى من السفن لم تذكرها المراجع، والّتي تعد من أهم قطع الأسطول الجزائري من أهمّها:

1. 2. 4. الشيني: وهي من أهم السفن الكبيرة والمهمّة التي كانت تجول في البحر المتوسط، استخدمت للمراقبة والقرصنة وفي وقت الحروب. اشتهرت الجزائر باستخدامها منذ الفترة العثمانيّة، زوّدت بصارين أو ثلاثة صواري ويتراوح عدد مقاعدها ما بين سبعة وعشرين وثلاثين مقعدا[2].

1 . 2. 5. الشباك: هي سفينة حربية تستعمل في البحر المتوسط تحمل ثلاثين مجذافا كانت تصنع في ترسانة الجزائر وطرابلس قبل القرن 12هـ/18م[3].(الصورة 111)

---

[1] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص. 145.

[2] Belhamissi M., Marines et marins…, p. 165- 166.

[3] سعاد ماهر، البحرية ...، ص. 351.



الصورة 111: سفينة الشباك

عن: علي خلاصي.

1. 2. 6. الجفن: سفينة حربية بطيئة الحركة لكبر حجمها، لها شكل دائري تشبه القصعة[1]. سبق ذكرها لما استعان بها خير الدين في نقل الأندلسيين إلى السواحل الجزائرية. (الصورة 112)

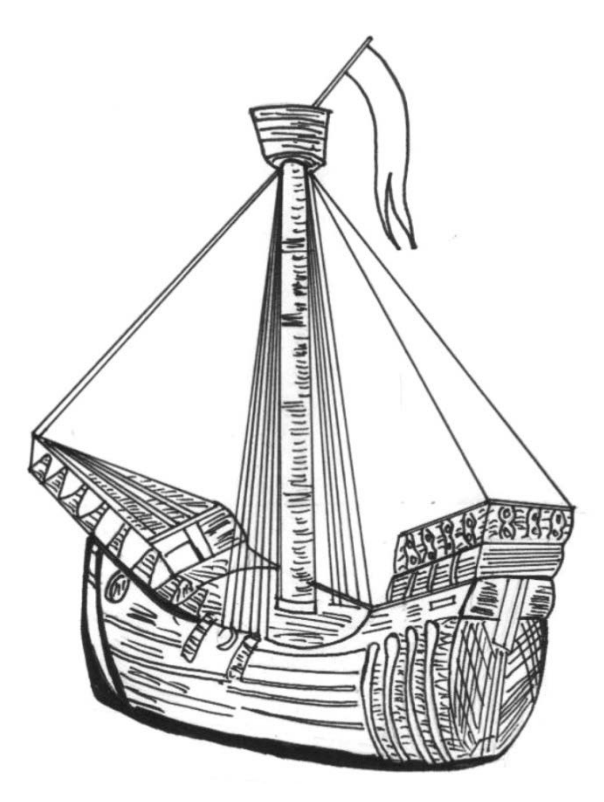


الصورة 112: سفينة الجفن

المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية.

[1] حليم سرحان، المرجع السابق، ص. 127.

1. 2. 7. الحراقة: سفينة حربية تدعى أيضا سفينة النار، تستعمل في حمل الأسلحة النارية لترمى على الأعداء. وانتشرت في جميع أجزاء العالم الشرقي والغربي[1]. (الصورة 113)



الصورة 113: سفينة الحراقة

عن: سعاد ماهر.

2 . صناعة القنداق

القنداقجي هو صانع الخشب الموجّه لصناعة الأسلحة " القنداق "[2]، وهي مأخوذة من الكلمة التركية "قندق" أو "قوندان" بمعنى عقب البندقية[3]. ويطلق عليه في اللغة العربية "بالأَخْمَص"، وعلى الرغم من أن صنعة القنداقجية كانت حكرا على عناصر الجيش والمنتسبين إليه[4] إلا أن الأندلسيين ساهموا في هذه الصناعة. (الصورة 114)

---

[1] سعاد ماهر، البحرية...، ص. 339.

[2] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 393.

[3] Ben cheneb M., Mots..., p. 71.

[4] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 241.

من بين أسماء القنداقجيين الأندلسيين حسب الوثائق:

ـ أحمد **القنداقجي** بن علي **الأندلسي** 1076هـ/1665م[1].

ـ **الأسطا** يحي **القنداقجي الأندلسي**[2].

ـ **المكرم القنداقجي** ابن الحاج حميدة **الأندلسي**[3].



الصورة 114 : أخمص بندقية مطعمة بالمرجان

عن: سعاد الحداد.

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 85. أنظر: دفاتر البايليك، علبة رقم 28، سجل 311 (216).

[2] م.ش.علبة 2/9 الوثيقة 38.

[3] م.ش.علبة 2/22 الوثيقة 19.

الفصـل السادس

الفنون والصناعات المعدنية والحلي

أولا: الفنون والصناعات المعدنية

ثانيا: الحـلي

أولا: الفنون والصناعات المعدنية

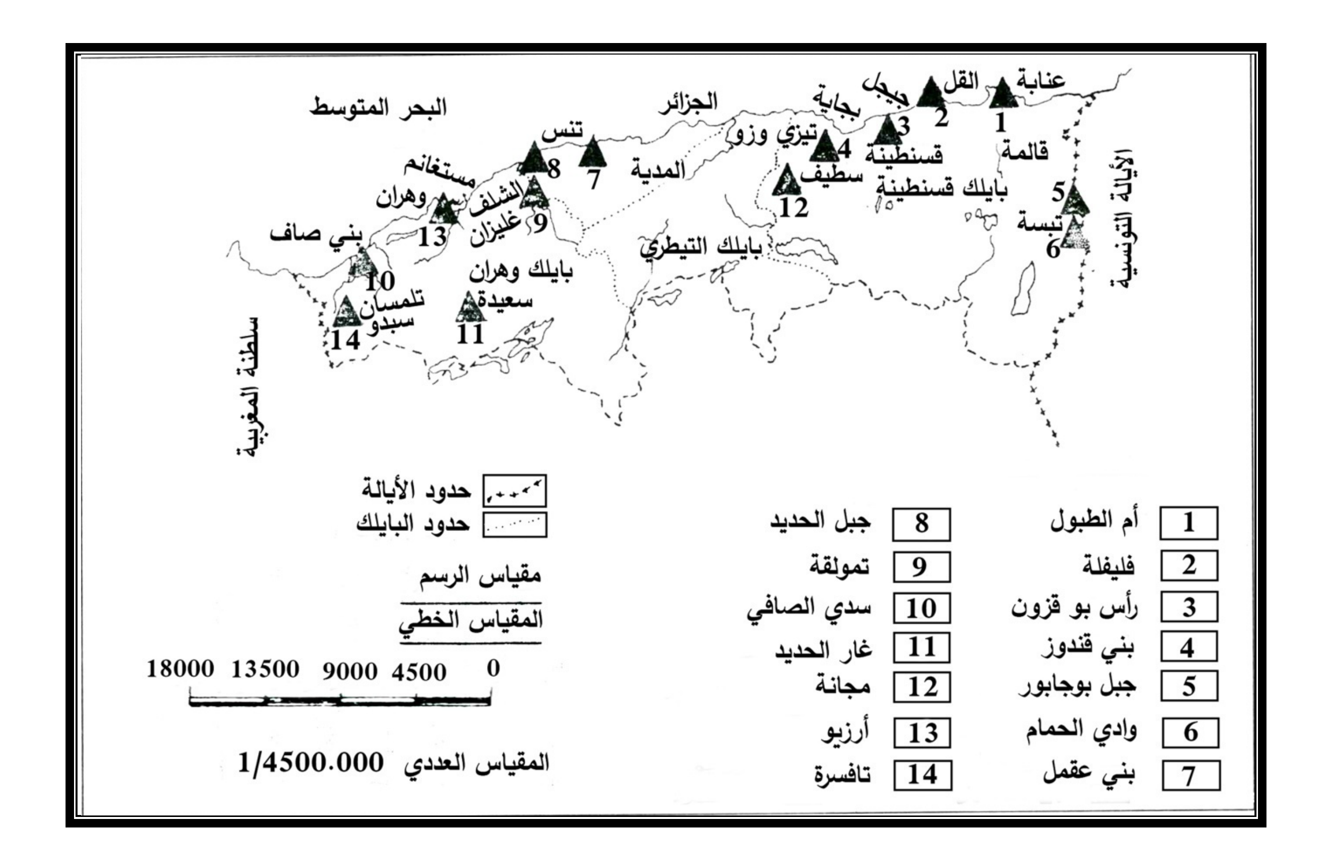
عرفت الجزائر خلال العهد العثماني نهضة كبيرة في الفنون المعدنية، حيث استخدم الصناع كل أنواع المعادن في صنع منتجات فنية، كالذهب والفضّة والنحاس بأنواعه الأحمر والأصفر والذهبي والقصدير والبرونز والحديد.

تزخر الجزائر بعدّة مواقع غنية بالمعادن؛ كعنابة وسكيكدة وجيجل وبجاية وتبسة حيث يوجد معدن الحديد، وقالمة وسكيكدة والقل وسوق أهراس وتبسة وفي جبل بوطالب بسطيف ومليانة وغيليزان وتازورت[1] وسعيدة المتوفرة على الرصاص[2]. أما النحاس فينتشر بجبل الونزة بتبسة وجبل سيدي رغيس شمال غرب عين البيضاء وقسنطينة وجيجل وتنس ومغنية.[3] وضمّت جبال متيجة على مناجم الذهب والفضة والحديد[4]. ووجد معدن الزنك بكميات كبيرة في جبال الونشريس[5].

على الرغم الكمّ الهائل من المناجم المعدنية وتوفّر المادّة الخام إلا أن استغلالها كان ضئيلا ولم تستفد منها الجزائر كثيرا [6]، ويرجع السبب في ذلك للتكاليف الباهضة وعدم توفّر الآلات والمعدّات اللازمة لاستخراج هاته المعادن وتصفيتها من الشوائب في المكان نفسه ثم حملها إلى الورشات في وسائل نقل خاصّة؛ أدت كل هذه العوائق إلى عدم استغلال هذه المناجم، ممّا جعل الجزائر تلجأ إلى استيراد المادة الخام من الدول الإسلامية والأوروبية.[7] ولكن هذا لم يمنع الجزائريين في الفترة العثمانية من استخراج

[1] مدينة تازورت: تقع بين وهران وأرزيو.
[2] Gsell St., « Vieilles exploitations minières dans l' Afrique du Nord », in Hésp, t. VIII, 1928, p. 13.
[3] Ibid. p. 14.
[4] Sanson N., L'Afrique, Paris, 1656, p. 4.
[5] حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص. 45.
[6] Shaw Th., Op. Cit., p. 37.
[7] عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر...، ص. 300.

النحاس من بعض المناجم مثل عين بربار بسفوح أيدوغ بمدينة عنابة[1] واستخراج الحديد من جبال بجاية[2] ومن منطقة تفسرة[3] قرب تلمسان[4]. (الخرائط 20 – 21)



الخريطة 20: توزيع معدن الحديد

عن: لخضر درياس. (بتصرف)

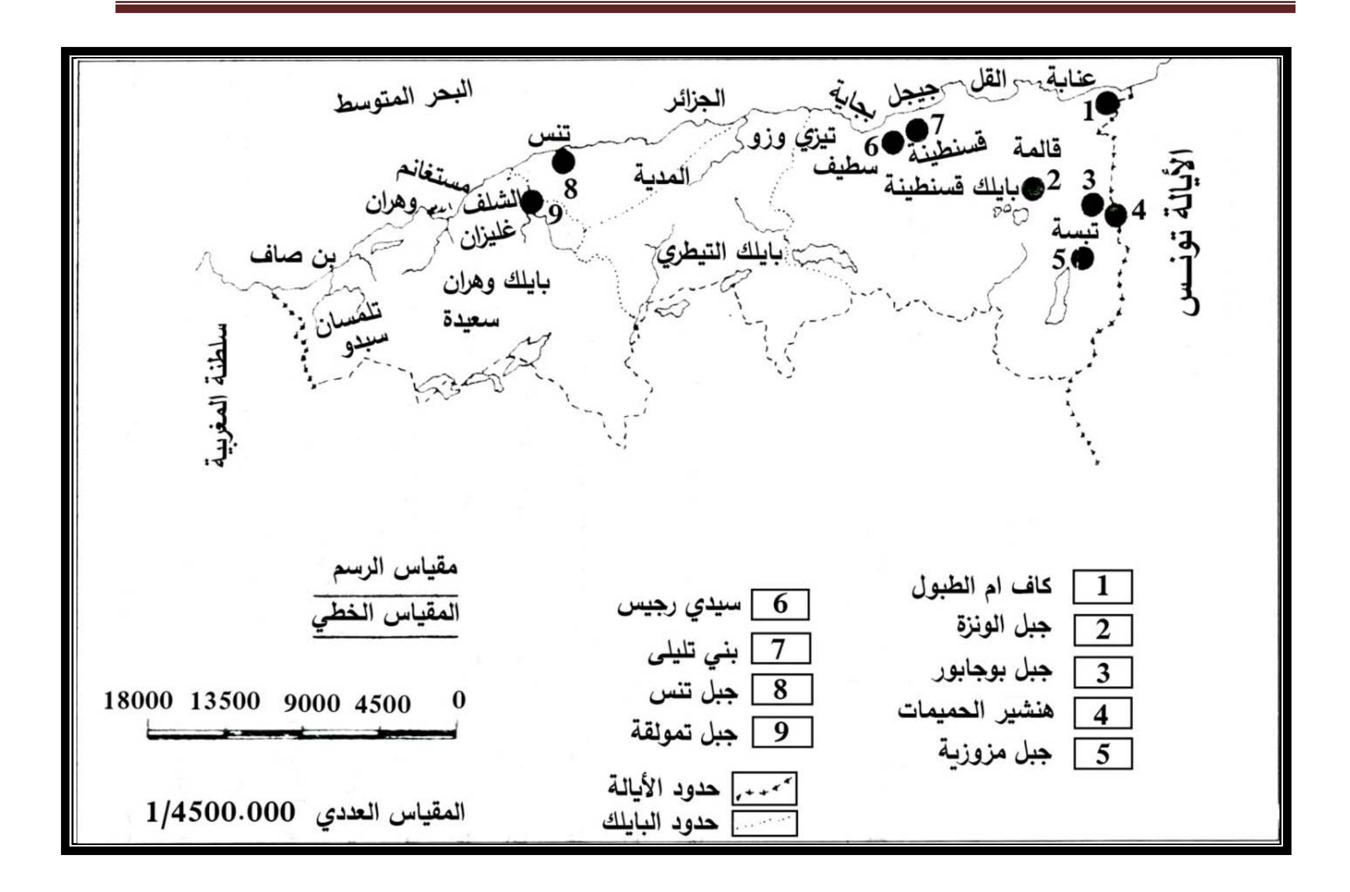
---

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، ص. 215.

[2] حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص. 102.

[3] تفسرة: مدينة صغيرة تقع على بعد حوالي 23 كلم من مدينة تلمسان.

[4] حسن الوزان، المصدر السابق،ج. 2، ص. 24.



الخريطة 21: توزيع معدن النحاس

عن: لخضر درياس (بتصرف).

1. الصناعات المعدنية ومجالاتها

تميزت المشغولات المعدنية في الجزائر في الفترة العثمانية بالتطور، نتيجة وفود صنّاع أندلسيين الّذين نشطوا في هذه الصناعة بما أضافوه من طرق صناعيّة وأساليب زخرفية، أثرت على هذه الصنعة وطبعتها بطابع خاص[1]. فقد تمكن الأندلسيون من فتح العديد من الورشات لسبك مختلف المعادن لتلبية رغبات السكان الذين كانوا كثيري الطلب عليها لجودتها؛ وقد وصل الأمر بمنتوجاتهم إلى التصدير إلى تونس والمغرب[2]. كما ساهم الصناع اليهود في تقدّم هذه الصناعة وبرعوا في زخرفة الأواني كالصواني والأباريق والمصابيح والصناديق[3].

[1] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 75.

[2] Amoura A., Résumé de l’histoire de l’Algérie, édit. Raihana, 2002, p. 159.

[3] Gsell St., Les industries d’art indigène en Algérie, Alger, 1903, pp : 8- 9.

تعتبر مدينة الجزائر أهم مركز صناعي للمشغولات النحاسية بسبب وفود العديد من الصناع منذ بداية القرن 10هـ/16م، ومن أهم الأواني المعروفة الأبارريق والأطباق بأنواعها والدلاء والميضئات[1]. وقد تميّزت هذه القطع بصلابتها ومتانتها لعدم استعمال الصانع النار[2]. وتعدّ مدينة قسنطينة ثاني مركز بعد مدينة الجزائر، ومن أهم أوانيها الميضأة والمرشات والأطباق إلى جانب القطّارة الخاصّة بتقطير الورود[3].

عرفت مدينة تلمسان الصناعة المعدنية خاصّة النحاسية منها تطورا ملحوظا على أيدي الأندلسيين أيام الزيانيين، واستمرت إلى غاية مجيء العثمانيين[4]، وقد بلغ فن الزخرفة على النحاس ذروته على أيديهم بفضل مهاراتهم الفنية[5]. وضمّت المدينة مجموعة من الورشات اشتغل بها السكان المحليون والأندلسيون واليهود[6]، وبذلك أصبحت تلمسان أحد المراكز الهامّة لهذه الصناعة واختصّت بصناعة الثريات وحوامل المصابيح[7] بالإضافة إلى أواني أخرى كأواني التزيين والطهي.(الصورة 115)

[1] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 77.

[2] Pananti F., Op. Cit., p. 359.

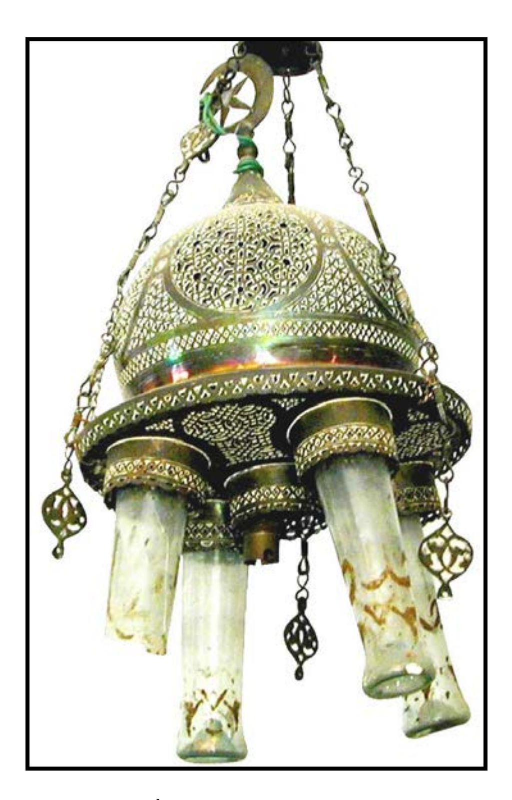
[3] Anonyme, L'artisanat algérien, édit. Anep, 1997,p. 28.

[4] محمد خالدي، " أسباب ازدهار فن النحت على النحاس في تلمسان دراسة وضعية تاريخية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع. 15، 2010، ص. 192.

[5] نفسه. ص. 190.

[6] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج. 1، ص. 222.

[7] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 78.



الصورة 115: ثريا من النحاس الأصفر، تلمسان
الفترة العثمانية، (إر.:35 سم، ق.:25 سم)، L.X.03
المتحف العمومي الوطني الباردو – الجزائر–

ساهم الأندلسيون في الصناعات المعدنية ووردت أسماؤهم في الوثائق مرتبطة بالحرفة التي مارسوها كالصّفارين والحدّادين.

- **الصّفار:** الصَّفار هو صانع الأواني النحاسية[1]، واشتقّت كلمة الصَّفار من الصُّفْر والصفُّر هو نوع من النحاس[2] الجيد[3].

يعتبر الصُّفْر خليطا من النحاس الأحمر بنسبة 90 % وكمية قليلة من الزنك تقدر بحوالي 10% ، لذا سمى كذلك بالنحاس الذهبي لأنه يشبه لون الذهب. وبسبب وجود كمية كبيرة من النحاس الأحمر فيه فإنه يعامل في تشغيله معاملة النحاس الأحمر، إذ

[1] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 393.

[2] النحاس: يرمز إلى النحاس كيميائيا بالرمز Cu وهو عنصر معدني ذو لون أحمر يميل إلى السمرة، قابل للتشكيل ومقاوم للحرارة لذا يصنع منه الأواني المنزلية. أنظر: Dietrich A., « Nuhas » in E.I., t. VIII, E.J. Brill, Leiden, G.- P. Maisonneuve et Larose, Paris, 1995, p. 113.

[3] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 3، ص. 448.

ينصهر عند درجة حرارة منخفضة وهو طري ومطاوع ويمكن تشغيله على البارد ولا يحتاج إلى عملية تخمّر شديدة. يستعمل النحاس الذهبي في معظم أغراض التزيين والتحف المنزلية الفاخرة، كما يستعمل في عمليات التذهيب بطلاء طبقة منه على المشغولات[1].

وجد بمدينة الجزائر سوق الصفارين، وكان بجوار سوق الذكير وسوق القْزَاذْرِيَة[2] والذكير هو نوع من أنواع معدن الحديد أيبسه وأصلبه[3]، أما القزدارية فهي حرفة متصلة بالقزداري وهو الصانع الَّذي يقوم بإصلاح الأواني النحاسية ويطليها بمادة القصدير[4] لكي لا تتآكل ولكي تمنع حدوث تسمم معدني بفعل المواد الحمضية.

زودت الوثائق الخاصة بمدينة الجزائر اسم لصفار وهو:

ـ الحاج يوسف **الصفار الأندلسي**[5].

ـ **الحدادة:** يضاف إلى حرفة الصفار الحدادة الَّتي ساهم الصناع الأندلسيون فيها، ويعدّ الحديد من أصلب المعادن وأكثره مقاومة للنار، غير أنه يتصدأ بسرعة[6].

مهر أندلسيو مدينة شرشال في معالجة خامات الحديد الموجودة في تلك الجهات وطوّروا منها نوعا جديدا هو الفولاذ، والفولاذ نوع من الحديد الصلب يخالطه نسبة من الكربون لتكسبه الصلابة وكان يطلق عليه سابقا "النرماهي"[7]. واستعمل الفولاذ خاصة في في صناعة الأسلحة مثل المدافع والسيوف والخناجر والدروع[8].

---

[1] محمد أحمد زهران، فنون أشغال المعادن والتحف، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965، ص. 4 ـ 5.

2 زهية بن كرودرة، أسواق مدينة...، ص. 25.

[3] مجمع اللغة العربية، قاموس ...، ص. 313.

[4] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 393.

[5] م. ش. علبة 89 الوثيقة 7.

[6] Ruska J., « Hadid » in E.I., t. III, E. J. Brill, Leiden, G.- P. Maisonneuve et Larose, Paris, 1975, p. 23.

[7] لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص. 74.

[8] ربيع حامد خليفة، الفنون الإسلامية في العصر العثماني، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001، ص. 135.

سجلت الوثائق الخاصّة بمدينة الجزائر أسماء لحدادين أندلسيين من بينهم:

ـ الحاج محمد **الحداد الأندلسي** 976هـ/ 1568م[1].

ـ محمد كلاطو **الحداد**[2].

1. 1 . الأواني المعدنية

ساهم الأندلسيون في صناعة الأواني النحاسية، وتعتبر هذه الأخيرة أكثر ما وصل إلينا من التحف الّتي نجت من عملية الصهر مقارنة بالتحف المصنوعة من المعادن الثمينة كالذهب والفضة. وحتى ولو صهر البعض فقد بقي البعض الآخر منها محفوظا في المتاحف لجزائرية[3].

1. 1. 1. المِجْمَر السداسيّ الشكل: المِجْمَر جمعه مَجَامِر، ويوضع فيه الجَمر. ويقال استجمر بالمجمر أي تبخّر بالعود[4]. يستعمل المجمر للبخور وتحضير الشاي أو القهوة.

يحتفظ المتحف الأثري بقرطبة على مجمر سداسي يرتكز على أربعة أرجل[5] يحمل زخارف مخرمة بحيث يقوم الصانع بتفريغ الزخرفة بواسطة آلة حادّة يطرق عليها[6]. عليها[6]. يعلو كل ضلع من أضلاع المِجمر شكل هلال، وعلى جانبيه مقبضان دائريان يُسهلان نقله من مكان إلى آخر. ويعلو زوايا الأضلع قضبان على شكل قباب صغيرة. يرجح أن يعود هذا المجمر إلى لقرن 11هـ/17م[7]. (الصورة 116)

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 77 .

[2] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 116.

[3] شريفة طيان، الفنون التطبيقة...، ص. 92.

[4] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 1، ص. 395.

[5] Vernet J et Martinez Martin L ., Al- Andalus el islam en Espana, Spain, 1987, p. 229. n^0 46.

[6] ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 137.

[7] حورية شريد، تطور المطبخ...، ج. 2، ص. 442.



الصورة 116: مِجْمَر من النحاس الأحمر، إسبانيا
القرن 11هـ/17م، المتحف الأثري بقرطبة.
عن: Vernet J et Martinez Martin L

يضم المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة على مجمر يشبه المجمر السابق ويعود أيضا إلى القرن 11هـ/17م[1]، وهو سداسي الشكل يحمل بداخله آنية لحمل النار يرتكز على ستة أرجل منحوتة وتحتوي جدران الأضلع الستة على زخارف مخرمة تتمثل في زهرات سداسية البتلات. تحمل زوايا الأضلاع قبيبات صغيرة، بين كل قبتين شكل هلال. (الصورة 117)

يمكِّن تقارب التأريخ بين المجمرين من إرجاعهما إلى الأصل الأندلسي، حيث يرجح أن هذا الشكل من أصل أندلسي دخل إلى الجزائر مع المهاجرين الأندلسيين.

[1] Mary G., Musée national des antiquités algérienne, t. 2, Alger, S.D. , p. 34. n°. 57.



الصورة 117: مجمر من النحاس الأصفر، مدينة الجزائر
القرن 11هـ/17م، (إر: 16,6 سم، ق: 29,5 سم)، II.MI.421
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

1. 1. 2. القطّارة: هي عبارة عن آنية خاصّة مصنوعة من معدن النحاس، تتكون من قدر ومقطرة[1]، يتمّ فيها تقطير الورود. ومن المحتمل أن يكون الأندلسيون هم الَّذين أدخلوها إلى الجزائر، فقد كانت لهم الريادة في تقطير ماء الورد ليس في الجزائر فقط وإنما في تونس والمغرب ومصر حيث سمّوا " بالقاطوريين"[2].

اختصّت العائلات الأندلسية بتقطير الورود، وكما سبق ذكره فقد اهتم الأندلسيون اهتماما كبيرا في غرس كميات كبيرة من الورود وأنواع مختلفة من الزهور لغرض التقطير. وقد انتقلت هذه الحرفة إلى العائلات الحضرية الَّتي كانت تسكن في المدن الكبيرة، وبقيت من العادات الأصيلة الَّتي تحرص عليها العائلات الجزائرية العريقة في شرشال والبليدة والقليعة وقسنطينة.

تحتوي المقطرة على فتحتين مزوّدتين بأنبوبين، جُعل الأنبوب الأول لاستخلاص ماء الورد وهو متّصل مباشرة بمكان تكثيف البخار، وجعل الأنبوب الثاني للتخلّص من ماء التبريد. (الصورة 118)

---

[1] Anonyme, Op. Cit, p. 28.

[2] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 1، ص. 212.

تمارس النسوة غالبا تقطير الورود في فصل الربيع، فيبدأن بتحضير الموقد فيوضع القدر على نار هادئة، بعد أن يوضع فيه مقدار معين من بتلات الورد وقليل من الملح مع كمية من الماء. بعدها تثبَّت المقطرة بإحكام فوق القدر، ويصبّ عليها ماء بارد ويجب أن يبقى هذا الأخير باردا حتى لا تتلف بتلات الورود، وإذا تغيّرت حرارته يتمّ استبداله بسرعة. تبقى العملية مستمرة إلى أن ينزل الماء المقطّر من الأنبوب الخاص به ويوضع في قارورة زجاجية محكمة الغلق، ويكون صالحا للاستعمال لمدّة سنة كاملة[1].



الصورة 118: قطارة من النحاس الأحمر، مدينة قسنطينة، القرن 14هـ/20م
المتحف العمومي الوطني للتقاليد والفنون الشعبية.

يستعمل ماء الورد للزينة وفي الأطعمة لإعطاء رائحة زكية، هذا، وقد ارتبط ماء الورد ببعض العادات والتقاليد الخاصّة بالأفراح كالزواج والختان، حيث كان يوضع داخل مرش وهو عبارة عن إناء ذي قاعدة مقعرة يعلوه بدن منتفخ، يليه عنق طويل ينتهي ببروز على شكل دائرة بها ثقب. وتقوم صاحبة الدار برش الضيوف، كما يستعمل في المساجد

[1] الحاجة دليلة، قسنطينة في التقطير، الجزائر، (د. م)، (د. ت)، ص. 5.

أثناء المواسم الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى والمولد النبوي الشريف لرشّ المصلين.[1] ووضع ماء الورد أيضا داخل طاسات نحاسية مزوّدة بغطاء وتمرّر على المدعوين بالتناوب للتذوق[2]. وقد وجد هذا النوع من الطاسات في قصر الداي واستولى عليها الجيش الفرنسي وهي محفوظة حاليا في متحف اللوفر[3]. (الصورة 119)



الصورة 119: مرش من الفضة، مدينة الجزائر، الفترة العثمانية
(ق. القاعدة: 7,4 سم، إر.: 32,8 سم)، II.MI.17
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

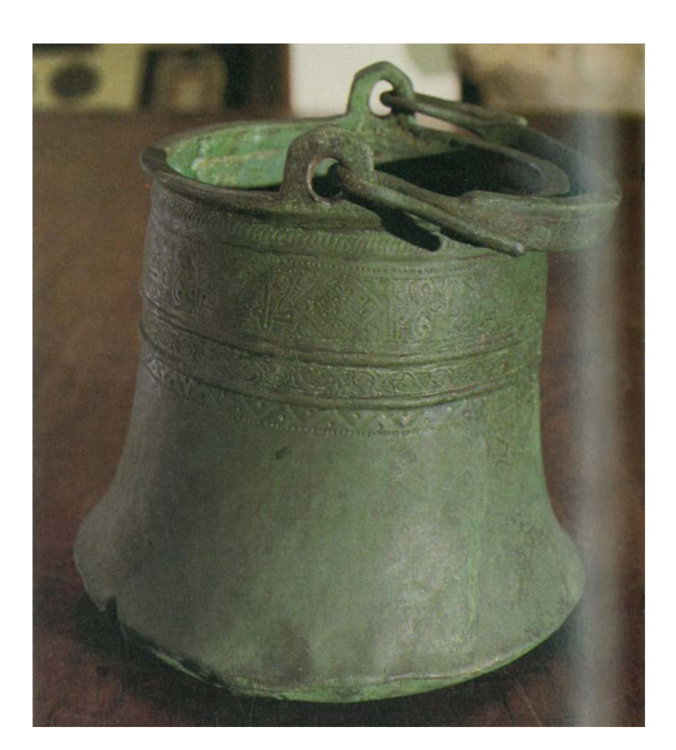
1. 1. 3 . الدلاء: مفردها دلو وهو إناء عميق يعرف بالجزائر باسم "محبس"، يختلف حجمه وعمقه يحوي على قاعدة وفوهة متسعتين، يستعمل في غالب الأحيان في الحمام لحفظ الماء وله وظائف مختلفة باختلاف أحجامه وأشكاله وبالتالي ظهرت أنواع عديدة[4].

---

[1] Eudel P., Dictionnaire des bijoux de l’Afrique du nord, Ernest Leroux, Paris, 1906, pp : 155 – 156.
[2] Ebid, p.221.
[3] Eudel P., L’Orfèvrerie…p. 46.
[4] شريفة طيان، الفنون التطبيقة...، ص. 97.

من بين أشكال الدلاء المصنوعة في الجزائر في الفترة العثمانية هي الدلاء ذات قاعدة مسطحة منتفخة نوعا في الأسفل وتضيق نحو الأعلى ومزودة بمقبض متحرك نصف دائري معقوف عند الطرفين.

يحتفظ معهد بلنسية دون خوان بنفس هذا النوع من الدلاء مصنوع من النحاس صنع في إحدى المدن الأندلسية ويرجح أنه يعود إلى 9 هـ - 10هـ/15 م - 16م[1]، يحمل شكل جرس ومزوّد بمقبض على شكل حلقة للتعليق. يحتوي القسم الأعلى منه على زخارف محزوزة تتمثل في زخارف هندسية ونباتية وكتابات عربية منها كلمة البركة. (الصورة 120)



الصورة 120: دلو من النحاس، الأندلس، القرن 9 هـ – 10هـ/ 15م – 16م

معهد بلنسية دون خوان

عن: Vernet J et Martinez Martin L

[1] Vernet J et Martinez Martin L ., Op. Cit., p. 228.

يضم المتحف العمومي للفنون والتقاليد الشعبية دلوا، يحمل تقريبا نفس هذا الشكل مصنوع بمدينة الجزائر. ويرجح أن يكون هذا الشكل ذو أصل أندلسي جاء مع المهاجرين الأندلسيين. (الصور 121)



الصورة 121: دلو من النحاس الأحمر، مدينة الجزائر، القرن 13هـ/19م
05 ـ 04 ـ 97، المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية.

1 . 1. 4. الصواني: يطلق غالبا في الجزائر على الصينية الكبيرة لفظ "السني"، والسني لفظ تركي دخل إلى الجزائر في العهد العثماني[1]. ويعتبر إحدى قطع الأثاث اللاّزمة في البيت الجزائري، إذ لا يخلو أي بيت منه، يكسبه الغني والفقير. لأن غرضه وظيفي أكثر منه زخرفي. يصنع السني من صفائح عريضة من النحاس الأحمر أو الأصفر وفي غالب الأحيان يغطى بطبقة من القصدير[2]. يؤدي السني دور المائدة، إذ يوضع عليه أطباق وجبات الأكل ويرتكز على أرجل خشبية.

[1] حورية شريد، "صناعة وألفاظ الآنية الجزائرية في العهد العثماني ـ السني نموذجاـ ، دراسات تراثية، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط/ الجزائر، ع. 3، 2009، ص. 231.

[2] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 94.

يبدو أن ظهور السني في الجزائر كان في القرن 12هـ/18م، لأنه لم يوجد له ذكر في النصوص التاريخية إلا بدءا من هذا التاريخ. وقبل هذا كان الناس يتناولون طعامهم فوق قطعة جلد مستديرة الشكل يطلق عليها السِمَاط أو السفرة[1].

وضع الأندلسيون بصمتهم في زخرفة الصواني النحاسيّة، فقد تميّزت الصواني باحتوائها على حافة مرتفعة مزيّنة بسلسلة من الفصوص، وهي ميزة اختصت بها الصناعة الجزائرية[2]. لكن وجدت صواني تحمل الزخرفة نفسها لكن حافتها منبسطة ممّا يرجّح أن تكون من عمل الأندلسيين.

توجد صينية محفوظة بالمتحف العمومي الوطني للآثار القديمة، زخرفت مساحتها الداخليّة بزخارف متنوّعة، تنطلق من المركز بنجمة سداسيّة تتخلّلها وريقات وزهيرات يليها شريط ضيّق من الخطوط المضفرة، وآخر من الخطوط المهشرة. متبوع بشريط عريض تكتنفه زخارف متناوبة كأشجار السرو وجامات ومزهريات، بعده شريط ضيق من المراوح النخيلية وفي الأخير حافة منبسطة ذات فصوص. (الصورة 122).

[1] حورية شريد، " صناعة وألفاظ..."، ص. 231.

[2] شريفة طيان، الفنون التطبيقية...، ص. 94.



الصورة 122: صينية من النحاس الأحمر ذات حافة منبسطة، مدينة الجزائر
القرن 12هـ/18م، (ق.: 77 سم، إر.: 2,5 سم)، II.MI.705
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

زخرفت بعض الأواني النحاسية كالصواني والأطباق والقدور والدلاء خاصة المحبس بأشجار النخيل، وتعتبر النخلة من الرموز القديمة في بلاد الرافدين، إذ وجدت على نقوش الأشوريين؛ وكانت ترمز إلى الخصوبة. أما عند المسلمين فهي ترمز إلى الرخاء وقد ذكرت في عدّة آيات من القرآن الكريم، وهي من بين أشجار الجنة، وراح الفنان المسلم يرسمها على مختلف منتوجاته[1]. وترمز النخلة عند أهل الأندلس إلى الحنين للوطن المفقود الذي أبعدوا وطردوا منه مُكْرَهين[2].

[1] Arceven C. E., Op. Cit., p. 70.
[2] Chebel M., Op. Cit, p. 320.

ظهرت شجرة النخيل في الفنون الجزائرية بقوة، واتّسمت بالتنوّع والدقّة في التنفيذ وبرزت بشكل كبير في القطع النحاسية الكبيرة جنبا إلى جنب مع شجرة السرو، حيث رسمت محورة وممثلة بجذوعها وأغصانها. وتظهر أحيانا بثمارها المتدلية من جهتيها بالإضافة إلى ذلك فإنها تكون الموضوع الرئيسي في بعض التحف، وكما سبق ذكره فإن شجرة النخيل ترمز إلى الشوق والحنين للوطن المفقود، ومن ثم يرجّح أن تكون بعض التحف المزخرفة بالنخيل من صنع الأندلسيين[1]. (الصور 123 ـ 124 ـ 125 ـ 126)



الصورة 123: سني من النحاس الأحمر عليه زخارف النخيل ، مدينة الجزائر

القرن 12هـ/18م، (ق. :73,8 سم، عمق: 2 سم)، II.MI. 048

المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة، عن: شريفة طيان

[1] شريفة طيان، الفنون التطبيقة...، ص. 210.



الصورة 124: دلو حمّام (محبس) من النحاس الأحمر عليه زخارف النخيل، مدينة الجزائر

القرن 12هـ/18م، (إر.: 25 سم، ق.: 28 سم)، 97 – 32 – 97

المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية، عن: شريفة طيان



الصورة 125: قدر من النحاس الأحمر عليه زخارف النخيل، مدينة الجزائر

القرن 12هـ/18م، (ق. الفوهة: 46 سم، إر.: 33,6 سم)، II.MI.58

المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة، عن: شريفة طيان.



الصورة 126: صحن بغطاء من النحاس الأحمر عليه زخارف النخيل، مدينة الجزائر الفترة العثمانية، (ق.القاعدة: 30,4 سم، إر: 26سم)، II.MI.459
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

1. 2. الأسلحة والذخيرة

تقدمت صناعة الأسلحة في الأندلس تقدما كبيرا نتيجة الأوضاع غير المستقرة والاستعداد للحروب، إما بين المسلمين والنصارى أو ببن المسلمين أنفسهم. وكانت تصرف أموال كبيرة في هذا الشأن[1]. هذا ما أدّى إلى اكتساب الأندلسيين دراية ومهارة في هذا المجال، وقد أكدّ كل من حسن الوزان[2] ومارمول[3] أن الأندلسيين المنحدرين من مدينة بلنسية وغرناطة كانوا يشرفون على صناعة الأسلحة والذخيرة في مدينة فاس المغربية.

---

[1] أحمد محمد الطوخي، المرجع السابق، ص. 312.

[2] حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 1، ص. 244.

[3] كربخال مارمول، المصدر السابق، ج. 2، ص. 154.

1. 2. 1. الأسلحة: كانت بمدينة الجزائر مصانع مخصّصة للأسلحة النارية ومن أهمها " دار النحاس " الَّذي يقع بضاحية باب الوادي[1]، وجهت هذه الدار أولا لصناعة الأدوات النحاسية ذات الاستعمال المنزلي، ثم تحوّلت إلى مشغل لصنع المدافع والعتاد الحربي والأسلحة النحاسية والفضية[2]. وكانت تصنع فيه البنادق والمسدسات والباروديات، وهي عبارة عن علب لتحزين البارود يحملها الجندي معه، ويشبه شكلها شكل الزمزميات[3]. وإلى جانب هذا المشغل كانت ورشات مختصة في صناعة أخامص البنادق وهي صنعة القنداقجية الَّتي مارسها الأندلسيون، وقد سبق ذكرها في الصناعات الخشبية، وكانت لها سوق خاصّة بمدينة الجزائر. وليس بعيدا عنها يوجد سوق الجقماقجية[4] المرتبط بصناعة الأسلحة[5]. وبما أن صنعة الجقماقجية والقنداقجية ذات صلة وطيدة بعضها ببعض، إذ تكمّل كل واحدة الأخرى، فإن الأندلسيين ساهموا مساهمة كبيرة في صناعة الأسلحة. وعلى الرغم من عدم العثور على أسماء لجقماقجيين أندلسيين في الوثائق المتفحصة غير أن معاهدة السلم الَّتي أبرمت بين فرنسا والجزائر سنة 1050هـ/1640م خصّت في البند العاشر ذكر الأندلسيين الَّذين يقومون بتسليح السفن القادمة من الجزائر واعتبرتهم مسؤولين عن الخسائر الَّتي تلحق بالسفن الفرنسية والتي يجب تعويضها. و قد جاء في هذا البند ما يلي: " وإذا حدث أن قامت سفن من الجزائر، كانت قد سلّحت من طرف الأهالي أو من الطقاريين، (الثغريين وهم الأندلسيين الذين استقروا في أعالي مدينة الجزائر) ولم يكن بها ضباط للديوان، يأسر أحد الفرنسيين منتهكة بذلك معاهدة السلم فإن مجهّزي هذه السفن سيعتبرون مسؤولون ويعوضون الخسائر "[6].

---

[1] Boyer P., Op. Cit., p. 33.

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...."، ص. 54.

[3] ليلى مرابط، "باروديتان محفوظتان بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية" حوليات المتحف الوطني للآثار، ع. 15، 2005، ص. 134.

[4] الجقماقجي: هو صانع الأسلحة وبائعها، أنظر: عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 391.

[5] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر...، ج. 3، ص. 503.

[6] جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619م - 1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م، ص. 271.

يضاف إلى مدينة الجزائر مدينة قسنطينة الَّتي شملت على معامل لصناعة الأسلحة ويطلق على صانع السلاح " الشقماقجي" وتتمثل مهمته في صناعة الأسلحة وإصلاحها عند الكسر ويعمل بجانبه السرّار الَّذي ينحت الأجزاء الخشبية من البنادق والسيوف[1].

ـ أـ **الأسلحة النارية الثقيلة:** ظلت صناعة المدافع مزدهرة إلى أواخر الفترة العثمانية لتوفّر الخبرات الفنية، خاصة الجالية الأندلسية الَّتي استقرت بالإيالة. وقد نصّب العثمانيون نظاما دفاعيا حول مدينة الجزائر، وبنيت البطاريات بإحكام فائق حيث انتشرت على الشريط الساحلي للمدينة، فكانت كوّات الرمي مجهّزة بالقطع المدفعيّة بمختلف أنواعها وأحجامها[2]. وكانت تصنع في باقي مناطق ومدن إيالة الجزائر مدافع لكنها أقل عددا وحجما من الَّتي كانت تصنع بمدينة الجزائر. وقد استخدم في صناعة المدفعية عدّة معادن من أهمها الحديد وبدرجة أقل النحاس والرصاص والبرونز إلى جانب الخشب[3].

أشارت المؤلفات العربية والأجنبية إلى خبرة الأندلسيين في صنع المدفعية، وكتب أحد الأندلسيين وهو إبراهيم بن أحمد غانم بن محمد بن زكريا كتابا بعنوان: " العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع" تناول فيه كل الأمور الَّتي تتعلّق بصنع المدافع وأسمائها وتحضير البارود وطرق اكتشافه. وقد لقب هذا المؤلف ب " المرياش ". ولد بنواحي غرناطة وإثر قرار النفي انتقل إلى إشبيلية وعمل في البحر. وكان يسافر إلى أمريكا في السفن التجارية التي تنقل الفضّة، وأثناء هذا السفر الطويل كان يسمع إلى الكلام والمناقشات الَّتي تدور حول الآلات الحربية كالمدافع وتحضير البارود وطرق اكتشافه. ولما عاد إلى إشبيلية اكتشفت محاكم التفتيش أمره فألقت القبض عليه ووضعته في السجن. وعن طريق معارفه هرب من السجن متّجها إلى غرناطة ليعبر بلاد المغرب لكن السلطات الإسبانية منعته فقدم رشوة إلى بعض الشخصيات وتمكّن من السفر إلى

[1] محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص. 62 ـ 63.

[2] Letourneau R., La régence d’Alger et le monde Turc, syndicat national des instituteurs, Alger, 1953, P. 87.

[3] لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 213.

تونس. وهناك عيّنه الداي للخروج إلى الغزو وعاد بعد ستة أشهر جريحا. وبعد شفائه خرج إلى الغزو مرّة ثانية لكنه وقع في الأسر وبقي مدة سبع سنوات، وبعد فكّه من الأسر عُيّن قائدا على قلعة حلق الوادي بتونس. وفيها ألف كتابه بالقشتالة المسمَّى "العز والمنافع في سبيل الله للمجاهدين بالمدافع"[1].

قام بترجمة هذا الكتاب إلى العربية الشهاب الحجري سنة 1048هـ/1638م وحول سبب ترجمة هذا الكتاب يقول الحجري في مقدمة هذا الكتاب: " ولما طالعت الكتاب العجمي الَّذي كتبه الريّس إبراهيم المرياش بخطّ يده، ورأيت نيّته الصالحة أن الكتاب يكون فيه نفع للمسلمين وعون لهم على الكفار المشركين فعزمت على تعريبه". وقد تُرجم هذا الكتاب والمؤلف الأصلي ما زال على قيد الحياة، إذ يخبرنا شهاب الحجري: " وكنت إذا تشكل علّي شيء من الكتاب نسأل الريس مؤلفه ويبين لي في الحين بيانا شافيا كل ما نسأله، وعلمت أن كل ما ذكر وكتب هو عنده بالقول والفعل"[2].

وفّرت صناعة المدفعية في الجزائر ما كان يكفي لتجهيز التحصينات والأبراج والسفن وهي مختلفة الأنواع. فوجدت مدافع لرمي الحجارة وكانت كبيرة الحجم وقصيرة تسمى "بالمهاريس" ومدافع لرمي القنابل المحرقة، وأخرى لرمي الكُوَر والَّتي ترمي قنابل من الرصاص تزن 1 كلغ ومنها ما يرمي كورًا يبلغ وزنها حوالي 5 كغ[3].(الصورة 127 ـ 128)

[1] إبراهيم بن أحمد غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي، العز والمنافع في سبيل الله للمجاهدين بالمدافع، مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم1115، ورقة 4 ـ 6.

[2] محمد رزوق، المرجع السابق، ص. 279.

[3] علي خلاصي، العمارة العسكرية...، ص. 31.



الصورة 127: مدفع من الحديد ذو تسع فوهات، الجزائر
القرن 12هـ - 13هـ/ 18م - 19، (ط.: 2,50 م)
متحف الجيش الفرنسي (لانفاليد)، عن: ميمن داود



الصورة 128: مدفعان من البرونز، تلمسان
القرن 12هـ – 13هـ/ 18م - 19م، (ط.: 4,70 م)
متحف الجيش الفرنسي (لانفاليد)، عن: ميمن داود

ـ ب ـ **الأسلحة النارية الخفيفة:** تنوّعت الأسلحة النارية الخفيفة الّتي عرفتها الجزائر خلال العهد العثماني، وتميّزت بكونها أسلحة فردية ذات عيار خفيف. اختلفت في أشكالها وتتمثلت في المسدسات والبنادق، وقد كان الاسم المحلي للمسدسات " الغدرات" وللبنادق " المكاحل"[1]. (الصورة 129)

ظهرت البنادق لأول مرّة في الربع الثاني من القرن 8 هـ/14م، وتطورت عن المدفع الّذي كان أول سلاح ناري ظهر في أوروبا حوالي سنة 700هـ/1300م[2]. وقد تحدثت المصادر التاريخية عن أنواع البنادق المستعملة في الجزائر، لكن نادرا ما تتحدث عن الفئة التي صنعتها. ومن بين هذه البنادق:

ـ **الأركبوز:** تعد بندقية الأركبوز من الأسلحة النارية الخفيفة الّتي تحمل على الكتف استعملت في فرنسا من نهاية القرن 9هـ/15م إلى غاية القرن 10هـ/16م[3]. وذكر هايدو أنّه من بين الأندلسيين الّذين استقروا بمدينة الجزائر من كان يصنع بنادق الأركبوز[4] وكان جنود الجيش الإنكشاري مسلحين بها ويستعملونها ببراعة فائقة[5].

وبما أن الأندلسيين ساهموا في صناعة بندقية الأركبوز، فمن المحتمل أنهم صنعوا أنواعا أخرى من البنادق كانت مستعملة في الجزائر مثل:

ـ **الموسكي:** تطلق بندقية الموسكي بفتيلة

ملتهبة، واستعملت خلال القرنين 10هـ و1هـ/16م و17م[6]، وقد استخدمها جيش عروج لمّا فتح مدينة مليانة سنة 923هـ/ 1517م.[7]

---

[1] علي خلاصي، العمارة العسكرية...، ص. 31.

[2] الموسوعة العسكرية، ج. 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977، ص. 200.

[3] Le petit Larousse illustré, Paris, 2007, p. 110.

[4] Haedo F. D., Topographie et histoire …, p. 60.

[5] Julien Ch A., Op. Cit., p. 259.

[6] Le petit Larousse ... p. 668.

[7] Grammont De H-D., Histoire d’Alger sous la domination turque 1515 – 1830, édit. Bouchène, 2002, p. 43.

ـ **الإسكوبيت:** تتكون من فوهة واحدة واسعة استعملت خاصة في القرن 11هـ/ 17م[1] وكان الجنود الأتراك يحملون مشيا على الأقدام هذه البندقة على ظهورهم، بينما قائدهم يمتطي فرسا ويضع بندقية الإسكوبيت داخل السرج[2].



الصورة 129: بندقية بارود من الحديد والفضة والخشب، الجزائر، القرن 13هـ/19م
(ط.: 1,73م، ق. الفوهة: 2,1 سم)، II.MI.697
المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

1. 2. 2. الذخيرة والمصانع

الذخيرة هي المادّة الأساسية لتموين الأسلحة النارية الثقيلة كالمدافع والخفيفة كالبنادق والمسدسات، وبانتشار هذه الأسلحة في الجزائر انتشرت صناعة الذخيرة. ومن أهم المواد التي تدخل في تركيبيها البارود الَّذي هو مزيج أو خليط سريع الاشتعال يحدث

[1] Le petit La Rousse…, p. 384.
[2] Mascarenhas J., Op. Cit, p. 104.

فرقعة، يتكون من 75% من ملح البارود و15% من الفحم و10% من الكبريت واسمه العلمي " نيترات البوتاسيوم"[1].

عرف المسلمون البارود بأسماء عديدة كملح الحائط أو ملح الدباغين أو الثلج الصيني أو الدواء،[2] على أن ابن البيطار المتوفّى سنة 646هـ/1248م يشير إلى أنَّ هذه التسميات يقابلها في بلاد المغرب لفظة بارود. كما استخدمت مرادفات محلية في مختلف الأقطار ففي منطقة القبائل استعمل لفظ " كسكسي أبركان " بمعنى " الكسكس الأسود " نظرا لما بينه وبين البارود من تشابه في التحبيب [3].

يعدّ " كتاب غزوات عروج وخير الدين" من بين أقدم النصوص التاريخية في الجزائر التي جاء فيها لفظ بارود : " ولما عزم خير الدين على فتحه حصن الينبون لم يجد عنده من البارود ما يقوم بذلك لتوزيعه في الحروب المتقدمة فأمر المعلمين بصنعه"[4]. إن ورود كلمة معلمين لدليل على وجود صنّاع مهرة يشرفون على صناعة البارود ويعلّمون غيرهم من أبناء حرفتهم وقد امتُهِنت هذه الصناعة قبل بداية القرن 10ه/16 م، وانتشرت على يد الأندلسيين النازحين في القرن 9ه/15م[5].

ضمت مدينة الجزائر مصنعين لهذا الغرض، أحدهما مصنع القصبة الخاص بالداي، ويجهل تاريخ بنائه بالضبط غير أنَّه تهدَّم سنة 1025ه/1616م وأعيد بناؤه عام 1036ه/1027م، وهو مبنى كبير وواسع ذو شكل دائري مقبّب يحتوي على ورشات جهزت بمعدات خاصة لتحضير البارود، ومن بين هذه المعدات مطحنة لخلط المواد[6].(الشكل 20)

[1] شفيق غربال، المرجع السابق، مج. 1، ص. 307.

[2] Colin G., « Barûd » in E. I., t. 1, E. J. Brill, Leiden, G.- P. Maisonneuve et Larose, Paris, 1975, p. 1087.

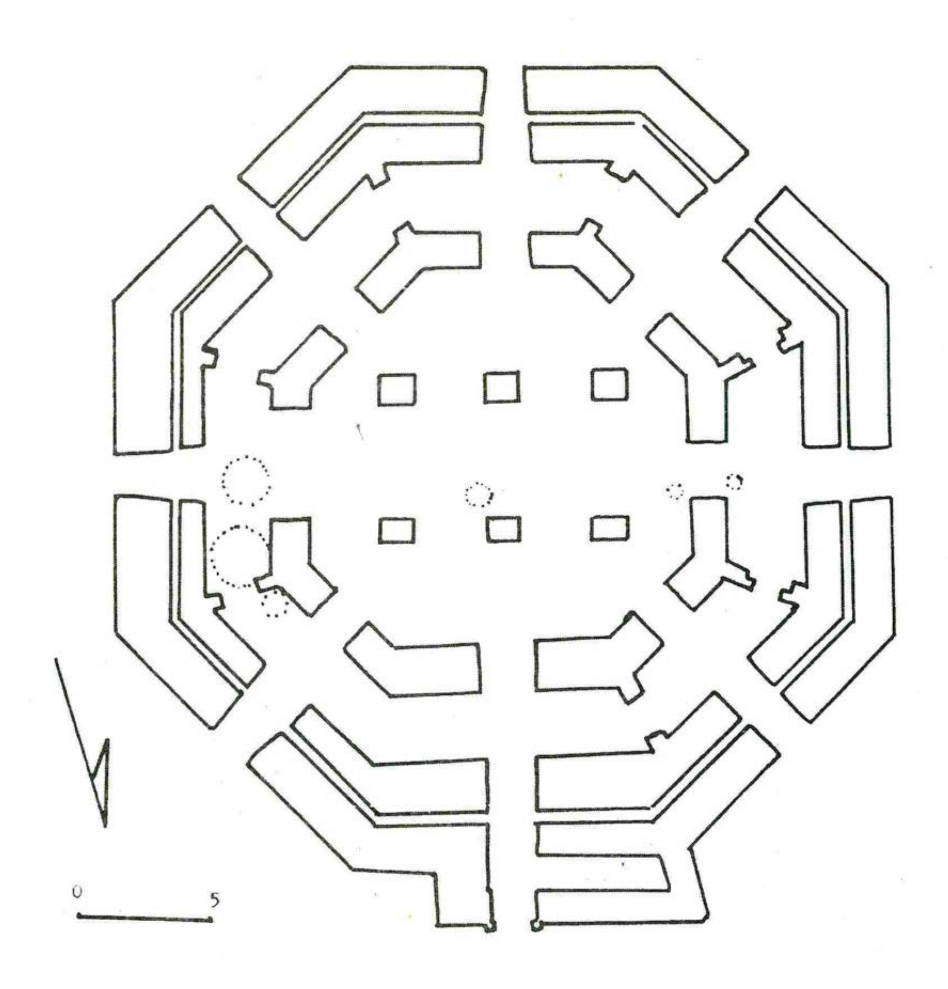
[3] Ibid., p. 1088.

[4] مجهول، غزوات عروج ...، ص. 67.

[5] Haedo D De., Topographie et histoire …, p. 60.

[6] Rozet M., Op. Cit, t. 3, p. 35.

أما المصنع الثاني فيقع خارج باب الوادي عرف باسم "دار البارود" أُنشئ عام 231هـ/ 1815م واستمر في إنتاج البارود حتى الاحتلال سنة 1246هـ/1830م حيث ألحق بالإدارة العسكرية الفرنسية[1].



الشكل 20: مخطط مصنع البارود بالقصبة

عن: لخضر درياس.

[1] Berbrugger A., « Les casernes…», p. 137.

ساهم الأندلسيون الَّذين استوطنوا الغربَ الجزائري كمستغاتم ووهران وتلمسان في إنتاج البارود نظرا لوجود مادة الملح في سباخ[1] أرزيو وتلمسان[2]. ويؤكد هذا الكلام ابن سحنون الراشدي إثر كلامه عن استعداد الباي محمد الكبير[3] لفتح وهران[4]:" وبعث إلى ناحية زواوة (بلاد القبائل) من أتاه بالكثير من البارود فحصلت له بجمع ذلك أتم الاستعداد...وجمع لذلك أرباب الصنائع من النجارين والخراطين والحدادين وصناع البارود من كل بلد أمكنه أن يجمع منها كالجزائر وتلمسان ومستغانم وصناع بلده".

تشمل مدينة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق على مصنع لتحضير البارود يعمل فيه عشرون عاملا أغلبهم من القرى المجاورة[5]، أما مراكز تحضير البارود في الأرياف فأهمها يوجد ببلاد القبائل بناحية جرجرة[6]، حيث كانت تختص بتحضير نوع جيد من البارود وكما ذكر آنفا فإن محمد الكبير استعمل منه كميات كبيرة أثناء محاصرته لمدينة وهران سنة 1206هـ/1791م[7].

---

[1] سباخ: مفردها سَبخة وهي الأرض الَّتي لم تحرث ولم تعمَّر لملوحتها.

[2] Shaw Th., Op. Cit ., p.22- 23.

[3] الباي محمد الكبير: حكم من الفترة الممتدة من 1206هـ/1792م إلى 1213هـ/1799م، تحررت على يده مدينة وهران من الاحتلال الإسباني، وتميّزت فترة حكمه بالأمن والاستقرار والرخاء. أنظر عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر...، ج.3.

[4] علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، وزارة التعليم الأصلي، قسنطينة، 1973، ص. 247.

[5] Peysonnel ., Op. Cit., p. 200.

[66] منطقة جرجرة: هي سلسلة جبلية تقع شمال الجزائر بين ولايات تيزي ورزو والبويرة وبجاية. وهي تطل على البحر الأبيض المتوسط.

[7] ناصر الدين سعيدوني والمهدي الشيخ البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 67.

ثانيا: الحلي

الحلي اسم لكل ما يُتزين به من مصاغ من الذهب والفضة، وهو كل حلية حليت بها امرأة[1]. وهو كذلك كل ما يتزين به من مصوغ المعدنيات والحجارة، والحلي عامة من ضروب الزينة الَّتي عرفت المرأة استعمالها منذ أقدم العصور[2].

تعتبر حرفة صناعة الحلي من الصنائع المركبة والدقيقة والكمالية والمربحة في الوقت نفسه وبالرغم من أن المدن الجزائرية الكبرى كانت تضم أسواقا للصاغة كمدينة الجزائر الَّتي كان بها في القرن 10هـ/16م مائتي حانوتا لصناعة الصياغة [3] وقسنطينة[4] وقسنطينة[4] وتلمسان[5]، غير أن هذه الصنعة كانت من الصنائع القليلة والنادرة الّتي مورست من طرف العناصر الحضرية. فقد أكدت الوثائق بوجه عام أن معظم صناع المصاغ كانوا يهودا ومن بينهم:

- **الصائغ** شلومو بن موشي بن ذجانة 1072هـ/1661م.
- **الصائغ** شالوم بن يهودا 1104هـ/1692م.
- **الصائغ** يعقوب بن يهودة كوهين شلال 1184هـ/1770م.
- **الصائغ** عمران بن يعقوب 1213هـ / 1798م.
- **الصائغ** هارون بلخير 1244هـ / 1827م[6].

عثرت الأستاذة عائشة غطاس في الوثائق على حالة واحدة بمدينة الجزائر تخصّ امتلاك عدد هام من الحوانيت بسوق الصاغة لغير اليهود، ويتعلق الأمر بأحد أعيان

[1] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج. 1، ص. 711.

[2] عائشة حنفي، الحلي الجزائرية بمدينة الجزائر في العهد العثماني، ج. 1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص. 15.

[3] Eudel P., L’orfèvrerie … , p. 70.

[4] Mercier E., Op. Cit., p. 89.

[5] محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص. 325.

[6] نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر ما بين (1700م - 1830م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004 - 2005، ص. 161 - 162.

التجار وهو " الحاج منصور بن عمر"[1].

ابتعد المسلمون عن صناعة الحلي والجواهر، ولعل السبب في ذلك هو ما ورد في بعض الأحاديث النبوية الشريفة، الَّتي تنهى الرجال عن لبس الذهب فتجنبوا الاشتغال بكل ما له علاقة بذلك. ويعتقد بعض المؤرخين أن الَّذين يعملون في هذه الصناعة، لا بد أن تكون لهم دراية بالسحر لأنهم كانوا يستخدمونه في عملهم[2]، لذلك تركت هذه الأعمال لليهود، حيث استعانت معظم الدول الإسلامية بالصناع اليهود في صناعة الحلي[3]. ونادرا ما كان المسلم يمارس مهنة الصائغ، إذ كان ينظر إلى الَّذي يبيع المصنوعات الذهبية بسعر أعلى من الَّذي يساوي وزنها على أنها ربا[4]، بدليل أن الصاغة اليهود بمدينة الجزائر كانوا لا يوظفون إلا الأسرى المسيحيّين لمساعدتهم في عملهم[5]. وقد لخصّ شالر النشاطات الّتي مارسها اليهود بقوله[6]: " ... وكما هي عادتهم في بلدان أخرى، يمارسون جميع فروع التجارة، وهم يحتكرون في هذا البلد السمسرة وأعمال المصارف وتبديل العملة وكذلك يوجد عدد كبير من الصيارفة بينهم، وذلك في الذهب والفضة".

إلى جانب اليهود مارس القليل من العناصر الحضرية كالأندلسيين وحتى الكراغلة صناعة الحلي في مدن تلمسان وقسنطينة والجزائر خاصة، وشجعهم على مزاولتها ما كانت توفّره لهم من أرباح وفوائد مرتفعة[7]. واستخدموا في هذه الصناعة معادن ثمينة كالذهب؛ وكان الذهب النقّي الصافي المخصص لصناعة الحلي يُؤتى به من سبائك الاحتياط المخبئة في أقبية مخازن القصبة[8]. بالإضافة إلى الفضّة والأحجار الكريمة الَّتي

---

[1] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 231.

[2] عائشة حنفي، الحلي الجزائرية...، ص. 73.

[3] موريس لومبار، المرجع السابق، ص. 309.

[4] حسن الوزان، المصدر السابق،ج. 1، ص. 283.

[5] Eudel P., L’orfèvrerie … , p. 88.

[6] وليام شالر، المصدر السابق، ص. 89.

[7] ناصر الدين سعيدوني والمهدي الشيخ البوعبدلي، المرجع السابق، ص.70.

[8] Eudel P., L’orfèvrerie … , p. 45.

الَّتي كانت تستوردها الجزائر من الدول الأوروبية[1]، إلى جانب مواد أخرى بسيطة كالنحاس وقرون الثيران لصنع الأساور[2].

1. المقايسية:

المقياس هو نوع من السوار يوضع حول المعصم، ويتألف من حلقة دائرية عريضة نوعا ما، ويطلق على صانع المقياس "المقايسي" وجمعها "المقايسية".

يصنع المقياس من قرون الثيران والجواميس، وكانت نساء البدو والقبائل يتزَّين بها لعدم قدرتهن على شراء حلي من معادن ثمينة كالذهب والفضة[3]، وقد شكلت هذه الصناعة فرعا رئيسيا من فروع الصناعة في مدينة الجزائر، وكانت المادة الأولية هي القرون الّتي تأتي في شحنات كبيرة، ثم يقوم مندبون بشراء هذه المادة وتوزيعها على كل حرفي حسب أهميّة متجره. لا تتطلّب هذه الصناعة رؤوس أموال كبيرة، غير أن أصحابها كانوا يقومون بتجارة واسعة، بحيث تُصدّر إلى كل من تونس وطرابلس وحتى إلى مصر[4]. (الصورة 130)

ساهم الأندلسيون في هذه الصناعة كما تؤكده الوثائق أمثال:

- **الناسك محمد المقايسي الأندلسي**[5].
- **السيد محمد المقايسي الأندلسي**[6].
- **الحاج محمد المقايسي** بن **محمد الأندلسي**[7].
- **الحاج** أحمد **المقايسي** بن فاضل بن يحي **الأندلسي** 1093هـ/1682م[8].

---

[1] عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر...، ص. 310.

[2] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط. 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص. 155.

[3] Emerit M., Op. Cit., p. 10.

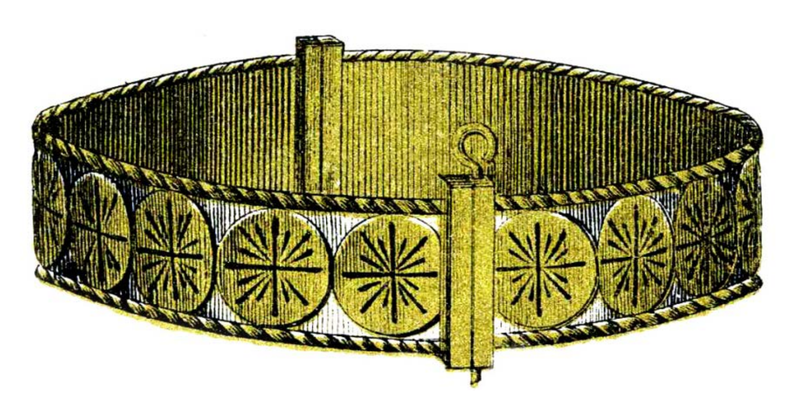
[4] حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 277.

[5] م.ش.علبة 119 ـ 120 الوثيقة 3.

[6] م.ش.علبة 96 ـ 97 الوثيقة 46.

[7] م.ش.علبة 123 الوثيقة 39.

[8] م. ش. علبة 54 الوثيقة 21.



الصورة 130: مقياسة من قرون الثيران

عن: Merlin A

2 . الزخرفة بالمينا:

اهتمت المرأة في الأندلس بالحلي وبالغت في استعماله، وكانت تنافس بنات جنسها في إظهاره[1]، متزينة بالقلائد والأساور والخواتم. واستعمل الذهب عند سيدات الطبقة الراقية والفضة عند الطبقة المتوسطة[2]. وبعد سقوط غرناطة سمح لبعض المسلمين الَّذين هُجِّروا بحمل حليّهم وجواهرهم الثمينة. وبهذا فقد أصبحت الحلي الجزائرية مزيجا بين عدّة أساليب فنية فتحت المجال للصائغين في تقليد وإعادة صنع كل الحلي المتوفرة في البلاد بطلب من الزبونات[3]. وللأسف فإن معظم هذه القطع اختفت بسبب الأوضاع الاقتصادية التي عرفتها الجزائر أواخر الفترة العثمانية[4]، وكذلك تذويب هذه القطع لاستعمالات أخرى هذا ما جعل البحث عن التأثيرات الأندلسية على الحلي الجزائرية أمرا صعبا، ولكن يعتبر الطلاء بالمينا من الطرق الزخرفية الَّتي توافدت إلى الجزائر مع مجيء الأندلسيين.

المينا كلمة فارسية استخدمت بمعاني عديدة، فهي تعني بلّور متعدد الألوان، كما تعني بلّور أبيض وكان يستخدم في الترصيع ويعني كذلك طلاء زجاج لامع. والمينا هي مادة قابلة للتفتيت مكّونة على العموم من الرمل وأكسيد الرصاص الأحمر والبوتاس والصودا مسحوقة بدقة. وتصبح قابلة للتحوّل إلى زجاج عند وضعها في النار على درجة

[1] لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص. 20.

[2] أحمد محمد الطوخي، المرجع السابق، ص. 85.

[3] Eudel P., L’orfèvrerie … , p. 337.

[4] Ibid. p. 338.

حرارة مرتفعة[1]. ويجب إضافة أكاسيد معدنية يطلق عليها طلاءات تلوينية لإعطاء ألوانا مختلفة كأكسيد الكروم للون الأصفر وأكسيد النحاس للون الأخضر وأكسيد الكوبالت للون الأزرق وأكسيد القصدير للون الأبيض[2].

اتفق معظم المؤرخين وعلماء الآثار أن صناعة المينا نشأت في بلاد المشرق، لكن صَعُب عليهم تحديد مكان ظهورها لأول مرّة، كما أن الاكتشافات الأثرية المتفرقة لم تسمح بمعرفة التطوّر الكرونولوجي لهذه الصناعة منذ الفترة القديمة إلى غاية العصور الإسلامية[3].

يعدّ الفينيقيون أوّل من اكتشف العجينة الزجاجية والّتي تعد بداية استعمال الطلاء بالمينا، وعلى الرغم من أن المصريين كانوا ذوي خبرة ومهارة كبيرتين في صناعة المينا إلا أنهم فضلوا تنفيذه بصورة واسعة على الفخاريات[4]. ومنذ الألفية الثالثة قبل الميلاد عرفت بلاد الرافدين استعمال الطلاء بالمينا على الحلي المعدنية، وأمدّت المواقع الأثرية بإيران مجموعة من الحلي الذهبية تتمثّل في التيجان وأحزمة صنعت من الذهب والفضة وطليت بالمينا باللون الأصفر والزبدي والبنفسجي والأزرق[5].

طوّر البيزنطيون تقنية استعمال الميناء على الحلي وكانت لهم الريادة في هذا المجال وقد أخذوا أسرار هذه الصناعة من الفرس في عصر الدولة الساسانية[6]. ومع الفتوحات الإسلامية لبلاد الأندلس عمل الأمراء الجدد على توطيد علاقات حسنة مع الدولة البيزنطية وإرسال سفارات بين البلدين[7]، فكانت البضائع البيزنطية تتجمع في أسواق أسواق الأندلس ومن بينها مشغولات الفضّة والذهب المكسوة بالمينا، كما كان الصنّاع

[1] الحلي الجزائرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1990، ص. 29.

[2] Quin Ch., La poterie, Paris, S. D., p. 73.

[3] Gonzalez V., Emaux d'al – Andalus et du Maghreb, Edisud, 1994, p. 22.

[4] Rhodes D., Terres et glaçures, dessain et tolra, Paris, S. D. p. 68.

[5] Gonzalez V., Op. Cit., p. 23.

[6] سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ط. 2، هلا للنشر والتوزيع، مصر، 2002، ص. 197.

[7] محمود سعيد عمران، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، دار النهضة العربية، بيروت، 2002 م، ص. 322.

البيزنطيين يُستدعون إلى الأندلس لزخرفة المباني ولأعمال فنية أخرى[1]. ومن المحتمل أن يكون لهؤلاء الصناع دورٌ في انتشار وتطوير تقنية استعمال المينا على مختلف المصنوعات المعدنية الأندلسية.

تقدمت تقنية الزخرفة بالمينا في الأندلس، وبلغت أوجَّ ازدهارها بمملكة غرناطة في الفترة النصرية منذ القرن 7هـ/13م، وعرفت انتشارا واسعا خلال القرن 9هـ/15م. ولم يهتم الصانع الغرناطي بتشكيل العديد من الحلي الذهبيّة والفضيّة المكسوة بالمينا فقط، بل نبغ في صنع آلات الحرب من السيوف والخوذات وقطع من عدّة الفارس[2]. ولحسن الحظ يحتفظ متحف الجيش بمدريد بسيف الأمير أبو عبد الله وهو مصنوع من الفولاذ والبرونز ومزخرف بالمينا ذات الفصوص المتعدّدة الألوان كاللون الأخضر والأصفر[3]. كما يحتفظ متحف الميتروبوليتان بنيويورك بخوذة هذا الأمير صنعت من الفولاذ ومغطاة مبخليط من الذهب والفضة، وزخرفت بالمينا المتعدّد الألوان كالأخضر والأزرق والأبيض وتحمل شعار بني نصر" ولا غالب إلا الله "[4]. (الصور 131 ـ 132)

---

[1] Gonzalez V., Op. Cit., p. 79.
[2] Terrasse H., « Notes sur l’origine des bijoux du sud marocain », in Hesp., t. 21, 1930,p. 126.
[3] Gonzalez V., Op. Cit., p. 153.
[4] Ibid, p. 140.



الصورة 131: سيف من الفولاذ والبرونز للأمير أبو عبد الله مزخرف بالمينا

غرناطة، القرن 9هـ/15م، (ط.: 97سم)

متحف الجيش بمدريد، عن: Gonzalez V



الصورة 132: خوذة من الفولاذ والذهب والفضّة للأمير أبو عبد الله مزخرفة بالمينا

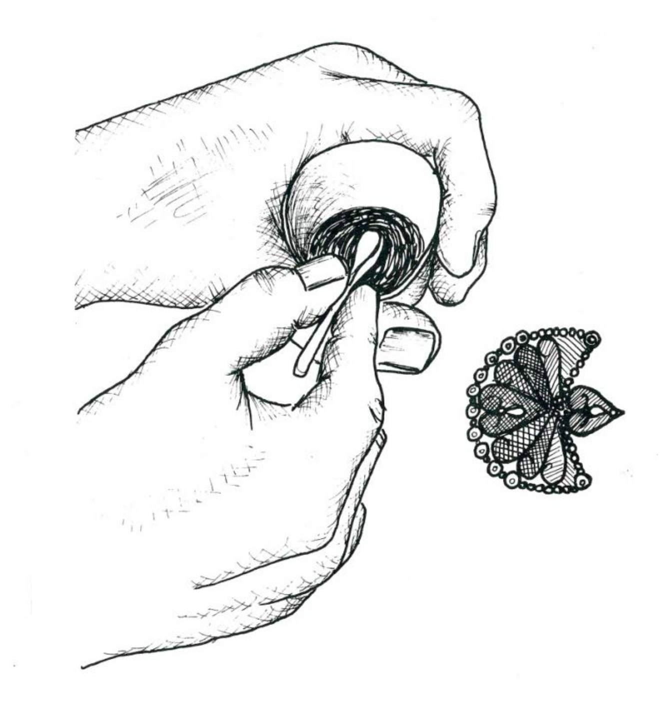
غرناطة، القرن 9هـ/15م، (إر.: 20 سم)

متحف الميتروبوليتان بنيويورك. عن: Gonzalez V

2 . 1. تقنية الزخرفة بالمينا

تعدّ عملية الطلاء بالمينا على الحلي عملية صعبة ودقيقة تتوقف على خبرة وسيطرة الصائغ الَّذي لابد أن يكون مطلعا على أسرار صناعة المينا وكيفية وضعها على الحلية.

بعد أن يركب الصائغ جميع أجزاء الحلية تقسّم إلى خانات، ثم يضع الصائغ المينا السائل في الأماكن الفارغة. وبعد التجفيف في الهواء الطلق يضعها داخل فرن بسيط التركيب[1]، على لوحة من الحديد ثم تغطى بغطاء به ثقوب وتحاط بفحم متوهج. وبعد انتهاء عملية الحرق يبدو المينا بلون مشابه للأحمر، لكن بعد التبريد يأخذ لمعانا وشفافية وصلابة وتظهر الألوان المختلفة كالأحمر والأزرق والأصفر والأبيض والأرجواني والبني[2]. (الشكل 21)



الشكل 21: طريقة وضع المينا

عن: الحلي الجزائرية...

[1] الحلي الجزائرية....، ص. 29.

[2] Camps – Fabrer H.,Les bijoux berbères d’Algérie grande Kabylie – Aurès, Edisud, Aix – en- Provence, 1990, p. 42.

هناك طريقتان للزخرفة بالمينا:

أ ـ الحفر: لا تحتاج طريقة الحفر مهارة كبيرة، فهي توفّر الجهد والوقت، وتتمّ بوضع المينا داخل التجاويف الَّتي قد سبق حفرُها لتكون مكان الزخرفة، وبعد ذلك توضع الحلية في النار حتى تثبّت المينا وتكسبها بريقا وجمالا[1].

ب ـ مينا الفصوص: تعدّ طريقة مينا الفصوص الأكثر استعمالا عند البيزنطيين، وعلى الرغم من أن الزخرفة بالمينا على المعادن سابقة للبيزنطيين، إلا أن هذه الطريقة الزخرفية تكاد تكون من ابتكار الصناع البيزنطيين وحدهم[2].

تتمّ هذه الطريقة بتنفيذ أولا الرسم المرغوب فيه على الحلية، ثم توضع عليها أسلاك معدنية دقيقة لتحديد التصميم، بعد ذلك تملأ هذه الفراغات بصبّ المينا الَّذي هو عبارة عن مزيج مكوَّن من مادة زجاجية مع أكاسيد. وبعد عملية التجفيف في الهواء تدخل القطعة إلى الفرن ويصبح المينا مادّة زجاجية ملونة وكأنها مرصّعة بالأحجار الكريمة[3].

3 . الزخرفة بالمينا على الحلي الجزائرية

يرجع الباحثون أصل تواجد الزخرفة بالمينا في بلاد المغرب الإسلامي إلى القرن 10هـ/15م عن طريق المهاجرين الأندلسيين واليهود[4]. وعرفت الكثير من المناطق المغاربية هذه الطريقة كجربة والمهدية في تونس ومنطقة تيزنيت في جنوب المغرب الأقصى وتلمسان ومدينة الجزائر وبجاية[5]. (الخريطة 22)

[1] سعاد ماهر، الفنون الإسلامية...، ص. 198.

[2] ستيفن رانسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز جاويد، القاهرة، 1961، ص. 338.

[3] سعاد ماهر، الفنون الإسلامية...، ص. 197.

[4] Terrasse H., Op. Cit., p. 126.

[5] Gonzalez V., Op. Cit., p. 186.



الخريطة 22: مناطق صناعة الحلي المزخرف بالمينا في البلدان المغاربية

عن: Camps – Faber H (بتصرف)

بقي استعمال زحرفة المينا على الحلي في الجزائر إلى غاية اليوم لكنها انحصرت في المناطق الريفية، فقد شغلت هذه التقنية حيّزا ضيّقا من رقعة جغرافية كبيرة، مما دفع بالباحثين للكشف عن أصلها ومن بينهم Marçais G الّذي أعطى تفسيرا يقول فيه:" لم تظهر هذه التقنية في الريف لأنها لا تحمل خصائص الفن الحضري، واستعملتها المدن في الماضي وتخلّت عنها فيما بعد إثر تأثّرها بالأشياء الجديدة. فالمدينة هي مكان اتصال وتلاقي واستقبال كل الأشياء المبتكرة محليا أو الّتي جاء بها الأجانب، فمن السهل أن تتخلى المدينة عن هذه الأشياء بحجّة أنها ليست من الموضة، في حين يقوم الريف بالحفاظ عليها لقرون طويلة، ويبقى وفيا لها على الأشكال والأنماط الفنية والأساليب والأدوات. فبعدما كان المينا يمارس في المدن الحضرية الكبرى بالمغرب الإسلامي كمراكش وبجاية وتونس، تخلّت عنه لينحصر في قرى بلاد القبائل"[1].

حمل المهاجرون الأندلسيون تقنية الزخرفة بالمينا حين قدموا إلى بجاية، حيث كانت تمثّل هذه الأخيرة مركز الحضارة والفنون[2]، وذكر سابقا أن سقوط بجاية في أيدي

[1] Marçais G., Les bijoux musulmans de l'Afrique du Nord, imprimerie officielle, Alger, 1958, pp : 15 – 16.
[2] Camps – Fabrer H., Op. Cit., p. 133.

الإسبان في مطلع القرن 10هـ/16م شجّع الأندلسيين القاطنين بها بالتوجه إلى الأرياف المجاورة . فانتقلت هذه التقنية معهم. ومع تنازل المدن عن تقنية المينا حافظت عليها المناطق الريفية لكونها مناطق محافظة كما وصفها Marçais. وهكذا فقد عمل الحرفيون الواعون في هذه المناطق خاصة بَنِي يَنّي على الحفاظ على هذه التقنية على مرّ الزمن لتصبح اليوم صبغة حلي منطقة القبائل.

3. 1. حلي المدن: بقيت في مدن الجزائر شواهد قليلة من الحلي المزخرفة بالمينا منها:

ـ **الخلخال:** جمعها خلاحيل وهي حلية كالسوار تلبسها النساء في أرجلهن[1]، وتكون إمَّا من الذهب أو الفضّة أو النحاس المطلي بالذهب.

يحتفظ المتحف الوطني للفنون الإفريقية وأوقيايونيا بزوج من الخَلاخيل صنعت في مدينة تلمسان تعود إلى القرن 13هـ/19م، مصنوعة من الفضة ومزخرفة بالمينا ذي اللون البرتقالي والأزرق الفيروزي[2].



الصورة 133: زوج خلخال من الفضّة مزخرف بالمينا، تلمسان

القرن 13هـ/19م، (ق.: 9,5 سم، ع.: 5,8 سم)

عن: Gonzalez V

[1] مجمع اللغة العربية، قاموس المعجم...، ص.249.

[2] Gonzalez V., Op. Cit., p. 186.

ـ **الأقراط:** هي ما يعلّق في شحمة الأذن من ذهب أو فضّة أو نحوها[1]، وأطلق العرب على الأقراط تسميات مختلفة منها الخُرْص. والخُرْص هي القُرط بحبة واحدة، وقيل هي الحلقة من الذهب والفضّة. وفي الحديث أن النبي ﷺ وعظ النساء وحثّهن على الصدقة فجعلت المرأة تلقي الخاتم والخُرْص؛ وجمعها خِرصَة[2].

يطلق على الخُرْص في الجزائر باللغة العامية خَرْصة وجمعها خْرَايَص[3]، يحتفظ المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة بخرصين من الذهب مزخرفين بالمينا.

يتكون الخُرص الأول من قوس منتفخ نصف مستدير، ينتهي في أحد أطرافه بنهاية منبسطة مدببة. وأضيفت له في الطرف الآخر حلية تشغل جانبها الأعلى أحواض مزجّجة بالمينا لكنها للأسف تلاشت وبقي منها بعض آثار المينا ذي اللون الأخضر. أما الجانب السفلي فله شكل نصف قبيبي ينتهي بحلقات لحمل الدلايات المندثرة، رصّعت الخرص بستة أحجار كريمة ذات اللون الأحمر والأخضر. (الصورة 134)

يتكون الخُرص الثاني من قوس منتفخ نصف دائري مدبّب في نهايته، أضيفت له حلية منبسطة مزينة بالمينا ذات اللون الأبيض والأخضر والأزرق. أسفلها شكل نصف قبيبي بها دوائر متّصلة بكريات ذهبية تتخللها حبات اللؤلؤ غير منتظمة الشكل وتنتهي في الأسفل بخيط مضفور طويل. (الصورة 135)

[1] مجمع اللغة العربية، قاموس المعجم...، ص.727.

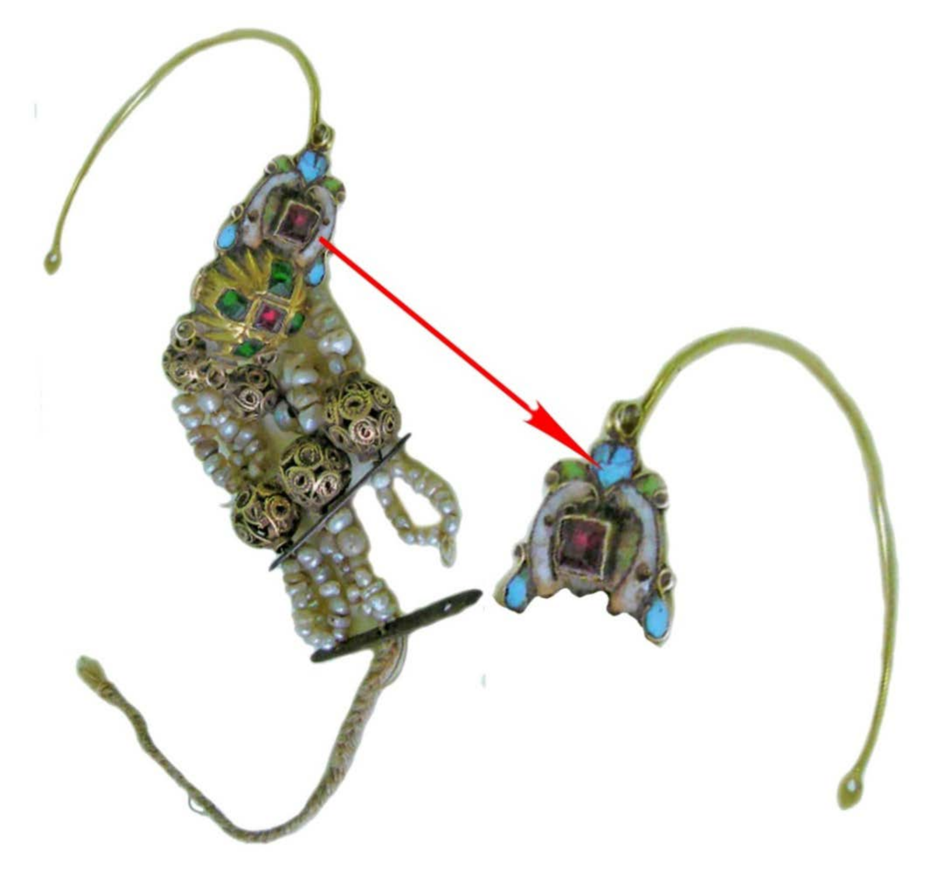
[2] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 2، ص. 813.

[3] Eudel P., Dictionnaire des bijoux …, p. 106.



الصورة 134: قرط من الذهب مزخرف بالمينا، تلمسان، القرن 12 ـ 13هـ/ 18 ـ 19م

الوزن: 12غ، II.MI.216، المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.



الصورة 135: قرط من الذهب مزخرف بالمينا، تلمسان، القرن 12 ـ 13هـ/18 ـ 19م

الوزن: 29غ، II.MI.217، المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

3 . 2. حلي الريف

اشتهرت قرية بَنِي يَنّي بتيزي وزو إلى غاية اليوم بصناعة الحلي الفضية المرصعة بالمينا ففي حوالي القرن 10هـ/16م نزحت إلى هذه القرية عائلة من قلعة بني عبَّاس القريبة من بجاية، إثر صراع بين قبيلة بَنِي يَنّي الموالية لابن القاضي سلطان كوكو السالف الذكر وقلعة بني عبَّاس. اشتهرت هذه العائلة بمهارتها في صناعة الحلي المزخرف بالمينا ويرجع إليها الفضل في تعليم صناع قرية بَنِي يَنّي أسرار هذه الحرفة الأندلسية العتيقة[1].

إلى جانب قرية بَنِي يَنّي، اشتهرت قرى أخرى من منطقة القبائل بصناعة الحلي المزينة بالمينا مثل: لآيت الأربعا، وتورريت ميمون وآيت لحسن وأقوني أحمد، وتوريت الحجاج[2].

تتصف الحلي الفضية لمنطقة القبائل بالضخامة، لكنها تنفرد بزخرفة مهذبة ولمعان طلاء المينا الأزرق والأخضر والأصفر مع الترصيع بالمرجان جعلت منها قطع في غاية الجمال. والمرجان هو عبارة عن نبات بحري على شكل عروق، وقد عرفت الجزائر استعمال هذه المادة بسبب انتشاره على سواحلها وبالتحديد في شواطئ القالة الَّتي تعتبر من أكبر مراكز لصيد المرجان[3]. وابتداءا من منتصف القرن 13هـ/19م ظهرت محطات أخرى لاستغلال المرجان كوهران وتنس وشرشال وأزفون[4]. ويعدّ المرجان الأحمر هو الأكثر استعمالا على الحلي الجزائرية.

من أمثلة الحلي المزخرفة بالمينا مع المرجان :

---

[1] فوزي سعد الله، الشتات...، ، ج. 2، ص. 361.

[2] فريدة ونيش، المجوهرات والحلي في الجزائر، سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1976، ص. 55.

[3] Eudel P., L’orfevrerie…, p. 156.

[4] Ibid,p. 160.

ـ **العِصَابة**: هي نوع من أنواع حلي الرأس، ويقال عَصب رأسه أي شَدَّه واسم ما شُدَّ به العِصَابة[1]. وهي عبارة إكليل يوضع فوق الرأس ويحمل اسم "الجْبِين" بقسنطينة ويعرف "بالعَرْصَة" في مدينة الأغواط والمدية، أما في منطقة القبائل تسمى "تَعَصَبت" . تصنع العصابة غالبا من الفضة وقد أكد أحد الصاغة القدماء أن هذه الحلية لم تصنع أبدا من الذهب قبل سنة 1830م[2].

يحتفظ المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة بعصابة تتألّف من خمس صفائح تختلف في الشكل وفي الحجم، تتصل ببعضها بواسطة حلقات مستديرة. تتوسط العصابة قطعة مصفّحة مربّعة أكبر من القطع الأخرى يعلوها صفيحة ذات شكل معين. يوجد على طرفي الحلية صفيحان مثلثتان تنتهيان بقوسين معقوفين للتثبيت. زينت جميع الصفائح بالمينا ذات اللون الأخضر والأصفر والأزرق، ويتدلى منها دلايات بداخلها قطع مرجانية. (الصورة 136)



الصورة 136: عصابة من الفضة مزخرفة بالمينا ومرصعة بالمرجان
بَنِي يَنّي (تيزي وزو)، القرن 13هـ/19م، (ط.: 61,5 سم، ع.: 22 سم)
II.MI.929، المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

[1] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 4، ص. 790.

[2] Eudel P., Dictionnaire…,p. 5.

ــ **الإبزيم:** هو نوع من الشبابيك أو الدبابيس تساعد في شد اللباس. لها ساق مدببة الرأس ليسهل غرزها في ثنايا الثياب، زودت في أعلى الساق بحلقة غير مغلقة ينتهي طرفاها بورقة ذات شكل سهمي[1].

يعتبر لبس الإبزيم عادة قديمة جدا في كل البلاد المغاربية، وقد أنتجت كل منطقة هذه الحلية طبقا لتقاليدها الفنية والتقنية. فإبزيم القبائل الكبرى يتكوّن من صفيحة على شكل مثلث تعلو قمتة صفيحة أخرى صغيرة لها شكل ورقة كأسية. وعند القاعدة يوجد مثلثان جانبيان بينهما دبّوس وحلقة التثبيت تنتهي عند أطرافها بدائريتين صغيرتين مرصعتين بالمرجان. زين الإبزيم بالمينا ذات اللون الأصفر والأخضر والأزرق وبقطع من المرجان. (الصورة 137)

كما جاءت هذه الحلية على شكل إبزيمين متصلين بسلسلة قصيرة، يتكونان من صفيحتين مثلثتين يعلوهما شكل بيضوي وكريتين. شّغل السطح بقطع مرجانية إلى جانب زخارف مزينة بالمينا ذات اللون الأزرق والأصفر والأخضر. (الصورة 138)

[1] عائشة حنفي، الحلي الجزائرية...، ص. 173.



الصورة 137: إبزيم من الفضة مزخرف بالمينا ومرصع بالمرجان

منطقة القبائل الكبرى، القرن 13هـ/19م، الوزن: 350غ

II.MI.915 ، المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.



الصورة 138: إبزيمان من الفضة مزخرفان بالمينا ومرصعان بالمرجان

منطقة بَنِي يَنّي (تيزي وزو)، القرن 13هـ/19م، الوزن: 780غ

II.MI.1085، المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

ــ **الدح:** هو عبارة عن سوار عريض يلبس حول المعصم، ويقال سِوار المرأة وسُوَارَها وجمعها أساور، وغالبا ما يصنع من الذهب أو الفضة وهو لباس أهل الجنة[1].

رغم أن الدح لا يعتبر حلية عملية مثل ما هو الحال بالنسبة للأبازيم، إلا أنه يعتبر في مناطق عديدة من الجزائر كحلية ضرورية، وقد اختلف شكله وزخارفه من منطقة إلى أخرى. ففي منطقة القبائل الكبرى تلبس المرأة "الدح"[2]. ويتشكل من حلقة عريضة معتدلة الاستدارة قوامها فلقتان متساويتان يجمع بينهما محور تطابق، وتُغلق هاتان الفلقتان بواسطة دبّوس يخترق المحور. شُغل مظهر الحلية الخارجي بزخارف قوامها أحواض مرجانية وأنصاف قبيبات ملئت بالمينا الملّون بالأخضر والأصفر والأزرق (الصورة 139)



الصورة 139: دح من الفضة مزخرف بالمينا ومرصع بالمرجان

بَنِي يَنّي (تيزي وزو)، القرن 13هـ/19م، (ق.: 5,5 سم، إر.: 7 سم، الوزن: 660غ)

II.MI.258، المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

[1] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 3، ص. 238.

[2] Eudel P., Dictionnaire…,p.211.

الفصـل السابـع

التنظيم الحرفي للأندلسيين والألقاب والمصطلحات الوقفية

أولا: التنظيم الحرفي للأندلسيين

ثانيا: الألقاب الحرفية الأندلسية

ثالثا: المصطلحات المعمارية

أولا: التنظيم الحرفي للأندلسيين

يعتبر الحرفي[1] في الحضارة الإسلامية هو الصانع نفسه، وقد عرف ابن خلدون الصناعة في الفصل الّذي خصه للصنائع كما يلي[2]: " اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري وبكونه عمليا هو جسمانيّ محسوس... و الملكة صنعة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته. ثم إن الصنائع منها البسيط ومنها المركب، والبسيط هو الذي يختص بالضروريات، والمركّب هو الذي يكون للكماليات، ولهذا تجد الصانع في الأمصار الصغيرة ناقصة، ولا يوجد منها إلا البسيط... وتنقسم الصنائع أيضا إلى ما يختص بأمر المعاش، ضروريا كان أو غير ضروري كالحياكة والنجارة والحدادة وأمثالها، ومن الثاني الوراقة".

يعتبر الصانع أيضا فنانا وهو الّذي يقوم بصنع الكأس والصحن والسيف، وكل صنعة تتطلب معرفة ومهارة يدوية تسمى فنا، وظل هذا التعريف ساريا إلى يومنا هذا فالفن في المفهوم الإسلامي يجمع الصنعة مع العلم، وينطبق هذا الشرط على جميع الفنون التطبيقية من صناعة المعادن إلى الزجاج والأخشاب والمنسوجات[3].

فيما يتعلّق بالاختلاف القائم بين الصناعة والحرفة، فقد جاء في لسان العرب أن الحرفة هي الصناعة، وحرفة الرجل صنعته. وحرّف لأهله واحترف أي كسب وطلب وقيل الاحتراف هو الاكتساب أيّا كان. وجاء في الحديث:" إني لا أرى الرجل يعجبني فأقول: هل له حرفة؟ فإن قالوا:" لا، سقط من عيني"[4]. وهناك من يرى أن الصناعة هي

---

[1] الحرفة نزعة طبيعية في الإنسان، أملتها عليه الاستمرارية وحب البقاء. والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي ارتقى بحرفته من المستوى الفطري إلى مستويات حضارية أفضل. ولهذا نجد أن الإنسان بدأ الاحتراف منذ وقت موغل في التاريخ فهو جامع للقوت وصيّاد ومزارع وحداد وصانع للأسلحة وللفخار وللزجاج وللمعادن إلى ما لا نهاية من أنواع الاحتراف. أنظر: صالح درادكة، الفن العربي الإسلامي، ج. 3، المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم، تونس، 1997، ص. 98.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة...، ص. 380 ـ 381.

[3] وجدان بن نايف، سلسلة التعريف بالفن الإسلامي، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ت، ص.18.

[4] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 1، ص. 611.

كل عمل يقتضي استعمال الأيدي، ويكتسبها الإنسان بالممارسة والتمرّن، ومن ثمة جُعل مفهوم الصناعة أضيق من مفهوم الحرفة، لأن الحرفة هي الكيفية الراسخة في الذهن ينحرف إليها الإنسان ويميل[1].

لقد تداولت لفظة "صناعة" ولفظة "حرفة" في الوثائق الخاصة بأسماء الأندلسيين:

ـ الحاج أحمد **الحرار صناعة** ابن محمد الأندلسي[2].

ـ الحاج أحمد **الخياط صناعة** ابن يوسف الأندلسي[3].

ـ السيد محمد بن الجيد الأندلسي **النجار حرفة**[4].

1 . تنظيم الحرف

أدى تطوّر المدن العربية في المشرق والمغرب الإسلاميين إلى توسّع طبقة أصحاب الحرف والصنائع، ودعتهم أحوالهم وظروفهم الاجتماعية إلى تنظيم أنفسهم في تنظيمات أشير إليها ب: " الأصناف " و"أصحاب الصنائع" و"أصحاب الحرف"[5]. ونظرا لشدة الروابط بين أهل الصنائع قيل أن الصناعة نسب[6]. ولهذا ينسب أهل الصنائع إلى حرفهم، وفي حالة الخلاف بينهم يقف كل أهل حرفة مع صاحبهم متكافلين متضامنين، لشعور كل جماعة بوحدة مصالحها. وتتجلى مظاهر الرغبة في التفوق على أصحاب الحرف الأخرى بإظهار كل حرفي أعماله وصنائعه مفتخرا بها[7].

يجتمع أصحاب الحرفة الواحدة في سوق واحد أو شارع واحد يشرف عليه مسؤول يسمّى الأمين، ويزاول مجموع الأمناء نشاطهم تحت سلطة أمين الأمناء. وكان هؤلاء الصناع تربطهم رابطة خاصّة تؤلّف بين قلوبهم تتمثل في الأخوّة المهنية ووحدة المصالح

[1] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 106.

[2] م. ش. علبة 5 / 2 الوثيقة 5.

[3] م. ش. علبة 72 ـ 73 الوثيقة 32.

[4] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 113.

[5] نفسه، ص. 105.

[6] صالح درادكة، المرجع السابق، ص. 111.

[7] نفسه، ص. 112.

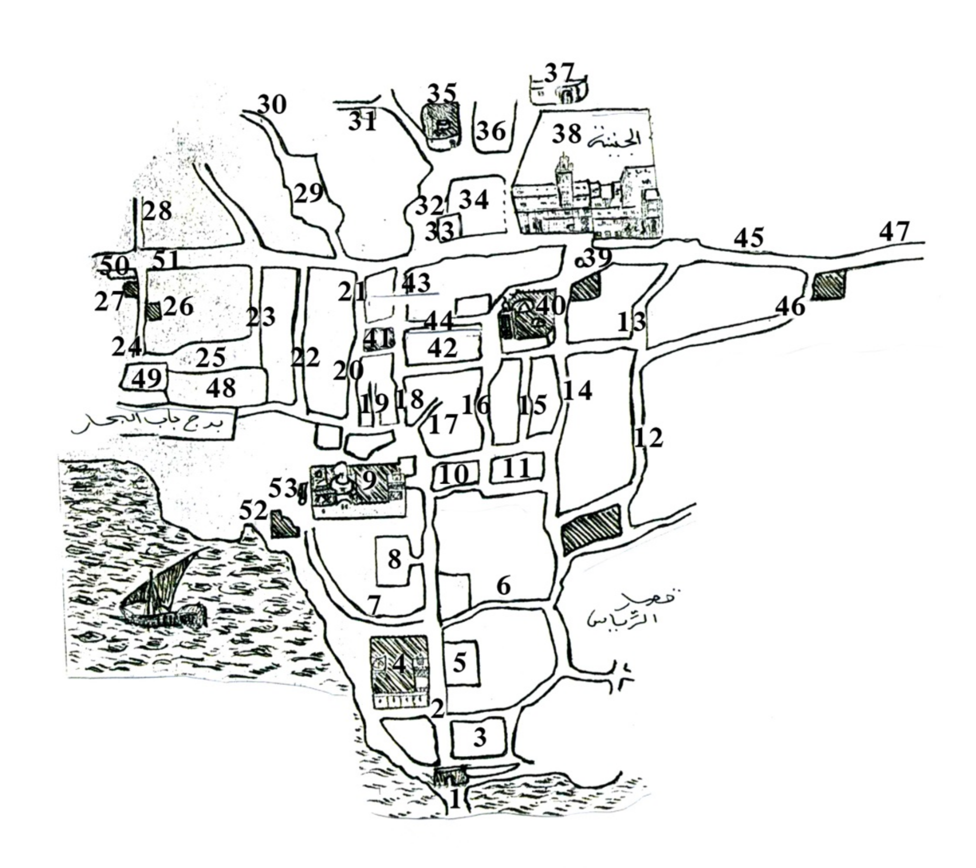
وقد نتج عن ذلك الحاجة إلى نشوء جماعة ينتمي إليها هؤلاء الصنّاع، ومن دوافع تجمع الأسواق تكتل أصحاب الحرفة الواحدة من أجل حماية وتنظيم شؤون حرفهم والشعور بروح الجماعة[1]. (الشكل 22)

يدل مصطلح جماعة على تنظيم اقتصادي واجتماعي، من ذلك جماعة البابوجية وجماعة الحرارين وجماعة الصباغين وجماعة الصفارين وجماعة الطرازين وجماعة العطارين وجماعة زواوة وجماعة بوزريعة وجماعة الأندلسيين[2]. وبما أن الأندلسيين نظموا أنفسهم في جماعات، فهذا يدل على أنهم خضعوا للتقاليد والنظم الَّتي كانت سائدة في الجزائر. ونفس الأمر فعله الأندلسيون الَّذين استقروا في المغرب الأقصى، إذ يشير حسن الوزان أنهم نظموا أنفسهم في طوائف حرفية سمّاها نقابات[3].

[1] Massignon L., Les corps de métiers et la cité islamique, Beirut, 1963, p. 110.

[2] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 105.

[3] حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 1، ص. 184.



1 – باب الدزيرة
2 – طريق باب الدزيرة
3 – فندق الديوانة
4 – الجامع الكبير
5 – زاوية
6 – طريق عرباجي
7 – قاع السور
8 – فندق القهوة الكبيرة
9 – الجامع الجديد
10 – القهوة الكبيرة
11 – بادستان
12 – زنقة بوجي
13 – زنقة عنقني
14 – زنقة الرصايصية
16 – زنقة الفراغية (صانعي الأقفال)
17 – زنقة باشماقي (الإسكافيين)
18 – زنقة الذهابة
19 – زنقة الصاغة

19 – زنقة النحاس
20 – زنقة المقايسية
21 – زنقة الصباغين
22 – سوق اللوح
23 – ممريوبا (طريق غير نافذ)
24 – زنقة اليقورنين
25 – سوق الزيت
26 – جامع فندق الزيت
27 – جامع السوق الكبير
28 – ساباط اللوح
29 – سوق السمن
31 – دار زكاجي قديمة (سجن)
32 – ساحة القوافل
33 – دار السكة
34 – دار عزيزة
35 – جامع كتشاوة
36 – دار حسن باشا

37 – دار مصطفي باشا
38 – دار الداي
39 – ساحة ونافورة
40 – جامع السيدة
41 – مسجد قيسارية
42 – مسيد قيسارية
43 – زنقة اليسارية
44 – سوق الغزل
45 – البلاغجية (سوق الجلود)
46 – زنقة الشماعين
47 – فندق السمكاوي
48 – ثكنة بوصا (هدمت سنة 1862)
49 – حمامات يهودية
50 –دار اللحم (قصابة يهودية)
51 – سوق الكبير
52 – جامع الربطة
53 – باب البحر
مباني دينية

الشكل 22: توزيع أسواق مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية

عن: علي بن بلة. (بتصرف)

2. بنية الحرفة

عرفت البنية التنظيمية للحرف والصناعات في الجزائر في العهد العثماني تنظيما محكما، اتَّبعتُه كل المهن والحرف؛ واستنادا لوثائق المحاكم الشرعية لمدينة الجزائر خضع الأندلسيون لهذا التنظيم الَّذي يراعي تسلسل الرتب والمهام والَّذي كان مبنيا من أعلى الرتب إلى أسفلها:

أـ أمين الأمناء: يتصدر أمين الأمناء الشكل الهرمي للتنظيمات الحرفية، فهو السلطة العليا المشرفة على الجماعات الحرفية، يختاره الديوان من بين أمهر الأمناء وأكثرهم جديّة وأحسنهم معاملة. ويتحوّل إلى موظّف رسمي عندما يخوِّل له الداي صلاحية مراقبة الأوزان والأطوال وتحديد سعر المواد المختلفة في الأسواق. وهكذا تصبح وظيفة أمين الأمناء وظيفة حكومية يجمع فيها عدة مهام، فهو المشرف والمسؤول عن سجلات الحكومة الخاصّة بالنشاط الحرفي، وهو المسؤول أيضا عن النظام الضريبي الَّذي تخضع له الجماعات الحرفية[1].

لم تعرف عدة مدن عثمانية منصب أمين الأمناء، وبالرغم من أن مدينة القاهرة على سبيل المثال تميّزت بنشاط اقتصادي هام، غير أن حرفيّيها لم يتولوا هذا المنصب إلا مع أواخر القرن 12هـ/18م، في حين لم تشهد مدينة بغداد مثل هذه السلطة العليا المشرفة على الصناع والحرفيين[2].

وجد هذا المنصب بمدينة الجزائر في فترة سابقة لعام 1017هـ/1608م[3]، واستمر لغاية القرن 13هـ/19م حسب وثائق المحاكم الشرعية. هذا وقد نفى بعض الباحثين وجود هذا المنصب بالمدينة[4] لعدم الاعتماد على الوثائق من جهة، وسكوت "دفتر التشريفات"

---

[1] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 136.

[2] نفسه، ص. 136.

[3] عبد الله محمد بن الحاج الشويحات، قانون على أسواق مدينة الجزائر، مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1378، ورقة 5.

[4] Raymond A., Op. Cit., p. 132.

عن ذكر هذا المنصب من جهة أخرى، خصوصا وأنه مصدرٌ أساسي نهلَ منه الكثير ممن كتبوا عن الجزائر في الفترة العثمانية[1].

لم تعط الوثائق أسماء كثيرة لأندلسيين تولوا منصب أمين الأمناء، ومن بينهم:

ـ **أمين الأمناء** الحاج محمد الأندلسي 1105هـ/1693م[2].

ب. الأمين: يمثل الأمين السلطة العليا للحرفة ورمزّ وجودها، ويذكر حمدان خوجة في كتابه[3]: "... ولكل حرفة أمين أو مفتش"، وكان الأمين يعيّن من طرف الحاكم وتُوكل إليه مهمة حراسة سير العمل وتقييم وتنظيم أسعار البضائع(حسب قيمة وسعر المادة الأولية) ومراقبة نوعيتها[4]. وكان يسمى هذا النقيب في معظم المدن العربية كالقاهرة ودمشق وبغداد "بالشيخ"[5] وفي المدن التركية "بالكاهية"، أما في بلاد المغرب فكان يسمى "الأمين" واستعمال هذا المصطلح في الجزائر سابق للوجود العثماني، بدليل ما ورد ذكره في أوّل رسالة[6] بعث بها أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 925هـ/1519م حيث حيث جاء في بدايتها: " رسالة القاضي والخطيب والفقهاء والأئمة والتجار والأمناء وكافة سكان مدينة الجزائر العامرة "[7]. (الوثيقة 06)

ينتخب الأمين من قبل رفقائه، ويكون ضمن المعلمين المهرة وممن يتّسمون بالأمانة وحسن الأخلاق ويكون ملما بأصول الحرفة، ولا يصبح قرار التعيين نافذا إلا بعد موافقة أعلى سلطة ممثلة في الباشا أو الداي وإقرارها بحضور القاضي[8]. ولم يكن البقاء

---

[1] Devoulx A., Tachrifat recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, imprimerie du gouvernement , Alger, 1852, pp : 19 – 24.

[2] مهدية طيبي، المرجع السابق، ص. 143.

[3] حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 125.

[4] زهية بن كرودرة، أسواق ...، ص. 185.

[5] Raymond A., Op. Cit., p. 130.

[6] هذه الرسالة محفوظة بدار الوثائق بطوب كوبي سراي بتركيا تحت رقم 6456، كتبت باللغة التركية أنظر: عبد الجليل التميمي، " أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م" المجلة التاريخية المغربية، ع. 6، 1976، ص. 119 ـ 120.

[7] عبد الجليل التميمي، " أوّل رسالة من أهالي ..."، ص. 119.

[8] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 143.

على رأس الجماعة محددا بمدة زمنية معينة، فقد كان باستطاعة الأمين البقاء مدى الحياة ما لم يصدر منه ما يتوّجب الاستغناء عنه أو استبداله أو إقالته[1].

تكمن مهمة الأمين بالدرجة الأولى في مراقبة جودة الصنعة من أول مرحلة من التصنيع إلى نهايتها، وهو بذلك حاميها وحارسها، إذ يكون بمثابة الشرطي عند الخطأ والتزوير[2]. وله كل الصلاحيات في أن يجبر الصانع على إعادة صنع القطعة إذا كانت رديئة ويسلّمها لصاحبها بدون أي مقابل، ويسوي النزاعات الَّتي تحدث بين الصناع داخل التجمعات. كما كان يقوم بتصفية المستحقّات العالقة للحرفيين المتوفّين على مستوى المصالح الضرائبية[3].

دلت الوثائق الّتي تم فحصها على تولي الأندلسيين بمدينة الجزائر على منصب الأمين؛ وبعدد الحرف يكون عدد الأمناء:

ـ **أمين جماعة المقفولجية** السيد الحاج أحمد **الأندلسي** 1085هـ/1674م[4].

ـ **أمين جماعة الحرارين** يحي بن قاسم **الأندلسي** 1093هـ/1682 م[5].

ـ علي البنا **الأندلسي أمين جماعة البنائين** 1144هـ/1731م[6].

ـ محمد **أمين البنائين** بن على **الثغري** 1223هـ/1807م[7].

ـ أحمد البنا **أمين جماعة البنائين** ابن محمد البنا محمد **الأندلسي** 1234هـ/1818م[8].

---

[1] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 148.

[2] Berquet A, « La bourgeoisie Algérienne ou à la recherche de César Birotteau » in hesp, t. 35, 1948, p. 12.

[3] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 152.

[4] م. ش. علبة 9 / 1 الوثيقة (9) (3).

[5] م. ش. علبة 45 / 1 الوثيقة (45) (38).

[6] م. ش. علبة 88 الوثيقة 23.

[7] م. ش. علبة 102 / 103 الوثيقة 13.

[8] م. ش. علبة 96 / 97 الوثيقة 45.

الوثيقة 06: رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول

عن: عبد الجليل التميمي.

ج. المعلــم أو الأسطا: يأتي بعد رتبة الأمين "المعلم" ويطلق عليه في المشرق الأستاذ[1]، ولا بد لكل صانع من البشر أستاذ يتعلم منه صنعته أو علمه، فهو الدليل في الصنعة ومحرّك القوة الموجودة في نفسية الصانع ليخرجها إلى حيّز التنفيذ[2].

أطلق في الجزائر في الفترة العثمانية على مكتسب الحرفة ومتقن الصنعة ورئيس الورشة الّذي يشتغل تحت أوامره الصناع مصطلحان هما: "المعلم" و"الأسطا"، والأسطا كلمة تركية تعني المعلم. استعمل مصطلح المعلم من قبل العناصر المحلية، بينما استعمل مصطلح أسطا من قبل الأتراك والكراغلة والأندلسيين[3].

يعتبر المعلم بمثابة الركيزة على مستوى الورشة، وهو الوحيد الَّذي له الحق في إقامة مشغل خاص به يشتغل فيه عدد من الصنّاع والأُجراء تحت إمرته وإشرافه. يعرف المعلم بمهارته التجارية وبجودة وإتقان مصنوعاته[4]. وهو المسؤول عن دفع الضرائب والإيجار في حالة ما لم تكن الورشة ملكا له، وهو المكلّف بجلب المادة الأولية وفي حالة نشوب شجار بين صناع الورشة فإنه يتدخّل لفكّ النزاع بفضل حنكته وتجربته.

لم يرد في المصادر المدّة الَّتي يقضيها المتعلم في الورشة لكي يرتقي إلى رتبة المعلم لكن نصَّ قانون الأسواق على أنه إذا التحق متعلم بورشة أو حانوت، فلا يبرحه إلا بعد تمكنه من الصنعة وارتقائه ليبلغ منصب المعلم: " والمتعلم إذا دخل للحانوت حتى يتعلم فيها على العادة القديمة كيف هو القانون حتى يخرج معلم"[5].

دلت الوثائق على استعمال الأندلسيين لفظة " أوسطا " ولفظة " المعلم"، وقد وردت كلمة أسطا بكتابتين مختلفتين، أحيانا بالألف الطويلة أسطا وأحيانا أخرى بدون ألف أوسط. مثل:

---

[1] Golvin L., « Le métier à la tire… », p. 51.

[2] صالح درادكة، المرجع السابق، ص. 113.

[3] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 153.

[4] Golvin L., « Le métier à la tire… », p. 51.

[5] عبد الله بن محمد الشويحات، المخطوط السابق، ورقة 65.

ـ **أوسط** أحمد الحرار بن علي **الأندلسي** 1057هـ/1648م[1].

ـ **الأوسط** محمد الخياط ابن سعيد **الحوكي الأندلسي**[2].

ـ **أوسطا** محمد الخياط 1065هـ/1654م [3].

ـ **أوسطا** ابراهيم ابن محمد **الأندلسي**[4].

ـ **المعلم** موسى معلم العين 1033هـ/1623م[5].

ـ **المعلم** البناء بن هاشم الأندلسي ورفيقه المعلم يحيا البناء **الأندلسي** 1071هـ/1660م[6].

1071هـ/1660م[6].

ارتبطت لفظة أوسطا بمجموعة كبيرة من الحرفيين كالحراررين وصانعي الشواشي والخياطين والصباغين والمقفولجية والنجارين، بينما ارتبطت لفظة المعلم خاصة بفئة البنائين ومنشئي العيون.

د . الصانـع: الصانع هو من يحسن الصنعة ولكنه لم يكتسب مهارة المعلم، وشكلت فئة الصناع أعلى نسبة من المشتغلين بالورشة، فهم أكثر عددا من المعلمين والمتعلمين لأنهم عماد الحرف. يتحصل الصانع على أجرته حسب مدخول الورشة من عملية البيع. ولا تعرف القواعد والضوابط التي يخضع لها كي يرتقي إلى رتبة المعلم.[7] وقد ورد في الوثائق الوثائق أسماء لصنّاع أندلسيين منهم:

ـ محمد ابن علي **صانع** الشواشي[8].

ـ الحاج محمد **صانع** السفن[1].

---

[1] م. ش. علبة 47 / 1 الوثيقة 47.

[2] م.ش. علبة 50 الوثيقة 22.

[3] م. ش. علبة 50 الوثيقة 22.

[4] م. ش. علبة 49 الوثيقة 34.

[5] م. ش. ع. 82، الوثيقة 2.

[6] م.ش.علبة 98 الوثيقة 43.

[7] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 154.

[8] م. ش. علبة 16 / 1 الوثيقة 16.

ـ **صانع** الصابون علي بن عمر الأندلسي[2].

هـ . **المتعلم:** يأتي في أسفل الهرم المتعلم وهو المبتدئ في الصنعة، ويباشر تعلّم مبادئ الصنعة عند سن صغيرة. يحرص المعلم أن يكون تلميذه حاذقا ومجيدا ليكون مجال افتخارٍ له، وفي أغلب الأحيان لا يتقاضى المتعلم أجرا وإنما مصروفا فقط، فهو يقوم بعمله لقاء إتاحة الفرصة له ليتعلّم الصنعة[3].

تبدأ مراتب التدرّج في الصنعة بالمتعلم ليصبح صانعا، وفي هذه المرحلة يكون قد تعرّف وأتقن بعض أسرار الحرفة. ويرتقي هذا الصانع إذا أجاد الصنعة والتزم بقواعدها إلى رتبة المعلم وهي الرتبة الّتي تأتي قبل رتبة الأمين الّتي تسبقها رتبة أمين الأمناء.

خضع الأندلسيون على وجه العموم لنفس التنظيم الحرفي الّذي كان سائدا في الجزائر في الفترة العثمانية، وهو شبيه إلى حد بعيد من حيث البنية بالتنظيمات السائدة في المدن العربية؛ ويكمن الاختلاف في الألقاب، فبمدينة دمشق اتخذت الحرف الترتيب الحرفي الآتي: شيخ المشايخ وكان هذا المنصب وراثيا، ولصاحبه سلطة واسعة على أهل حرفته، ثم يأتي النقيب وهو رسول شيخ المشايخ وبمثابة همزة وصل بينه وبين شيخ الحرفة، بعد ذلك يأتي شيخ الحرفة فالأستاذ أو المعلم وبعده يأتي الصانع وفي أسفل السلم الهرمي يأتي المبتدئ[4].

3. وراثــة الحرفة في العائلة الأندلسية

تعتبر وراثة الحرفة في العائلة الواحدة من التقاليد الراسخة لدى التنظيمات الحرفية في الجزائر، ونصَّ قانون الأسواق بكل وضوح على ذلك: " وابن المعلم معلم في مضرب

---

[1] م. ش. علبة 101ـ 102 الوثيقة 64.

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية..، ص. 93.

[3] صالح درادكة، المرجع السابق، ص. 113.

[4] لطيفة بورابة، التصوير في سقوف...، ص. 234.

أبيه هذا هو القانون بين الجَمَاع"[1]. وتعني كلمة جَمَاع الجَمَاعَات وهو المصطلح السائد على التنظيمات الحرفية بمدينة الجزائر. واستنادا إلى الوثائق والمراجع تم تتبع وراثية الحرفة في الأسرة الأندلسية الواحدة القاطنة بمدينة الجزائر :

ــ انتقال الحرفة من الأب إلى الابن مثل:

ـ أوسط محمد **صانع الشواشي ابن** المعلم **صانع الشواشي** الأندلسي[2].

وهذا الأمر يكاد يكون طبيعيا في الجزائر وفي العالم الإسلامي، إذ يُفضّل تعلم الحرفة بالوراثة. ويرى إخوان الصفا أن صناعة الآباء والأجداد أنجع في الأولاد من صناعة الغرباء، ويكونون فيها أحذق وأنجب، ومن أجل هذا أوجب الحكماء القدامى على أهل كل طبقة من الناس لزوم صناعة آبائهم وأجدادهم، وأن لا يتجاوزوها[3].

ــ توارث الحرفة في العائلات الحرفية الَّتي تولّت أمانة الحرفة، لأن في غالب الأحيان لا يرتقي بعض أفراد العائلة إلى أعلى سلم في التنظيم الحرفي إلا من خلال اكتساب مهارة ودراية وخبرة حرفية، لذا سعت هاته العائلات إلى استمراريتها على مدى أجيال[4].

ـ ليس من الضروري أن تؤخذ الحرفة من الوالد بل من الأخ الأكبر، وهي ظاهرة انتشرت لدى سكان مدينة الجزائر بما فيهم الأندلسيين أمثال:

ــ علي بن علي **الثغري أمين البنائين** 1044هـ/1634م، **وأخوه** الحاج ابراهيم بن علي **الثغري** 1657م ـ 1659م[5].

[1] تعد كلمة جَمَاع المصطلح السائد على التنظيمات الحرفية بمدينة الجزائر وتعني الجماعات، لمزيد من المعلومات أنظر: عبد الله محمد بن الحاج الشويحات، المخطوط السابق، ورقة. 38.

[2] م. ش. علبة 87 الوثيقة 24.

[3] رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م. 1، القسم الرياضي، دار صادر، بيروت 1957م، ص. 291 ـ 294.

[4] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 149.

[5] نفسه، ص. 151.

4. الاختيارات الحرفية في العائلة الأندلسية

مارس أفراد العائلة الأندلسية الواحدة حرفا مختلفة، فقد مارس الأب حرفة بينما مارس الابن حرفة أخرى، فعلى سبيل المثال مارس الابن حرفة الخياطة والأب حرفة الحياكة، وآخر مارس الخياطة ووالده مارس حرفة المقفولجية، وثالث مارس صناعة المقايس وأبوه مارس صناعة الأقمشة وبيعها، وهذا ما أوضحته الوثائق:

- الأوسطا محمد **الخياط** ابن سعيد **الحوكي** الأندلسي 1065هـ/1654م[1].
- السيد محمد **الخياط صناعة** بن أسطا أحمد الأندلسي **المقفولجي** 1150هـ/1737م[2].
- الحاج علي **الخياط صناعة** بن المرحوم بكر عثمان **الحوكي** الأندلسي 1069هـ/1658م[3].
- السيد محمد **المقايسي صناعة** ابن الحاج محمد **القماش** الأندلسي 1151هـ/1728م.[4]

يتبن من خلال الوثائق أن هناك تنوع في الاختيارات المهنية داخل العائلة الأندلسية الواحدة، فهناك تباين بين النشاطات الحرفية الممارسة، فالخياط أنجب حياكا ومقفولجيا والمقايسي أنجب قمّاشا. ويرجح أن يكون هذا الاختيار بهدف التكافل والزيادة في دخل الأسرة.

---

[1] م. ش. علبة 50 الوثيقة 22.

[2] م. ش. علبة 76 ـ 77 الوثيقة 22.

[3] م. ش. علبة 123 الوثيقة 39.

[4] م. ش. علبة 96 ـ 97 الوثيقة 46.

ثانيا: الألقاب الحرفية الأندلسيية

1 . الألقاب الرجالية

يعرف اللقب في اللغة النبز وهو ذكر عيوب الإنسان، ويقال: لَقَّبَ فلاناً بكذا أي سابّه بالألقاب[1]. قال الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"[2].

استعمل اللقب فيما بعد للمدح، غير أن المالكية يرون أنه بدعة ممنوعة للتجاوز في الألقاب ووصف الإنسان بغير ما فيه. والغاية من اللقب أن يُعرف المرء وذلك حتى تتباين درجة الرفيع والوضيع وتتميّز مرتبة الصغير من الكبير والخاص من العام[3].

كان تنظيم الألقاب من اختصاص ديوان الإنشاء[4] والّذي كان يرأسه صاحب أو متولي ديوان الرسائل أو المكاتبات في أوائل العصر العباسي، وعرف في العصر السلجوقي باسم: "الطغرائي"، وفي العصر الفاطمي باسم كاتب السرّ أو كاتب الدست وفي المغرب بصاحب القلم الأعلى[5].

وردت في الوثائق المتفحصة ألقاب لحرفيين أندلسيين وهي:

1.1 . الحاج: يطلق هذا اللفظ الحاج على الشخص الذي أدى فريضة الحج إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة، وتأدية هذه الفريضة تعتبر من دواعي المدح والتقدير[6]. بينما

---

[1] لويس معلوف، المنجد في اللغة...، ص. 728.

[2] سورة الحجرات، الآية 11.

[3] مصطفى بركات، المرجع السابق، ص. 11.

[4] ديوان الإنشاء ظهرت أول بوادره في عصر الرسول ﷺ، إذ كان يقوم بمهام الكتابة للدولة موظف يطلق عليه لقب "الكاتب". وظل الكاتب من أهم الموظفين المدنيين في العصور الإسلامية، حيث كان بمثابة الوزير في مساعدة الخليفة أو الوالي. وفي العصر العباسي زادت المكاتبات الإدرارية زيادة كبيرة بسبب توسع الرقعة الجغرافية للدولة العباسية، فأسندت مهمّة المكاتبة إلى ديوان خاص يشرف عليه الوزير مباشرة وأطلق عليه "ديوان الإنشاء". للمزيد أنظر: حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية، القاهرة، 1989، ص. 11 ـ 13.

[5] حسن الباشا، المرجع السابق، ص. 11.

[6] نفسه، ص. 251.

يرى القلقشندي أن أداء فريضة الحج ليست بالضرورة، حيث جاء تعريفه كما يأتي[1]: "من ألقاب مقدّمي الدّولة ومِهْتاريَّة[2] البيوت ومن في معناهم وإن لم يكن قد حجّ. وإن كان موضوع الحاجّ في العرف العامّ هو لمن حجّ البيت وإنما اصطلح لهم على ذلك حتى صار كالعلم عليهم".

جاء لقب **الحاج** في الكثير من الوثائق المتفحصة أمثال:

ـ **الحاج** علي البناء ابن بلعيد **الأندلسي** 1121هـ/1709 م[3].

ـ **الحاج** على **الحرار** بن على **الأندلسي** 1074هـ/ 1663م[4].

ـ **الحاج** علي **الخياط صناعة** بن المرحوم بكر الحي القيوم عثمان **الحوكي الأندلسي** 1069هـ/ 1658م[5].

. [6]ـ **الحاج** إبراهيم **صانع الشواشي** بن محمد 1172هـ/ 1758 م

ورد لقب الحاج في النقوش الأثرية بصيغة الحاج إلى بيت الله أو زائر قبر رسول الله كنقش لوقفية لدار بمدينة معسكر والمؤرخة في 1164هـ/ 1750م[7]. (الصورة 140) (140

كما ورد هذا اللقب على المصنوعات الجزائرية العثمانية، كطبق مصنوع من النحاس الأحمر نفش عليه كتابة تضم اسم صاحب الطبق وتاريخه: " صاحب الحاج محمد خوجة 1098هـ". (الصورة 141)

---

[1] أحمد بن علي القلقشندي، المصدر السابق، ج. 6، ص. 10.

[2] المهتار: هي كلمة فارسية تتكون من مه وتعني كبير وتار وهي أفعل التفضيل، وهذا اللقب يقع على كبير كل طائفة من غلمان البيوت. أنظر: أحمد بن علي القلقشندي، المصدر السابق، ج. 5، ص. 370.

[3] م.ش.علبة 44 الوثيقة 26.

[4] م. ش. علبة 38 الوثيقة 5.

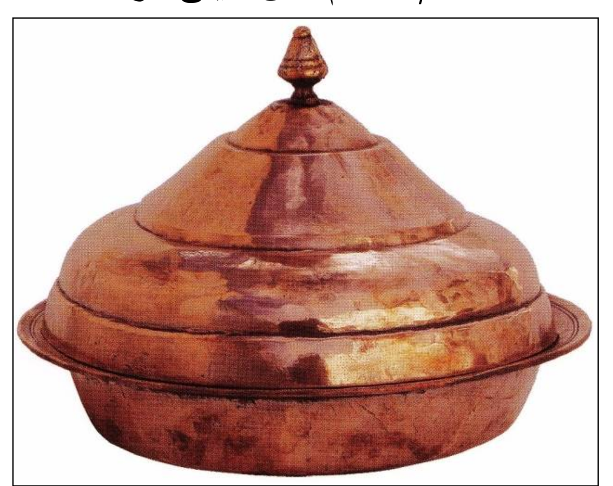
[5] م.ش.علبة 123 الوثيقة 39.

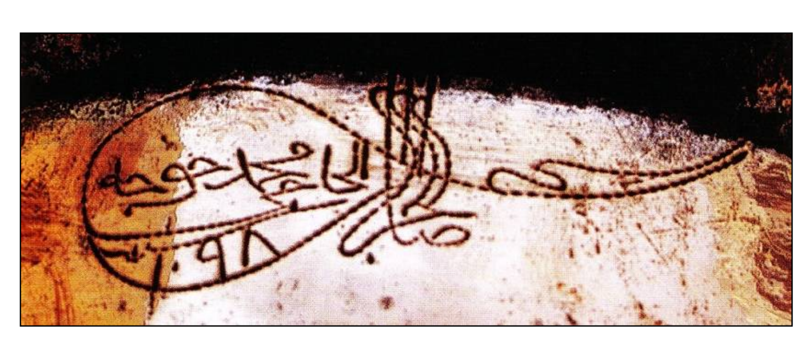
[6] م.ش.علبة 2/101 الوثيقة 5.

[7] ليلى مرابط، الكتابات الوقفية...، ص. 237.



الصورة 140: كتابة وقفية لدار بمدينة معسكر تحمل لقب " **الحاج**" ولقب "**الناسك**" 1164هـ/1750م، عن: ليلى مرابط.





الصورة 141: طبق يحمل اسم صاحبه وتاريخه " **الحاج** محمد خوجة سنة 1098هـ"

الجزائر، المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية، عن: شريفة طيان.

1 . 2. السيد: هو من الألقاب السلطانية ويعني المالك والزعيم؛ يقال: السلطان السيّد الأجلُّ ونحو ذلك؛ والسيّديّ نسبة إليه للمبالغة، وهو من الألقاب الخاصّة بالجَنَاب الشريف فما فوقه. قال في عرف " التعريف " ولا يكتب به عن السلطان لأحد[1]. وقد أطلق هذا اللفظ كلقب عام على الأجلاء من الرجال. كما أطلق على المنتسبين إلى البيت النبوي فلقّب به أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي هذه الحالة كثيرا ما كان يلحق " بالشريف" فيقال " السيد الشريف"[2] كما أطلق على الولاة والوزراء[3].

استعمل هذا اللقب مضافا إليه ضمير جمع المتكلم " سيدنا "، وأطلق بهذه الصيغة على رجال الدين والعلم وعلى الصالحين. كما ورد هذا اللقب بصيغة المؤنث "السيدة" وهو لقب عام للنساء[4]. وقد دلت الوثائق على استعمال لقب **السيد** مثل:

- **السيد محمد الخياط صناعة** بن **أسطا** احمد **الأندلسي المقفولجي** 1150هـ/1737 م[5].
- **السيد محمد الخياط** ابن احمد بن محمد **الأندلسي** 1156هـ/ 1743 م[6].
- أبو عبد الله **السيد الحاج محمد الخياط صناعة** ابن محمد **الأندلسي** 1167هـ/ 1753 م[7].

ورد لفظ السيد على المصنوعات المعدنية الجزائرية الَّتي تعود إلى الفترة العثمانية كحوض من النحاس الأحمر عليه كتابة تحمل اسم صاحبه: " صاحب سيد علي خزنجي سنة 1163هـ". (الصورة 142)

كما ورد هذا اللقب على العديد من النقوش الأثرية، من بينها كتابة وقفية لجامع الباشا[1] بوهران والمؤرخة في 1210هـ/1795م. (الشكل 23)

---

[1] أحمد بن علي القلقشندي، المصدر السابق، ج. 6، ص. 15.

[2] نفسه، ص. 345.

[3] نفسه. ص. 347.

[4] مصطفى بركات، المرجع السابق، ص. 215.

[5] م.ش.علبة 76 ـ 77 الوثيقة 22.

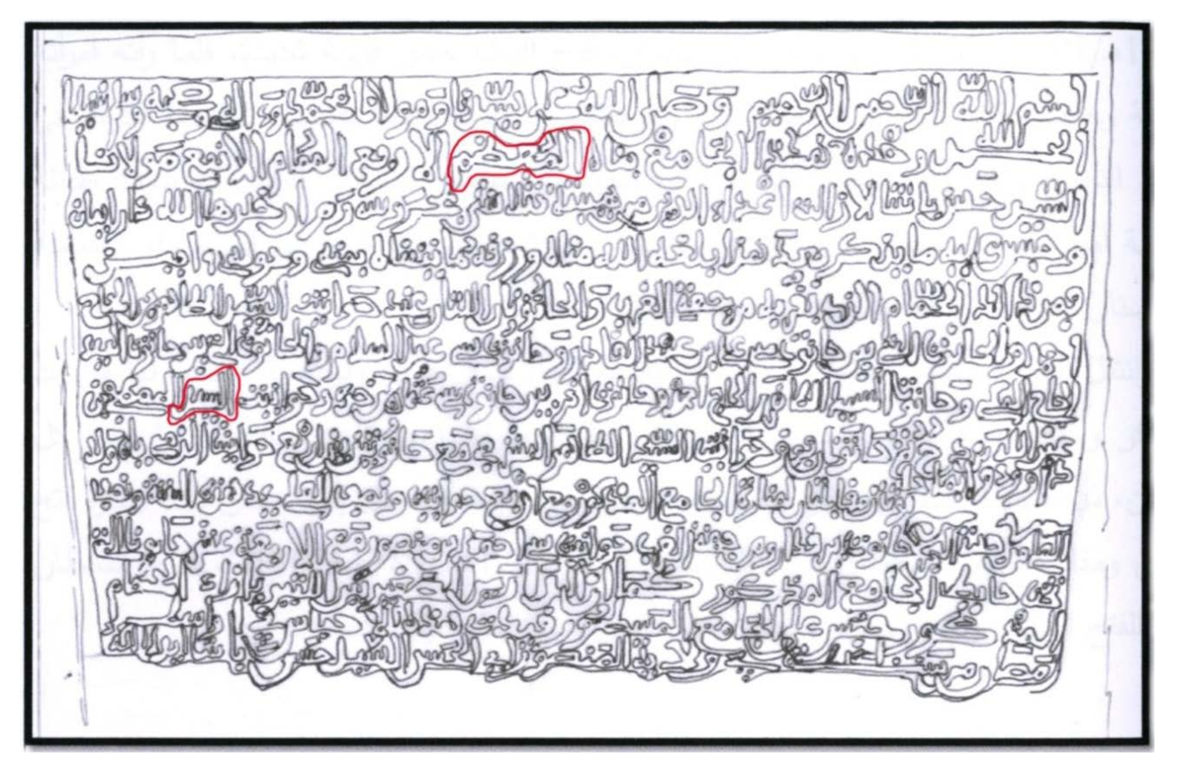
[6] م.ش.علبة 2/5 الوثيقة 5.

[7] م.ش.علبة 80 الوثيقة 10.



الصورة 142: حوض من النحاس يحمل اسم صاحبه وتاريخه " صاحب **سيد** علي خزنجي سنة 1163هـ" مدينة الجزائر، 97 ـ 41 ـ 05

المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية، عن: شريفة طيان.



الشكل 23: كتابة تذكارية وقفية لجامع الباشا بوهران تحمل لقب " **السيد**" ولقب " **المعظم**" 1210هـ/1795م، عن: ليلى مرابط.

[1] جامع الباشا بوهران: بناه حسن باشا لما فتح مدينة وهران في المرة الثانية ونزعها من أيدي الإسبان، وبعد هذا الانتصار قام ببناء الجامع سنة 1210هـ/1795م، أنظر: ليلى مرابط، الكتابات الوقفية...، ص. 267.

1 . 3. الشاب: جمع شباب وشبّان وشبيبة، وهو من سن البلوغ إلى الثلاثين تقريبا[1] وجاء في لسان العرب شبَّ يشبُّ شبابًا، وتجوز شهادة الصبيان على الكبار أي يستشهد: من شبَّ منهم وكبر إذا بلغ[2].

استعمل في بعض الأحيان لفظ **الشاب** في الوثائق مصحوبا بلقب **المكرم** مثل:

ـ **الشاب** محمد **الحرار** ابن نفيسة ابن محمد **الثغري** 1065هـ/1654م[3].

ـ **الشاب المكرم** ابن العباس أحمد الزروق **الخياط** ابن احمد بن مسعود **الأندلسي** 1093هـ/ 1682م[4].

ذُكر لفظ الشاب مصحوبا بلقب المكرم أيضا في أحد شواهد القبور الزيانية، وهو " الشاب المكرم أبو عبد الله محمد الخروبي بن إبراهيم العقباني"[5]. (الشكل 24)

---

[1] لويس معلوف، المنجد في اللغة...، ص. 371.

[2] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 3، ص. 260 .

[3] م. ش. علبة 119 ـ 120 الوثيقة 37.

[4] م.ش.علبة 99 ـ 100 الوثيقة 54.

[5] أبو عبد الله محمد الخروبي بن إبراهيم العقباني: ينتمي هذا الشاب إلى أحدى العائلات التلمسانية العريقة، عاش أواخر انهيار الدولة الزيانية وتوفي بالطاعون سنة 964هـ/1557م. أنظر :ليلى مرابط، الكتابات الشاهدية الزيانية 8 ـ 10 هـ / 14 ـ 16م، مجموعة متحف تلمسان ـ (دراسة أثرية تحليلية)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر،2001 ـ 2002، ص. 189.



الشكل 24: شاهد قبر يحمل لقب " **الشاب**" ، 964هـ/1557م

عن: ليلى مرابط.

1. 4. الشريف: من ألقاب المقَرّ والجَنَاب، من حيث إنه يقال المَقَرّ الشَريف والجَنَاب الشريف وهو مختص بالأشراف أبناءِ فاطمة من علّي رضي الله عنهما. وهو فعيل من الشرف وهو العلّو والرفعةُ، قال ابن السكيت: "ولا يكون إلا لمن له آباءٌ يتقدّمونه في الشرف بخلاف الحسيب". وقد ذكر بعض الكتاب أن ذلك هو السرّ في جعله أعلى رتبة من الكريم لاشتماله على قدر زائد من عَرَاقة الأصل وشرف المحْتِد (الأصل والطبع) والشَّريفيّ نسبة للمبالغة[1].

فضلا عن استعمال الشريف كلقب مطلق، فقد اصطلح على أن يرِد في سلسلة الألقاب المفتَتِحة بالمقام والمقرّ والجناب من الألقاب الأصول، فيقال "المقام الشريف"

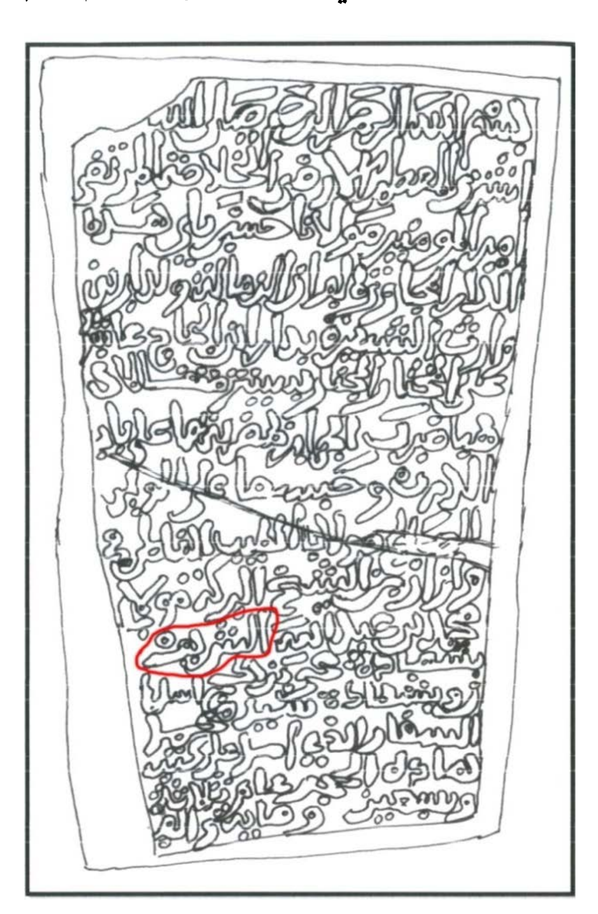
[1] أحمد بن علي القلقشندي، المصدر السابق، ج. 6، ص. 17.

و"الجناب الشريف"، كما استعمل كصفة تشير إلى القداسة أو الملكية كالمصحف الشريف و"الكسوة الشريفة" و"المدينة الشريفة" و" الحرم الشريف " و" القدس الشريف "[1].

نصت الوثائق المدروسة على لقب **الشريف** :

- **الحاج** احمد **الشريف** بن يحي **الأندلسي** 1182هـ/1768 م[2].
- محمد **الشريف الأندلسي** 1075م / 1664م[3].

لقد ذكر لقب الشريف كذلك على نقش أثري يتمثل في كتابة لعقد شراء وقفية لزاوية سيدي الطييب بتلمسان والمؤرخة في 1173هـ/1760م[4]. (الشكل 25)



الشكل 25: كتابة وقفية لزاوية سيدي الطيب بتلمسان تحمل لقب " **الشريف**" 1173هـ/1760م، عن: ليلى مرابط.

[1] حسن الباشا، المرجع السابق، ص. 359.
[2] م.ش.علبة 1/10 الوثيقة 10.
[3] م.ش.علبة 123 الوثيقة 4.
[4] ليلى مرابط، الكتابات الوقفية...، ص. 207.

1. 5. المعظَّم: يعرّف الفيروزبادي هذا اللقب قائلا: " معظم من العِظم بكسر العين وهو خلاف الصِغَر يقال الرجل تكَّبر كتعظَّم"[1].

أما القلقشندي فيعرّفه أنه: " اسم مفعول من العَظَمة وهي الجَلَالَة، استعمل كلقب من ألقاب ملوك المغرب، وربما استعمل في ألقاب ملوك الكفر"[2].

ورد لقب **المعظم** في الوثائق مثل:

ـ **المعظم أوسط** حمودة الخياط بن محمد الشريف **الأندلسي** 1075هـ/ 1664 م[3].

ذكر لقب المعظم في العديد من النقوش الأثرية، وقد سبق ذكر وقفية جامع الباشا بوهران المؤرخة في 1210هـ/1795م، وذكر فيها لقب السيد والمعظم (الشكل 23)

1. 6. المكرَّم: من فعل كَرَمَ المكرَّم مفعول به، الرجل الكريم على كل أحد[4]، وجاء عند الفيروزبادي المكرَّمُ من الكرم وهو ضدَّ اللؤم[5]، أما القلقشندي فقد جاء تعريفه كالآتي:" من ألقاب ملوك المغرب، وهو مفعَّل من الكرامة "[6].

ورد لفظ المكرم في العديد من الوثائق مثل:

ـ **المكرم** المعلم البناء بن هاشم **الأندلسي** 1071هـ/ 1660م[7].

ـ **المكرم الحاج** علي الخياط صناعة **الأندلسي** 1069هـ/ 1658 م[8].

ـ **المكرم الحاج** إبراهيم صانع الشواشي بن محمد **الأندلسي** 1110هـ/ 1698 م[9].

---

[1] مجد الدين الفيروزبادي، القاموس المحيط، ج. 4، مؤسسة فن الطباعة، مصر، 1913، ص. 152.

[2] أحمد بن علي القلقشندي، المصدر السابق، ج. 6، ص. 29.

[3] م.ش.علبة 123 الوثيقة 4.

[4] لويس معلوف ، المنجد في اللغة...، ص. 682.

[5] مجد الدين الفيروزبادي، المصدر السابق، ج. 4، ص. 170.

[6] أحمد بن علي القلقشندي، المصدر السابق، ج. 6، ص. 30.

[7] م.ش.علبة 98 الوثيقة 43.

[8] م.ش.علبة 122 الوثيقة 6.

[9] م.ش.علبة 101 ـ 102 الوثيقة 23.

ـ **المكرم القنداقجي** ابن الحاج حميدة الأندلسي[1].

كما ذكر لقب المكرم في النقوش الأثرية كذلك مثل: شاهد قبر الَّذي ذكر أعلاه للشاب أبو عبد الله العقباني والَّذي يعود إلى سنة 964هـ/1557م. (الشكل 24)

1. 7. الناسك: جاء هذا اللفظ عند ابن منظور بمعنى العبادة والطاعة، ورجل ناسك: عابد وقد نَسَكَ وتَنَسَّكَ أي تعبَّد، ونَسُكَ بالضم، نسَاكة أي صار ناسكًا، والجمع نُسَّاك[2].

أما القلقشندي فقد عرّفه قائلا: " الناسك من ألقاب الصُّوفية وأهل الصلاح، ومعناه العابد أخذا من النُّسْك وهو العبادة، والناسكيُّ نسبة إليه للمبالغة. وهو من ألقاب الصلحاء أيضا وربما كتب به لأرباب السيوف والأقلام إذا كان فيهم من يُنْسَب إلى الصَّلاح"[3].

ذكر لقب **الناسك** في الوثائق مرفوقا بلقب الحاج مثل:

ـ **الناسك الحاج** إبراهيم **أمين البنائين** 1117هـ/ 1705م [4].

. [5]ـ **الناسك الحاج** حمودة **صانع الشواشي** ابن **الحاج** احمد **الأندلسي** 1075هـ/1694 م

. م[5]

لم تخلو النقوش الأثرية من ذكر لقب الناسك، وقد سجل في كتابة وقفية لدار بولاية معسكر الّتي تعود إلى سنة 1164هـ/1750م[6]. (الصورة 140)

2. الألقاب النسوية

كانت المرأة نادرا ما تُدون حرفتها في الوثائق، غير أنه ذُكرت ألقاب لها بصيغة المؤنث. وقد تم العثور على لقبين هما:

[1] م.ش.علبة 2/22 الوثيقة 19.

[2] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 6، ص. 228.

[3] أحمد بن علي القلقشندي، المصدر السابق، ج. 6، ص. 32.

[4] م.ش.علبة 124 ـ 125 الوثيقة 1.

[5] م.ش.علبة 117 ـ 118 الوثيقة 24.

[6] ليلى مرابط، الكتابات الوقفية...، ص. 207.

2. 1. الحرة: معناها في اللغة نقيض الأمة والجمع حرائر [1] ويقصد بها الكريمة أيضا[2].

وقد جاء في الوثائق لقب **الحرة** مثل:

ـ الحاج مصطفى آغا زوج **الحرة** عايشة بنت المرحوم الحاج إسماعيل الأندلسي[3].

ـ **الحرة** مريم بنت ابراهيم الثغري.

ورد لقب الحرة على الكتابات الأثرية الزيانية مثل شاهد قبر للأميرة عائشة بنت السلطان أبى عبد الله محمد[4] وهو غير مؤرخ. (الصورة 143)



الصورة 143: شاهد قبر للأميرة عائشة بنت السلطان يحمل لقب " **الحرة** "

عن: مرابط ليلى.

[1] لويس معلوف، المنجد في اللغة...، ص. 124.

[2] حسن الباشا، المرجع السابق، ص. 258.

[3] م. ش. علبة 2/9 الوثيقة 23.

[4] الأميرة عائشة بنت السلطان أبي عبد الله محمد: هي ابنة أحد السلاطين الزيانيين، ونظرا لعدم وجود الاسم الكامل يصعب تحديد اسم السلطان، انظر: ليلى مرابط، الكتابات الشاهدية...، ص. 229.

2. 2. الولية: هي من الألفاظ المؤنثة للقب الولي، من فعل وَلِيَ، جمع أولياء ومعناها: المحبّ الصديق النصير، الجار، الحليف، التابع، الصهر. كلّ من وَلِيَ أمر أحد، يقال " الله وَلِيُّكَ" أي حافظك وساهر عليك. والولية جمع وليّات ولايا، ويقال: دَارُ وليّة: قريبة[1].

ذكر لقب الولية في الوثائق المدروسة مثل:

ـ **الولية** فاطمة بنت محمد الثغري زوجة الحاج محمد التركي[2].

---

[1] لويس معلوف، المنجد في اللغة...، ص. 919.

[2] م. ش. علبة 9 / 2 الوثيقة 39.

ثالثا: المصطلحات المعمارية

1 . الجامع والمسجِد: الجامع مشتق من فعل جَمَعَ، وجمع الشَيء عن تفرقة يَجْمَعُه جَمْعًا وجَمَّعَه وأَجْمَعه فاجتمع واجْدمع، وكذلك تجمَّع واستجمع. والمجموع الذي جُمع من ههنا وههنا وإن لم يجمع كالشيء الواحد، وتجمع القوم أي اجتمعوا أيضا من ههنا وههنا والمسجِد الجامع الذي يجمع أهله[1].

ولفظ جامع في المصطلح الأثري المعماري، فقد ورد فيه أنه لما فتح الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الأمصار، كانت كل قبيلة تتّخذ مسجدا صغيرا تؤدي فيه الصلوات الخمس، فكتب إلى الولاة يأمرهم ببناء مساجد جامعة تقام فيها صلاة الجمعة يتّسع لكل القبائل في الصلوات الجامعة.

ظل الحال على ذلك حتى قيام الدولة الأموية، وشكّل الجامع أهمية سياسية كبيرة للدولة إذ كُلّف الولاة وعمال الأقاليم بإنشاء المساجد الجامعة لتكون بمثابة مساجد الدولة الرسمية. يذكر فيها اسم الخليفة والدعاء له من فوق المنابر. واستمر هذا الأمر في كل العصور الإسلامية[2].

لقد نصت عدة وثائق على تخصيص أندلسيين أوقافا على **الجامع الأعظم** (الجامع الكبير)، مثل الوقف السابق الذكر الّذي خصصه محمد الأندلسي المتمثل في دار بمدينة الجزائر لفائدة الجامع الأعظم عام 1183هـ/1769م[3]. (الصورة 144)

أما المسجِد بكسر الميم جمع مساجد وهو مصلّى الجماعة، ومنه المسجد الحرام بمكة والمسجد الأقصى في بيت المقدس. ويقصد بالمسجد شرعا كلّ موضع يُسجد فيه لقوله صلى الله عليه وسلّم: "وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا" وهي خاصيّة انفردت بها

---

[1] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 1، ص. 498.

[2] محمد رزق عاصم، المرجع السابق، ص. 63.

[3] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 91.

الأمة الإسلامية دون غيرها من الأمم الَّتي كانت لا تصلّي إلا في الموضع المخصّص للصلاة كالبيعة اليهودية أو الكنيسة المسيحية، بينما أُحِلّت للمسلمين الصلاة في كل موضع من الأرض باستثناء المتيقن من نجاسته حتى تتيسّر لهم الصلاة أينما أدركتهم. ويغلب على الظن أن السبب في هذه التسمية الَّتي لم يعرفها العرب في الجاهلية يرجع إلى أن السجود هو أقرب حالات العبد إلى ربّه، ولذلك عرف موضعه بالمسجد. أما المسجد عُرْفا واصطلاحا فهو المكان المخصّص للصلوات الخمسة[1].

ذكر في عقد تأسيس زاوية الأندلسيين إلى بناء **المسجد** بجانب المدرسة لأداء الصلوات الخمسة[2].



الصورة 144: جوامع مدينة الجزائر: 1 ـ الجامع الكبير، 2 ـ الجامع الجديد.
عن: Lessore E et Wylde W

[1] محمد رزق عاصم، المرجع السابق، ص. 282.
[2] م. ش. علبة 82 الوثيقة 2.

2 . الجنّة: جمع جنان من فعل جنن، وجنّ الشيء يجنُّه جناً: ستره؛ والجنّة البستان ومنه الجنّات والعرب تسمي النخبل جنّةً، والجنَّة: الحديقة ذات الشجر والنخيل، والجمع جنان وفيها تخصيص، ويقال للنخل وغيرها. ولا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب، والجنّة أيضا دار النعيم في الآخرة، من الاجْتِنَان، وهو الستر لكثافة أشجارها[1]. أما لفظ حديقة فتحتوي على أشجار بغير نخيل[2]. وارتبط لفظ البستان في الجزائر بوجود أشجار السرو[3].

أطلِق على مساكن الفحص الَّتي تظم إما حديقةً أو بستانًا اسم جنة، وينطبق هذا المفهوم مع التعريف الَّذي أعطاه Beaussier لكلمة جنّة؛ فكل منزل يوجد وسط حديقة مثمرة ويقع في ضواحي المدينة يطلق عليه اسم جنّة أو جْنان وجمعها جْنَايَن أو جَنّات.[4] ويذكر حمدان خوجة أن أحد جنرالات الجيش الفرنسي استولى على جنّاته وداره المعدّة للاستجمام[5].

أكدت الوثائق على وقف الأندلسيين لعدة جنان كانت بحوزتهم، والَّتي غالبا ما تقع في مدينة الجزائر، كحبس أحد الأندلسيين **جنة** بفحص حيدرة سنة 1137هـ/1724م[6] وحبس **جنة** أخرى بفحص باب الوادي سنة 1221هـ/1806م[7].

3 . الحانوت والفندق: الحانوت جمعه حوانيت وهو دكّان الخمار أو الدكان بصفة عامة وهو محلّ تجارة يتم فيه البيع والشراء[8]. فهو الخلية القاعدية للنشاط الاقتصادي، بما أنه

---

[1] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 3، ص. 99 ـ 100.

[2] محمد رزق عاصم، المرجع السابق، ص. 133.

[3] Beaussier M., Dictionnaire pratique arabe – français contenant tous les mots employés dans l’arabe parlé en Algérie et en Tunisie ainsi que dans le style épistolaire les pièces usuelles et les actes judiciaire, la maison des livres, Alger, 1958, p. 53.

[4] Ibid. p. 158.

[5] حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 237.

[6] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 81.

[7] نفسه، ص. 82.

[8] محمد رزق عاصم، المرجع السابق، ص. 72.

موقوف للصناعة الحرفية ولتجارة التجزئة وله مصطلح آخر هو الدكّان ولا يختلفان إلا في الحجم والوظيفة. فالحانوت هو محلّ إنتاج وورشة لحرفة معينة وفي نفس الوقت مقرٌّ للبيع، أما الدكّان فهو محلّ عرض البضائع[1]. (الصورة 145)

توجد الحوانيت غالبا في أسفل الأبنية التجارية والدينية المختلفة أو في داخلها. وتتجمّع معظمها في الأحياء الرئيسية التجارية، والبعض منها يوزّع في أنحاء المدينة وإذا اصطفت هذه الحوانيت على جانبي الشارع سمّيت البازار وهو لفظ فارسي يعني السوق الَّذي تجري فيه عقود الصفقات التجارية.

اعتاد المعمار المسلم أن يجعل المصاطب خارج الحوانيت لعرض البضائع عليها، وكانت تُبنى من الحجر والآجر وتُبلط أو ترخّم، شريطة أن لا يضر بناؤها بالجار أو بحركة المرور بالشارع، وكان على المحتسب أن يراقب بناءهَا وحركة التجارة التي تتمّ عليها[2].

لقد شاع بين الأندلسيين وقف حوانيت كانت ملكا لهم مثل: "الولية خديجة بنت الحاج محمد ابن الحاج على صانع الشواشي حبست **حانوتين** احداهما بباب عزون والآخر بباب الوادي على فقراء الأندلس والحرمين"[3].

يطلق على الفندق باللغة الفارسيّة الخان، وهو المكان الَّذي ينزله الناس، أو التجار أو المسافرون. يشكّل الفندق وحدة معمارية تتكوّن من حوانيت من الخارج وفناء من الداخل محاط بمخازن تعلوها وحدات سكانيّة. عادة ما تقع الفنادق داخل المدينة أو بضواحيها[4].

---

[1] زهية بن كردرة، أسواق...، ص. 82.

[2] محمد رزق عاصم، المرجع السابق، ص. 72.

[3] م. ش. علبة 2/16، الوثيقة 16.

[4] ضياء جاد الكريم وآمال أحمد العمري، العمارة الإسلامية دراسة في عمارة المنشآت التجارية في القرن التاسع عشر الميلادي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011، ص. 54.

جاء في الوثائق ذكر **فندق الزيت** و**فندق العزازة**، بحيث وقف الأندلسيون حوانيتهم الموجودين بهذين الفندقين[1].



الصورة 145: حانوت لبيع الاحتياجات المنزلية

عن: Lessore E et Wylde W

4 . الدار والمدرسة: الدار جمعها في القلة أَدْؤر، وفي الكثرة ديار وديران ودور وأدورة والدار هي محلّ يجمع البناء والمساحة، والمنزل أو البيت الآهل بالسكان. ويعبر هذا اللفظ أيضا عن مفاهيم أخرى كدار الحرب التي تعني دار العدو، ودار السلام الَّتي تعني

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 85 ـ 86.

بلاد المسلمين، وهي أيضا الجنة كما ورد في القرآن الكريم ***كنظ خئنك حالإ ضت ذ ينظ***"[1] والداران بمعنى الدنيا والآخرة[2].

تعني كلمة دار في المصطلح الأثري المعماري البيت الذي يكون لعائلة واحدة، أو المبني الَّذي تخصصه الدولة لمنافعها العامّة كدار الإمارة ودار الصناعة ودار الضرب ودار الكسوة ودار الحكمة. وقد تميزت الدور الإسلامية بمميزات من أهمّها البساطة من الخارج والنقش والإبداع من الداخل ومراعاة مناخ البلد عند البناء[3].

حبس الأندلسيون عدة دور على فقرائهم أو على ذويهم، وقد سبق الإشارة إلى هذا الأمر مثل: "حبس الزوجين الحاج ابراهيم بن محمد الثغري والحرة مريم بنت ابراهيم الثغري **جميع الدار** القريبة من باب الوادي داخل محروسة الجزاير والحانوتين المتلاصقة المستخرجة من **الدار** على الأعقاب وأعقاب الأعقاب واذا انقرضوا رجع إلى فقراء الحرمين والجامع الأعظم"[4].

أما المدرسة فقد حدّدت في العمارة الإسلامية بمبنى خال من المئذنة والمنبر ولا تقام فيها صلاة الجماعة، تخصص لتدريس علوم الدين على مذهب واحد أو أكثر تبعا لغرض المنشئ[5].

تعد مدينة نيسابور أوّل مدينة إسلامية أطلقت كلمة مدرسة على دار العلم، وكان ذلك في عهد محمود الغزنوي[6] في القرن 4 هـ/10م. بعد ذلك أنشئت عدّة مدارس في بلاد فارس، غير أنّها لم تمتلك نفس المواصفات والخصائص للمدارس الكبرى، لذا سميت

---

[1] الآية 127 من سورة الأنعام.

[2] جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، مج. 13 ص. 210.

[3] محمد رزق عاصم، المرجع السابق، ص. 103.

[4] م.ش. علبة 88 الوثيقة 15.

[5] محمد رزق عاصم، المرجع السابق، ص. 271.

[6] محمود الغزنوي: هو السلطان محمود بن سبكتكين ولد بغزنة فتح الهند وبلاد الأفغان، وحكم في الفترة الممتدة من 976م ـ 998م، أنظر: شفيق غربال، المرجع السابق، مج.2، ص. 1256.

بالمدارس الصغرى؛ ويعدّ الوزير قوام الدين نظام[1] الملك الطوسي علي أهم شخصية لعبت الدور الأساسي في تأسيس المدارس، وقد عرفت هذه المدارس باسم منشئها أي النظامية وأشهرها نظامية بغداد ومع دخول الفاطميين إلى مصر نشطت حركت البناء والعمران وشيّدت المدارس لتدريس المذهب الشيعي، ثم جاء الأيوبيون[2] فشيدوا عشرات المدارس لإعادة تثبيت المذهب السني[3].

أما في المغرب الإسلامي فإن بناء المدارس كان خارج المساجد بحيث كانت مستقلّة بذاتها وكانت عبارة عن مؤسسات حكومية. ويدلّ إنشاؤها انتصارَ أهل السنة والعودة إلى المذهب المالكي. وقد أنشئت أوّل مدرسة بإفريقية في الفترة الحفصية في عهد الأمير أبو زكريا[4] وسمّيت بالمدرسة الشماعية. وأنشأت بعدها الأميرة عطف زوجة أبي زكريا المدرسة التوفيقية[5].

أنشأ المرينيون خلال القرن 8هـ/14م عدّة مدارس في المغرب الأقصى في مدن فاس ومراكش وسلا ومكناس، كما أسّسوا مدرسة سيدي أبي مدين في تلمسان. وقام الزيانيون ببناء ثلاث مدارس بهذ المدينة وهي: مدرسة أولاد الإمام والمعروفة أيضا بالمدرسة القديمة، بناها أبو حمو موسى الأول حوالي سنة 710هـ/1310م. والمدرسة التاشفينية التي أنشأها أبو تاشفين عبد الرحمن الأول[6] حوالي سنة 719هـ/1319م

---

[1] الوزير قوام الدين نظام: أشهر وزراء السلاجقة، ظل وزيرا ثلاثين سنة متتالية للسلاطين السلجوقيين. لقي مصرعه سنة 485هـ/1092م.

[2] الأيوبيون: هم أسرة حكمت مصر وبلاد الشام واليمن بعد أن قضوا على الفاطميين.

[3] حيدر كامل، العمارة العربية الإسلامية نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي، دار الفكر العربي، بيروت، 1995م، ص. 122.

[4] الأمير أبو زكريا: حكم في الفترة الممتدة من 624هـ/1227م إلى 647هـ /1249م.

[5] Marçais G., « Remarques sur les medersa funéraires en berbérie, à propos de la Tachfimiya de Tlemcen » in mélange Gandeffroy – Demmbynes, Caire, 1945, pp : 262 – 263.

[6] أبو تاشفين عبد الرحمن: حكم في الفترة الممتدة من 718هـ/1314م إلى 737هـ/1337م.

والمدرسة اليعقوبية الَّتي بناها أبو حمو موسى الثاني (760 هـ ـ 791هـ / 1359م ـ 1389م).[1]

تميّزت الفترة العثمانية بالجزائر بإنشاء العديد من المدارس، فكانت مدينة الجزائر تملك الكثير من المدارس العادية الَّتي يتردّد عليها الأطفال ابتداءً من سن الخامسة والسادسة فصاعدا، حيث يتعلّمون القراءة والكتابة[2]. وأطلق في الجزائر لفظة "مْسِيد" للدلالة على المدرسة ومْسِيد لغة هي مسجد ، وكان العرب ومازالوا يقولون مسجِد ومْسِيد ولم يكن مْسِيد معروفا في الأندلس والصيغة الوحيدة الَّتي كانت معروفة هي مزد (mazad) غير أن اللهجات المغربية الحديثة تعرف مسيد والجمع مْسَايَد، ومعناه المدرسة القرآنية الملحقة بالمسجد الجامعِ[3]. (الصورة 146)

هذا المفهوم ينطبق على المدرسة الَّتي بناها الأندلسيون، إذ أنشأوا مدرسة لتعليم القرآن ومختلف العلوم الأخرى وبجانبها مسجدا لأداء الصلوات الخمسة[4].

[1] Golvin L., La madrassa médiévale, Edisud, Aix-en- rovence, 1995, p. 198.

[2] وليام شالر، المصدر السابق، ص. 81 ـ 82.

[3] الشيخ طه الولي، المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، ص. 139 ـ 140.

[4] م. ش. علبة 82 الوثيقة 2.



الصورة 146: مدرسة بمدينة الجزائر

عن: Lessore E et Wylde W

5. **السوق والسويقة:** تعود نشأة الأسواق في البلاد الإسلامية إلى عهد الرسول صلّى الله عليه وسلّم حيث أنشأ سوقا في المدينة قريبا من المنازل. وكانت هذه السوق عبارة عن مساحة من الأرض خالية من البناء ومكشوفة، تستغل من طرف أهل المدينة للبيع والشراء دون دفع الأجر. وتعتبر هذه السوق النواة الأولى للتطور العمراني التجاري في المدينة

الإسلامية[1]. وفي الفترة الأموية ظهرت الأسواق المغطّاة بسقوف خشبية لحماية القائمين عليها والواردين إليها من المطر شتاءً ومن الشمس صيفا[2].

يمكن تعريف السوق في المصطلح الأثري المعماري بأنّه ذلك الحيز الَّذي تشغله عمليات التجارة في المدينة بكل أصنافها وأنواعها، أي أنها هيئة اقتصادية مفتوحة على صفّين من الحوانيت والورشات على طول الشارع، كافية لتشكّل سوقا؛ وتختص في بيع السلع المحلية وذات الاستهلاك الواسع والمواد الَّتي تدخل في مستلزمات الصناعات الموجودة في المدينة[3]. وبهذا تصبح السوق الشريان الرئيسي والحيوي ومركز الحياة الاقتصادية للمدينة الَّذي يجلب إليها كلّ النشاطات الأخرى. ومن صفاتها المميّزة التخصّص المهني الشديد والتركيز الجغرافي، إذ أصبح توجّه الحرفيين الَّذين يمارسون نفس النشاط إلى التجمع في مكان واحد هو سمة تقليدية للمدن الإسلامية لدرجة أنه صار التزاما قانونيا[4]. وقد انتشرت في حواضر الجزائر أسواق متنوعة بحيث كان أصحاب الحرفة يتكتّلون، ويكوّنون سوقا أو زنقة تحمل اسم الحرفة كسوق الحدادين والصياغين والصفارين. (الصورة 147)

من بين أسماء الأسواق الّتي ذكرت في الوثائق هي: **سوق القبايل** و**سوق اللوح** و**سوق السمن**[5].

أما السويقة فهي تصغير للسوق واختصت بتوفير الحاجات اليومية للسكان، وإعادة توزيعها من جديد داخل الأحياء السكنية المختلفة. وكانت تتكوّن من عدد محدود من الحوانيت لتؤمن ضرورات سكان الأحياء، دون أن يضطروا للذهاب إلى السوق العام. وبهذا فقد كان كل حي له سوق صغيرة بها بعض الحوانيت موزعة في نقاط مختلفة من

[1] ضياء جاد الكريم وآمال أحمد العمري، المرجع السابق، ص. 50.

[2] محمد رزق عاصم، المرجع السابق، ص. 156.

[3] ناصر الرّباط، مقدمة لتطور السوق بمدينة دمشق من القرن 7م إلى القرن 19م، الحوليات السورية، ص. 75 ـ 76.

[4] Raymond A ., Op. Cit., p. 180.

[5] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 86 ـ 88.

هذا الحي، ولا يوجد بها سوى بعض المواد الغذائية وبعض المنتوجات المصنوعة ويتم التوزيع بالتجزئة فقط[1].

لقد أشارت الوثائق إلى إحدى السويقات بمدينة الجزائر وهي **سويقة عمور** بحيث وقف أحد الأندلسيين داره الموجودة بهذه السويقة[2].



الصورة 147: سوق بباب عزون

عن: Lessore E et Wylde W

[1] Raymond A ., Op. Cit., p. 249.

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، ص. 88.

الخاتمة

لقد تناول البحث التأثيرات الأندلسية على العمارة والفنون التطبيقية في الجزائر خلال الفترة العثمانية، ومن خلال هذه الدراسة تم تسجيل مجموعة من النتائج تمحورت في عدّة نقاط وهي:

1 ـ لم يكن سقوط الأندلس محنة حقيقية، وإنما بدأت المحنة الحقيقة بعد هذا السقوط، إذ بدأت مأساة الفناء للمسلمين الَّذين ساهموا مساهمة كبيرة وفعّالة في جعل الأندلس مركزا من مراكز الإشعاع الحضاري والثقافي والعلمي. ولما فتحوها آمنوا أهلها على أنفسهم وأموالهم وعلى دينهم، فكان جزاؤهم أن عُذبوا وسُلبت كل حقوقهم الدينية والمدينة وطردوا ونُفيوا إلى مختلف الأماكن.

2 ـ ظل مسلمو الأندلس متشبثين بهويتهم الدينية والحضارية ورفضوا الذوبان والاندماج وإن تظاهروا بغير ذلك، فاستعملوا أسلوب التَقِيّة لكي يستطيعوا العيش في المجتمع الإسباني المتعصب. كما رفضوا كذلك تسميتهم بالموريسكيين الّتي تعني "أصاغر المسلمين"، لِمَا تحمل هذه التسمية من الاستخفاف والاحتقار وسمّوا أنفسهم بالغرباء لأنهم أصبحوا غرباء في وطن عاشوا فيه ثمانية قرون. واتضّح ذلك في مراسلاتهم للسلاطين العثمانيين، أما في مناطق استقرارهم الجديدة فقد سمّوا بالأندلسيين كما تدل الوثائق الّتي دوّنت لفظ الأندلسي مرفقة باسم الشخص، ولم يكن هذا الأمر ساريا في الجزائر فقط وإنما في تونس والمغرب الأقصى أيضا. ومن خلال الوثائق المتفحصة فإن صفة الأندلسي بدأ يتناقص ابتدءً من النصف القرن 12هـ/النصف الثاني من القرن 18م، واستمر بشكل قليل جدّا حتى بداية القرن 13هـ/19م، حيث اندمج العنصر الأندلسي مع بقية السكان.

3 ـ ضمّت منطقة المغرب الإسلامي أكبر عدد من المهاجرين الأندلسيين، بحكم القرابة الجغرافية. وقد صاحب هذه الهجرة لجوء عدد كبير من يهود الأندلس المطرودين إلى هذه المنطقة ، واستقروا تقريبا في كل المدن الّتي حل بها الأندلسيون.

4 ـ أثمرت مساعي الأخوين عروج وخير الدين في نقل عدد كبير من الأندلسيين إلى مواطنهم الجديدة، واستقبلت الجزائر الآلاف منهم واستقروا تقريبا في كل المدن الساحلية حيث شكّلت أهم نقاط تمركزهم كمدن الجزائر وشرشال وبرشك ومليانة وتنس ودلّس ومستغانم ووهران وتلمسان وبجاية وعنابة وجيجل والقل. كما عرفت بعض المدن الداخلية نزوح الأندلسيين إليها كقسنطينة والمدية ومازونة وقلعة بني راشد. وقد حضيت مدينة الجزائر بعدد وافر من هؤلاء المهاجرين لكونها عاصمة الدولة حينئذ.

5 ـ استقرت العديد من العائلات الأندلسية في مدن الجزائر بألقاب مختلفة، فتعدّدت من ألقاب عربية دليل تمسك فئة بالعروبة والأصالة كعائلة ابن عمار وابن عاشير وبوعبد الله والأمين وبن عاشير والآبلي، واستمدت عائلات أخرى ألقابها من مناطق انحدارها كالقرطبي والغرناطي والقشتالي والشاطبي. بالإضافة إلى ألقاب إسبانية تخص الفئة الَّتي أُجْبرت على تغيير اسمها خوفا من محاكم التفتيش كعائلة النِّيقرو وبْلانْكو والكَمِيلْيُو وكْلاطو وبُوناتيرو. وقد وجدت بعض هذه الأسماء متشابهة ليس في مدن الجزائر فقط بل في العديد من المدن المغاربية كتونس وفاس ومكناس وتيطوان والرباط، وعلي سبيل المثال: عائلة بو عبد الله المنحدرة من الأمير عبد الله الزغل والَّتي استقرت في مدن الجزائر وتلمسان ومستغانم ووهران، وعائلة فخار الّتي تفرقت بين العديد من المدن المغاربية كالمدية وتلمسان وفاس ومكناس وتيطوان، وعائلة الثغري الّتي استقرت في مدينة الجزائر ومدينة تونس. وهذا دليل على أن العائلة الأندلسية الواحدة عرفت تشردا حقيقيا ونزحت كل أسرة إلى مناطق مختلفة من المغرب الإسلامي حسب ظروفها ومكان تواجدها.

6 ـ لم تكن الهجرة الأندلسية إلى الجزائر هجرة نخبوية، إذ لم يقتصر أفرادها فقط على العلماء والفقهاء، وإنما ضمّت كل الفئات الاجتماعية من العالم والفقيه والمزارع والتاجر والطباخ والموسيقي والحرفي والصانع، وكان لهذا الاختلاف الأثر الواضح على جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية.

7 ـ شكل أفراد الجالية الأندلسية فئة اجتماعية مهمّة، واعتبروا أهم العناصر المكونة لطبقة الحضر في مدن عديدة كالجزائر وشرشال وتلمسان وقسنطينة وبجاية. وقد ساهموا في ازدياد عدد السكان والحد من النقص الديمغرافي الَّذي شهدته البلاد الجزائرية أوقات انتشار الأوبئة والأمراض.

8 ـ اعتلاء الأندلسيين مكانة مهمّة في أوطانهم الجديدة جراء تفوقهم في العديد من الصناعات فاكتسبوا أموالا طائلة، ممّا حفّزهم إلى تخصيص أوقافا لمساعدة المحتاجين والمعوزين من أبناء وطنهم، ولمساعدة ذويهم وأهلهم. كما عمدوا إلى تخصيص أوقافا لفقراء الحرمين الشريفين مكّة والمدينة والجامع الكبير بمدينة الجزائر الّذي ذكر في الوثائق باسم الجامع الأعظم، وهذا دليل على اندمجاهم في مجتمعهم الجديد.

9 ـ إقبال الأندلسيين على الميدان العلمي، أدى إلى بروز علماء وفقهاء تعاونوا مع أهل البلاد ودعوهم للجهاد ضد الإسبان وطردهم من السواحل الجزائرية. كما أقدم العلماء على إنشاء معاهد العلم والزوايا لتعليم السكان مختلف العلوم الشرعية والمعارف الأخرى كالحساب والفلك والتاريخ، ومن أشهر هذه الزوايا زاوية أهل الأندلس بمدينة الجزائر وزاوية محمد المجاجي بتنس. ولم يقتصر دور هؤلاء العلماء في المدن بل تعداه إلى القرى والمداشير في بلاد القبائل عند احتلال بجاية وهجرة نخبة من الأندلسيين إلى هذه القرى.

10 ـ مساعدة الأندلسيين على شيوع اللغة العربية في نواحي دلّس وفحوص بجاية وفي المناطق الجبلة القريبة من شرشال والبليدة. كما تأثرت جماعة الحضر بالمدن الكبرى كتلمسان والجزائر وبجاية باللهجة الغرناطية، إضافة إلى إدخال مجموعة من الألفاظ الإسبانية في لغة التخاطب في العديد من مدن كالجزائر ومستغانم ووهران

11 ـ طبع الأندلسيون الحياة الفنية بالجزائر بطابع فني مميز، إذ أدخلوا فن الموشحات وموسيقى المالوف، وتميّزت مدينة قسنطينة بهذا النوع الغنائي، ورافقت هذه الموسيقى أنواع من الآلات كالرباب والعود والقانون. كما اتصف الأندلسيون بالرقة والذوق في فن

الطبخ، فأدخلوا تركيبات غذائية جديدة في بلاد المغرب الإسلامي لم تكن معروفة قبل مجيئهم، وقد أدت المرأة الأندلسية دورا هاما في نقل هذه التركيبات الغذائية كطبق المروزية (لحم لحو) والبسطيلة والإسفيرية. إلى جانب نوع من الحلويات الدائرية المحشوة باللوز والملبسة بالسكر تعرف إجمالا باسم الكعك. وقد ظل هذا الإرث الغذائي الأندلسي موحدا بين دول المغرب الكبير، غير أن الطبخ الجزائري والتونسي خضعا لتأثيرات عثمانية بينما احتفظ الطبخ المغربي بالتقاليد الأندلسية.

12 ـ أدى اكتساب الأندلسيين مهارات وخبرات عالية في الزراعة إلى استثمارها في الجزائر؛ كاستصلاح الأراضي، وامتلاك العديد من البساتين والجنائن بفحوص مدينة الجزائر والمدية ومليانة، وإدخال تقنيات زراعية جديدة كالتليقيح والتطعيم والتلقيم. وتوسيع وتحسين في نوعية المنتجات الزراعية الَّتي كانت تعاني الإهمال من قبل كأشجار الزيتون والحمضيات وعلى رأسها البرتقال والليمون واللارنج، واهتمامهم بزراعة الزعفران الَّذي استخدم في الطبخ وفي الصباغة.

13 ـ اعتناء الأندلسيين بغرس أشجار النخيل لما كانت تحمله من دلالة للحنين إلى الوطن المفقود، واهتمامهم بغرس كميات هائلة من الورود والزهور بغية استعمالها في التقطير، أدى إلى ظهور آنية خاصة بالتقطير المعروفة باسم القطارة وهي منتشرة بكثرة في قسنطينة والبليدة إلى حد اليوم.

14 ـ استثمار الأندلسيين رؤوس أموالهم في النشاط التجاري، فعملوا في المبادلات التجارية مع الأوروبيين واليهود لإتقانهم اللغة الإسبانية، وشاركوا في الجهاد البحري واحتكروا تجارة بيع وشراء الأسرى المسيحيين، فقد كان مصطفى بن عمار الثغري يملك مئة أسير مسيحي.

15 ـ إقبال الأندلسيين الكبير على الصنائع والحرف نظرا لاكتسابهم مهارات عالية فساهموا في البناء والتعمير في مدن استقرارهم، ويرجع لهم الفضل في إنشاء مدن جديدة

كالبليدة والقليعة، وتعمير مدن أصابها الاضمحلال كشرشال وبرشك، وساهموا في تشييد الأبراج والقلاع والثكنات والأبواب والبطاريات، كبنائهم لبرج على إحدى جزر مدينة الجزائر والّذي هدّمه الإسبان وبنوا فوقه حصن البنيون، وتشييدهم بطارية في مدينة الجزائر عرفت ببطارية الأندلسيين. ويعدّ **المعلم موسى** من أمهر البنائين الأندلسيين وأشهرهم تنسب إليه عدة مباني؛ كبرج في مدينة تيزي وزو، والثكنة الجديدة وباب الجزيرة وباب قصر الجنينة في مدينة الجزائر، وقد واصل أبناؤه علي وإبراهيم أعماله، فشيّد علي الثكنة الجديدة، وشيّد إبراهيم برج السردين ومخزن للعسكر. وكان للأندلسيين الفضل في إنجاز العديد من المنشآت المائية في مدينة الجزائر لتأمين مياه الشرب في الجزء الشمالي للمدينة كالقنوات مثل قناة تيليملي وقناة بئر الطرارية وقناة الحامة، وإنشاء العيون والأحواض والناعورات وحفر آبار الماء. بدليل ذكرت الوثائق "**المعلم موسى معلم العيون**".

16 ـ إنشاء الأندلسيين المشاغل والورشات لمزاولة مختلف المهن كالنسيج والنجارة والخياطة والصباغة والدباغة والحدادة. فمن بين التوجهات الحرفية الكبرى للأندلسيين يمكن القول أن صناعة المنسوجات كانت الأكثر إقبالا وإنتاجا وازدهارا، فوُجد الحرّار والحوكي والصباولجي والخياط وصانع الشواشي. وحضيت المنسوجات الحريرية بالاهتمام الكبير وذلك لاعتناء الأندلسيين بتربية دودة القز، فتوفرت المادة الأولية واشتغل عدد كبير من الأندلسيين في حرفة الحرّارة، حيث ساهموا في تطوير هذه الصناعة الفاخرة، وعرفت الجزائر عن طريقهم أنواعا مختلفة من مشتقات الحرير كالديباج والدمشقي والتافتاة والقطيفة الّتي سمّيت بالمخمل. كما ساهم الأندلسيون بالنهوض بصناعة الشاشية، وقد لعبت أسرة بوناتييرو دورا بارزا في هذا المجال، وأصبحت لهذه الصناعة سوقا خاصا بمدينة الجزائر عرف بسوق الشواشي.

17 ـ يعود الفضل للأندلسيين في إدخال أنواع جديدة من الملابس في المجتمع الحضري الجزائري، ويجدر القول أن الكثير من هذه الملابس كانت متداولة أولا في

المشرق الإسلامي كمدينة دمشق وبغداد وانتقلت إلى الأندلس ثم أدخلت إلى الجزائر عن طريق المهاجرين الأندلسيين. وقد تنوعت هذه الملابس من ملابس الرأس كالبنيقة المنتشرة في عدّة مدن كالجزائر وتلمسان وعنابة وقسنطينة، إلى جانب ملابس البدن كالغليلة والدرة والفوطة والسروال، وملابس الخروج خاصّة طريقة لبس الحايك وتغطية الوجه بالعجار. ثم انتقلت أنواع من هذه الملابس من المدن الكبرى إلى ريف بلاد القبائل كالبنيقة والفوطة.

18 ـ مساهمة الأندلسيين في الصناعات الجلدية، واعتبرت قسنطينة أهم مدينة في هذه المجال يليها مدينتا الجزائر وتلمسان. وأعطت الوثائق أسماء البابوجي والشبارلي والمقفولجي والخراز. وارتبطت كل من المصنوعات النسيجية والجلدية بالطرز الَّذي أبدع فيه الأندلسيون. فقد أدخلوا الطرز بالخيوط المعدنية بنوعيه الفتلة والمجبود، وإدخال طرز الشبيكة المعرف في مدينة شرشال وفي مدينة الرباط باسم "رندة". ورندة هو اسم لعائلة أندلسية نزحت إلى الجزائر والمغرب، وربما قد تكون هذه العائلة هي الَّتي أدخلت هذا النوع من الطرز إلى بلاد المغرب، بالإضافة إلى رقاقات الزركشة ذات الأصل الأندلسي وتتمثل في النجوم والكنتيل، والّتي كانت تزين بها الألبسة لتضفي عليها لمعانا.

استنادا إلى القطع النسيجية المحفوظة في المتاحف، تبين أن هناك تنوع كبير في المنسوجات المطرّزة، منها ما هو خاص باللباس ومنها ما هو خاص بالتأثيث كالستائر والسِماط. وأهم ما يميّز هذه المنسوجات هو أساليب الطرز المختلفة التي تنفذ في القطعة الواحدة، فوجد الطرز بالخيوط الحريرية ذو التقليد العثماني مع الطرز بالخيوط المعدنية والشبيكة ذو التقليد الأندلسي. وتجلت مهارة الطراز في إدماج ومزج هذه الأساليب وبرزت خاصة في البيانق والستائر والتنشيفة. أما الطرز على الجلد بالخيوط المعدنية فقد كان من اختصاص الرجل الَّذي حذق فيه ونفذه بغرزة المجبود. وقد تنوعت القطع الجلدية المطرزة وفي مقدمتها طرز السروج، إلى جانب الأحذية النسوية ومعدات الفارس.

19 ـ تميّزت الصناعات الخشبية عموما بأنها صناعة محلية ذات تأثيرات أندلسية، وقد أمدت الوثائق بمجموعة لأسماء نجارين أندلسيين، وبرزت مساهمتهم في صناعة

الصناديق الكبيرة كصندوق العروسة، وإدخالهم تسمية "الفْنِيَق" للصناديق الصغيرة الخاصة بالحلي، وانتقال هذه التسمية "أَفْنِيق" إلى منطقة القبائل كقرية صَدُوق ببجاية ومنطقة أزفون بتيزي وزو، وممّا تجدر الإشارة إليه أن المقصود بالفنيق في هذه المناطق الصندوق الكبير الّذي يحفظ فيه الملابس. إلى جانب إدخالهم القبقاب بنوعيه المسّطح والعالي ويرجع أصله إلى سوريا وأُدخل إلى الأندلس في فترة الحكم الأموي. ويبدو أن القبقاب العالي انتقل إلى بلاد القبائل وكان يلبس في فصل الشتاء وقت الأمطار والثلوج. وفي مجال صناعة السفن شكّل الأندلسيون أهم العناصر المساهمة في هذا الميدان، إذ أصبحت السفن أحسن بناءً وتجهيزا، وصنعوا أنواعا عديدة منها كالفرقاطة والبركنتي.

20 ـ ربط الأندلسيون مهارتهم في الفنون النسيجية والجلدية والخشبية بمهنة الصباغة وقد برعوا في صبغ هذه المنتجات الفنية، واستعملوا مواد طبيعية تستخلص غالبا من النباتات أو الحيوانات، واستغلوا الأودية لإنشاء أحواض لصبغ الأقمشة والصوف والجلود. وكان الصبغ بالزعفران كثير الاستعمال لذا وسعوا في زراعته.

21 ـ تميّزت المشغولات المعدنية الجزائرية بالتطور نتيجة وفود صناع أندلسيين وسجلت الوثائق أسماء لحدادين وصفارين اختصوا في صناعة الأواني النحاسية. ومن بين المشغولات النحاسية التي أدخلها الأندلسيون إلى الجزائر القطارة السابقة الذكر الخاصة في تقطير الورود، بالإضافة إلى المجمر السداسي الشكل، وأدخلوا شكلا جديدا من الدلاء يتمثل في القاعدة المسطحة والبدن المنتفخ الّذي يضيق في الأعلى. كما وضعوا بصمتهم في زخرفة الصواني بحافة منبسطة تحيط بالصينية. وفي مجال الصناعات المعدنية أيضا ساهم الأندلسيون في صناعة الأسلحة النارية بنوعيها: الثقيلة كالمدافع والخفيفة كالبنادق مثل بندقية الأكبوز، ورافقوا مهارتهم في صنع الأسلحة بصنع الذخيرة، ويعتبر البارود أهم مادة تدخل في تركيبها، وساهموا في إنتاجه منذ القرن 9هـ/15م في العديد من المدن كالجزائر وقسنطينة ومستغانم ووهران وتلمسان.

22 ـ ابتعاد الأندلسيون عن صناعة الحلي وتركوا المجال للصاغة اليهود، لكنهم ساهموا في صنع أساور من قرون الثيران تسمى مقايس، وجاء اسمهم في الوثائق باسم المقايسية. تتجلى المساهمة الأندلسية في مجال الحلي بزخرفتها بالمينا، ويعود لهم الفضل بإدخال هذه الطريقة الزخرفية إلى كل البلدان المغاربية، فاستعملت في العديد من المدن الجزائرية كالجزائر وتلمسان وبجاية، ومن بجاية انتقلت إلى المناطق الريفية لبلاد القبائل وانحصرت اليوم في منطقة تيزي وزو خاصّة في قرى بني ينى وآيت الأربعاء، وتستعمل إلى حد اليوم على مختلف الحلي كالعصابة والدح والإبزيم.

23 ـ اتباع الأندلسيون نفس التنظيم الحرفي الّذي كان سائدا في الجزائر، وتميّز بدقة كبيرة وخضع إلى تنظيم محكم يتمثل في أمين الأمناء والأمين والمعلم والصانع والمتعلم. وعلى ضوء المعطيات الّتي دونت في الوثائق اتضح أن هناك بعض الحرف متوارثة في العائلة الأندلسية الواحدة، خاصّة المهن المربحة كالبناء والحرّارة وصناعة الشواشي، وتنتقل إما من الأب إلى الابن ومن الأخ الأكبر إلى الأخ الأصغر.

24 ـ نتج عن خضوع بلاد المغرب والأندلس ابتداءً من القرن 5هـ/11م لسلطة المرابطين ثم الموحدين انتقال الكثير من الصنائع والحرف بين هاته الدول، وتميّزت بالتنوع الكبير والتشابه. فقد عرف المغرب الأوسط صناعات مختلفة كانت شائعة في الأندلس، غير أن هذه الأخيرة عرفت تطورا ملحوظا. لكن بعد سقوط الأندلس في القرن 9هـ/15م ونزوح الكثير من الأندلسيين إلى الجزائر الّتي كانت تحت السلطة العثمانية عرفت هاته الصناعات دفعا محسوسا بفضل مهارات وخبرات هؤلاء المهجَّرين، فعملوا على تطوير بعض الصناعات الّتي كانت موجودة قبل حلولهم، وفي نفس الوقت أدخلوا الكثير من المهن والصنائع الجديدة، جذورها مشرقية أموية وعباسية، دخلت إلى الأندلس عن طريق انتقال الخلافة الأموية من الشام إلى قرطبة، وعن طريق انتقال زرياب من بغداد إلى الأندلس أيام العباسيين. فكانوا بمثابة همزة وصل بين المشرق والمغرب.

الببليوغرافيا

أولا: قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية

1 ـ وثائق الأرشيف: سلسلة سجلات المحاكم الشرعية

رقم العلبة	رقم الوثيقة	رقم العلبة	رقم الوثيقة	رقم العلبة	رقم الوثيقة
5	5	1/45	45	89 - 88	32
2/5	5	1/47	47	89	10
1/9	3	1/48	48	97 - 96	45
2/9	23	49	9	98	34
2/9	38	49	34	100 - 99	6
2/9	39	50	22	100 - 99	12
1/10	10	54	21	100 - 99	54
2/13	13	58	2	100 - 99	60
1/16	16	62	31	2/ 101	5
2/16	16	63	69	102 - 101	23
23	32	73 - 72	32	102 - 101	64
30 - 29	14	73 - 72	59	116	11
35	15	77 - 76	22	116	19
35	22	97 - 96	46	118 - 117	24
1/37	37	80	1	120 - 119	3
38	5	82	2	120 - 119	17
44	3	87	55	120 - 119	37
44	26	88	15	120 - 119	38
44	98	88	23	122	6

رقم العلبة	رقم الوثيقة	رقم العلبة	رقم الوثيقة	رقم العلبة	رقم الوثيقة
123	4	141	41	150	22
123	22	142	29		
123	39	145	13		
124 - 125	1	146 - 147	14		
124 - 125	48	146 - 147	37		

2 . المخطوطات

- إبراهيم بن أحمد غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي، العز والمنافع في سبيل الله للمجاهدين بالمدافع، مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم1115.
- بيري ريس، كتاب البحرية، آيا صوفيا، CD1553، 1535 N°
- الشويحات عبد الله محمد، قانون على أسواق مدينة الجزائر، مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1378.

3. المصادر المطبوعة

- القرآن الكريم
- ابن أبي دينار محمد (ت. بعد 1110هـ/1698م)، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، (د. م)، 1286هـ.
- ابن بطوطة محمد بن عبد الله (ت.779هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة تحفة النُّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الجزء 2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1989م.
- ابن البيطار (ت.646هـ/1248م)، تنقيح الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، تحقيق: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- ابن حوقل أبي القاسم (ق. 4هـ/10م)، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت).

ـ ابن الخطيب لسان الدين (ت.776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، الجزء1، مصر، (د.ت).

ـ ابن خلدون عبد الرحمن(ت.808هـ/1406م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر، المجلد 11، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1999.

ـ ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002.

ـ ابن خلدون يحي، (ت. 780هـ/1378م)، بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزء 1، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر،1980م.

ـ ابن سحنون علي (ت. بعد 1211هـ/1796م)، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، وزارة التعليم الأصلي، قسنطينة، 1973.

ـ ابن مريم عبد الله (ت. حوالي 1020هـ/1611م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.

ـ ابن منظور جمال الدين (ت. 562هـ/1166م)، لسان العرب المحيط، المجلد. 1 ـ 13، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت، 1988م.

ـ ابن ميمون محمد (ت. بعد 1159هـ/1746م)، التحفة المرضيّة في الدّولة البكداشيّة في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، الطبعة 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د. ت).

ـ الإدريسي الشريف (ت. حوالي558 هـ/1163م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، صححه ونشره: هنري بيريس، الجزائر، 1957.

ـ البكري عبيد الله، (ت.487هـ/1094م) كتاب المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فانليوفن وأندري فيري، الجزء 2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992.

ـ الحجري أحمد بن قاسم، (ت. بعد 1051هـ/1641م)، رحلة أفوقاي الأندلسي مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب، تحقيق: محمد رزق، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2004.

ـ خوجة حمدان، (ت. 1262هـ/1845م)، المرآة، تعريب: محمد العربي الزبيري، الجزائر 2007.

ـ الزهار أحمد الشريف (ت. 1289هـ/1872م)، مذكرات الحاج الشريف الزهار، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974.

ـ شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816 ــ 1824)، ترجمة: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

ـ العياشي أبو سالم (ت. 1090هـ/1681م)، الرحلة العياشية 1661م ـ 1663م، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، المجلد 1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006.

ـ الغبريني أحمد (ت. 704هـ/1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: رابح بونار، الطبعة 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

ـ فونمالتسان هاينرتيس، ثلاث سنوات إقامة في شمال غرب إفريقيا، ترجمة: أبو العيد دودو، الجزء 1، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، 1973، الجزائر.

ـ القلقشندي أحمد بن علي (ت. 821هـ/1418م) ، صبح الأعشى في صناعة الانشا، شرح وتعليق: نبيل خالد الطيب، الجزء 5 ـ 6، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006.

ـ مارمول كربخال (ق. 10هـ/16م)، إفريقيا، ترجمة: محمد حجّي وآخرون، الجزء 2 ، مكتبة المعارف، الرباط، 1989.

ـ المقري أحمد، (ت. 1041هـ/1632م)، كتاب أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، الجزء 1، القاهرة، 1939م.

ـ المقري أحمد، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، تحقيق: إحسان عباس، المجلد 1 ـ 4، دار صادر، بيروت، 1988.

ـ الوزان حسن (ت. 944هـ/1537م)، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، الجزء 1 ـ 2، الطبعة 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

ـ الونشريسي أحمد بن يحي (ت. 914هـ/1508م)، المعّيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه: جماعة من الفقهاء، إشراف: محمد حجي، الجزء 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

ـ رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، المجلد 1، القسم الرياضي، دار صادر، بيروت، 1957م.

ـ مجهول، كتاب غزوات عروج وخير الدين، تحقيق: نور الدين عبد القادر، الجزائر، 1934.

ـ مجهول، مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة (469هـ ـ 483هـ) المسمّاة بكتاب " التبيان، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1955.

ـ مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأخبار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.

ـ مجهول، نُبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب، تحقيق: الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينبة، (د. م)، 2002 م.

4. المراجع

ـ أرسلان شكيب، حاضر العالم الإسلامي، الجزء 2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002.

ـ الباشا حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية، القاهرة، 1989.

ـ باكار أندريه، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، الجزء 2، دار تولي، باريس 1981.

ـ براهامي نصر الدين ونقادي محمد، تلمسان الذاكرة، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.

ـ بركات مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية دراسة في تطور الألقاب منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق المخطوطات، 1517م ـ 1924م، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.

ـ برنيان أندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة: رابح سطمبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1984.

ـ بعيزيق صالح، بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية ، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006.

ـ بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

ـ بلحميسي مولاي، مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليليين، الإتحاد الوطني للزوايا الجزائرية منشورات المجلس العلمي، الجزائر، 2005.

- بلقاضي أحمد، القل عروس جبال الرحمن، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- بن بلة علي، المشغولات الخشبية الفنّية بقصور قصبة مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، منشورات سيرتا للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
- بن حموش مصطفى، المدينة والسلطة في الإسلام نموذج الجزائر في العهد العثماني، دار البشائر، دمشق، 1999م.
- بن نايف وجدان، الأمويون العباسيون الأندلسيون، دار البشير للنشر، عمان، الأردن، 1988 م.
- بن نايف وجدان، سلسلة التعريف بالفن الإسلامي، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د. ت).
- بن نعمان إسماعيل، مدينة دلّس (تدلّس) دراسة تاريخية وأثرية خلال العهد الإسلامي، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، 2011.
- بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1977.
- بورويبة رشيد، قسنطينة، سلسلة الفن والثقافة، الجزائر، 1978.
- بوعزيز يحي، وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985.
- التهامي عائشة عبد العزيز، النسيج في العالم الإسلامي منذ القرن (8هـ - 11هـ/ 14م - 17م) دراسة أثرية فنية، الطبعة 3، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2003.
- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9 - 10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د. ت).
- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، الجزء 1- 4، دار الثقافة، بيروت، 1983.
- الحاج محمد صادق، مليانة ووليّها سيّدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1964.
- الحاجة دليلة، قسنطينة في التقطير، الجزائر، (د. م)، (د. ت).
- حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، الجزء 3 - 4، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

- حُسني حسن عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، الجزء 1، مكتبة المنار، تونس، 1964.
- حليمي عبد القادر، جغرافية الجزائر طبيعية ـ بشرية ـ اقتصادية، المطبعة العربية الجزائر، 1967.
- حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972.
- حمادي عبد الله، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، 1492 ـ 1616، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
- حنفي عائشة، الحلي الجزائرية بمدينة الجزائر في العهد العثماني، الجزء 1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013.
- حومد أسعد، محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدرسات والنشر، بيروت، 1980م.
- خلاصي علي، العمارة العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر، المتحف المركزي للجيش، الجزائر، 1985.
- خلاصي علي، القلاع والحصون في الجزائر المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث، الجزائر، 2008.
- خليفة ربيع حامد، الفنون الإسلامية في العصر العثماني، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001.
- درادكة صالح، الفن العربي الإسلامي، الجزء3، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1997.
- درياس لخضر، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة، الجزائر، 2007.
- دندش عصمت عبد اللطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحّدين عصر الطوائف الثاني 510 هـ ـ 546 هـ/1116م ـ 1151م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.
- ديفولكس ألبير، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، ترجمة وتحقيق: مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، أبو ظبي، 2004.
- رانسيمان ستيفن، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز جاويد، القاهرة، 1961.

ـ رزوق محمد، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 ـ 17م، الطبعة 2، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1998م.

ـ روجيه إدريس الهادي، الدّولة الصّنهاجيّة تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 م إلى القرن 12م، ترجمة: حمادي الساحلي، الجزء 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

ـ الزبيري العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين 1792 و1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

ـ الزّحيلي وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، الجزء 8، الطبعة 2، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، 1985.

ـ زهران محمد أحمد، فنون أشغال المعادن والتحف، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965.

ـ سبنسير وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

ـ سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الطبعة 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

ـ سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.

ـ سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900م ـ 1930م، الجزء 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

ـ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 1 ـ 8، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

ـ سعد الله فوزي، قصبة الجزائر..الذاكرة، الحاضرة والخواطر، دار المعرفة، الجزائر، 2007.

ـ سعد الله فوزي، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، الجزء 1 ـ 2، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.

ـ سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800 ـ 1830، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

ـ سعيدوني ناصر الدين والشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، الجزء 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- سعيدوني ناصر الدين، موظفو الدولة الجزائرية في القرن التاسع عشر، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984.
- سعيدوني ناصر الدين، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية في الملكيّة والوقف والجباية الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
- سعيدوني ناصر الدين، دراسات أندلسية مظاهر التّأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، الطبعة 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.
- سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- سعيدوني ناصر الدين، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني من القرن 17م إلى القرن 19م، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- سفطي أحمد، دراسات في الموسيقى الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- سليمان محمود حسن، ليبيا بين الماضي والحاضر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1962.
- سيد علي مبارك مريم ، مدينة القليعة عنق الجمل، دار المعرفة، الجزائر، 2010.
- شريد حورية، تاريخ الجزائر من خلال المسكوكات، المتحف الوطني للآثار القديمة، الجزائر،2007.
- شوفالييه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510 ـ 1541م، ترجمة: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د. ت).
- الطمار محمد بن عمرو، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- الطوخي أحمد محمد، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الدولة، الإسكندرية، 1997.
- طيان شريفة، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، دار المعرفة، الجزائر، 2011.

ـ عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965.

ـ عقاب محمد الطيب، الأخوان عروج وخير الدين، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1985.

ـ عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 1999.

ـ عمران محمود سعيد، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، دار النهضة العربية، بيروت، 2002م.

ـ عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، الجزء 2، دار المعرفة، الجزائر، 2007.

ـ عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس العصر الرابع نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ، مطبعة المدني، مصر، 1997م.

ـ غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700 ـ 1830 مقاربة اجتماعية ـ اقتصادية، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007.

ـ فارس بشر، سرّ الزخرفة الإسلامية، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الإسلامية، القاهرة، 1952.

ـ فريد بك محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: حسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1988.

ـ فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية، الجزء 1 ـ 2، الجزائر، 2007.

ـ قشتيليو محمد، حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها، (د.م)، 2001.

ـ قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619م ـ 1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م.

ـ كامل حيدر، العمارة العربية الإسلامية نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي، دار الفكر العربي، بيروت، 1995م.

ـ الكريم ضياء جاد والعمري آمال أحمد، العمارة الإسلامية دراسة في عمارة المنشآت التجارية في القرن التاسع عشر الميلادي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011.

ـ كندرمان هانس، مصطلح السفينة عند العرب، ترجمة: نجم الله مصطفى، شركة أبو ظبي للطباعة والنشر، الإمارات العربية المتحدة، 2002، ص. 148.
ـ لومبار موريس، الإسلام في مجده الأول، ترجمة: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
ـ ليفي بروفنسال، تطور الأندلس، (د. م)، (د. ت).
ـ ماهر سعاد، النسيج الإسلامي، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، القاهرة، 1977.
ـ ماهر سعاد، الفنون الإسلامية، الطبعة 2، هلا للنشر والتوزيع، مصر، 2002.
ـ ماهر سعاد، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، القاهرة، (د. ت).
ـ المدني أحمد توفيق ، محمد عثمان باشا داي الجزائر، الجزائر، 1937م.
ـ المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 ـ 1792م، دار البصائر، الجزائر، 2007.
ـ مرزوق عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في العهد العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974.
ـ مرزوق محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، (د. ت).
ـ موسى عزّ الدين أحمد، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشرق، بيروت، 1983م.
ـ مونتغمري موات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة: محمد رضا المصري، الطبعة 2، لبنان، 1998.
ـ هلايلي حنيفي، أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي، دار الهدى، الجزائر، 2010.
ـ الولي الشيخ طه، المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1988م.
ـ ونيش فريدة، المجوهرات والحلي في الجزائر، سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1976.
ـ وولف جون، الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- يحياوي جمال، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين 1492 - 1610م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- يلس جلول والحفناوي امقران، التراث الغنائي الجزائري الموشحات والأزجال، الجزء 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت).
- الحلي الجزائرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1990.
- مجموعة من المؤلفين، المدية مهد الحضارة وشذى الأصالة، (د.م)، (د.ت).
- مناهل الأدب العربي، الموشحات الأندلسية، مكتبة صادر، بيروت، 1949.

5. المقالات

- آيت سعيد نبيلة وبن مصباح مليكة، "مطابخ بيوت مدينة الجزائر في الفترة العثمانية"، في كتالوج: من إيكوسيم إلى الجزائر، الجزائر، 2007. ص. 73 - 75.
- بلحميسي مولاي، "غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر"، مجلة الأصالة"، العدد8، 1972، ص. 91 - 111.
- بلحميسي مولاي، "مدينة مليانة عبر العصور"، مجلة الأصالة، العدد 8، 1972م، ص. 139 - 153.
- بلحميسي مولاي، "صناعة السفن في الجزائر أيام الأتراك (ق. 16 - 19)"، مجلة الدراسات الأثرية، العدد 3، 1995، ص. 47 - 72.
- بن حفري شكيب، " موقف الدولة العثمانية من الجالية الأندلسية بالجزائر 1571م - 1573م"، المؤتمر الدولي الخامس للدراسات الموريسكية الأندلسية، تونس، 1992. ص. 31 - 52.
– بن كردرة زهية، "الشواهد العبرية بالمتحف الوطني للآثار"، حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد 5، 1996، ص. 33 - 48.
- بورابة لطيفة، "المركبات اللونية على التحف الخشبية لدور مدينة الجزائر (دراسة نموذجية)"، مجلة آثار، عدد خاص، أعمال الملتقى الوطني خمسون سنة من البحث الأثري في الجزائر، 2012، ص. 31 - 42.
- بوعزيز يحي، "ماضي مدينة وهران وأمجادها التاريخية"، مجلة الثقافة، العدد 52، 1979م، ص.29 - 57.

ـ بولنز لوسي، "نباتات الصباغة والنسيج قطاع زراعي مزدهر في الأندلس قوامه القطن والعظلم (الباستيل) (من القرن الخامس إلى السابع الهجري من الحادي عشر إلى الثالث عشر الميلادي)"، في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، الجزء 2، بيروت، 1998. ص. 1385 ـ 1410.

ـ التلمساني محمد الجديري، "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين غارت عليها جنود الكفرة"، تحقيق: سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 3، 1967، ص. 2 ـ 32.

ـ التميمي عبد الجليل، "رسالة من مسلمي غرناطة إلى سليمان القانوني سنة 1541م"، المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، العدد 3، 1975، ص. 37 ـ 46.

ـ التميمي عبد الجليل، " أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م" المجلة التاريخية المغربية، العدد 6، 1976، 116 ـ 120.

ـ التميمي عبد الجليل، "رسالة من السلطان العثماني أحمد الأول إلى دوج البندقية حول الموريسكيين"، المجلة التاريخية المغربية (للعهد الحديث والمعاصر)، العدد 7 ـ 8، 1977م، ص. 7 ـ 14.

ـ التميمي عبد الجليل، "الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين"، المجلة التاريخية المغربية (للعهد الحديث والمعاصر)، العدد 23 ـ 24، 1981، ص. 187 ـ 203.

ـ الجيلالي عبد الرحمن، " تحقيق موقع مدينة برشك"، مجلة الأصالة، العدد 23، 1975، ص. 76 ـ 77.

ـ حداد زهور،" صندوق العروس"، في كتالوج: الحياة اليومية في الجزائر، الجزائر 2007. ص. 46 ـ 49.

ـ حنفي عائشة، " لباس الرأس والقدم لرجال مدينة الجزائر في العهد العثماني" ، حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد 11، 2002، ص. 47 ـ 71.

ـ خالدي محمد، " أسباب ازدهار فن النحت على النحاس في تلمسان دراسة وضعية تاريخية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 15، 2010، ص. 189 ـ 197.

ـ الدبابي سهام، " تهذيب المائدة في الأندلس "، المجلة العربية للثقافة، العدد 14، 1994، ص. 165 ـ 175.

- دريسي راضية، " أسجاف مدينة الجزائر طرز ذو فن وتايخ"، في كتالوج: الحياة اليومية في مدينة الجزائر، الجزائر، 2007، ص. 28 ـ 33

- دهاش الصادق ، "تضامن الجزائر مع مسلمي الأندلس أيام المحنة الكبرى 1492 م ـ 1640م"، حوليات جامعة الجزائر، العدد 14، 2001، ص. 22 ـ 28.

- دهينة عطا الله، " مساعدة الزيانيين لمسلمي الأندلس "، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 13 ، 1976، ص. 7 ـ 17.

- دي ايبامزا ميكال، " حول ثلاثة أحداث غير معروفة من العلاقات التاريخية بين عنابة وإسبانيا"، ترجمة: عبد الحميد حاجيات، مجلة الأصالة، العدد 34 ـ 35، 1976، ص. 110 ـ 121.

- الرّباط ناصر، "مقدمة لتطور السوق بمدينة دمشق من القرن السابع حتى القرن التاسع عشر ميلادي"، الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 38 ـ 39، 1988ـ 1989، ص. 75 ـ 104.

- سانشيز إكسبيراثيون غارثيا، "الزراعة في إسبانيا المسلمة"، في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، الجزء 2، بيروت، 1998. ص. 1367 ـ 1384.

- سعيدوني ناصر الدين، " الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهد العثماني"، مجلة الأصالة، العدد 34 ـ 35، 1976م، ص. 86 ـ 103.

- سعيدوني ناصر الدين سعيدوني، " الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالجزائر (أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي)"، مجلة الأصالة، العدد 89 ـ 90، 1981، ص. 85 ـ 107.

- سعيدوني ناصر الدين، " الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 39 ـ 40، 1985، ص. 431 ـ 443.

- سعيدوني ناصر الدين، " فحص مدينة الجزائر (نوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية عشية الاحتلال) "، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 1، 1986م ، ص. 91 ـ 100.

- سعيدوني ناصر الدين، " من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر الشبكة المائية في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 9، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1995، ص. 61 ـ 81.

- شريد حورية، "مصير أبي عبد الله المشهور ببو عبديل"، حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد 5، 1996، ص. 8 - 17.

- شريد حورية، "الأسطة موسى الأندلسي"، حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد 7، 1998م، ص. 26 - 32.

- شريد حورية، "دار السلطان (قصر الجنينة)" حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد 8، 1999م، ص. 47 - 69.

- شريد حورية، " حساب الجمل"، حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد 9 ، 2000م، ص. 24 - 46.

- شريد حورية، "صناعة وألفاظ الآنية الجزائرية في العهد العثماني - السني نموذجا- ، دراسات تراثية، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط/ الجزائر، العدد 3، 2009، ص. 215 - 239.

- الصباغ ليلى، " ثورة مسلمي غرناطة عام 976هـ أواخر عام 1568م والدولة العثمانية" ، مجلة الأصالة، العدد 27، 1975 ، ص. 116 – 175.

- الطالبي محمد، "الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين"، مجلة الأصالة، العدد 26، 1975، ص. 46 – 83.

- طيان شريفة ،" فن التطريز الحريري بمدينة الجزائر في العهد العثماني" مجلة آثار، العدد 6، 2007، ص. 119 - 126.

- طيان شريفة، "ملابس المرأة وأزياؤها بمدينة الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 15 - 16، 2012 - 2013، ص. 210 - 222.

- عاشوري ساجية، " لباس وحلي المرأة بمدينة الجزائر"، في كتالوج: من إيكوسيم إلى الجزائر، الجزائر، 2007. ص. 77 – 83.

- عاشوري ساجية، "صناعة الجلود بمدينة الجزائر في العهد العثماني"، في كتالوج: فن الفروسية في الجزائر القرن 18م و19م، وزارة الثقافة، المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة، (د. ت). ص. 15 - 17.

- العربي إسماعيل، "بجاية العاصمة الثانية للحماديين" مجلة الثقافة، العدد 18، 1973، ص. 23 - 38.

ـ عنان محمد عبد الله، " مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط" مجلة الأصالة، العدد 13، 1973، ص. 193 ـ 197.

ـ عنان محمد عبد الله، "موقف القسطنطينية وباقي العالم الإسلامي من سقوط الأندلس وآخر مسلميها وأمام الغزو الأوروبي للعالم الإسلامي عموما"، مجلة الأصالة، العدد 27، 1975، ص. 101 ـ 115.

ـ الفحام باقر، " الهندسة الزراعية "، مجلة المورد العدد الخاص (العلوم عند العرب)، المجلد 6، العدد 4، 1977، ص. 222 ـ 226.

ـ الكعاك عثمان، " عنابة قبل الإسلام"، مجلة الأصالة، العدد 34 ـ 35، 1976، ص. 40 ـ 65.

ـ مرابط ليلى، "باروديتان محفوظتان بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية" حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد 15، 2005، ص. 125 ـ 138.

ـ مرابط ليلى، "صندوق العروس"، في كتالوج: من إيكوسيم إلى الجزائر، الجزائر، 2007، ص. 210.

ـ مكي محمود، " تاريخ الأندلس السياسي92 هـ ـ 897هـ/711م ـ 1492م"، في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، الجزء 1، الطبعة 2، لبنان، 1999، ص. 55 ـ 150.

ـ المنوني محمد " ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة" ، أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1979، ص. 75 ـ 113.

ـ هارفي ليونارد باتريك، "تاريخ الموريسكيين السياسي الاجتماعي والثقافي، في الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس"، الجزء 1، الطبعة 2، لبنان، 1999. ص.317 ـ 357.

ـ وينز دافيد، " فنون الطبخ في الأندلس"، في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، الجزء 2، بيروت، 1998. ص. 1019 ـ 1037

6. المعاجم والموسوعات

ـ دوزي رينهات، المعجم المفصّل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2012م.

ـ رجب عبد الجواد إبراهيم ، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، دار الآفاق العربية، 2002م.
ـ زبيب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، الجزء 3، دار الأمير للثقافة والعلوم بيروت، 1995.
ـ السيّداّي شير، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، مكتبة لبنان، بيروت، 1990.
ـ شاكر أحمد محمد، "التقية"، موجز دائرة المعارف الإسلامية، الجزء 8، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998، ص. 2358 ـ 2363.
ـ عاصم محمد رزق، معجم مصلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، 2000.
ـ غربال محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد 1 ـ 2، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، (د.م)، 1995م.
ـ الفيروزبادي مجد الدين، القاموس المحيط، الجزء. 4، مؤسسة فن الطباعة، مصر، 1913.
ـ معلوف لويس، المنجد في اللغة والأدب والفنون، الطبعة 18، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، (د. ت).
ـ مجمع اللغة العربية، قاموس المعجم الوسيط، الطبعة 4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004.
ـ الموسوعة العسكرية، الجزء1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977.

7 . الرسائل الجامعية

ـ بلجوزي بوعبد الله، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، رسالة لنيل شهادة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005 ـ 2006.
ـ بلغيث محمد الأمين، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2002 ـ 2003.
ـ بن شامة سعاد، المنشآت المعمارية الأثرية بمدينة البليدة في العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008 ـ 2009.

ـ بن شامة سعاد، المعالم الأثرية في مدن الوسط الجزائري شرشال . البليدة ـ القليعة ومظاهر التمدن الأندلسي، دراسة وصفية تحليلية ـ أنموذجية ـ أطروحة لنيل شهاداة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2014 ـ 2015.

ـ بن كردرة زهية، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2000.

ـ بورابة لطيفة، التصوير في سقوف المنشآت المدنية في العهد العثماني بمدينة الجزائر والمدن السورية (حلب ودمشق) دراسة أثرية فنية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008 ـ 2009.

ـ بوطبة محفوظ، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007 ـ 2008.

ـ بوغوفالة ودان، أوقاف مليانة والمدية في العهد العثماني دراسة في النشاط الاقتصادي والبنية الاجتماعية والحياة الثقافية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2006 ـ 2007.

ـ الحداد سعاد، دراسة مجموعة الأسلحة الخفيفة للفترة العثمانية المحفوظة بمتحف الآثار القديمة دراسة أثرية فنية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2010 ـ 2011.

ـ دحدوح عبد القادر، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني دراسة عمرانية أثرية، مذكرة لنيل شهاداة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2009 ـ 2010.

ـ سرحان حليم، تطور صناعة السفن الحربية بالجزائر على عهد العثمانيين (920هـ ـ 1246هـ) (1514م ـ 1830م) من خلال المصادر التاريخية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007 ـ 2008.

ـ شريد حورية، تطور المطبخ المغربي وتجهيزاته من عصر المرابطين إلى نهاية العصر العثماني (دراسة تاريحية و أثرية)، الجزء 1 ـ 2 ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2010 ـ 2011.

ـ طوبال نجوى، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر ما بين (1700م ـ 1830م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004 ـ 2005.

ـ طيان شريفة، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1991.

ـ طيبي مهدية، مقاربة للوضع الإجتماعي والاقتصادي لأهل الأندلس بمدينة الجزائر القرن (17م/18م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008 ـ 2009.

ـ لعزازي عتيق رفيقة، مواد وتقنيات البناء خلال العهد العثماني بالجزائر، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2012 ـ 2013.

ـ مرابط ليلى، الكتابات الشاهدية الزيانية 8 ـ 10 هـ/14 ـ 16م ـ مجموعة متحف تلمسان ـ (دراسة أثرية تحليلية)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2001 ـ 2002.

ـ مرابط ليلى، الكتابات الوقفية بالمغرب الأوسط من القرن السابع إلى الثالث عشر الهجريين/ القرن الثالث عشر إلى التاسع عشر الميلاديين، ـ دراسة تاريخية أثرية ـ ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2015 ـ 2016.

ـ مظهر سهيلة، الطراز الموريسكي الجديد في مدينة الجزائر في بداية القرن العشرين النموذج: دار جريدة لاديبيش الجزائرية دراسة وصفية تحليلية، رسالة لنيل شهادة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008 ـ 2009.

ـ مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية (920 هـ ـ 1246هـ/ 1514م ـ 1830م) دراسة أثرية معمارية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، 20014 ـ 20015.

8 . المواقع الإلكترونية

ـ بلغيث محمد الأمين، الأندلسيون وآثارهم بفحص الجزائر ومتيجة، نسخة إلكترونية، مدونتي الجامعية / المدونة البوعنانية، https://m. facebook. Com prmalik

ثانيا: قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

1. المصادر:

- Arvieux Ch., Mémoires du chevalier d'Arvieux, tome 5, Paris, 1735.
- Dan P., Histoire de barbarie et de ses corsaires des royaumes et des villes d'Alger, de Tunis, de Salé, et de Tripoli, tome II, 2éme éditions, Paris, 1649.
- Dapper O., Description de l'Afrique, Amsterdam, 1686.
- Davity P., Description générale de l'Afrique, Paris, 1660.
- Haedo F. D., Histoire des Rois d'Alger, traduction H.- D. de Grammont, éditions. Bouchène, Paris, 1998.
- Haedo F. D.,Topographie et histoire générale d'Alger, traduction Monnereau et Berbrugger, éditions Bouchène, 1998.
- Laugier De Tassy., Histoire du royaume d'Alger, éditions Loysel, Paris, 1992.
- Lessore E., et Wyld W., Voyage pittoresque dans la région d'Alger, Paris, 1835.
- Mascarenhas J. C., Esclave à Alger récit de captivité de Joao Mascarenhas (1621 – 1626), traduction Teyssier P, éditions Chandeigne, Paris, 1993.
- Nicolas de Nicolay., Les quatre premiers livres de navigation et de pérégrinations orientale, Lyon, 1568.
- Pananti F., Relation d'un séjour à Alger, Paris, 1820.
- Peyssonnel J. A., Voyage dans les régences de Tunis et d'Alger, éditions la découverte, Paris, 1987.
- Renaudot M., Alger. Tableau du royaume de la ville d'Alger et de ses environs, état de son commerce de ses forces de terre et de mer ; description des mœurs et des usages du pays. Librairie universelle, Paris, 1830.
- Rozet M, Voyage dans la régence d'Alger, tome 2 et 3, Paris, 1833.
- Sanson N., L'Afrique, Paris, 1656.
- Shaw Th., Voyage dans la régence d'Alger ou description géographique, physique, philologique de cet état, traduction Mac. Carthy, Paris, 1830.

2. المراجع:

- Amoura A., Résumé de l'histoire de l'Algérie, éditions Raihana, 2002.

- Aouf M., Le costume traditionnel Algérien, Alger, 2004.
- Ariè R., L’Espagne musulmane au temps des Nasrides (1232 – 1492), Paris, 1990.
- Arseven C. E., Les arts décoratifs turcs, Milli Egitim Basimevi, Istanbul, S. D.
- Baghli O., Chaussures traditionnelles algériennes, SNED, Alger, 1977.
- Bel A ., et Ricard P., Le travail de la laine à Tlemcen, typographie Adolphe jourdan, Alger, 1913.
- Belhamissi M., Histoire de Mostaganem, CNEH, Alger, 1976.
- Belhamissi M., Marine et marins d’Alger (1518 – 1830), les navires et les hommes, Tome 1, bibliothèque nationale d’Algérie, 1996.
- Belhamissi M., Alger à travers ses eaux XVIème – XIX ème siècle, ministère de la communication et de la culture, Alger, 2004.
- Belkaid L., Algéroise : Histoire d’un costume méditerranéen, Edisud, 1998.
- Ben cheneb M., Mots turks et persans conservés dans le parler algérien, Alger, 1922.
- Ben foughal T., les costumes féminins de Tunisie, entreprise national des arts graphiques, Alger, 1983.
- Berbrugger A., Algérie, Historique, pittoresque et monumentale, 1ère partie, province d’Alger, Paris, 1843.
- Berthézène M., Dis huit mois à Alger ou récits des événements qui s’y sont passés depuis le 14 juin 1830, jour du débarquement de l’armée française, jusqu'à la fin de décembre 1831, Montpellier, 1934.
- Bontems C., Manuel des institutions Algériennes de la domination Turque à l’indépendance, la domination turque et le régime militaire, 1518 - 1870,tome 1, éditions Cuja, France, 1976.
- Borras Gualis G.M., L’art Mudéjar, l’esthétique islamique dans l’art chrétien, éditions Edisud, Aix - en - Provence, France, 2000.
- Boyer P., La vie quotidienne à Alger à la veille de l’intervention française, Paris, 1963.
- Braudel F., La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, tome 2, Paris, 1990.
- Camps – Fabrer H., les bijoux berbères d’Algérie grande Kabylie – Aurès, Edisud, Aix –en- Provence, 1990.

- Cardaillac L, Morisques et chrétiens, un affrontement polémique (1492-1640), Paris, 1977.
- Channu P., L’Espagne de Charles Quint, tome 1, Paris, 1973.
- Chergui S., Les mosquées d’Alger construire, gérer et conserver (XV[Ie] – XI[Xe] siècle), P.U.P.S., 2011.
- Cherif –Seffadj N., Les bains d’Alger durant la période Ottomane (XVI[e] XIX[e] siècle), P.U.P.S., 2008.
- Colin G., Corpus des inscriptions arabes et turques de l’Algérie, Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1901.
- Delaye A., Notions pratiques de tissage manuel sur métier à hautes lisses, Alger, 1928.
- Devoulx A., Tachrifat recueil de notes historiques sur l’administration de l’ancienne régence d’Alger, imprimerie du gouvernement , Alger, 1852.
- Devoulx A., Epigraphie indigéne du musée archéologique d’Alger suivi d’un musée mural à Alger, Alger, 1874.
- Drici R., la dentelle collection du musée national des arts et traditions populaires, Alger, S. D.
- Estry S., Histoire d’Alger depuis les temps les plus reculés jusqu’ à nos jours, Tours, 1845.
- Eudel P., L’orfèvrerie algérienne et tunisienne, Alger, 1902.
- Feydeau F., Alger, éditions Calman Lévy, Paris, 1884.
- Fraigneau A., La maison mauresque, S. L, S. D.
- Gaid M., L’Algérie sous les turcs, éditons. Mimouni, Alger, 1974.
- Garayon G.,Le travail artistique du bois en Algérie, imprimerie fontanas, Alger, S.D.
- Gast M.et Assié Y., Des coffres puniques aux coffres Kabyles, Paris, 1993.
- Giacobetti P., Les tapis et tissages du djebel - Amour., Paris, 1932.
- Guiauchain G., Alger, imprimerie algérienne, Alger, 1909.
- Golvin L., Les arts populaires en Algérie, tome I et II , Alger, 1953.
- Golvin L., La madrassa médiévale, Edisud, Aix-en- Provence, 1995.
- Gonzalez V., Emaux d’al – Andalus et du Maghreb, Edisud, 1994, p. 22.
- Gsell St., Les industries d’art indigène en Algérie, Alger, 1903.
- Julien Ch. A., Histoire de L’Afrique du Nord Tunisie- Algérie- Maroc, Paris. 1931.

- Kaddache M., L'Algérie durant la période Ottomane, O. P. U., Alger, 1991.
- Klein, Feuillets d'al Djazaiz, Alger, 1937.
- Laloë G., Enquête sur le travail des femmes indigènes à Alger, Alger, 1910.
- Lamay M., Le cuir, Paris, 1996.
- Lapeyre H., Géographie de l'Espagne morisque, Paris, 1959.
- Lespès R., Alger étude de géographie et d'histoire urbaine, librairie Félix Alcan, Paris, 1930.
- Lespes R., Pour comprendre l'Algérie, Alger, 1937.
- Letourneau R., La régence d'Alger et le monde Turc, syndicat national des instituteurs, Alger, 1953.
- Lévi – Provençal E, Histoire de l'Espagne musulmane, tome 3, éditions G ,- P Maisonneuve, Paris, 1953.
- Lombard M., Les textiles dans le monde musulman du 7 au 12 ème siécle, Paris, la Haye, New York, 1978.
- Maméria Z., Le hammam en terre d'Islam, éditions Dalimen, Alger, 2015.
- Marçais G., L'art en Algérie, Alger, 1906.
- Marçais G., Le costume musulman d'Alger, Paris, 1930.
- Marçais G., Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman, tome 1, imprimerie officielle, Paris, 1957.
- Marçais G., Les bijoux musulmans de l'Afrique du Nord, imprimerie officielle, Alger, 1958.
- Marçais W., Textes arabes de Tanger, transcription, traduction annotée, glossaire. Paris, 1911.
- Mary G., Musée national des antiquités algérienne, tome 2, Alger, S.D.
- Massignon L., Les corps de métiers et la cité islamique, Beirut, 1963.
- Missoum S., Alger Ottomane: la médina et la maison traditionnelle, Alger, 2003.
- Monlaü J., Les états barbaresques Que sais- je ?, P.U.F., Paris, 1964 .
- Quin Ch., La poterie, Paris, S. D.
- Ravéreau A., La casbah d'Alger et le site créa la ville, Sindbad, Paris, 1989.

- Raymond A., Grandes villes arabes à l'époque Ottomane, Sindbad, Paris, 1885.
- Rhodes D., Terres et glaçures, dessain et tolra, Parid, S. D.
- Ricard P., Dentelles algérienne et marocaine, éditions Larose, Paris. 1928.
- Saidouni N., L'Algérois rural à la fin de L'époque Ottomane (1791- 1330), dar al- Gharb al- islami, Beyrouth, 2001.
- Saidouni N., Le Waqf en Algérie à l'époque ottomane XIe – XIIIe siècles de Hégire XVIIe – XIXe siècles, Koweit, 2009.
- Shuval T., La ville d'Alger vers la fin du XVIII ème siècle population et cadre urbain, France, 1998.
- Trumelet C., Blida récit selon légende, la tradition, et l'histoire, tome 1 Alger, 1887.
- Vackon M., Les industries d'art indigènes en Algérie, Alger, 1902.
- Vernet J et Martinez Martin L ., Al- Andalus el islam en Espana, Spain, 1987.
- Yacono X., Histoire de l'Algérie de la fin de la régence turque à l'insurrection de 1954, éditions l'atlanthrope, France, 1993.
- Anonyme, L'artisanat algérien, éditions Anep, 1997.
- Catalogue du trésor monétaire, fouille archéologique préventive place des Martyrs à Alger, centre national de recherche en archéologie, Alger, 2017.

3 . المقالات:

- Al – annabi M., « La chechia tunisienne », in Etudes sur les morisques andalous en Tunisie, direccion General de Relaciones Culturales, Madrid, 1973.p p:304 – 307.
- Ben cheneb M., « Itinéraire de Tlemcen à la Mecque par Ben Messaib », in Revue Africaine, n° 44, 1900, pp: 261- 282.
- Ben cheneb M., « Origine du mot chachiyya » in Revue Africaine., 1907, pp: 55- 56.
- Ben cheneb S., « Un acte de vente dressé à Alger en 1648 » in Revue Africaine, n° 89, tome 39, 1945, pp: 287 - 290.
- Berbrugger A., « Les casernes des janissaires à Alger » in Revue Africaine, 1858, pp: 132 - 138.

- Berbrugger A., « Des frontières de l’Algérie » in Revue Africaine, vol. 4, 1860, pp: 401 – 417.
- Berquet A, « La bourgeoisie Algérienne ou à la recherche de César Birotteau » in hespéris, tome 35, 1948, pp : 1- 29.
- Brahimi D , « Quelques jugements sur les maures andalous dans les régences turques au XVIII[e] siècle » in Revue d’histoire et de civilisation du Maghreb, n° 9, S.N.E.D., Alger, 1970, pp: 39 – 51.
- Braudel F., « L’économie de la méditerranée au XVIIe siècle » in Les Cahiers de Tunisie, n° 14, quatrième année, 1956, Tunis, pp: 175 – 197.
- Brosselard C., « Coudée royale a Tlemcen, épitaphe d’un grenadin mort à Tlemcen », in Revue Africaine, tome IV, 1859 – 1860, pp : 66 – 71.
- Cahen M., « Les juifs dans l’Afrique septentrionale » in Recueils des notices et mémoires se la société archéologique de Constantine, volume 11, 1867, pp : 102 – 208.
- Cardaillac L., « Problème morisque en Amérique », in Revue d’histoire maghrébine, n° 6, Tunis, 1976, pp: 223- 224.
- Chantreaux G., « Le tissage sur métier de haute lisse à Aït Hichem et dans le haut Sebaou » in Revue Africaine, 1941, pp: 78 - 116 .
- Chergui S., « Les morisques et l’effort de construction d’Alger aux XVII[e] et XVIII[e] siècle », in cahier de la méditerranée, 2009, p. 303 - 317.
- Daoulatli A. , « Inscription à la mosquée Andalouse d’El- ‘Aliya », in Etude sur les morisque andalous en Tunisie, direccion General de Relaciones Culturales, Madrid, 1973. pp : 285 – 290 .
- Devoulx A. , « Les édifices religieux de l’ancien Alger », in Revue Africaine, n° 67, Alger, 1868, pp: 278 – 280.
- Devoulx A., « La marine de la régence d’Alger », in Revue Africaine, n°. 73, 1869, pp: 384 – 420.
- Devoulx A, « La batterie des Andalous », in Revue Africaine, 1872, pp : 340 - 342.
- Devoulx A., «Notice sur les corporations religieuses d’Alger accompagnée de documents authentiques et inédits », extrait de la Revue Africaine, 1882, Alger, 1912.
- Eisenbth M., « Situation des juifs en Algérie et en Tunisie avant l’époque Turque », in Revue Africaine, 1952, pp : 126 - 187.
- Emerit M., « les quartiers commerçants d’Alger à l’époque Turque » in Alegria, n° 25, 1952, Alger, pp: 6 -13.

- Emerit M., « Voyage de la Condamine à Alger, 1731 », in Revue Africaine, n° 438- 439,1954, pp: 354 – 376.
- Epalza De M., « Moriscos et andalous en Tunisie au XVII[e] siècle », in Etudes sur les morisques abdalou en Tunisie, direccion General de Relaciones Culturales, Madrid, 1973, pp :150 – 186.
- Federmann H et Aucapitaine H « Notice sur l’histoire et l’administration du Beylik de Titeri , in Revue Africaine, n° 9, 1865, pp: 280 - 302.
- Féraud L.Ch.,«Histoire des villes de la province de Constantine », in Recueils des notices et mémoires de la sociétés archéologique de Constantine, Vol. 13, 1869, pp:85 - 407.
- Feraud L. Ch., « Les corporations de métiers à Constantine » in Rev. Afr., 1872, p. 451 – 454.
- Goichon A.M., « La broderie au fil d’or à Fès des rapports avec la broderie de soie ses accessoires de la passementerie » in Hespéris, 1939, pp: 48 - 85.
- Golvin L., « Le métier à la tire des fabricants de brocart à Fés », in Hespéris, t. 37, 1950, pp: 21 - 52
- Gsell St., « Vieilles exploitations minières dans l’ Afrique du Nord », in Héspéris, t. 8, 1928, Paris, pp: 1- 21.
- Jouin J., « Documents sur le costume des musulmans d’Espagne », in Revue Africaine, 1934, pp: 43 -46.
- Latham J. D., « Towards a study of Andalusian immigration and its place in Tunisian History » in Les Cahiers de Tunisie, n° 19 – 20, 1957, pp: 203- 249.
- Leclerc D. A., « Koukou l’ancienne capitale de la Kabylie », in Revue Africaine, 1857, pp: 153 – 155.
- Letourneau R., et autres, « La corporation des Tanneurs et l’industrie de la tannerie à Fés » in Hesperis, tome 20, 1935, pp : 167 – 240.
- Leveau Ph., « Chenoua » in Encyclopédie Berbère , XII, 1993, p. 1895.
- Mantran R., « La description des côtes de l’Algérie dans le kitab –i Bahriye de Peri Reis » in Revue de l’occident musulman et de la méditerranée, n° 15 – 16, 1973, pp: 159 - 168.
- Marçais G., « Les broderies turques d’Alger », in Ars islamica, vol.4,1937. pp : 145 – 153.

- Marçais G., « Remarques sur les medersa funéraires en berbérie, à propos de la Tachfimiya de Tlemcen », in Mélange Gandeffroy – Demmbynes, Caire, 1945. pp: 259 - 278
- Marçais G., « Testour et sa grande mosquée contribution à l'étude des Andalous en Tunisie », in Etude sur les morisque andalous en Tunisie, direccion General de Relaciones Culturales, Madrid, 1973, pp : 271 - 284.
- Mercier E., « Constantine avant la conquête française » in Recueils des notices et mémoires de la sociétés archéologique de Constantine, Volume 19, 1878,pp: 43 - 96.
- Missoum S., « Localisation de maisons de la communauté andalouse de la médina d'Alger » in environmen al design, XI th year, n° 13 – 14, 1993, pp : 44 – 49.
- Ougouag- Kezzal C., « Bref aperçu historique sur la broderie arabe, sur une vieille brodeuse au cœur d'Alger » in Lybica, tome 17, 1969 , Alger, pp : 343 - 348.
- Ougouag- Kezzal C., « Le costume et la parure de la mariée à Tlemcen » in Lybica, tome 18, 1970 , Alger, pp : 253 – 267.
- Pedrazzi T., « Le travail de la pourpre et des tissus », in les phéniciens en Algérie les voies du commerce entre la méditerranée et l'Afrique du noire, Alger, 2011, pp: 123 - 129.
- Penella J, « le transfert des Morisques Espagnols en Afrique du nord », in Etude sur les morisque andalous en Tunisie, direccion General de Relaciones Culturales, Madrid, 197 3, pp : 77 – 88.
- Ravenet E., « Un épisode de l'Expédition de 1541 contre Alger », in Revue Africaine., tome 83, 1939, pp: 303 – 322.
- Rossello Bordy G., « La céramique verte et brune en al – Andalous du X^{e} au XIII^{e} siècle » in Le vert et le brun de Kairouan à Avignon céramique du X au XV siècle, Paris, 1995, pp: 105 – 118.
- Terrasse H., « Notes sur l'origine des bijoux du sud marocain », in Hespéris., tome 21, 1930, pp: 125 – 130.
- Teyssier P., « Le vocabulaire d'origine espagnole dans l'industrie tunisienne de la chechia », in Etudes sur les morisques andalous en Tunisie, direccion General de Relaciones Culturales, Madrid, 197 3, pp :308 – 334.
- Venture de paradis, « Alger au XVIII Siècle », in Revue Africaine, vol. 39, 1895, pp: 265 – 314.

4 . المعاجم والموسوعات

- Beaussier M., Dictionnaire pratique arabe – français contenant tous les mots employés dans l’arabe parlé en Algérie et en Tunisie ainsi que dans le style épistolaire les pièces usuelles et les actes judiciaire, la maison des livres, Alger, 1958.
- Bel A., « Tilimsan » in Encyclopédie de l’islam, tome X, Brill, Leiden, G.- P. Maisonneuve et Larose, Leiden Brill, 2005, pp: 534- 535.
- Ben cheneb H., « Tanas » in Encyclopédie de l’islam, tome X, Brill, Leiden, G.- P Maisonneuve et Larose,, Paris, 1993, pp: 193 – 196.
- Chalmeta P., - « Mudéjar- Mudhakkar » in Encyclopédie de l’islam, tome VII, E. J. Brill, Leiden, G.- P. Maisonneuve et Larose, Paris, 1993, pp : 288- 291.
- Chebel M., Dictionnaire des symboles musulmans rites, mystique et civilisation , Albin Michel, Paris, 1995.
- Colin G., «Banika » in Encyclopédie de l’Islam, tome 1, Paris, 1975, pp:1047 -1048
- Colin G., « Barûd » in Encyclopédie de l’islam, tome1, Brill, Leiden, G.- P. Maisonneuve et Larose, Paris, 1975, p. 1087- 1101.
- Dietrich A., « Nuhas » in Encyclopédie de l’islam, tome VIII, E. J. Brill, Leiden, G.- P. Maisonneuve et Larose, Paris,1995, pp : 113 -114.
- Dozy R. , Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes, Amesterdam, 1849.
- Eudel P., Dictionnaire des bijoux de l’Afrique du nord, Ernest Leroux, Paris, 1906.
- Georgeon F., Dictionnaire de l’empire Ottoman, librairie Fayard, Italie, 2015.
- Leveau Ph., « Chenoua » in Encyclopédie Berbère, XII, 1993, p. 1895.
- Marçais G., « Wahran » in Encyclopédie de l’islam, tome XI, E. J. Brill, Leiden, G.- P. Maisonneuve et Larose, Leiden Brill, 2005, p. 55- 57.
- Ruska J., « Hadid » in Encyclopédie de l’islam, tome III, E. J. Brill, Leiden, G.- P. Maisonneuve et Larose, Paris, 1975, p. 23.
- Soliman O., Dictionario Espanol – Francés – Arabe, Liban, 1991
- Wiegers G. A., « Morisques » in Encyclopédie de l’islam, tome VII, E. J. Brill, Leiden, G.- P. Maisonneuve et Larose, Paris, 1993, pp: 243- 246.

- Yver G., « Djidjelli » in Encyclopédie de l'islam, tome II, E. J. Brill, Leiden, G.- P. Maisonneuve et Larose, Leiden Brill, 1977, pp: 550- 551.
- Yver G., « AL- Madiyya » in Encyclopédie de l'islam, tome. V, E. J. Brill, Leiden, G.- P. Maison neuve, Paris, 1986, p. 1006.
- Le Robert, Dictionnaire de la langue française, Paris, 2002.
- Le petit Larousse illustré, Paris, 2007.

5 . الرسائل الجامعية

- Busson de Janssens J, contribution à l'étude des Habous publics algériens, (thèse de doctorat), Alger, 1950.

المصطلحات

Fibule	إبزيم
Crosse	أخمص
Arquebuse	أركبوز
Escopette	إسكوبيت
Satin	أطلس
Volige	ألواح خشبية
Poire à poudre	بارودية
Brigantin	بركنتي
La gaude	بليحاء
Incrustation	ترصيع
Ajouré	تخريم
Vaisseau	جفن
Corporation de métier	جماعة حرفية
Drap	جوخ
Chaux	جير
Fileur de soie	حرّار
Brulot	حراقة
Ciselage	حز
Tissage	حياكة
Tannage	دباغة
Damas	دمشقي
Cochenille	دودة قرمزية
Rouet	دولاب الغزل
Brocart	ديباج
Paillettes	رقاقات الزركشة
Maroquin	سختيان
Chaine	سدى

Alun	شب
Chébek	شباك
Ebene	شجرة الأبنوس
Cedre	شجرة الأرز
Chene	شجرة البق
Orme	شجرة البلوط
Noyer	شجرة الجوز
Le frêne	شجرة الدردار
Hetre	شجرة الزان
Olivier	شجرة الزيتون
Thuay	شجرة العفصية
La galère	شيني
Teinturier	صباغ
Teinture	صباغة
Dinandier	صفار
Batterie	طبانة
Jujubier	عناب
Grenadin	غرناطي
Point	غرزة
Filage	غزل
Ocre	غمرة
Garance	فوة
Filatures	فيالج
Chaudron	قازان
Dé	قسطبينة (قِمع الخيط)
Cannetille	قصب
Etamage	قصدرة

Aqueduc	قناة المياه
Chanvre	قنب
Passementerie	قيطان
Lin	كتان
Trame	لحمة
Braséro	مجمر
Alène	مخرز
Velours	مخمل
Canon	مدفع
La quenouille	مردن
Le mordant	مرسخ
Fuseau	مغزل
Salpêtre	ملح البارود
Métier	منسج
Morisque	موريسكي
Mousquet	موسكي
Mousseline	موصلي
Email	مينا
Email cloisonnée	مينا الفصوص
Laiton	نحاس أصفر
Indigo	نيلة

الفهارس العامة

أ

س

ش

ص

ط

ع

غ

ف

ق

ك

م

أ

ب

ح

ز

ش

هـ

أ

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ص

ط

ض

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ي

فهرس
الموضوعات

القسم الأول

الأندلسيون في الجزائر وإسهاماتهم الحضارية والاقتصادية

القسم الثاني

التأثيرات الأندلسية على العمارة والفنون التطبيقية

الفصل الأول: فن العمارة والبناء (194 ـ 229)

الفصل الثاني:الفنون النسيجية والجلدية (231 ـ 265)

الفصل الخامس: الفنون والصناعات الخشبية (336 – 372)

الفصل السابع: التنظيم الحرفي للأندلسيين والألقاب والمصطلحات الوقفية

(420 ـ 455)